تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

للإمام محيي السنة أبي محمد الحسين بن مسعود البغوي
(المتوفى - ٥١٦هـ)

المجلد السابع

حققه وخرج أحاديثه

محمد عبد الله النمر — عثمان جمعة ضميرية — سليمان مسلم الحرش

دار طيبة للنشر والتوزيع
الرياض - شارع عسير - ص. ب : ٧٦١٢
تلفون : ٤٣٥٩٧٤٠ / ٤٣٥٤٩٣٧

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير البغوي

«معالم التنزيل»

حقوق الطبع محفوظة
١٤١٢ هـ

سُورَةُ يسٓ

سُورَةُ يسٓ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يسٓ ﴿١﴾ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣﴾ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤﴾

﴿يسٓ﴾ و «نٓ» قرأ بإخفاء النون فيهما: ابن عامر، والكسائي، وأبو بكر. قالون: يخفي النون من «يسٓ» ويظهر من «نٓ»، والباقون يظهرون فيهما.

واختلفوا في تأويل ﴿يسٓ﴾ حسب اختلافهم في حروف التهجي[2]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هو قسم[3]، ويروى عنه أن معناه: يا إنسان[4]، بلغة طيء، يعني: محمداً ﷺ، وهو قول الحسن، وسعيد بن جبير، وجماعة.

وقال أبو العالية: يارجل[5].

وقال أبو بكر الوراق: ياسيد البشر.

﴿والقرآنِ الحكيم﴾.

﴿إنك لمنَ المرسلين﴾، أقسم بالقرآن أن محمداً ﷺ من المرسلين، وهو ردّ على الكفار حيث قالوا: «لست مرسلاً» (الرعد ـ ٤٣).

﴿على صراط مستقيم﴾، وهو خبر بعد خبر، أي: أنه من المرسلين وأنه على صراط مستقيم. وقيل: معناه إنك لمن المرسلين الذين هم على صراط مستقيم.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة يس بمكة. وأخرج ابن مردويه عن عائشة قالت: نزلت سورة يس بمكة. انظر: الدر المنثور: ٣٧/٧.

(٢) انظر: الطبري: ١/٢٠٥-٢٢٤، وانظر: فيما سبق ١/٥٨-٥٩.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٢/١٤٨.

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤١/٧ لابن أبي شيبة وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وانظر: البحر المحيط: ٣٢٣/٧.

(٥) نقله الفراء في معاني القرآن ٣٧١/٢ عن الحسن قال: «يس» يارجل. وهو في العربية بمنزلة حرف الهجاء كقولك: حمٓ وأشباهها.

تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٥﴾ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴿٦﴾ لَقَدْ حَقَّ
ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٧﴾ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى
ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ﴿٨﴾

﴿تنزيلَ العزيزِ الرحيمِ﴾، قرأ ابن عامر، وحمزة، والكسائي، وحفص: «تنزيلَ» بنصب اللام كأنه قال: نزل تنزيلاً، وقرأ الآخرون بالرفع، أي: هو تنزيل العزيز الرحيم .

﴿لتنذرَ قوماً ما أُنذرَ آباؤُهم﴾، قيل : «ما» للنفي أي: لم ينذر آباؤهم، لأن قريشاً لم يأتهم نبي قبل محمد ﷺ وقيل: «ما» بمعنى الذي، أي: لتنذر قوماً بالذي أُنذر آباؤهم، ﴿فهُم غافلون﴾، عن الإيمان والرشد .

﴿لقد حَقَّ القولُ﴾، وجب العذاب، ﴿على أكثرِهم فهم لا يُؤمنونَ﴾، هذا كقوله: «ولكن حقتْ كلمة العذاب على الكافرين» (الزمر ـ ٧١) .

﴿إنَّا جَعَلنا في أعناقِهم أغْلالاً﴾، نزلت في أبي جهل وصاحبيه المخزوميين، وذلك أن أبا جهل كان قد حلف لئن رأى محمداً يصلي ليرضخنّ رأسه، فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه، فلما رفعه أُثبتت يده إلى عنقه ولزق الحجر بيده، فلما عاد إلى أصحابه فأخبرهم بما رأى سقط الحجر، فقال رجل من بني مخزوم: أنا أقتله بهذا الحجر، فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر، فأعمى الله تعالى بصره، فجعل يسمع صوته ولا يراه، فرجع إلى أصحابه فلم يرهم حتى نادوه فقالوا له: ما صنعت؟ فقال: ما رأيته، ولقد سمعت صوته وحال بيني وبينه شيء كهيئة الفحل يخطر(١) بذنبه، لو دنوت منه لأكلني، فأنزل الله تعالى: «إنا جَعَلنا في أعناقهم أغلالاً»(٢) .

قال أهل المعاني: هذا على طريق المثل، ولم يكن هناك غل، أراد: مَنَعناهم عن الإيمان بموانع، فجعل الأغلال مثلاً لذلك. قال الفراء: معناه إنا حبسناهم عن الإنفاق في سبيل الله كقوله تعالى : «ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك» (الإسراء ـ ٢٩) معناه: لا تمسكها عن النفقة .

---

(١) يخطر البعير أي: يرفع ذنبه مرة بعد أخرى ويضرب به فخذيه .

(٢) أخرجه الطبري مختصراً: ٢٢/١٥٢. قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٣٩): «رواه ابن إسحاق في السيرة، وأبو نعيم في الدلائل من طريق ابن إسحاق، حدثني محمد بن محمد بن سعيد أو عكرمة عن ابن عباس إلى قوله قد يبست يداه على الحجر... وأصله في البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما» .
وانظر: ابن كثير: ٣/٥٦٥، البحر المحيط: ٧/٣٢٤ .

وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ
﴿٩﴾ وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ
ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ﴿١١﴾ إِنَّا
نَحْنُ نُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ
مُّبِينٍ ﴿١٢﴾

﴿**فهي إلى الأذقان**﴾، «هي» كناية عن الأيدي وإن لم يَجْرِ لها ذكر، لأن الغل يجمع اليد إلى العنق، معناه: إنا جعلنا في أيديهم وأعناقهم أغلالاً فهي إلى الأذقان، ﴿**فهم مُقْمَحُونَ**﴾ والمقمح: الذي رفع رأسه وغض بصره، يقال: بعيرٌ قامح إذا روى من الماء، فأقمح إذا رفع رأسه وغض بصره. وقال الأزهري: أراد أن أيديهم لما غُلَّتْ إلى أعناقهم رَفَعت الأغلال أذقانهم ورؤوسهم، فهم مرفوعو الرؤوس برفع الأغلال إياها .

﴿ **وجعلنا مِنْ بينِ أيديهِم سَدّاً ومِنْ خلفِهم سَدّاً** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «سَدّاً» بفتح السين، وقرأ الآخرون بضمها، ﴿**فأغْشيناهُمْ**﴾، فأعميناهم، من التغشية وهي التغطية، ﴿**فهُم لا يُبصِرون**﴾، سبيل الهدى .

﴿**وسواءٌ عليهم أأنذرْتَهم أمْ لم تُنذِرْهم لا يُؤْمنون** ﴾ .

﴿**إنما تنذِرُ مَنِ اتَّبعَ الذِّكرَ**﴾، يعني: إنما ينفع إنذارك من اتبع الذكر، يعني: القرآن، فعمل بما فيه، ﴿**وَخشِيَ الرحمٰنَ بالغيبِ فبشِّرهُ بمغفرةٍ وأجرٍ كريم**﴾، حسن وهو الجنة .

﴿**إنَّا نحنُ نُحيي الموتَى**﴾، عند البعث، ﴿**ونكتُبُ ما قَدَّمُوا**﴾، من الأعمال من خير وشر، ﴿**وآثارَهُمْ**﴾، أي: ما سنوا من سنة حسنة أو سيئة .

قال النبي ﷺ : «مَنْ سَنّ في الإسلام سنّةً حسنةً يعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل أجر من عمل بها مَن بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئاً، ومن سنّ في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أوزارهم شيئاً»[1] .

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الزكاة باب: الحث على الصدقة ولو بشق تمرة أو كلمة طيبة.. برقم (١٠١٧) ٧٠٤/٢–٧٠٥، والمصنف في شرح السنة: ١٥٩/٦ .

﴿وَٱضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَٰبَ ٱلْقَرْيَةِ إِذْ جَآءَهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾﴾

وقال قوم: قوله: «ونكتب ما قدموا وآثارهم» أي: خطاهم إلى المسجد[1].

رُوي عن أبي سعيد الخدري قال: شكت بنو سلمة بُعْدَ منازلهم من المسجد فأنزل الله تعالى: «ونكتب ما قدموا وآثارهم»[2].

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، حدثنا أبو سعيد محمد بن عيسى الصيرفي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا محمد بن هشام بن ملّاس النميري، حدثنا مروان الفزاري، حدثنا حميد، عن أنس رضي الله عنه قال: «أرادت بنو سلمة أن يتحولوا إلى قرب المسجد، فكره رسول الله ﷺ أن تعرى المدينة، فقال: يابني سلمة ألا تحتسبون آثاركم؟ فأقاموا»[3].

٩١/ب وأخبرنا / عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن العلاء، حدثنا أبو أسامة، عن يزيد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال النبي ﷺ: «أعظم الناس أجراً في الصلاة أبعدُهم فأبعدُهم ممشىً، والذي ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم أجراً من الذي يصلي ثم ينام»[4].

قوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شيءٍ أحصيناهُ﴾ حفظناه وعددناه وبيّناه، ﴿في إمامٍ مبينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

قوله عزّ وجلّ: ﴿واضرِب لَهُم مثلاً أصحابَ القريةِ﴾، يعني: اذكر لهم شبهاً مثل حالهم من قصة أصحاب القرية وهي أنطاكية، ﴿إذ جَاءَهَا المرسلُون﴾، يعني: رسل عيسى عليه الصلاة السلام.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله: ٥٦٧/٣: «وهذا القول لا تنافي بينه وبين الأول، بل في هذا تنبيه ودلالة على ذلك بطريق الأوْلى والأحرى، فإنه إذا كانت هذه الآثار تكتب، فلأن تكتب تلك التي فيها قدوة بهم من خير أو شر بطريق الأولى، والله أعلم».

(٢) أخرجه الترمذي في التفسير، تفسير سورة يس: ٩٤/٩-٩٥ وقال: «هذا حديث حسن غريب من حديث الثوري، وأبو سفيان هو طريف السعدي»، وصححه الحاكم: ٤٢٨/٢ وأقره الذهبي، والطبري: ١٥٤/٢٢، وابن أبي حاتم، كلهم من طريق الثوري. ورواه البزار من طريق الجريري عن أبي نضرة عن أبي سعيد.
قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: ٥٦٧/٣: «وفيه غرابة من حيث ذكر نزول هذه الآية، والسورة بكمالها مكية، فالله أعلم».
وقارن بالصحيح المسند من أسباب النزول: ص (١٢٤).

(٣) أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب: كراهية النبي ﷺ أن تعرى المدينة: ٩٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ٣٥٣/٢.

(٤) أخرجه البخاري في الأذان، باب: فضل صلاة الفجر في جماعة ١٣٧/٢، ومسلم في المساجد، باب: فضل كثرة الخطى إلى المساجد برقم (٦٦٢) ٤٦٠/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٠٣/٢.

قال العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى أهل مدينة أنطاكية(1)، فلما قربا من المدينة رأيا شيخاً يرعى غنيمات له وهو حبيب النجار، صاحب يَس(2) فسلما عليه، فقال الشيخ لهما: من أنتما؟ فقالا: رسولا عيسى، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم نحن نشفي المريض ونبرىء الأكمه والأبرص بإذن الله، فقال الشيخ: إن لي ابناً مريضاً منذ سنين، قالا: فانطلق بنا نطلع على حاله، فأتى بهما إلى منزله، فمسحا ابنه، فقام في الوقت - بإذن الله - صحيحاً، ففشا الخبر في المدينة، وشفى الله على أيديهما كثيراً من المرضى، وكان لهم ملك - قال وهب: اسمه انطيخس - وكان من ملوك الروم يعبد الأصنام، قالوا: فانتهى الخبر إليه فدعاهما، فقال: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، قال: وفيمَ جئتما؟ قالا: ندعوك من عبادة مالا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر، فقال: ولكما إله دون آلهتنا؟ قالا: نعم، من أوجدك وآلهتك. قال: قومَا حتى أنظر في أمركما، فتبعهما الناس فأخذوهما وضربوهما في السوق.

قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلا إلى ملكها، وطال مدة مقامهما فخرج الملك ذات يوم فكبَّرا وذكرا الله، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كُذِّبَ الرسولان وضُربا، بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفا على إثرِهما لينصرهما، فدخل شمعون البلد متنكراً، فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أَنِسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك فدعاه فرضي عِشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دَعَواكَ إلى غيرِ دينك، فهل كلَّمتَهُما وسمِعتَ قولَهما؟ فقال الملك: حالَ

---

(1) قال ابن كثير: ٣/٥٧٠ «وقد تقدم عن كثير من السلف أن هذه القرية أنطاكية، وأن هؤلاء الثلاثة كانوا رسلاً عند المسيح عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام كما نص عليه قتادة وغيره وهوالذي لم يذكر عن واحد من متأخري المفسرين غيره، وفي ذلك نظر من وجوه:
(أحدهما) أن ظاهر القصة يدل على أن هؤلاء كانوا رسل الله عزّ وجلّ لا من جهة المسيح عليه السلام كما قال تعالى: «إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث فقالوا إنا إليكم لمرسلون-إلى أن قالوا ـ ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون. وما علينا إلا البلاغ المبين» ولو كان هؤلاء من الحواريين لقالوا عبارة تناسب أنهم من عند المسيح عليه السلام والله تعالى أعلم، ثم لو كانوا رسل المسيح لما قالوا لهم «إن أنتم إلا بشر مثلنا».
(الثاني) أن أهل أنطاكية آمنوا برسل المسيح إليهم وكانوا أول مدينة آمنت بالمسيح ولهذا كانت عند النصارى إحدى المدائن الأربعة اللاتي فيهن بتاركة، وهن القدس لأنها بلد المسيح، وأنطاكية لأنها أول بلدة آمنت بالمسيح عن آخر أهلها، والاسكندرية لأن فيها اصطلحوا على اتخاذ البتاركة والمطارنة والأساقفة والقساوسة والشمامسة والرهابين. ثم رومية لأنها مدينة الملك قسطنطين الذي نصر دينهم ووطّده...
(الثالث) أن قصة أنطاكية مع الحواريين أصحاب المسيح بعد نزول التوراة».
وانظر: المحرر الوجيز: ١٣/١٩٣.

(2) في «ب» عيسى.

﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ١٤﴾

الغضبُ بيني وبين ذلك. قال: فإن رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما، فدعاهما الملك، فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى هاهنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال لهما شمعون: [فصفاه وأوجزا، فقالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد، فقال شمعون](1): وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه، فأمر الملك حتى جاؤوا بغلام مطموس العينين وموضع عينيه كالجبهة، فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين(2) من الطين، فوضعاهما في حدقتيه فصارتا مقلتين يبصر بهما، فتعجب الملك، فقال شمعون للملك: إن أنت سألت إلهك حتى يصنع صنعاً مثل هذا فيكون لك الشرف ولإلهك. فقال الملك: ليس لي عنك سر إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر، ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصلي كثيراً، ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين: إن قدر إلهكم الذي تعبدانه على إحياء ميتٍ آمنَّا به وبكما، قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فقال الملك: إن هاهنا ميتاً مات منذ سبعة أيام ابنٌ لدهقان وأنا أخّرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه، وكان غائباً فجاؤوا بالميت وقد تغير وأَروح فجعلا يدعوان ربهما علانيةً، وجعل شمعون يدعو ربه سراً، فقام الميت، وقال: إني قدمت منذ سبعة أيام مشركاً فَأُدْخِلتُ في سبعةِ أوديةٍ من النار، وأنا أُحذِّرُكم ما أنتم فيه فآمِنوا بالله، ثم قال: فتحت لي أبواب السماء فنظرتُ فرأيتُ شاباً حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة، قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك، فلما علم شمعون أن قوله أثّر في الملك أخبرَه بالحال، ودعاه فآمن الملك وآمن قوم، وكفر آخرون.

وقيل: إن ابنةً للملك كانت قد توفيت ودفنت، فقال شمعون للملك: اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك، فطلب منهما الملك ذلك فقاما وصليا ودعوا وشمعون معهما في السر، فأحيا الله المرأة وانشق القبر عنها فخرجت، وقالت: أسلموا فإنهما صادقان، قالت: ولا أظنكم تسلمون، ثم طلبت من الرسولين أن يردَّاها إلى مكانها فذرَّا تُراباً على رأسها وعادت إلى قبرها كما كانت.

وقال ابن إسحاق عن كعب ووهبٍ: بل كفر الملكُ، وأجمع هو وقومُهُ على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيباً، وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم يُذكِّرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿إذ أرسلنا إليهمُ اثنين﴾، قال وهب: اسمهما يوحنا وبولس، ﴿فكذَّبوهما فعززنا﴾، يعني: فقَّوينا، ﴿بثالثٍ﴾، برسول ثالث وهو شمعون، وقرأ أبو بكر عن عاصم: «فعزَزْنا» بالتخفيف وهو

(1) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(2) البندقة: ما يكون مدوّراً من الطين.

قَالُواْ مَآ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحْمَٰنُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ ﴿١٥﴾
قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٧﴾
قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ
﴿١٨﴾ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ أَئِن ذُكِّرْتُم بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَآءَ
مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾

بمعنى الأول كقولك: شدَدْنا وشدَّدْنا، بالتخفيف والتثقيل، وقيل: أي: فغلبنا، من قولهم: من عزَّ بزَّ. وقال كعب: الرسولان: صادق وصدوق، والثالث شلوم، وإنما أضاف الله الإرسال إليه لأن عيسى عليه السلام إنما بعثهم بأمره تعالى، ﴿**فقالوا**﴾، جميعاً لأهل أنطاكية، ﴿**إنا إليكم مُرسَلُونَ**﴾.

﴿**قالوا ما أنتُم إلا بشرٌ مثلُنَا وما أنزل الرحمنُ من شيءٍ إن أنتم إلَّا تكذِبُونَ**﴾، ما أنتم إلا كاذبون فيما تزعمون.

﴿**قالوا رَبُّنا يعلمُ إنَّا إليكُمْ لَمُرسَلُونَ**﴾.

﴿**وَمَا عَلينا إلا البلاغُ المبينُ**﴾.

﴿**قالوا إنَّا تَطَيَّرنا بِكُمْ**﴾، تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم، فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿**لَئِن لَّمْ تنتهوا لَنرجُمَنَّكُمْ**﴾، لنقتلنكم، وقال قتادة: بالحجارة، ﴿**وليَمَسَّنَّكُمْ منّا عذابٌ أليمٌ**﴾.

﴿**قالوا طَائِرُكُم معكم**﴾، يعني: شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم، يعني: أصابكم الشؤم من قبلكم. وقال ابن عباس / والضحاك: حظكم من الخير والشر، ﴿**أئن ذُكِّرتُم**﴾، يعني: وعظتم ٩٢/أ
بالله، وهذا استفهام محذوف الجواب، مجازه: إن ذكرتم ووعظتم بالله تطيرتم بنا. وقرأ أبو جعفر: «أَأن» بفتح الهمزة الملينة «ذكرتم» بالتخفيف، ﴿**بل أنتم قوم مسرفون**﴾، مشركون مجاوزون الحد.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وجاءَ من أقصى المدينةِ رجلٌ يسعى**﴾، وهو حبيب النجار[1]، وقال السدي: كان قصَّاراً[2]. وقال وهب: كان رجلاً يعمل الحرير[3]، وكان سقيماً قد أسرع فيه

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢/١٥٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥١ لعبد الرزاق وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. وانظر تفسير ابن كثير: ٣/٥٦٩.

(٢) ذكره ابن كثير: ٣/٥٦٩.
والقصار: الذي يعمل بالقصارة، يقال: قصر الثوب، قصارة، وقصره قصّارة: بيّضه ودقّه بالقَصْرة وهي قطعة من الخشب.

(٣) ذكره ابن كثير: ٣/٥٦٩ عن ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس، وكعب الأحبار، ووهب بن منبه. والجرير: الحبال.

﴿ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾﴾

الجذام، وكان منزله عند أقصى باب من أبواب المدينة، وكان مؤمناً ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين، فيطعم نصفاً لعياله ويتصدق بنصف[1]، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم، ﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾.

﴿اتَّبعوا مَنْ لا يسئَلُكُم أجراً وهم مهتَدونَ﴾، قال قتادة: كان حبيب في غار يعبد ربه[2]، فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه، فلما انتهى حبيب إلى الرسل قال لهم: تسألون على هذا أجراً؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه فقال: «ياقوم اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجراً وهم مهتدون»، فلما قال ذلك قالوا له: وأنت مخالف لديننا ومتابع دين هؤلاء الرسل ومؤمن بإلههم؟ فقال:

﴿وَمَالِيَ لا أعبُدُ الذي فَطَرني وإليهِ تُرجَعُونَ﴾، قرأ حمزة ويعقوب: «مالْي» بإسكان الياء، والآخرون بفتحها. قيل: أضاف الفطرةَ إلى نفسه والرجوعَ إليهم، لأن الفطرة أثر النعمة، وكانت عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر وكان بهم أليق.

وقيل: إنه لما قال: اتبعوا المرسلين، أخذوه فرفعوه إلى الملك، فقال له الملك: أفأنت تتبعهم؟ فقال: «ومالِيَ لا أعبد الذي فطرني»، وأي شيء لي إذا لم أعبد الخالق ﴿وإليه تُرْجعون﴾ تردون عند البعث فيجزيكم بأعمالكم.

﴿أأَتخذُ مِن دُونِه آلهةً﴾، استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا أتخذ من دونه آلهة، ﴿إنْ يُرِدنِ الرحمنُ بضرٍّ﴾، بسوء ومكروه، ﴿لا تغنِ عنّي﴾، لا تدفع عني، ﴿شَفَاعَتُهم شيئاً﴾، أي: لا شفاعة لها أصلاً فتغني ﴿ولا يُنقِذُون﴾ من ذلك المكروه، وقيل: لا ينقذون من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك.

﴿إني إذاً لفي ضلالٍ مبينٍ﴾، خطأ ظاهر.

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٦٩/٣.

(٢) انظر: ابن كثير: ٥٦٩/٣.

إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي
يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٧﴾ ۞ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ
قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴿٢٨﴾ إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ
وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ﴿٢٩﴾

﴿إني آمنتُ بِرَبكُمْ فَاسمَعُونِ﴾، يعني: فاسمعوا مني، فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد فقتلوه(١).

قال ابن مسعود: وطئوه بأرجلهم حتى خرج قُصْبُه من دُبُره(٢).

وقال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة وهو يقول: اللهم اهدِ قومي، حتى قطعوه وقتلوه(٣).

وقال الحسن: خرقوا خرقاً في حلقة فعلقوه بسور من سور المدينة، وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة، وهو حي فيها يرزق، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿قِيلَ ادخلِ الجنَّةَ﴾، فلما أفضى إلى الجنة، ﴿قال ياليتَ قومي يعلمون بما غفرَ لي ربي﴾، يعني: بغفران ربي لي، ﴿وجَعَلَني مِن المُكرَمِينَ﴾، تمنى أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه، ليرغبوا في دين الرسل.

فلما قُتِلَ حبيب غضب الله له وعجل لهم النِقمة، فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة، فماتوا عن آخرهم، فذلك قوله عزّ وجلّ:

﴿وَمَا أنزلنا على قومهِ مِن بَعدِهِ من جُندٍ من السماءِ﴾، يعني: الملائكة، ﴿وَمَا كُنّا مُنزِلينَ﴾، وما كنا نفعل هذا، بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر مما يظنون.

وقيل: معناه «وما أنزلنا على قومه من بعده» أي: على قوم حبيب النجار من بعد قتله من جند، وما كنّا ننزلهم على الأمم إذا أهلكناهم، كالطوفان والصاعقة والريح. ثم بيّن عقوبتهم فقال تعالى:

﴿إن كانت إلّا صيحةً واحدةً﴾، [وقرأ أبو جعفر: صيحةٌ واحدة](٤)، بالرفع، جعل الكون بمعنى الوقوع.

---

(١) أخرجه ابن إسحاق فيما بلغه عن ابن عباس وكعب ووهب. انظر: ابن كثير: ٥٦٩/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٢، وابن إسحاق عن بعض أصحابه عن ابن مسعود، انظر ابن كثير: ٥٦٩/٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٢ لكن عن قتادة، وكذلك عند ابن كثير: ٥٦٩/٣.
(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿يَٰحَسۡرَةً عَلَى ٱلۡعِبَادِۚ مَا يَأۡتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ٣٠ أَلَمۡ يَرَوۡاْ
كَمۡ أَهۡلَكۡنَا قَبۡلَهُم مِّنَ ٱلۡقُرُونِ أَنَّهُمۡ إِلَيۡهِمۡ لَا يَرۡجِعُونَ ٣١ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ
لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلۡأَرۡضُ ٱلۡمَيۡتَةُ أَحۡيَيۡنَٰهَا وَأَخۡرَجۡنَا مِنۡهَا حَبًّا فَمِنۡهُ
يَأۡكُلُونَ ٣٣﴾

قال المفسرون: أخذ جبريل بعَضَادَتَي باب المدينة، ثم صاح بهم صيحةً واحدة[1]، ﴿**فإذا هم خامِدُونَ**﴾، ميتون .

﴿**ياحسرةً على العبادِ**﴾، قال عكرمة: يعني ياحسرتهم على أنفسهم، والحسرة: شدة الندامة، وفيه قولان:

أحدهما: يقول الله تعالى: ياحسرة وندامة وكآبة على العباد يوم القيامة حين لم يؤمنوا بالرسل .

والآخر : أنه من قول الهالكين قال أبو العالية: لما عاينوا العذاب قالوا: ياحسرة أي: ندامة على العباد، يعني: على الرسل الثلاثة حيث لم يؤمنوا بهم، فتمنوا الإيمان حين لم ينفعهم .

قال الأزهري: الحسرة لاتدعى، ودعاؤها تنبيه المخاطبين. وقيل: العرب تقول: ياحسرتي! وياعجباً! على طريق المبالغة، والنداء عندهم بمعنى التنبيه، فكأنه يقول: أيها العجب هذا وقتك؟ وأيتها الحسرة هذا أوانك؟

حقيقة المعنى: أن هذا زمان الحسرة والتعجب. ثم بين سبب الحسرة والندامة، فقال :

﴿**ما يأتيهم من رسولٍ إلّا كانوا به يستهزؤون**﴾ .

﴿**ألم يرَوْا**﴾، ألم يخبروا، يعني: أهل مكة، ﴿**كَمْ أهلكنا قَبلَهُم مِن القُرونِ**﴾، والقرن: أهل كل عصر، سموا بذلك لاقترانهم في الوجود، ﴿**أنّهُم إليهم لا يَرجِعُونَ**﴾، أي: لا يعودون إلى الدنيا فلا يعتبرون بهم .

﴿**وإنْ كلٌّ لمّا جميعٌ**﴾، قرأ عاصم، وحمزة: «لما» بالتشديد هاهنا وفي الزخرف والطارق، ووافق ابن عامر إلّا في الزخرف، ووافق أبو جعفر في الطارق، وقرأ الآخرون بالتخفيف. فمن شدد جعل «إن» بمعنى الجحد، و«لما» بمعنى إلّا، تقديره: وما كل إلّا جميعٌ، ومن خفف جعل «إن» للتحقيق و«ما» صلة، مجازه: وكلٌّ جميعٌ، ﴿**لَدَينا مُحضَرونَ**﴾ .

﴿**وآيةٌ لهمُ الأرضُ الميتةُ أحييناها**﴾، بالمطر، ﴿**وأخرَجنا مِنها حبّاً**﴾، يعني: الحنطة والشعير وما

(١) ذكره ابن كثير: ٥٧٠/٣ وعضادتا الباب: ناحيتاه .

وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ ﴿٣٤﴾
لِيَأْكُلُوا۟ مِن ثَمَرِهِۦ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ ۖ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٥﴾ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى
خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ
﴿٣٦﴾ وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَٱلشَّمْسُ
تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٣٨﴾

أشبهما، ﴿**فَمِنهُ يأكلونَ**﴾، أي: من الحب.

﴿**وجَعَلنا فيها جَنَّاتٍ**﴾، بساتين، ﴿**من نخيلٍ وأعنابٍ وفجَّرنا فيها**﴾، في الأرض، ﴿**من العُيون**﴾.

﴿**ليأكُلوا من ثَمَرِهِ**﴾، أي: من الثمر الحاصل بالماء، ﴿**وما عَمِلَتهُ**﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: «عملت» بغير هاء، وقرأ الآخرون «عملته» بالهاء، أي: يأكلون من الذي عملته، ﴿**أيديهم**﴾، من الزرع والغرس، فالهاء عائدة إلى «ما» التي بمعنى الذي. وقيل: «ما» للنفي في قوله «ما عملته» أي: وجدوها معمولة ولم تعملها أيديهم، ولا صنع لهم فيها، وهذا معنى قول الضحاك ومقاتل.

وقيل: أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد خلق مثل دجلة والفرات والنيل ونحوها.

﴿**أفَلا يشكُرُونَ**﴾، نعمة الله.

﴿**سُبحَانَ الذي خَلَقَ الأزواجَ كُلَّها**﴾، أي: الأصناف، ﴿**مِمَّا تنبتُ الأرضُ**﴾، من الثمار والحبوب، ﴿**ومِن أنفُسِهم**﴾، يعني: الذكور والإناث، ﴿**ومِمَّا لا يعلمون**﴾، مما خلق من الأشياء من دواب البر والبحر.

﴿**وآيةٌ لَهُم**﴾، تدل على قدرتنا، ﴿**الليلُ نسلخُ**﴾، ننزع ونكشط، ﴿**منهُ النَّهارَ فإذا هُم مظلمون**﴾، داخلون في الظلمة، ومعناه: نذهب بالنهار ونجيء بالليل، وذلك أن الأصل هي الظلمة
والنهار / داخل عليها، فإذا غربت الشمس سُلِخَ النهارُ من الليل، فتظهر الظلمة. ٩٢/ب

﴿**والشمسُ تجري لمستقرٍ لها**﴾، أي: إلى مستقر لها، أي: إلى انتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام الساعة.

وقيل: إنها تسير حتى تنتهي إلى أبعد مغاربها، ثم ترجع فذلك مستقرها لأنها لا تجاوزه.

وقيل: مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف، ونهاية هبوطها في الشتاء، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال: «مستقرها تحت العرش».

﴿وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنبَغِي لَهَا أَن تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ (٤٠)﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه عن أبي ذر قال: سألت النبي ﷺ عن قوله عزّ وجلّ : ﴿**والشمس تجري لمستقر لها**﴾، قال: «مستقرها تحت العرش»[1] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا الحميدي، أخبرنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبيه، عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ لأبي ذر حين غربت الشمس: «أتدري أين تذهب»؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: «فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش، فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها، وتستأذن فلا يؤذن لها، فيُقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها، فذلك قوله تعالى: ﴿**والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم**﴾»[2] .

وروى عمرو بن دينار عن ابن عباس: «والشمس تجري لا مستقر لها» وهي قراءة ابن مسعود، أي: لا قرار لها ولا وقوف فهي جارية أبداً ﴿**ذلك تقديرُ العزيزِ العليمِ**﴾.

﴿**والقمرَ قدَّرناهُ منازلَ**﴾، أي: قدرنا له منازل، قرأ ابن كثير، ونافع، وأهل البصرة: «القمرُ» برفع الراء لقوله: «وآية لهم الليل نسلخ منه النهار»، وقرأ الآخرون بالنصب لقوله: «قدرناه» أي: قدرنا القمر، ﴿**منازل**﴾، وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس[3]، فإذا صار القمر إلى آخر المنازل دقَّ فذلك قوله: ﴿**حتى عاد كالعرجون القديم**﴾، والعرجون: [عود العذق][4] الذي عليه الشماريخ، فإذا قدم وعتق يبس وتقوس واصفرَّ، فشبّه القمر في دقته وصفرته في آخر المنازل به .

﴿**لا الشمسُ ينبغي لها أن تدركَ القمرَ**﴾، أي: لا يدخل النهار على الليل قبل انقضائه، ولا يدخل الليل على النهار قبل انقضائه، وهو قوله تعالى : ﴿**ولا الليلُ سابقُ النهارِ**﴾، أي: هما يتعاقبان بحساب معلوم لا يجيء أحدهما قبل وقته .

(١) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة يس ـ باب: (والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم) ٥٤١/٨، ومسلم في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم (٢٥١) ١٣٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٩٥/١٥ .

(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب: صفة الشمس والقمر ٢٩٧/٦، ومسلم في الإيمان، باب: بيان الزمن الذي لا يقبل فيه الإيمان برقم: (٢٥١) ١٣٩/١، والمصنف في شرح السنة: ٩٤/١٥ .

(٣) انظر فيما سبق : ٤ / ١٢١ .

(٤) في «أ» العرق .

وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ
مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا
وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّقُوا۟ مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾

وقيل: لا يدخل أحدهما في سلطان الآخر، لا تطلع الشمس بالليل ولا يطلع القمر بالنهار وله ضوء، فإذا اجتمعا وأدرك كل واحد منهما صاحبه قامت القيامة.

وقيل: «لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر» أي: لا تجتمع معه في فلك واحد، «ولا الليل سابق النهار» أي: لا يتصل ليل بليل لا يكون بينهما نهار فاصل.

﴿وكلٌّ في فلَكٍ يسبحون﴾، يجرون.

﴿وآيةٌ لهم أنَّا حملنا ذُريتَهُم﴾، قرأ أهل المدينة والشام، ويعقوب: «ذرياتِهم» جمع، وقرأ الآخرون: «ذريتهم» على التوحيد، فمن جمع كسر التاء، ومن لم يجمع نصبها، والمراد بالذرية: الآباء والأجداد، واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الأولاد، **﴿في الفُلكِ المشحُونِ﴾**، أي: المملوء، وأراد سفينة نوح عليه السلام، وهؤلاء من نسل من حُمل مع نوح، وكانوا في أصلابهم.

﴿وخلقنا لَهُم من مثلهِ ما يركبون﴾، قيل: أراد به السفن الصغار التي عملت بعد سفينة نوح على هيئتها.

وقيل: أراد به السفن التي تجري في الأنهار، فهي في الأنهار كالفلك الكبار في البحار، وهذا قول قتادة، والضحاك وغيرهما.

وروي عن ابن عباس أنه قال: «وخلقنا لهم من مثله ما يركبون»، يعني: الإبل، فالإبل في البر كالسفن في البحر.

﴿وإنْ نشأ نُغرقهُم فلا صَريخَ﴾، أي: لا مغيث، **﴿لهم وَلا هُم يُنقَذُون﴾**، ينجون من الغرق. وقال ابن عباس: ولا أحد ينقذهم من عذابي.

﴿إلّا رحمةً منّا ومتاعاً إلى حين﴾، إلى انقضاء آجالهم، يعني: إلّا أن يرحمهم ويمتعهم إلى آجالهم.

﴿وإذا قيل لهُمُ اتقوا ما بينَ أيدِيكُم وما خلفكُم﴾، قال ابن عباس: «ما بين أيديكم» يعني الآخرة، فاعملوا لها، «وما خلفكم» يعني الدنيا، فاحذروها، ولا تغتروا بها.

وقيل: «ما بين أيديكم» وقائع الله فيمن كان قبلكم من الأمم، «وما خلفكم» عذاب الآخرة، وهو قول قتادة ومقاتل.

﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤٨﴾ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾

﴿لعلّكم تُرحمون﴾، والجواب محذوف تقديره: إذا قيل لهم هذا أعرضوا عنه، دليله ما بعده:

﴿وما تأتيهم من آيةٍ من آياتِ ربهم﴾، أي: دلالة على صدق محمد ﷺ، ﴿إلّا كانوا عنها مُعرضين﴾.

﴿وإذا قيلَ لهم أنفقوا مما رزقكم الله﴾، أعطاكم الله، ﴿قال الذين كفروا للذين آمنوا أنُطعِمُ﴾، أنرزق، ﴿من لو يشاءُ الله أطعمهُ﴾، وذلك أن المؤمنين قالوا لكفار مكة: أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله، وهو ما جعلوا لله من حروثهم وأنعامهم، قالوا: أنطعم، أنرزق من لو يشاء الله رزقه، ثم لم يرزقه مع قدرته عليه، فنحن نوافق مشيئة الله فلا نُطعِمُ من لم يُطعمه الله، وهذا مما يتمسك به البخلاء، يقولون: لا نعطي من حرمه الله. وهذا الذي يزعمون باطل، لأن الله أغنى بعض الخلق وأفقر بعضهم ابتلاءً، فمنع الدنيا من الفقير لا بُخلاً، وأمر الغنيَّ بالإنفاق لا حاجةً إلى ماله، ولكن ليبلوَ الغنيَّ بالفقير فيما فرض له في مال الغني، ولا اعتراض لأحد على مشيئة الله وحكمه في خلقه، ﴿إن أنتم إلّا في ضلالٍ مبين﴾، يقول الكفار للمؤمنين: ما أنتم إلّا في خطأ بيّن في اتّباعكم محمداً ﷺ وترك ما نحن عليه.

﴿ويقولونَ متى هذا الوعدُ﴾، أي: القيامة والبعث، ﴿إن كنتم صادقين﴾.

قال الله تعالى: ﴿ما يَنظُرونَ﴾، أي: ما ينتظرون، ﴿إلّا صيحةً واحدةً﴾، قال ابن عباس: يريد النفخة الأولى، ﴿تأخُذُهم وهُم يخِصِّمُونَ﴾، يعني: يختصمون في أمر الدنيا من البيع والشراء، ويتكلمون في المجالس والأسواق.

قرأ حمزة: «يخْصِمون» بسكون الخاء وتخفيف الصاد، أي: يغلب بعضهم بعضاً بالخصام، وقرأ الآخرون بتشديد الصاد، أي: يختصمون. أُدغمت التاء في الصاد، ثم ابن كثير ويعقوب وورش
٩٣/أ يفتحون الخاء بنقل حركة التاء المدغمة إليها، ويجزمها أبو جعفر وقالون، ويروم فتحة الخاء / أبو عمرو، وقرأ الباقون بكسر الخاء.

فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم
مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا
وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٥٢﴾ إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً
فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾

وروينا أن النبي ﷺ قال: «لَتَقُومَنَّ الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهما بينهما فلا يتبايعانه ولا يطويانه، ولَتَقُومَنَّ الساعة وقد رفع الرجل[١] أُكْلَتَه إلى فيه فلا يَطْعَمُها»[٢].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فلا يستطيعُونَ تَوصِيةً**﴾،أي: لا يقدرون على الإيصاء. قال مقاتل: عجلوا عن الوصية فماتوا، ﴿**وَلَا إلى أهلِهِم يَرجِعُونَ**﴾، ينقلبون، والمعنى أن الساعة لا تمهلهم لشيء.

﴿**ونُفِخَ في الصُّورِ**﴾، وهي النفخة الأخيرة نفخة البعث، وبين النفختين أربعون سنة، ﴿**فإذا هم من الأجدَاثِ**﴾، يعني: القبور، واحدها: جدث، ﴿**إلى ربِّهم يَنْسِلونَ**﴾، يخرجون من القبور أحياء، ومنه قيل للولد: نسل لخروجه من بطن أمه.

﴿**قالوا ياوَيلَنَا مَنْ بَعَثَنا من مَرقَدِنا**﴾، قال أُبَيّ بن كعب، وابن عباس، وقتادة: إنما يقولون هذا لأن الله تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين، فيرقدون فإذا بعثوا بعد النفخة الأخيرة وعاينوا القيامة دعوا بالويل[٣].

وقال أهل المعاني: إن الكفار إذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها صار عذاب القبر في جنبها كالنوم، فقالوا: ياويلنا[٤] من بعثنا من مرقدنا؟ ثم قالوا: ﴿**هذا ما وَعَدَ الرحمنُ وَصَدَقَ المرسَلُونَ**﴾ [أقرّوا حين لم ينفعهم الإقرار.

وقيل: قالت الملائكة لهم: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون»][٤].

قال مجاهد: يقول الكفار: «من بعثنا من مرقدنا»؟ فيقول المؤمنون: «هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون».

﴿**إنْ كانتْ**﴾، ما كانت،﴿**إلّا صيحةً واحدةً**﴾، يعني: النفخة الآخرة، ﴿**فإذا هُم جميعٌ لدينا مُحضَرُونَ**﴾.

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الفتن: ١٣/٨١-٨٢، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢٦-٢٧.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٧/٦٣-٦٤.
(٤) ساقط من «أ».

فَالْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَّكِئُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾

﴿فاليومَ لا تُظلمُ نفسٌ شيئاً ولا تُجزونَ إلّا ما كنتم تعملون﴾ .

﴿إن أصحابَ الجنةِ اليومَ في شُغُلٍ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو «فى شغْل»، بسكون الغين، والباقون بضمها، وهما لغتان، مثل السُّحْت والسُّحُت .

واختلفوا في معنى الشغل، قال ابن عباس: في افتضاض الأبكار[1]، وقال وكيع بن الجراح: في السماع .

وقال الكلبي: في شغل عن أهل النار وعمّا هم فيه لا يهمهم أمرهم ولا يذكرونهم .

وقال الحسن: شُغلوا بما في الجنة من النعيم عمّا فيه أهل النار من العذاب .

وقال ابن كيسان: في زيارة بعضهم بعضاً. وقيل: في ضيافة الله تعالى[2] .

﴿فاكِهُونَ﴾، قرأ أبو جعفر: «فكهون» حيث كان، وافقه حفص في المطففين؛ وهما لغتان مثل: الحاذر والحَذِر، أي: ناعمون. قال مجاهد والضحاك: معجبون بما هم فيه. وعن ابن عباس قال: فرحون .

﴿هم وأزواجُهُم﴾، أي: حلائلهم، **﴿في ظِلالٍ﴾**، قرأ حمزة والكسائي: «ظُلل» بضم الظاء من غير ألف، جمع ظله، وقرأ العامة: «في ظِلال» بالألف وكسر الظاء على جمع ظل، **﴿عَلَى الأَرَائِكِ﴾**، يعني السرر في الحِجَال[3]، واحدتها: أريكة. قال ثعلب: لا تكون أريكة حتى يكون عليها حجلة. **﴿مُتَّكِئُونَ﴾**، ذَوُو اتكاء .

﴿لَهُم فيها فاكهةٌ ولهُم ما يَدَّعُونَ﴾، يتمنون ويشتهون .

﴿سلامٌ قولاً من ربٍ رحيمٍ﴾، أي: يسلم الله عليهم قولاً، أي: يقول الله لهم قولاً .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا عبد الخالق بن علي بن عبد الخالق المؤذن، حدثني أبو بكر أحمد بن محمد بن موسى الملحمي

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/١٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٤ أيضاً لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في صفة الجنة وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) انظر هذه الأقوال في البحر المحيط: ٧/٣٤٢ .

(٣) الحِجال: جمع حَجَلَة وهو بيت للعروس يزين بالثياب، والأسِرَّة، والستور، قال في اللسان: والحَجَلَة مثل القُبَّة، وحجلة العروس معروفة، وهي بيت يُستر بالثياب والأسِرَّة .

وَامْتَٰزُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ ۞ أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا
الشَّيْطَانَ ۖ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ اعْبُدُونِي ۚ هَٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾
وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا ۖ أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾

الأصفهاني، أخبرنا الحسن بن أبي علي الزعفراني، أخبرنا ابن أبي الشوارب، أخبرنا أبو عاصم العبادَاني، أخبرنا الفضل الرقاشي، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ: «بينا أهل الجنة في نعيمهم إذْ سطع لهم نورٌ فرفعوا رؤوسهم، فإذا الربُّ عزّ وجلّ قد أشرف عليهم من فوقهم، فقال: السلام عليكم يا أهل الجنة، فذلك قوله: «سلامٌ قولاً من ربٍّ رحيم»، فينظر إليهم وينظرون إليه، فلا يلتفتون إلى شيء من النعيم ما داموا ينظرون إليه حتى يحتجب عنهم فيبقى نورُه وبركتُهُ عليهم في ديارهم»(١).

وقيل: تسلم عليهم الملائكة من ربهم.

قال مقاتل: تدخل الملائكة على أهل الجنة من كل باب يقولون: سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم.

وقيل: يعطيهم السلامة، يقول: اسلموا السلامة الأبدية.

﴿**وامتَازوا اليومَ أيها المُجرِمون**﴾، قال مقاتل: اعتزلوا اليوم من الصالحين. قال أبو العالية: تميزوا. وقال السدي: كونوا على حِدة. وقال الزجاج: انفردوا عن المؤمنين. قال الضحاك: إن لكل كافر في النار بيتاً يدخل ذلك البيت ويُردمُ بابه بالنار فيكون فيه أبد الآبدين، لا يَرى ولا يُرى(٢).

﴿**ألَمْ أعهدْ إليكمْ يابني آدمَ**﴾، ألم آمركم يابني آدم، ﴿**أنْ لا تعبدوا الشيطان**﴾، أي: لا تطيعوا الشيطان في معصية الله، ﴿**إنّه لكم عدوٌ مبين**﴾، ظاهر العداوة.

﴿**وأنِ اعبُدُوني**﴾، أطيعوني ووحدوني، ﴿**هذا صراطٌ مستقيمٌ**﴾.

﴿**ولقد أضلَّ منكم جِبِلّاً كثيراً**﴾، قرأ أهل المدينة، وعاصم: «جِبِلًّا» بكسر الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ يعقوب: «جُبُلًّا» بضم الجيم والباء وتشديد اللام، وقرأ ابن عامر، وأبو عمرو، بضم

(١) أخرجه ابن ماجة في المقدمة، باب: فيما أنكرت الجهمية، برقم: (١٨٤) ١/٦٦-٦٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٥-٦٦ أيضاً لابن أبي الدنيا في صفة الجنة والبزار وابن أبي حاتم والآجري في الرؤية وابن مردوية، قال السيوطي في مصباح الزجاجة: «والذي رأيته أنا في كتاب العقيلي ما نصه: عبدالله بن عبيد الله أبو عاصم العباداني، منكر الحديث، وكان الفضل يرى القدر، كاد أن يغلب على حديثه الوهم». وانظر مجمع الزوائد ٧/٩٨، وضعيف الجامع الصغير رقم الحديث (٢٣٦٢).

(٢) انظر: البحر المحيط: ٧/٣٤٣.

﴿هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ٦٣ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٦٤ ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَآ أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ٦٥﴾

الجيم ساكنة الباء خفيفة، وقرأ الآخرون بضم الجيم والباء خفيفة، وكلها لغات، ومعناها: الخلق والجماعة أي: خلقاً كثيراً، ﴿**أفلَم تكونُوا تعقِلون**﴾، ما أتاكم منْ هلاك الأمم الخالية بطاعة إبليس، ويقال لهم لمَّا دنوا من النار:

﴿**هذه جهنمُ التي كُنتم تُوعدُون**﴾، بها في الدنيا، ﴿**اصلَوها**﴾، ادخلوها، ﴿**اليومَ بما كنتم تكفرون * اليومَ نَختِم على أفواهِهم وتُكلِّمُنا أيديْهم وتشهدُ أرجلُهُم بما كانوا يكسِبُون**﴾، هذا حين ينكر الكفار كفرهم وتكذيبهم الرسل، فيختم على أفواههم وتشهد عليهم جوارحهم .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو الحسن محمد بن عمرو بن حفصويه السرخسي، سنة خمس وثلاثين وثلاثمائة، أخبرنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أخبرنا عبد الجبار بن العلاء، أخبرنا سفيان عن سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة قال: سأل الناسُ رسولَ الله ﷺ فقالوا: يارسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال: «هل تضارون في رؤية الشمس في الظهيرة ليست في سحاب»؟ قالوا: لا، يارسول الله، قال: «فهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس في سحابة»؟ قالوا: لا، قال: «فوالذي نفسي بيده لا تضارون في رؤية ربكم كما تضارون في رؤية أحدهما»، قال: «فيلقى العبد فيقول أي عبدي ألم أكرمك؟ ألم أسوّدْك، ألم أزوجك، ألم أسخر لك الخيل والإبل وأذرك تترأس وتتربع؟ قال: بلى يارب قال: فظننت أنك ملاقيّ؟ قال: لا، قال: فاليوم أنساك كما نسيتني، قال: فيلقى الثاني فيقول: ألم أكرمك، ألم أسوّدْك، ألم أزوجك، ألم أسخر لك الخيل والإبل وأتركك تترأس وتتربع؟- وقال غيره عن سفيان ترأس وتربع في الموضعين - قال: فيقول بلى
٩٣/ب / يارب فيقول: ظننت أنك ملاقيّ؟ فيقول: لا يارب، قال: فاليوم أنساك كما نسيتني، ثم يلقى الثالث،فيقول؟ ما أنت؟فيقول: أنا عبدك آمنتُ بك وبنبيك وبكتابك وصليتُ وصمتُ وتصدقتُ ويثني بخير ما استطاع، قال: فيقال له: ألم نبعث عليك شاهدنا؟ قال: فيتفكر في نفسه من الذي يشهد عليّ، فيختم على فيه، ويقال لفخذه: انطقي قال: فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بما كان يعمل وذلك المنافق وذلك ليعذر من نفسه، وذلك الذي سَخِطَ الله عليه»[1] .

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي أبو سهل عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدَّبْري، أخبرنا عبد الرزاق،

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الزهد برقم: (٢٩٦٨) ٤/٢٢٧٩-٢٢٨٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٤٦-١٤٨ .

﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَىٰ أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّىٰ يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴿٦٧﴾﴾

أخبرنا مَعْمَر، عن بهز بن حكيم بن معاوية، عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «إنكم تدعون فيفدم على أفواهكم بالفدام فأولُ ما يسأل عن أحدكم فخذه وكفه»(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، أخبرنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، أخبرنا مسلم بن الحجاج، أخبرنا أبو بكر بن أبي النضر، حدثني هاشم بن القاسم، أخبرنا عبد الله الأشجعي، عن سفيان الثوري، عن عبيد المكتب، عن فضيل، عن الشعبي، عن أنس بن مالك قال: كنّا عند رسول الله ﷺ فضحك فقال: «هل تدرون مِمَّ أضحك»؟ قال: قلنا اللَّهُ ورسولُهُ أعلم، قال: «من مخاطبة العبدِ ربَّه»، يقول: يارب ألم تجرني من الظلم؟ قال: فيقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجير على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك شهيداً وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه، فيقال لأركانه: انطقي، قال: فتنطق بأعماله، قال: ثم يُخَلّى بينه وبين الكلام، فيقول بُعداً لَكُنَّ وسحْقاً فَعَنْكنّ كنتُ أناضل»(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولو نشاءُ لطَمَسنا على أعيُنِهم﴾، [أي: أذهبنا أعينهم](٣) الظاهرة بحيث لا يبدو لها جفن ولا شق، وهو معنى الطمس كما قال الله عزّ وجلّ: «ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم» (البقرة ـ ٢٠) يقول: كما أعمينا قلوبهم لو شئنا أعمينا أبصارهم الظاهرة، ﴿فاستَبَقُوا الصِّراطَ﴾، فتبادروا إلى الطريق، ﴿فأنّى يُبصِرُون﴾ فكيف يبصرون [وقد أعمينا أعينهم؟ يعني: لو نشاء لأضللناهم عن الهدى، وتركناهم عمياً يترددون، فكيف يبصرون](٤) الطريق حينئذ؟ هذا قول الحسن والسدي، وقال ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، وعطاء: معناه لو نشاء لفقأنا أعين ضلالتهم، فأعميناهم عن غيهم، وحولنا أبصارهم من الضلالة إلى الهدى، فأبصروا رشدهم ﴿فأنّى يُبصرون﴾ ولم أفعل ذلك بهم؟.

﴿ولو نشاءُ لمسخناهُم على مكَانتِهم﴾، يعني: مكانهم، يريد: لو نشاء لجعلناهم قردة وخنازير

---

(١) حديث حسن أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ١٨٥/٢ والنسائي في التفسير: ٢٦٠/٢، والطبراني في الكبير: ٤٠٨/١٩، والإمام أحمد: ٤٤٧/٤، ٤/٥-٥، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٣١٩/٧ نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم والحاكم: ٤٤٠/٢ وصححه، والبيهقي في البعث وللحديث شواهد ساقها الحافظ ابن كثير في التفسير: ٥٧٨/٣.

(٢) أخرجه مسلم في الزهد برقم: (٢٩٦٩): ٢٢٨٠/٤-٢٢٨١.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ۝٦٨ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾

في منازلهم، وقيل: لو نشاء لجعلناهم حجارة، وهم قعود في منازلهم لا أرواح لهم. ﴿فما استطَاعوا مُضيّاً ولا يرجِعُون﴾، إلى ما كانوا عليه، وقيل: لا يقدرون على ذهاب ولا رجوع .

﴿ومن نُعمِّرهُ نُنكِّسْهُ في الخلقِ﴾، قرأ عاصم، وحمزة: «ننكسه» بالتشديد، وقرأ الآخرون بفتح النون الأولى وضم الكاف مخففاً، أي: نرده إلى أرذل العمر شبه الصبي في أول الخلق .

وقيل: «ننكسه في الخلق» أي: نضعف جوارحه بعد قوتها ونردها إلى نقصانها بعد زيادتها. ﴿أفلا يعقِلُونَ﴾، فيعتبروا ويعلموا أن الذي قدر على تصريف أحوال الإنسان يقدر على البعث بعد الموت .

قوله تعالى :﴿وما علَّمناهُ الشّعْرَ وما ينبغي له﴾، قال الكلبي: إن كفار مكة قالوا: إن محمداً شاعر، وما يقوله شعر، فأنزل الله تكذيباً لهم: ﴿وما علمناه الشّعر وما ينبغي له﴾، أي: ما يتسهل له ذلك، وما كان يتزن له بيت من شعر، حتى إذا تمثل ببيت شعر جرى على لسانه منكسراً .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد الثقفي، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا يوسف بن عبدالله بن ماهان، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا حماد بن سلمة عن علي بن زيد، عن الحسن أن النبي ﷺ كان يتمثل بهذا البيت :

كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً

فقال أبو بكر: يارسول الله إنما قال الشاعر :

كَفَى الشيبُ والإسلامُ للمرءِ ناهياً[1]

ورسول الله ﷺ يقول: كفى بالإسلام والشيب للمرء ناهياً، فقال أبو بكر وعمر: أشهد أنك رسول الله، يقول الله تعالى: ﴿وما علمناه الشعرَ وما ينبغي له﴾[2] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن شريح،أخبرنا أبو القاسم البغوي، أخبرنا علي بن الجعد، حدثنا شريك، عن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: قلتُ لعائشة: أكان رسول الله ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان يتمثل من شعر عبدالله بن رواحة .

---

(١) البيت لسحيم عبد الحسحاس، وصدره :

عميرة ودِّع إن تجهزت غازياً

انظره في البيان والتبيين للجاحظ: ١/٧١، الكامل للمبرد ص (٥٨٥) عن تفسير ابن كثير: ٧/٥٧٤ طبع الشعب .

(٢) أخرجه ابن سعد: ١/٣٨٢-٣٨٣ (وما بين القوسين استدركناه منه) وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٧١ لابن أبي حاتم والمرزباني في معجم الشعراء وعلي بن زيد ضعيف .

لِيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٠﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم
مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ أَنْعَٰمًا فَهُمْ لَهَا مَٰلِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَٰهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ
وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾

قالت: وربما قال:

ويأتيكَ بالأخبارِ مَنْ لم تُزوِّدِ[1]

وقال معمر عن قتادة: بلغني أن عائشة سئلت: هل كان النبي ﷺ يتمثل بشيء من الشعر؟ قالت: كان الشعر أبغض الحديث إليه، قالت: ولم يتمثل بشيء من الشعر إلا ببيت أخي بني قيس، طرفة:

سَتُبْدِي لَكَ الأيَّامُ مَا كُنتَ جَاهِلاً　　ويَأْتِيكَ بالأَخْبَارِ مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ

فجعل يقول: «ويأتيك من لم تزود بالأخبار» فقال أبو بكر رضي الله عنه: ليس هكذا يارسول الله، فقال: «إني لستُ بشاعر ولا ينبغي لي»[2].

﴿إنْ هو﴾، يعني: القرآن، ﴿إلّا ذكرٌ﴾، موعظة، ﴿وقُرآنٌ مبينٌ﴾، فيه الفرائض والحدود والأحكام.

﴿لينذرَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام ويعقوب «لتنذر» بالتاء وكذلك في الأحقاف، [وافق ابن كثير في الأحقاف][3]، أي: لتنذر يامحمد، وقرأ الآخرون بالياء، أي: لينذر القرآن، ﴿من كان حياً﴾، يعني: مؤمناً حي القلب، لأن الكافر كالميت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر، ﴿وَيَحِقَّ القولُ﴾، ويجب حجة العذاب ﴿على الكافرين﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿أوَ لم يَرَوْا أنَّا خلقْنا لهم ممّا عملتْ أيْدِينا﴾، تولينا خلقه بإبداعنا من غير إعانة أحد، ﴿أنعاماً فهم لها مالكون﴾، ضابطون قاهرون، أي: لم يخلق الأنعام وحشية نافرة من بني آدم لا يقدرون على ضبطها، بل هي مسخرة لهم.

وهي قوله: ﴿وَذَلَّلناها لهم﴾، سخرناها لهم، ﴿فَمِنها رَكُوبُهُم﴾، أي: ما يركبون وهي الإبل، ﴿ومنها يأكُلُون﴾، من لحمانها.

---

(١) أخرجه الترمذي في الأدب، باب: ما جاء في إنشاد الشعر: ٨/١٤٠-١٤١ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والإمام أحمد ١٥٦/٦، وابن سعد: ٣٨٣/١، وعزاه ابن كثير (٥٧٩/٣) أيضا للنسائي.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٣، وعبد الرزاق في التفسير: ١٤٥/٢ وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١/٧ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم، وراجع تفسير ابن كثير: ٥٨٠/٣.

(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ ۝٧٣ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ۝٧٤ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ۝٧٥ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٧٦ أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۝٧٧﴾

﴿**ولهم فيها منافعُ**﴾، من أصوافها وأوبارها وأشعارها ونسلها، ﴿**ومَشَارِبُ**﴾، من ألبانها، ﴿**أفلا يشكُرون**﴾، رب[1] هذه النعم.

﴿**واتخذوا من دون الله آلهة لعلّهم يُنصَرُونَ**﴾، يعني: لتمنعهم من عذاب الله، ولا يكون ذلك قط.

٩٤/أ ﴿**لا يستطيعونَ نصرهم**﴾ /، قال ابن عباس: لا تقدر الأصنام على نصرهم ومنعهم من العذاب. ﴿**وهُم لهم جندٌ محضرون**﴾، أي: الكفار جندٌ للأصنام يغضبون لها ويحضرونها في الدنيا، وهي لا تسوق إليهم خيراً، ولا تستطيع لهم نصراً. وقيل: هذا في الآخرة، يُؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه أتباعه الذين عبدوه كأنهم جند محضرون في النار.

﴿**فلا يَحْزُنْك قَولُهم**﴾، يعني: قول كفار مكة في تكذيبك، ﴿**إنا نعلمُ ما يُسِرُّونَ**﴾، في ضمائرهم من التكذيب، ﴿**وما يُعلِنُونَ**﴾، من عبادة الأصنام أو ما يعلنون بألسنتهم من الأذى.

قوله تعالى: ﴿**أولـم يرَ الإنسانُ أنّا خلقناهُ من نُطفةٍ فإذا هو خَصِيمٌ**﴾، جدل بالباطل، ﴿**مبينٌ**﴾، بيِّنُ الخصومة، يعني: إنه مخلوق من نطفة ثم يخاصم، فكيف لا يتفكر في بدء خلقه حتى يدع الخصومة.

نزلت في أُبيِّ بن خلف الجمحي خاصم النبي ﷺ في إنكار البعث، وأتاه بعظم قد بَلِيَ ففتته بيده، وقال: أترى يُحيي اللَّهُ هذا بعد ما رمَّ؟ فقال النبي ﷺ : «نعم ويبعثك ويدخلك النار»، فأنزل الله هذه الآيات[2].

---

(١) ساقطة من «ب».

(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٣، والواحدي في أسباب النزول ص (٤٢٣).
وأخرج الحاكم: ٤٢٩/٢ وابن أبي حاتم أن الآية نزلت في العاص بن وائل.
وقد ذكر الحافظ ابن كثير الروايتين: ٥٨٢/٣ ثم قال: «وعلى كل تقدير سواء كانت هذه الآية قد نزلت في أُبي بن خلف أو العاص بن وائل أو فيهما، فهي عامة في كل من أنكر البعث، والألف واللام في قوله تعالى: (أولـم يـرالإنسان) للجنس يعم كل منكر للبعث».

وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا
ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم
مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ
ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾
إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾

﴿وضَرَبَ لنا مثلاً ونسي خلقه﴾، بَدْءَ أمره، ثم ﴿قال من يُحيي العظامَ وهي رَميمٌ﴾، بالية، ولم يقل رميمة، لأنه معدول عن فاعلة، وكل ما كان معدولاً عن وجهه ووزنه كان مصروفاً عن أخواته[1]، كقوله: «وما كانت أمك بغياً» (مريم – ٢٨)، أسقط الهاء لأنها كانت مصروفة عن باغية .

﴿قلْ يُحييها الذي أنشأها﴾، خلقها[2]، ﴿أولَ مرةٍ وهو بكُلِ خلقٍ عليمٌ﴾ .

﴿الذي جعلَ لكُم من الشجرِ الأخضرِ ناراً﴾، قال ابن عباس: هما شجرتان يقال لأحدهما: المَرْخ وللأخرى: العَفار، فمن أراد منهم النار قطع منها غصنين مثل السواكين وهما خضراوان يقطر منهما الماء، فيسحق المرخ على العفار فيخرج منهما النار بإذن الله عزّ وجلّ[3] .

تقول العرب: في كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار، وقال الحكماء: في كل شجرٍ نارٌ إلَّا العناب. ﴿فإذا أنتم منه تُوقِدون﴾، أي: تقدحون وتوقدون النار من ذلك الشجر، ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الإنسان، فقال :

﴿أوَليسَ الذي خلق السمواتِ والأرضَ بقادرٍ﴾، قرأ يعقوب: «يقدر» بالياء على الفعل، ﴿على أن يخلُقَ مِثلَهم بَلَىٰ﴾، أي: قل: بلى، هو قادر على ذلك، ﴿وهو الخلَّاق﴾، [يخلق خلقاً بعد خلق][4]، ﴿العليم﴾ بجميع ما خلق .

﴿إنَّما أمرُهُ إذا أراد شيئاً أن يقولَ له كُن فيكُونُ﴾ .

---

(١) في « أ »: إعرابه .
(٢) زيادة من «ب» .
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٨٣/٣، البحر المحيط: ٣٤٨/٧ .
(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

فَسُبْحَٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

﴿فسبحانَ الذي بيدهِ ملكوتُ كلِّ شيءٍ وإليهِ تُرْجَعُون﴾ .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو الطاهر الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا علي بن الحسين الدارابجردي، حدثنا عبد الله بن عثمان، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سليمان التيمي، عن أبي عثمان ـ وليس بالنهدي ـ عن معقل بن يسار قال: قال رسول الله ﷺ : «اقرؤوا على موتاكم سورة يسٓ»[1]، ورواه محمد بن العلاء عن ابن المبارك، وقال: عن أبي عثمان وليس بالنهدي عن أبيه عن معقل بن يسار .

(١) أخرجه أبو داود في الجنائز، باب: القراءة عند الميت: ٤/٢٨٧، وابن ماجه في الجنائز، باب: ما جاء فيما يقال عند المريض إذا حُضر برقم (١٤٤٨) ١/٤٦٥-٤٦٦، والبيهقي في السنن: ٣/٣٨٣ والنسائيُ في عمل اليوم والليلة ص (٥٨١)، والإمام أحمد: ٥/٢٦ وابن حبان في موارد الظمآن برقم (٧٢٠) ص (١٨٤)، والحاكم: ١/٥٦٥ وقال: أوقفه يحيى بن سعيد وغيره، والقول فيه قول ابن المبارك إذ الزيادة من الثقة مقبولة .

وأبو عثمان وأبوه مجهولان فالحديث ضعيف، وأخرجه المصنف في شرح السنة ٥/٣٩٥، وقد ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح: أن ابن القطان قد أعله بالاضطراب والوقف وبجهالة حال أبي عثمان وأبيه . ونقل أبو بكر بن العربي عن الدارقطني أنه قال: هذا حديث ضعيف الإسناد مجهول المتن، ولا يصح في الباب حديث ، انظر تلخيص الحبير ٢/١٠٤ ، إرواء الغليل ٣/١٥٠-١٥٢ .

سُورَةُ الصَّافَّات

سُورَةُ الصَّافَّات

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾

﴿والصَّافاتِ صفاً﴾، قال ابن عباس، والحسن، وقتادة: هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للصلاة.

أخبرنا عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد اللؤلؤي، حدثنا أبو داود سليمان بن الأشعث، حدثنا عبد الله بن محمد النُّفَيْلي، حدثنا زهير قال: سألت سليمان الأعمش عن حديث جابر بن سمرة في الصفوف المقدمة فحدثنا عن المسيب ابن رافع عن تميم بن طرفة عن جابر بن سمرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم»؟ قلنا: وكيف تصف الملائكة عند ربهم؟ قال: «يتمون الصفوف المقدمة ويتراصون في الصف»[2].

وقيل: هم الملائكة تصف أجنحتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد.

وقيل: هي الطيور[3]، دليله قوله تعالى: «والطيرُ صافاتٍ» (النور - ٤١).

قوله تعالى: ﴿فالزاجراتِ زجراً﴾، يعني: الملائكة تزجر السحاب وتسوقه، وقال قتادة: هي زواجر القرآن تنهى وتزجر عن القبائح.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما - قال: نزلت سورة الصافات بمكة. انظر: الدر المنثور: ٧٧/٧.

(٢) أخرجه ابو داود في تسوية الصفوف: ٣٣٢/١ومسلم في الصلاة، باب: الأمر بالسكون في الصلاة وإتمام الصفوف برقم: (٤٣٠) ٣٢٢/١، والمصنف في شرح السنة: ٣٦٦/٣.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٣٥١/٧.

﴿فَالتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ۝٣ إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ ۝٥ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦﴾

﴿فالتاليات ذكراً﴾، هم الملائكة يتلون ذكر الله عزّ وجلّ. وقيل: هم جماعة قراء القرآن[1]، وهذا كله قسم أقسم الله تعالى به، وموضع القسم قوله:

﴿إنّ إلهكم لواحدٌ﴾، وقيل: فيه إضمار، أي: وربِّ الصافات والزاجرات والتاليات، وذلك أن كفار مكة قالوا: «أجعلَ الآلهةَ إلهاً واحداً»؟ فأقسم الله بهؤلاء: «إن إلهكم لواحد».

﴿ربُّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما وربُّ المشارق﴾، أي: مطالع الشمس [قيل: أراد به المشارق والمغارب، كما قال في موضع آخر: «فلا أقسم برب المشارق والمغارب» (المعارج ـ ٤٠)][2].

فإن قيل: قد قال في موضع: «بربِّ المشارق والمغارب»، وقال في موضع: «ربُّ المشرقين وربُّ المغربين» (الرحمن ـ ١٧) وقال في موضع: «ربُّ المشرق والمغرب» (المزمل ـ ٩)، فكيف وجه التوفيق بين هذه الآيات؟

قيل: أما قوله: «ربّ المشرق والمغرب»، أراد به الجهة، فالمشرق جهة والمغرب جهة.

وقوله: «ربُّ المشرقين ورب المغربين» أراد: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وأراد بالمغربين: مغرب الشتاء ومغرب الصيف.

وقوله: «بربِّ المشارق والمغارب»، أراد أن الله تعالى خلق للشمس ثلاثمائة وستين كوة في المشرق، وثلاثمائة وستين كوة في المغرب، على عدد أيام السنة، تطلع الشمس كل يوم من كوة منها، وتغرب في كوة منها، لا ترجع إلى الكوة التي تطلع منها إلى ذلك اليوم من العام المقبل، فهي المشارق والمغارب، وقيل: كل موضع شرقت عليه الشمس فهو مشرق، وكل موضع غربت عليه الشمس فهو مغرب، كأنه أراد ربَّ جميع ما أشرقت عليه الشمس وغربت.

﴿إنّا زيّنا السماءَ الدُّنيا بزِينةٍ الكواكِبِ﴾، قرأ عاصم، برواية أبي بكر: «بزينة» منونة[3] «الكواكبَ» نصب، أي: بتزييننا الكواكب، وقرأ حمزة، وحفص: «بزينةٍ» منونة، «الكواكبِ» خفضاً على البدل، أي: بزينة بالكواكب، أي: زيناها بالكواكب. وقرأ الآخرون: «بزينةِ الكواكبِ»، بلا تنوين على الإضافة.

قال ابن عباس: بضوء الكواكب.

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٣٥١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) زيادة من «ب».

وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ ﴿١١﴾

﴿وحفظاً﴾، أي: وحفظناها حفظاً / ﴿من كُلِّ شيطانٍ ماردٍ﴾، متمرد يرمون بها. ٩٤/ب

﴿لا يَسَّمَّعُونَ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص: «يسَّمَّعون» بتشديد السين والميم، أي: لا يتسمعون، فأدغمت التاء في السين، وقرأ الآخرون بسكون السين خفيف الميم، ﴿إلى الملأ الأعلى﴾، أي: إلى الكتبة من الملائكة.

و«الملأ الأعلى» هم الملائكة لأنهم في السماء، ومعناه: أنهم لا يستطيعون الاستماع إلى الملأ الأعلى، ﴿ويُقْذَفُونَ﴾، يرمون، ﴿مِن كُلِّ جانبٍ﴾، من آفاق السماء بالشهب.

﴿دُحُوراً﴾، يبعدونهم عن مجالس الملائكة، يقال: دحره دحراً ودحوراً، إذا طرده وأبعده، ﴿وَلَهُم عذابٌ واصبٌ﴾، دائم، قال مقاتل: دائم إلى النفخة الأولى، لأنهم يحرقون ويتخبلون.

﴿إلّا من خطِفَ الخطْفَةَ﴾، اختلس الكلمة من كلام الملائكة مسارقة، ﴿فأتبعه﴾، لحقه، ﴿شهابٌ ثاقبٌ﴾، كوكب مضيء قوي لا يخطئه يقتله، أو يحرقه أو يُخبله، وإنما يعودون إلى استراق السمع مع علمهم بأنهم لا يصلون إليه طمعاً في السلامة ونيل المراد، كراكب البحر، قال عطاء: سمي النجم الذي يرمى به الشياطين ثاقباً لأنه يثقبهم.

﴿فاستفتِهِم﴾، أي: سلهم، يعني: أهل مكة، ﴿أهُم أشدُّ خلقاً أم مَّن خلقنا﴾، يعني: من السموات والأرض والجبال، وهذا استفهام بمعنى التقرير، أي: هذه الأشياء أشد خلقاً كما قال: «لخلقُ السمواتِ والأرض أكبر من خلق الناس» (غافر ـ ٥٧)، وقال: «أأنتم أشدّ خلقاً أم السماء بناها» (النازعات ـ ٢٧).

وقيل: «أم مَّن خلقنا» يعني: من الأمم الخالية، لأن «من» يذكر فيمن يعقل، يقول: إن هؤلاء ليسوا بأحكم خلقاً من غيرهم من الأمم، وقد أهلكناهم بذنوبهم، فما الذي يؤمن هؤلاء من العذاب؟ ثم ذكر خلق الإنسان، فقال:

﴿إنا خلقْناهُم من طين لازِب﴾، يعني: جيد حُرٍّ لاصق يعلق باليد، ومعناه: اللازم، أبدل الميم باءً كأنه يلزم اليد. وقال مجاهد والضحاك: منتن.

﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ۝١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ۝١٣ وَإِذَا رَأَوْا آيَةً يَسْتَسْخِرُونَ ۝١٤
وَقَالُوا إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝١٥﴾

﴿بَل عَجِبتَ﴾، قرأ حمزة، والكسائي: بضم التاء، وهي قراءة ابن مسعود، وابن عباس والعجب من الله عزّ وجلّ ليس كالتعجب من الآدميين، كما قال: «فيسخرون منهم سخر الله منهم» (التوبة ــ ٧٩)، وقال عزّ وجلّ : «نسوا الله فنسيهم» (التوبة ــ ٦٧)، فالعجب من الآدميين: إنكاره وتعظيمه، والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الإنكار والذم، وقد يكون بمعنى الاستحسان والرضا، كما جاء في الحديث : «عجب ربكم من شاب ليست له صبوة»(١) .

وجاء في الحديث : «عجب ربكم من سؤالكم وقنوطكم وسرعة إجابته إياكم»(٢) .

وسئل الجنيد عن هذه الآية، فقال: إن الله لا يعجب من شيء، ولكن الله وافق رسوله لما عجب رسوله فقال: «وإن تعجب فعجب قولهم» (الرعد ــ ٥)، أي: هو كما تقوله .

وقرأ الآخرون بفتح التاء على خطاب النبي ﷺ : أي: عجبتَ من تكذيبهم إياك، ﴿ويَسخرونَ﴾ من تعجبك .

قال قتادة: عجب النبي ﷺ من هذا القرآن حين أنزل وضلال بني آدم(٣)، وذلك أن النبي ﷺ كان يظن أن كل من يسمع القرآن يؤمن به، فلما سمع المشركون القرآن سخروا منه ولم يؤمنوا به، فعجب من ذلك النبي ﷺ، فقال الله تعالى : «بل عَجِبْتَ ويَسخَرونَ» .

﴿وإذا ذُكِّرُوا لا يَذْكُرُون﴾، أي: إذا وعِظوا بالقرآن لا يتعظون .

﴿وإذا رَأَوا آيةً﴾، قال ابن عباس ومقاتل: يعني انشقاق القمر، ﴿يَستَسخِرُونَ﴾، يسخرون ويستهزؤون، وقيل: يستدعي بعضهم عن بعض السخرية .

﴿وَقَالوا إن هَذَا إلّا سِحرٌ مُبينٌ﴾، [يعني سحر بيّن](٤) .

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: ١٥١/٤، قال ابن الديبع الشيباني في تمييز الطيب من الخبيث ص (٥١): «رواه القضاعي في مسنده من حديث ابن لهيعة بسنده عن عقبة بن عامر مرفوعاً، وكذا هو عند أحمد وأبي يعلى، وإسناده حسن، وضعفه ابن حجر لأجل ابن لهيعة» .
وانظر: كشف الخفاء ومزيل الإلباس: ٢٨٦/١، الكامل لابن عدي: ١٤٦٥/٤.

(٢) في المطبوع: «عجب ربكم من ألّكم....» رواه أبو عبيد في الغريب عن محمد بن عمر يرفعه، ثم قال: «الأل»: رفع الصوت بالدعاء، وقال بعضهم: يرويه الأول، وهو الشدة .
انظر: الكافي الشاف: ص (١٤١) .

(٣) انظر: الطبري ٤٤/٢٣، الدر المنثور: ٨٣/٧، تفسير ابن كثير: ٥/٤ .

(٤) زيادة من «ب» .

أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَـٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ
دَٰخِرُونَ ﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰوَيْلَنَا هَـٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ
﴿٢٠﴾ هَـٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ ﴿٢١﴾ ۞ ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟
وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ
إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾

﴿أءذا مِتنَا وكُنَّا تُرَاباً وعِظَاماً أءِنَّا لمبعُوثون﴾ .

﴿أوَآباؤُنا الأوَّلُون﴾، أي: وآباؤنا الأولون .

﴿قُل نَعَم﴾، تبعثون، **﴿وأنتم داخِرون﴾**، صاغرون، والدخور أشد الصّغار .

﴿فإنَّما هي﴾، أي: قصة البعث أو القيامة، **﴿زَجْرَةٌ﴾**، أي: صيحة، **﴿واحدةٌ﴾**، يعني: نفخة البعث، **﴿فإذا هُم ينظُرُون﴾**، أحياءً .

﴿وَقَالوا ياويلنَا هذا يومُ الدِّين﴾، أي: يوم الحساب ويوم الجزاء .

﴿هذا يومُ الفصلِ﴾، يوم القضاء، وقيل: يوم الفصل بين المحسن والمسيء، **﴿الذي كُنتمُ به تُكذِبونَ﴾** .

﴿احشُروا الذين ظلموا﴾، أي: أشرَكوا، اجمعوهم إلى الموقف للحساب والجزاء، **﴿وأزوَاجهُمْ﴾**، أشباههم وأتباعهم وأمثالهم .

قال قتادة والكلبي: كل من عمل مثل عملهم، فأهل الخمر مع أهل الخمر، وأهل الزنا مع أهل الزنا .

وقال الضحاك ومقاتل: قرناءهم من الشياطين، كل كافر مع شيطانه في سلسلة .

وقال الحسن: وأزواجهم المشركات .

﴿وما كَانوا يعبُدُون من دُونِ الله﴾، في الدنيا، يعني: الأوثان والطواغيت. وقال: مقاتل: يعني إبليس وجنوده، واحتج بقوله: «أن لا تعبدوا الشيطان» (يسۤ - ٦٠) .

﴿فاهدُوهُم إلى صراط الجحيم﴾، قال ابن عباس: دلوهم إلى طريق النار. وقال ابن كيسان: قدّموهم. والعرب تسمي السابق هادياً .

﴿وَقِفُوهُم﴾، احبسوهم، يقال: وقفته وقفاً فوقف وقوفاً .

قال المفسرون: لما سيقوا إلى النار حُبِسُوا عند الصراط، لأن السؤال عند الصراط، فقيل:

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝٢٥ بَلْ هُمُ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ۝٢٦ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوا إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ الْيَمِينِ ۝٢٨ قَالُوا بَل لَّمْ تَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝٢٩﴾

وَقِفُوهم ﴿إِنَّهُم مَّسْؤُولُونَ﴾، قال ابن عباس: عن جميع أقوالهم وأفعالهم .

وروي عنه عن: لا إله إلا الله .

وفي الخبر عن النبي ﷺ قال: «لا تزول قدما ابن آدم يوم القيامة حتى يُسألَ عن أربعة أشياء: عن عمره فيما أفناه، وعن شبابه فيما أبلاه، وعن ماله من أين اكتسبه وفيمَ أنفقه، وعن علمه ماذا عمل به»(1) .

﴿مالكُم لا تَنَاصَرُونَ﴾، أي: لا تتناصرون، يقال لهم توبيخاً: مالكم لا ينصر بعضكم بعضاً، يقول لهم خزنة النار، هذا جواب لأبي جهل حين قال يوم بدر: «نحن جميعٌ منتصر» (القمر ــ ٤٤) .

فقال الله تعالى : ﴿بل هُمُ اليومَ مُستَسلِمُون﴾، قال ابن عباس: خاضعون. وقال الحسن: منقادون، يقال: استسلم للشيء إذا انقاد له وخضع له، والمعنى: هم اليوم أذلاء منقادون لا حيلة لهم .

﴿وأقبَلَ بعضُهُم على بعضٍ﴾، أي: الرؤساء والأتباع ﴿يَتَساءَلونَ﴾، يتخاصمون .

﴿قالوا﴾، أي: الأتباع للرؤساء، ﴿إنكم كُنتم تأتُوننا عن اليمينِ﴾، أي: من قبل الدين فتضلوننا عنه [وتُرونا أن الدين ما تضلوننا به](2)، قاله الضحاك. وقال مجاهد: عن الصراط الحق، واليمين عبارة عن الدِّين والحق، كما أخبر الله تعالى عن إبليس: «ثم لآتينهم من بين أيديهم ومن خلفهم وعن أيمانهم» (الأعراف ــ ١٧)، فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل الدين فلبَّس عليه الحق .

وقال بعضهم: كان الرؤساء / يحلفون لهم أن ما يدعونهم إليه هو الحق، فمعنى قوله: «تأتوننا عن اليمين» أي: من ناحية الأيمان التي كنتم تحلفونها فوثقنا بها .

وقيل: «عن اليمين» أي: عن القوة والقدرة، كقوله: «لأخذنا منه باليمين» (الحاقة ــ ٤٥)، والمفسرون على القول الأول .

﴿قالوا﴾، يعني: الرؤساء(3) للأتباع، ﴿بَل لَّم تكُونوا مُؤمِنِين﴾، لم تكونوا على الحق فنضلكم عنه، أي: إنما الكفر من قِبَلِكم .

---

(1) أخرجه الترمذي في القيامة، باب: ما جاء في شأن الحساب والقصاص: ١٠١/٧ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وأقره المنذري في الترغيب والترهيب، وعزاه الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٤٦/١٠ للطبراني والبزار بنحوه ورجال الطبراني رجال الصحيح غير صامت بن معاذ وعدي بن عدي الكندي وهما ثقتان .

(2) في «ب»: (وتردوننا إلى الذي تضلوننا به) .

(3) في «ب» الرسل .

وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ ۖ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ ۖ إِنَّا
لَذَآئِقُونَ ﴿٣١﴾ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٣﴾
إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوٓا۟ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ
﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓا۟ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍۭ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَآئِقُوا۟ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ﴿٣٨﴾ وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ
﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾

﴿وما كَانَ لنا عليكُم من سُلطانٍ﴾، من قوة وقدرة فنقهركم على متابعتنا، ﴿بل كُنتُم قوماً طاغِين﴾، ضالين .

﴿فحقَّ﴾، وجب، ﴿علينا﴾، جميعاً، ﴿قولُ ربِّنا﴾، يعني: كلمة العذاب، وهي قوله: «لأملأنّ جهنّم من الجنّةِ والنّاسِ أجمعين» (السجدة ـ ١٣). ﴿إنا لذائقونَ﴾، العذاب، أي: أن الضالّ والمُضِل جميعاً في النار .

﴿فأغويناكُم﴾، فأضللناكم عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه، ﴿إنّا كنّا غاوينَ﴾، ضالين .

قال الله عزّ وجلّ : ﴿فإنّهم يومئِذٍ في العذابِ مُشترِكُونَ﴾، الرؤساء والأتباع .

﴿إنا كذلك نفعَلُ بالمُجرِمينَ﴾، قال ابن عباس: الذين جعلوا لله شركاء .

﴿إنّهم كانوا إذا قِيلَ لَهُمْ لا إله إلاّ الله يستكبرونَ﴾، يتكبرون عن كلمة التوحيد، ويمتنعون منها .

﴿ويقُولونَ أئنّا لتارِكوا آلهتِنا لِشاعرٍ مجنونٍ﴾، يعنون النبي ﷺ .

قال الله عزّ وجلّ ردّاً عليهم : ﴿بلْ جاءَ﴾، محمد، ﴿بالحقِّ وَصَدَّقَ المُرسَلِينَ﴾، أي: أنه أتى بما أتى به المرسلون قبله .

﴿إنكُم لَذائِقوا العذابِ الأليم * وما تُجزونَ إلا ما كُنتُم تَعمَلونَ﴾، في الدنيا من الشرك .

﴿إلّا عبادَ الله المُخلَصينَ﴾، الموحدين .

﴿أولئك لهم رِزقٌ معلومٌ﴾، يعني: بكرة وعشياً [كما قال: «ولهم رزقهم فيها بكرةً وعشياً» (مريم ـ ٦٢)][(١)] .

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

﴿فَوَٰكِهُ وَهُم مُّكۡرَمُونَ ٤٢ فِي جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ٤٣ عَلَىٰ سُرُرٖ مُّتَقَٰبِلِينَ ٤٤ يُطَافُ عَلَيۡهِم
بِكَأۡسٖ مِّن مَّعِينِۭ ٤٥ بَيۡضَآءَ لَذَّةٖ لِّلشَّٰرِبِينَ ٤٦ لَا فِيهَا غَوۡلٞ وَلَا هُمۡ عَنۡهَا يُنزَفُونَ
٤٧ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ عِينٞ ٤٨ كَأَنَّهُنَّ بَيۡضٞ مَّكۡنُونٞ ٤٩﴾

﴿**فواكهُ**﴾ جمع الفاكهة، وهي الثمار كلها رطبها ويابسها، وهي كل طعام يؤكل للتلذذ لَا للقوت، ﴿**وهُم مُّكرَمُونَ**﴾، بثواب الله.

﴿**في جنّاتِ النعيم * على سُرُرٍ متقابلينَ**﴾، لا يرى بعضهم قَفَا بعضٍ.

﴿**يُطافُ عليهم بكأسٍ**﴾، إناء فيه شراب ولا يكوَّن كأساً حتى يكون فيه شراب، وإلا فهو إناء، ﴿**مِن مَّعينٍ**﴾، خمر جارية في الأنهار ظاهرة تراها العيون.

﴿**بيضاءَ**﴾، قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضاً من اللبن، ﴿**لَذّةٍ**﴾، أي: لذيذة، ﴿**للشّاربينَ**﴾.

﴿**لا فيها غَوْلٌ**﴾، قال الشعبي: لا تغتال عقولهم فتذهب بها. قال الكلبي: إثم. وقال قتادة: وَجَعُ البطن. وقال الحسن: صداع.

وقال أهل المعاني: «الغَوْل» فساد يلحق في خفاء، يقال: اغتاله اغتيالاً إذا أفسد عليه أمره في خفية، وخمرة الدنيا يحصل منها أنواع من الفساد، منها السُكْر وذهاب العقل، ووجع البطن، والصداع، والقيء، والبول، ولا يوجد شيء من ذلك في خمر الجنة.

﴿**ولا هُم عنها يُنْزَفُونَ**﴾، قرأ حمزة والكسائي: «ينزِفون» بكسر الزاي، وافقهما عاصم في الواقعة، وقرأ الآخرون بفتح الزاي فيهما، فمن فتح الزاي فمعناه: لا يغلبهم على عقولهم ولا يسكرون، يقال: نزف الرجل فهو منزوف ونزيف، إذا سكر، ومن كسر الزاي فمعناه: لا ينفد شرابهم، يقال: أنزف الرجل فهو منزوف، إذا فنيت خمره.

﴿**وَعِندهُم قاصِرات الطَّرفِ**﴾، حابسات الأعين غاضات الجفون، قصرن أعينهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم، ﴿**عِينٌ**﴾، أي: حسان الأعين، يقال: رجل أعين وامرأة عيناء ونساءٌ عِين.

﴿**كأنهنّ بَيْضٌ**﴾، [جمع البيضة][1]، ﴿**مكنُون**﴾، مصون مستور، وإنما ذكَّر «المكنون والبيض» جمع لأنه رده إلى اللفظ.

قال الحسن: شبههنّ ببيض النعامة تكنها بالريش من الريح والغبار، فلونها أبيض في صفرة. ويقال: هذا أحسن ألوان النساء أن تكون المرأة بيضاء مشرّبة صفرة، والعرب تشبهها ببيضة النعامة.

---

(١) زيادة من «ب».

فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾
يَقُولُ أَئِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَإِنَّا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ
أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ
﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا
الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾

﴿فأقبَلَ بعضُهم على بعض يتساءلون﴾، يعني: أهل الجنة في الجنة يسأل بعضُهم بعضاً عن حاله في الدنيا .

﴿قال قائِلٌ منهُم﴾، يعني: من أهل الجنة: **﴿إني كان لي قرينٌ﴾**، في الدنيا ينكر البعث .

قال مجاهد: كان شيطاناً. وقال الآخرون: كان من الإنس[1]. وقال مقاتل: كانا أخوين. وقال الباقون: كانا شريكين أحدهما كافر اسمه قطروس، والآخر مؤمن اسمه يهوذا، وهما اللذان قصّ الله تعالى خبرهما في سورة الكهف[2] في قوله تعالى: «واضرب لهم مثلاً رجلين» (الكهف ـ ٣٢) .

﴿يقولُ أئنَّك لمنَ المُصدِّقينَ﴾، بالبعث .

﴿أئذا متنا وكُنا تُراباً وعِظاماً أئنّا لمدِينونَ﴾، مجزيون ومحاسبون وهذا استفهام إنكار .

﴿قال﴾، الله تعالى لأهل الجنة: **﴿هل أنتم مطّلعون﴾**، إلى النار. وقيل: يقول المؤمن لإخوانه من أهل الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف منزلة أخي، فيقول أهل الجنة: أنت أعرف به منا .

﴿فاطّلعَ﴾، قال ابن عباس: إن في الجنة كُوىً ينظر أهلها منها إلى النار[3]، فاطلعَ هذا المؤمن، **﴿فرآهُ في سوآءِ الجحيم﴾**، فرأى قرينه في وسط النار، وإنما سُمّي وسط الشيء سواءً لاستواء الجوانب منه.

﴿قال﴾، له: **﴿تالله إنْ كِدتَّ لتردِينِ﴾**، والله لقد كدت أن تهلكني، قال مقاتل: والله لقد كدت أن تغويني، ومن أغوى إنساناً فقد أهلكه .

﴿ولولا نِعمةُ ربي﴾، رحمته وإنعامه عليَّ بالإسلام، **﴿لكنتُ من المحضرين﴾**، معك في النار .

﴿أفما نحن بميتين * إلّا مَوْتَتَنا الأولى﴾، في الدنيا، **﴿وما نحنُ بمعذَّبين﴾**، قال بعضهم: يقول هذا أهل الجنة للملائكة حين يذبح الموت: أفما نحن بميتين؟ فتقول لهم الملائكة: لا .

---

(١) انظر: الطبري: ٢٣/٥٨ .

(٢) انظر فيما سبق: تعليقه: (٤): ٥/١٧٠ .

(٣) انظر: الدر المنثور: ٧/٩٤، تفسير ابن كثير: ٤/٩ والقول فيهما منسوب إلى كعب الأحبار .

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٦٠ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ ٱلْعَٰمِلُونَ ۝٦١ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ۝٦٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهَا فِتْنَةً لِّلظَّٰلِمِينَ ۝٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ ۝٦٤ طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ۝٦٥ فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ۝٦٦﴾

فيقولون : ﴿إنَّ هذا لهوَ الفوزُ العظيم﴾، وقيل: إنما يقولونه على جهة الحديث بنعمة الله عليهم في أنهم لا يموتون ولا يعذبون. وقيل: يقوله المؤمن لقرينه على جهة التوبيخ بما كان ينكره[1] .

قال الله تعالى : ﴿لِمِثْلِ هذا فليعملِ العاملونَ﴾، أي: لمثل هذا المنزل ولمثل هذا النعيم الذي ذكره من قوله: «أولئك لهم رزق معلوم»، إلى «فليعمل العاملون» .

﴿أذلك﴾، أي: ذلك الذي ذكر لأهل الجنة، ﴿خيرٌ نزلاً أم شجرة الزقوم﴾، التي هي نزل أهل النار، والزقوم: ثمرة شجرة خبيثة مُرّة كريهة الطعم، يُكره أهلُ النار على تناولها، فهم يتزقمونه على أشد كراهية، ومنه قولهم: تزقّم الطعامَ إذا تناوله على كره ومشقة .

﴿إنّا جعلناها فتنةً للظالمين﴾، الكافرين وذلك أنهم قالوا: كيف يكون في النار شجرة والنار
تحرق الشجر؟ وقال ابن الزبعري لصناديد قريش إن محمداً يخوّفنا بالزقوم، والزقوم بلسان بربر:/ ٩٥/ب
الزبد والتمر، فأدخلهم أبو جهل بيته، وقال ياجارية: زقمينا فأتتهم بالزبد والتمر، فقال: تزقموا فهذا ما يوعدكم به محمد[2] .

فقال الله تعالى : ﴿إنها شجرةٌ تخرُجُ في أصلِ الجحيم﴾، قعر النار، قال الحسن: أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها .

﴿طلعُها﴾، ثمرها سمي طلعاً لطلوعه، ﴿كأنه رؤوسُ الشياطينِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم الشياطين بأعيانهم شبه بها لقبحها، لأن الناس إذا وصفوا شيئاً بغاية القبح قالوا: كأنه شيطان، وإن كانت الشياطين لا ترى لأن قبح صورتها متصور في النفس، وهذا معنى قول ابن عباس والقرظي، وقال بعضهم: أراد بالشياطين الحيّات، والعرب تُسمي الحية القبيحة المنظر شيطاناً. وقيل: هي شجرة قبيحة مرّة منتنة تكون في البادية، تسميها العرب رؤوس الشياطين .

﴿فإنهم لآكلون منها فمالِئون منها البُطونَ﴾، والملء: حشو الوعاء لا يحتمل الزيادة عليه .

---

(١) ذكر هذا القول صاحب البحر المحيط: ٣٦٢/٧ .

(٢) انظر: الطبري: ٦٣/٢٣ .

ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى الْجَحِيمِ ﴿٦٨﴾ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا
آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ ﴿٦٩﴾ فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ
الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٧٤﴾ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ
الْبَاقِينَ ﴿٧٧﴾

﴿ثم إنَّ لهم عليها لَشَوْباً﴾، خلطاً ومزاجاً، ﴿من حميم﴾، من ماء حار شديد الحرارة، يقال: لهم إذا أكلوا الزقوم: اشربوا عليه الحميم، فيشوب الحميم في بطونهم الزقوم فيصير شوباً لهم.

﴿ثم إنَّ مرجِعَهُم﴾، بعد شرب الحميم، [﴿لإلى الجحيم﴾، وذلك أنهم يوردون الحميم][1] لشربه وهو خارج من الحميم كما تورد الإبل الماء، ثم يردون إلى الجحيم، دلّ عليه قوله تعالى: «يطوفون بينها وبين حميم آن» (الرحمن ـ ٤٤)، وقرأ ابن مسعود: (ثم إن مقيلهم لإلى الجحيم).

﴿إنّهم ألفوا﴾ وجدوا، ﴿آباءَهُم ضالّين * فهُم على آثارِهِم يُهْرَعُون﴾، يسرعون، قال الكلبي: يعملون مثل أعمالهم.

﴿ولقد ضلّ قبلهم أكثرُ الأولين﴾، من الأمم الخالية.

﴿ولقد أرسلنا فيهم مُنذِرين * فانظُر كيفَ كان عاقبةُ المُنذَرِين﴾، الكافرين أي: كان عاقبتهم العذاب.

﴿إلَّا عبادَ الله المخلَصين﴾، الموحدين نجوا من العذاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد نادانا نُوحٌ﴾، دعا ربه على قومه فقال: «أني مغلوب فانتصر» (القمر ـ ١٠) ﴿فَلَنِعْمَ المُجِيبونَ﴾ نحن، يعني: أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه.

﴿ونجّيناهُ وأهلَهُ مِنَ الكَربِ العظيمِ﴾، [الغم العظيم][2] الذي لحق قومه وهو الغرق.

﴿وجعلنا ذُريتهُ هُمُ الباقين﴾، وأراد أن الناس كلهم من نسل نوح.

روى الضحاك عن ابن عباس قال: لما خرج نوح من السفينة مات من كان معه من الرجال والنساء إلا ولده ونساءهم[3].

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب» ونساؤه.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٧٨﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٧٩﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ
﴿٨٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨١﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٨٢﴾ ۞ وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِ
لَإِبْرَاهِيمَ ﴿٨٣﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٤﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ
﴿٨٥﴾ أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ ﴿٨٦﴾ فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي
النُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾﴾

قال سعيد بن المسيب: كان ولد نوح ثلاثة: سام وحام ويافث، فسام أبو العرب وفارس والروم، وحام أبو السودان، ويافث أبو الترك والخزر ويأجوج ومأجوج وما هنالك(١).

﴿وتركنا عليه في الآخِرينَ﴾، أي: أبقينا له ثناء حسناً وذكراً جميلاً فيمن بعده من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة.

﴿سلامٌ على نوحٍ في العَالَمينَ﴾، [أي: سلام عليه منّا في العالمين](٢). وقيل: أى تركنا عليه في الآخرين أن يصلى عليه إلى يوم القيامة.

﴿إنا كذلك نجزي المُحسِنينَ﴾، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه الثناء الحسن في العالمين.

﴿إنه من عِبادِنا المؤمنين * ثُمَّ أغرقنا الآخرين﴾، [يعني الكفار](٢).

قوله تعالى: **﴿وإنّ من شِيعَتِهِ﴾**، [أي: أهل دينه وسنته](٢)، **﴿لإبراهيم * إذْ جاءَ ربَّه بقلب سليم﴾**، مخلص من الشرك والشك.

﴿إذ قال لأبيه وقومِهِ ماذا تعبُدون﴾، استفهام توبيخ.

﴿أئفكاً آلهةً دونَ الله تُريدون﴾، يعني: أتأفكون إفكاً وهو أسوأ الكذب، وتعبدون آلهة سوى الله.

﴿فما ظنّكم بربِّ العالمين﴾-إذا لقيتموه وقد عبدتم غيره- أنه يصنع بكم.

﴿فنظَرَ نظرةً في النجومِ * فقال إني سقيمٌ﴾، قال ابن عباس: كان قومه يتعاطون علم النجوم فعاملهم من حيث كانوا لئلا ينكروا عليه، وذلك أنه أراد أن يكايدهم في أصنامهم ليلزمهم الحجة في أنها غير معبودة، وكان لهم من الغد عيد ومجمع، وكانوا يدخلون على أصنامهم [ويقربون لهم القرابين](٣)، ويصنعون بين أيديهم الطعام قبل خروجهم إلى عيدهم ـ زعموا ـ للتبرك عليه فإذا

---

(١) ذكره ابن كثير في التفسير: ١٣/٤.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب» (ويفرشون لهم الفراش).

فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٩٠﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ
﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ ﴿٩٣﴾ فَأَقْبَلُوٓا۟ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ
﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾
فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٩٨﴾

انصرفوا من عيدهم أكلوه، فقالوا لإبراهيم: ألا تخرج غداً معنا إلى عيدنا؟ فنظر إلى النجوم فقال: إني سقيم، قال ابن عباس: مطعون، وكانوا يفرون من الطاعون فراراً عظيماً. قال الحسن: مريض. وقال مقاتل: وجع. وقال الضحاك: سأسقم.

﴿فتولَّوا عنه مُدبِرين﴾، إلى عيدهم، فدخل إبراهيم على الأصنام فكسرها.

كما قال الله تعالى: ﴿فَرَاغَ إلى آلِهَتِهم﴾، مال إليها ميلة في خفية، ولايقال: «راغ» حتى يكون صاحبه مخفياً لذهابه ومجيئه، ﴿فقال﴾ استهزاءً بها: ﴿ألا تأكُلُون﴾، يعني: الطعام الذي بين أيديكم.

﴿ما لكُم لا تنطِقونَ * فراغَ عليهم﴾، مال عليهم، ﴿ضرباً باليمين﴾، أي: كان يضربهم بيده اليمنى لأنها أقوى على العمل من الشمال. وقيل: باليمين أي: بالقوة. وقيل: أراد به القسم الذي سبق منه وهو قوله: «وتالله لأكيدنّ أصنامكم» (الأنبياء – ٥٧).

﴿فأقبلوا إليه﴾، يعني: إلى إبراهيم، ﴿يَزِفُّونَ﴾، يسرعون، وذلك أنهم أخبروا بصنيع إبراهيم بآلهتهم فأسرعوا إليه ليأخذوه.

قرأ الأعمش وحمزة: «يزفون» بضم الياء وقرأ الآخرون بفتحها، وهما لغتان. وقيل: بضم الياء، أي: يحملون دوابهم على الجد والإسراع.

﴿قال﴾، لهم إبراهيم على وجه الحجاج: ﴿أتعبُدُونَ ما تنحِتُون﴾، يعني: ما تنحتون بأيديكم.

﴿واللهُ خلقَكُم وما تعمَلُون﴾، بأيديكم من الأصنام، وفيه دليل على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى.

﴿قالوا ابْنُوا له بُنياناً فألقُوهُ في الجحِيمِ﴾، معظم النار، قال مقاتل: بنوا له حائطاً من الحجر طوله في السماء ثلاثون ذراعاً، وعرضه عشرون ذراعاً، وملؤوه من الحطب وأوقدوا فيه النار وطرحوه فيها.

﴿فأرادوا به كيداً﴾، شراً وهو أن يحرقوه، ﴿فجعلناهُمُ الأسفَلينَ﴾، أي: المقهورين حيث سلّم الله تعالى إبراهيم وردّ كيدهم.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهْدِينِ ۝٩٩ رَبِّ هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ ۝١٠٠ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ
حَلِيمٍ ۝١٠١ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّي أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ فَانظُرْ
مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَا أَبَتِ افْعَلْ مَا تُؤْمَرُ ۖ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ ۝١٠٢﴾

﴿وقال﴾، يعني: إبراهيم، ﴿إني ذاهبٌ إلى ربي﴾، أي: مهاجر إلى ربي، والمعنى: أهجر دار الكفر وأذهب إلى مرضاة ربي، قاله بعد الخروج من النار، كما قال: «إني مهاجرٌ إلى ربي» (العنكبوت ـ ٢٦)، ﴿سيهدينِ﴾، إلى حيث أمرني بالمصير إليه، وهو الشام.

قال مقاتل: فلما قدم الأرض المقدسة سأل ربه الولد فقال: ﴿ربِّ هبْ لي من الصالحين﴾، يعني: هب لي ولداً صالحاً من الصالحين.

﴿فبشَّرناه بغُلامٍ حليمٍ﴾، قيل: غلام في صغره، حليم في كبره، ففيه بشارة أنه ابن وأنه يعيش فينتهي في السن حتى يوصف بالحلم.

٩٦/أ ﴿فلمّا بلغ معهُ السَّعيَ﴾، قال / ابن عباس وقتادة: يعني المشي معه إلى الجبل. وقال مجاهد عن ابن عباس: لمّا شبّ حتى بلغ سعيُه سعي إبراهيم[(١)]، والمعنى: بلغ أن يتصرف معه ويعينه في عمله. قال الكلبي: يعني العمل لله تعالى، وهو قول الحسن ومقاتل بن حيان وابن زيد، قالوا: هو العبادة لله تعالى.

واختلفوا في سنه، قيل: كان ابن ثلاث عشرة سنة. وقيل: كان ابن سبع سنين.

﴿قال يابُنَيَّ إنّي أرى في المنامِ أنّي أذبَحُكَ﴾، واختلف العلماء من المسلمين في هذا الغلام الذي أُمر إبراهيم بذبحه بعد اتفاق أهل الكتابين على أنه إسحاق، فقال قوم: هو إسحاق وإليه ذهب من الصحابة: عمر، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، ومن التابعين وأتباعهم: كعب الأحبار، وسعيد ابن جبير، وقتادة، ومسروق، وعكرمة، وعطاء، ومقاتل، والزهري، والسدي، وهي رواية عكرمة وسعيد بن جبير [عن ابن عباس، وقالوا: كانت هذه القصة بالشام][(٢)].

وروي عن سعيد بن جبير قال: أُريَ إبراهيم ذبح إسحاق في المنام[(٣)]، فسار به مسيرة شهر في غداة واحدة حتى أتى به المنحر بمنى، فلما أمره الله تعالى بذبح الكبش، ذبحه وسار به مسيرة شهر في روحة واحدة وطويت له الأودية والجبال.

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/٧٧.
(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٣) انظر فيما سبق: ٤/٢١٥ تعليق (١).

وقال آخرون: هو إسماعيل، وإليه ذهب عبد الله بن عمر، وهو قول سعيد بن المسيب، والشعبي، والحسن البصري، ومجاهد، والربيع بن أنس، ومحمد بن كعب القرظي، والكلبي، وهي رواية عطاء ابن أبي رباح، ويوسف بن ماهك عن ابن عباس، قال: المفدى إسماعيل.

وكلا القولين يروى عن رسول الله ﷺ، ومن ذهب إلى أن الذبيح إسحاق احتج من القرآن بقوله: ﴿فبشرناه بغلام حليم فلما بلغ معه السعي﴾ (الصافات ــ ١٠١) أمره بذبح من بَشّره به، وليس في القرآن أنه بُشِّر بولد سوى إسحاق، كما قال في سورة هود: ﴿فبشرناها بإسحاق﴾ (هود ــ ٧١).

ومن ذهب إلى أنه إسماعيل احتج بأن الله تعالى ذكر البشارة بإسحاق بعد الفراغ من قصة المذبوح فقال: ﴿وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين﴾ (الصافات ــ ١١٢)، دلّ على أن المذبوح غيره، وأيضاً قال الله تعالى في سورة هود: ﴿فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب﴾ (هود ــ ٧١)، فكما بشره بإسحاق بشره بابنه يعقوب، فكيف يأمره بذبح إسحاق وقد وعده بنافلة منه.

قال القرظي: سأل عمر بن عبد العزيز رجلاً كان من علماء اليهود أسلم وحسن إسلامه: أيّ ابني إبراهيم أُمِرَ بذبحِهِ؟ فقال: إسماعيل، ثم قال: يا أمير المؤمنين إن اليهود لتعلم ذلك، ولكنهم يحسدونكم معشر العرب على أن يكون أباكم الذي كان من أمر الله تعالى بذبحه، ويزعمون أنه إسحاق.

ومن الدليل عليه: أن قرني الكبش كانا منوطين بالكعبة في أيدي بني إسماعيل إلى أن احترق البيت واحترق القرنان في أيام ابن الزبير والحجاج.

قال الشعبي: رأيت قرني الكبش منوطين بالكعبة.

وعن ابن عباس قال: والذي نفسي بيده لقد كان أول الإسلام وأن رأس الكبش لمعلق بقرنيه في ميزاب الكعبة، قد وحش، يعني يبس.

قال الأصمعي: سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح إسحاق كان أو إسماعيل؟ فقال: يا صميع أين ذهب عقلك متى كان إسحاق بمكة؟ إنما كان إسماعيل بمكة، وهو الذي بنى البيت مع أبيه.

وأما قصة الذبح قال السدي: لما دعا إبراهيم فقال: ربِّ هبْ لي من الصالحين، وبُشر به، قال: هو إذاً لله ذبيح، فلما ولد وبلغ معه السعي قيل له: أوف بنذرك، هذا هو السبب في أمر الله تعالى إيّاه بذبح ابنه، فقال عند ذلك، لإسحاق: انطلق فقرب قرباناً لله تعالى فأخذ سكيناً وحبلاً وانطلق معه حتى ذهب به بين الجبال، فقال له الغلام: يا أبت أين قربانك؟ فقال: ﴿يابُنيَّ إني أرى في المَنَام أني أذبحُكَ فانظرْ ماذا ترى قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾

وقال محمد بن إسحاق: كان إبراهيم إذا زار هاجرَ وإسماعيلَ حُمل على البراق فيغدو من الشام فيقيل بمكة، ويروح من مكة فيبيت عند أهله بالشام، حتى إذا بلغ إسماعيل معه السعي، وأخذ بنفسه ورجاه لما كان يأمل فيه من عبادة ربه وتعظيم حرماته، أُمِرَ في المنام أن يذبحه، وذلك أنه رأى ليلة التروية كأن قائلاً يقول له: إن الله يأمرك بذبح ابنك هذا، فلما أصبح رَوي في نفسه أي: فكر من الصباح إلى الرواح، أمِنَ الله هذا الحلم أمْ من الشيطان؟ فمن ثَمَّ سُمي يوم التروية فلما أمسى رأى في المنام ثانياً، فلما أصبح عرف أن ذلك من الله عزّ وجلّ، فمن ثَمَّ سُمي يوم عرفة.

قال مقاتل: رأى ذلك إبراهيم ثلاث ليال متواليات، فلما تيقن ذلك أخبر به ابنه، فقال: «يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظرْ ماذا ترى».

قرأ حمزة والكسائي: «تُري» بضم التاء وكسر الراء – ماذا تشير، وإنما أمره ليعلم صبره على أمر الله تعالى، وعزيمته على طاعته.

وقرأ العامة بفتح التاء والراء إلا أبا عمرو فإنه يُميلُ الراء.

قال له ابنه: ﴿**يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر**﴾، وقال ابن إسحاق وغيره: فلما أُمِرَ إبراهيم بذلك قال لابنه: يابني خذِ الحبل والمدية ننطلق إلى هذا الشعب نحتطب، فلما خلا إبراهيم بابنه في شعب ثَبِير أخبره بما أُمِر، ﴿**قال يا أبتِ افعلْ ما تُؤمر ستَجدُني إنْ شاء الله من الصابرين**﴾.

﴿**فلَمَّا أسلَما**﴾، انقادا وخضعا لأمر الله تعالى، قال قتادة: أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه، ﴿**وتلّه للجَبينِ**﴾، أي: صرعه على الأرض. قال ابن عباس: أضجعه على جبينه على الأرض والجبهة بين الجبينين، قالوا: فقال له ابنه الذي أراد ذبحه: يا أبت اشددْ رباطي حتى لا أضطرب، واكفف عني ثيابك حتى لا ينتضح عليها من دمي شيء فينقص أجري وتراه أمي فتحزن، واشحذ شفرتك، وأسرِعْ مرَّ السكين على حلقي ليكون أهون عليّ فإن الموت شديد، وإذا أتيت أمي فاقرأ عليها السلام مني، وإن رأيت أن ترد قميصي على أمي فافعل، فإنه عسى أن يكون أسلى لها عني، فقال له إبراهيم عليه السلام: نِعْمَ العون أنت يابني على أمر الله، ففعل إبراهيم ما أمر به ابنه، ثم أقبل
٩٦/ب عليه فقبَّله وقد ربطه وهو يبكي / [والابن أيضاً يبكي][1]، ثم إنه وضع السكين على حلقه فلم تَحُك السكين.

(١) زيادة من «ب».

ويروى أنه كان يجر الشفرة في حلقه فلا تقطع، فشحذها مرتين أو ثلاثاً بالحجر، كل ذلك لا تستطيع .

قال السدي: ضرب الله تعالى صفحة من نحاس على حلقه(١)، قالوا: فقال الابن عند ذلك: يا أبت كبني لوجهي على جبيني فإنك إذا نظرت في وجهي رحمتني وأدركتك رقةٌ تحول بينك وبين أمر الله تعالى، وإني لا أنظر إلى الشفرة فأجزع، ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع الشفرة على قفاه فانقلبت السكين ونُودي: أنْ يا إبراهيم قدْ صدّقت الرؤيا .

وروى أبو هريرة عن كعب الأحبار وابن إسحاق عن رجاله قال: لما رأى إبراهيم ذبح ابنه قال الشيطان: لئن لم أفتن عند هذا آل إبراهيم لا أفتن منهم أحداً أبداً، فتمثل له الشيطان رجلاً وأتى أم الغلام، فقال لها: هل تدرين أين ذهب إبراهيم بابنك؟ قالت: ذهب به يحتطبان من هذا الشعب، قال: لا والله ما ذهب به إلا ليذبحه، قالت: كلا هو أرحم به وأشد حباً له من ذلك، قال: إنه يزعم أن الله قد أمره بذلك، قالت: فإن كان ربه أمره بذلك فقد أحسن أن يطيع ربه، فخرج الشيطان من عندها حتى أدرك الابن وهو يمشي على إثر أبيه، فقال له: ياغلام هل تدري أين يذهب بك أبوك؟ قال: نحتطب لأهلنا من هذا الشعب، قال: والله ما يريد إلا أن يذبحك، قال: ولِمَ؟ قال: زعم أن ربه أمره بذلك، قال: فليفعل ما أمره به ربه فسمعاً وطاعة، فلما امتنع منه الغلام أقبل على إبراهيم عليه السلام فقال له: أين تريد أيها الشيخ؟ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه، قال: والله إني لأرى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ابنك هذا، فعرفه إبراهيم عليه السلام، فقال: إليك عني ياعدو الله فوالله لأمضينَّ لأمر ربي، فرجع إبليس بغيظه لم يصب من إبراهيم وآله شيئاً مما أراد، قد امتنعوا منه بعون الله تعالى(٢) .

وروى أبو الطفيل عن ابن عباس: أن إبراهيم لما أُمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعر فسابقه فسبقه إبراهيم، ثم ذهب إلى جمرة العقبة فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم عَرَضَ له عند الجمرة الوسطى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم أدركه عند الجمرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب، ثم مضى إبراهيم لأمر الله عزّ وجلّ(٣) .

قال الله عزّ وجلّ : «فلما أسلما وتَلَّهُ للجَبين» .

---

(١) انظر: الطبري: ٢٣/٧٨، الدر المنثور: ٧/١١٠ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٨٢، وانظر: الدر المنثور: ٧/١١٠-١١١، تفسير ابن كثير: ٤/١٦-١٧ .

(٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٨٠ .

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ أَن يَٰٓإِبۡرَٰهِيمُ ١٠٤ قَدۡ صَدَّقۡتَ ٱلرُّءۡيَآۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ١٠٥
إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ ١٠٦ وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ١٠٧﴾

﴿وناديناه﴾، الواو في «وناديناه» مقحمة صلة، مجازه: ناديناه كقوله: «وأجمعوا أن يجعلوه في غيابت الجب وأوحينا إليه» (يوسف – ١٥)، أي: أوحينا إليه، فنودي من الجبل: **﴿أنْ يا إبراهيم قدْ صدّقتَ الرؤيا﴾**، تمّ الكلام هاهنا ثم ابتدأ فقال: **﴿إناّ كذلك نجزي المحسنينَ﴾**، والمعنى: إنا كما عفونا إبراهيم عن ذبح ولده نجزي من أحسن في طاعتنا، قال مقاتل: جزاه الله بإحسانه في طاعته العفو عن ذبح ابنه.

﴿إنَّ هذا لهُوَ البلاءُ المبينُ﴾، الاختبار الظاهر حيث اختبره بذبح ابنه. وقال مقاتل: البلاء ها هنا: النعمة، وهي أن فدي ابنه بالكبش.

فإن قيل: كيف قال: قد صدقت الرؤيا، وكان قد رأى الذبح ولم يذبح؟.

قيل: جعله مصدقاً لأنه قد أتى بما أمكنه، والمطلوب إسلامهما لأمر الله تعالى وقد فعلا.

وقيل: [كان قد][1] رأى في النوم معالجة الذبح ولم ير إراقة الدم، وقد فعل في اليقظة ما رأى في النوم، فلذلك قال له: «قد صدقت الرؤيا».

﴿وَفَدَيناهُ بِذِبحٍ عظيمٍ﴾، فنظر إبراهيم فإذا هو بجبريل ومعه كبش أملح أقرن، فقال: هذا فداء لابنك فاذبحه دونه، فكبّر جبريل، وكبّر الكبش، وكبّر ابنه، فأخذ إبراهيم الكبش فأتى به المنحر من منى فذبحه.

قال أكثر المفسرين: كان ذلك الكبش رعى في الجنة أربعين خريفاً[2].

وروي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: الكبش الذي ذبحه إبراهيم هو الذي قربه ابن آدم هابيل[3].

قال سعيد بن جبير: حقّ له أن يكون عظيماً. قال مجاهد: سماه عظيماً لأنه متقبل[4]. وقال الحسين بن الفضل: لأنه كان من عند الله. وقيل: عظيم في الشخص. وقيل: في الثواب.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٣ عن ابن عباس، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١١٣/٧ أيضاً لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٦/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٨/٢٣.

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾
وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ ﴿١١٣﴾
وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ
الْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ
﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾
سَلَامٌ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾
إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾

وقال الحسن: ما فدي إسماعيل إلا بتيس من الأروى أُهبط عليه من ثبير[1].

﴿وتركنا عليه في الآخِرينَ﴾، أي: تركنا له في الآخرين ثناء حسناً.

﴿سلامٌ على إبراهيمَ * كَذَلكَ نجزي المحسنين * إنهُ من عبادنا المؤمنينَ * وبشرناه بإسحاقَ نبياً من الصالحينَ﴾، فمن جعل الذبيح إسماعيل قال: بشره بعد هذه القصة بإسحاق نبياً جزاءً لطاعته، ومن جعل الذبيح إسحاق قال: بُشِّرَ إبراهيم بنبوة إسحاق. رواه عكرمة عن ابن عباس. قال: بشر به مرتين حين ولد وحين نبيء.

﴿وباركنا عليه﴾، يعني: على إبراهيم في أولاده، **﴿وعلى إسحاقَ﴾**، بكون أكثر الأنبياء من نسله، **﴿ومن ذُرِّيَّتِهِما محسنٌ﴾**، أي: مؤمن، **﴿وظالمٌ لنفسهِ﴾**، أي: كافر، **﴿مبينٌ﴾**، ظاهر.

قوله تعالى: **﴿ولقد مَنَنَّا على موسى وهارونَ﴾**، أنعمنا عليهما بالنبوة.

﴿ونجيناهُما وقومَهُما﴾، بني إسرائيل، **﴿من الكربِ العظيمِ﴾**، أي: الغم العظيم وهو الذي كانوا فيه من استعباد فرعون إيّاهم. وقيل: من الغرق.

﴿وَنَصَرْناهُم﴾، يعني: موسى وهارون وقومهما، **﴿فكانوا هم الغالبينَ﴾**، على القبط.

﴿وآتيناهُما الكتابَ المستبينَ﴾، أي: المستنير وهو التوراة.

**﴿وهديناهُما الصراطَ المستقيمَ * وتركنا عليهما في الآخِرينَ * سلامٌ على موسى وهارون *

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/٨٧، وابن كثير في التفسير: ٤/١٧.

وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾

إنّا كذلك نجزي المحسنين * إنهما من عبادنا المؤمنين﴾ .

قوله تعالى : ﴿**وإنّ إلياسَ لَمِنَ المُرسَلين**﴾، روي عن عبدالله بن مسعود قال: إلياس هو إدريس. وفي مصحفه: وإن إدريس لمن المرسلين. وهذا قول عكرمة .

وقال الآخرون: هو نبي من أنبياء بني إسرائيل .

قال ابن عباس: هو ابن عم اليسع .

قال محمد بن إسحاق: هو إلياس بن بشر بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران .

وقال أيضاً محمد بن إسحاق، والعلماء من أصحاب الأخبار: لما قبض الله عزّ وجلّ حزقيل النبي ﷺ، عظمت الأحداث في بني إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك، ونصبوا الأوثان وعبدوها
٩٧/أ من دون الله، فبعث الله عزّ وجلّ إليهم إلياس نبياً وكانت الأنبياء / من بني إسرائيل يبعثون بعد موسى بتجديد ما نسوا من التوراة، وبنو إسرائيل كانوا متفرقين في أرض الشام، وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون لما فتح الشام بوأها بني إسرائيل وقسمها بينهم، فأحل سبْطاً منهم ببعلبك ونواحيها، وهم السبط الذين كان منهم إلياس فبعثه الله تعالى إليهم نبياً، وعليهم يومئذ ملك يقال له: آجب قد أضل قومه وأجبرهم على عبادة الأصنام، وكان يعبد هو وقومه صنماً يقال له: بعل، وكان طوله عشرين ذراعاً وله أربعة وجوه، فجعل إلياس يدعوهم إلى الله عزّ وجلّ وهم لا يسمعون منه شيئاً. إلا ما كان من أمر الملك، فإنه صدقه وآمن به فكان إلياس يُقَوِّمُ أمره ويسدده ويرشده، وكان لآجب الملك هذا امرأة يقال لها: أزبيل وكان يستخلفها على رعيته إذا غاب عنهم في غزاة أو غيرها، وكانت تَبْرُزُ للناس وتقضي بين الناس، وكانت قتالة للأنبياء، يقال: هي التي قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام، وكان لها كاتب رجل مؤمن حكيم يكتم إيمانه، وكان قد خلّص من يدها ثلثمائة نبي كانت تريد قتل كل واحد منهم إذا بعث سوى الذين قتلتهم، وكانت في نفسها غير محصنة، وكانت قد تزوجت سبعة من ملوك بني إسرائيل، وقتلت كلهم بالاغتيال، وكانت معمرة يقال أنها ولدت سبعين ولداً. وكان لآجب هذا جار رجل صالح يقال له مزدكي، وكانت له جنينة يعيش منها، ويقبل على عمارتها ومرمتها، وكانت الجنينة إلى جانب قصر الملك وامرأته، وكانا يشرفان على تلك الجنينة يتنزهان فيها ويأكلان ويشربان ويقيلان فيها، وكان آجب الملك يحسن جـوار صاحبها مزدكي، ويحسن إليه، وامرأته أزبيل تحسده لأجل تلك الجنينة، وتحتال أن تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها، وتحتال أن تقتله والملكُ ينهاها عن ذلك ولا تجد عليه سبيلاً، ثم إنه اتفق خروج الملك إلى سفر بعيد وطالت غيبته فاغتنمت امرأته أزبيل ذلك فجمعت جمعاً من الناس

وأمرتهم أن يشهدوا على مزدكي أنه سب زوجها آجب فأجابوها إليه، وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سبّ الملك إذا قامت عليه البينة، فأحضرت مزدكي وقالت له: بلغني أنك شتمت الملك فأنكر مزدكي، فأحضرت الشهود فشهدوا عليه بالزور، فأمرت بقتله وأخذت جنينته، فغضب الله عليهم للعبد الصالح، فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر، فقال لها: ما أصبتِ ولا أرانا نفلح بعده، فقد جاورنا منذ زمان فأحسنّا جواره وكففنا عنه الأذى لوجوب حقه علينا، فختمتِ أمره بأسوأ الجوار، فقالت: إنما غضبت لك وحكمت بحكمك، فقال لها: أو ما كان يسعه حلمك فتحفظين له جواره؟ قالت: قد كان ما كان، فبعث الله تعالى إلياس إلى آجب الملك وقومه، وأمره أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب لوليّه حين قتلوه ظلماً، وآلى على نفسه أنهما إن لم يتوبا عن صنيعهما و لم يردا الجنينة على ورثة مزدكي أن يهلكهما، يعني آجب وامرأته، في جوف الجنينة، ثم يدعهما جيفتين مُلقاتين فيها حتى تتعرى عظامهما من لحومهما، ولا يتمتعان بها إلا قليلاً، قال: فجاء إلياس وأخبره بما أوحى الله تعالى إليه في أمره وأمر امرأته ورد الجنينة، فلما سمع الملك ذلك اشتد غضبه عليه ثم قال له : يا إلياس والله ما أرى ما تدعو إليه إلا باطلاً وما أرى فلاناً وفلاناً ـ سمّى مُلوكاً منهم قد عبدوا الأوثان ـ إلا على مثل ما نحن عليه يأكلون ويتمتعون مملكين ما ينقص من دنياهم أمرُهم الذي تزعم أنه باطل، وما نرى لنا عليهم من فضل، قال: وهمّ الملك بتعذيب إلياس وقتله، فلما أحس إلياس بالشر [والمكر به][1] رفضه وخرج عنه، فلحق بشواهق الجبال، وعاد الملك إلى عبادة بعل، وارتقى إلياس إلى أصعب جبل وأشمخه فدخل مغارة فيه .

ويقال: إنه بقي سبع سنين شريداً خائفاً يأوي إلى الشعاب والكهوف يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره، فلما مضى سبع سنين أذن الله في إظهاره عليهم وشفاء غيظه منهم، فأمرض الله عزّ وجلّ ابناً لآجب وكان أحب ولده إليه وأشبههم به، فأدنف حتى يئس منه، فدعا صنمه بعلاً -وكانوا قد فتنوا ببعل وعظّموه حتى جعلوا له أربعمائة سادن- فوكلوهم به وجعلوهم أنبياءه[2]، وكان الشيطان يدخل في جوف الصنم فيتكلم، والأربعمائة يصغون بآذانهم إلى ما يقول الشيطان ويوسوس إليهم الشيطان بشريعة من الضلال فيبثونها للناس، فيعملون بها ويسمونهم أنبياء .

فلما اشتد مرض ابن الملك طلب إليهم الملك أن يتشفعوا إلى بعل، ويطلبوا لابنه من قبله الشفاء فدعوه فلم يجبهم، ومنع الله الشيطان فلم يمكنه الولوج في جوفه، وهم مجتهدون في التضرع إليه، فلما طال عليهم ذلك قالوا لآجب : إن في ناحية الشام آلهة أخرى فابعث إليها أنبياءك فلعلّها تشفع

(١) زيادة من «ب» .
(٢) ساقط من «ب» .

لك إلى إلهك بعل، فإنه غضبان عليك، ولولا غضبه عليك لأجابك، قال آجب : ومن أجل ماذا غضب عليّ وأنا أطيعه؟ قالوا: من أجل أنك لم تقتل إلياس وفرطت فيه حتى نجا سليماً وهو كافر بإلهك، قال آجب: وكيف لي أن أقتل إلياس وأنا مشغول عن طلبه بوجع ابني، وليس لإلياس مطلب ولا يعرف له موضع فيقصد، فلو عُوفي ابني لفرغت لطلبه حتى أجده فأقتله فأرضي إلهي، ثم إنه بعث أنبياءه الأربعمائة إلى الآلهة التي بالشام يسألونها أن تشفع إلى صنم الملك ليشفي ابنه، فانطلقوا حتى إذا كانوا بحيال الجبل الذي فيه إلياس أوحى الله تعالى إلى إلياس عليه السلام أن يهبط من الجبل ويعارضهم ويكلمهم، وقال له: لا تخف فإني سأصرف عنك شرهم وألقي الرعب في قلوبهم، فنزل إلياس من الجبل، فلما لقيهم استوقفهم، فلما وقفوا قال لهم: إن الله تعالى أرسلني إليكم وإلى من وراءكم فاسمعوا أيها القوم رسالة ربكم لتبلغوا صاحبكم فارجعوا إليه، وقولوا له: إنّ الله تعالى
٩٧/ب يقول لك: ألستَ/ تعلم يا آجب أني أنا الله لا إله إلا أنا إله بني إسرائيل الذي خلقهم، ورزقهم وأحياهم وأماتهم، فجهلك وقلة علمك حملك على أن تشرك بي، وتطلب الشفاء لابنك من غيري ممن لا يملكون لأنفسهم شيئاً إلا ما شئت، إني حلفت باسمي لأغيظنّك في ابنك ولأميتنه في فوره هذا حتى تعلم أن أحداً لا يملك له شيئاً دوني .

فلما قال لهم هذا رجعوا وقد مُلِئوا منه رعباً، فلما صاروا إلى الملك أخبروه بأن إلياس قد انحط عليهم، وهو رجل نحيف طوال قد نحل وتمعط شعره وتقشر جلده، عليه جبة من شعر وعباءة قد خللها على صدره بخلال فاستوقفنا، فلما صار معنا قذف له في قلوبنا الهيبة والرعب، فانقطعت ألسنتنا ونحن في هذا العدد الكثير فلم نقدر على أن نكلمه ونراجعه حتى رجعنا إليك، وقصوا عليه كلام إلياس، فقال آجب: لا ننتفع بالحياة ما كان إلياس حياً وما يطاق إلا بالمكر والخديعة، فقيض له خمسين رجلاً من قومه ذوي القوة والبأس، وعهد إليهم عهده، وأمرهم بالاحتيال له والاغتيال به وأن يطمعوه في أنهم قد آمنوا به، هم ومن وراءهم [ليستنهم إليهم](1) ويغتر بهم فيمكنهم من نفسه فيأتون به ملكهم، فانطلقوا حتى ارتقوا ذلك الجبل الذي فيه إلياس، ثم تفرقوا فيه ينادونه بأعلى أصواتهم، ويقولون: يانبي الله ابرز لنا وامنن علينا بنفسك، فإنا قد آمنّا بك وصدقناك، وملكنا آجب وجميع قومنا، وأنت آمن على نفسك وجميع بني إسرائيل، يقرؤون عليك السلام ويقولون: قد بَلَغَتنا رسالتك وعرفنا ما قلت، [فآمنّا بك وأجبناك إلى ما دعوتنا فهلمَّ إلينا وأقم بين أظهرنا واحكم فينا](2) فإنا ننقاد لما أمرتنا، وننتهي عما نهيتنا وليس يسعك أن تتخلف عنا مع إيماننا وطاعتنا، فارجعْ إلينا. وكل هذا منهم مُماكَرةٌ وخديعة .

(١) في «أ»: (ليستقيم أن يسكن بهم) .
(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

فلما سمع إلياس مقالتهم وقعت في قلبه وطمع في إيمانهم، وخاف الله إنْ هو لم يظهر لهم، فألهمه الله التوقف والدعاء، فقال: اللهم إن كانوا صادقين فيما يقولون فأْذن لي في البروز إليهم، وإن كانوا كاذبين فاكفنيهم وارمهمْ بنار تحرقهم، فما استتم قوله حتى حُصبوا بالنار من فوقهم، فاحترقوا أجمعين، قال: وبلغ آجب الخبر فلم يرتدع من همه بالسوء، واحتال ثانياً في أمر إلياس، وقيض له فئة أخرى مثل عدد أولئك أقوى منهم وأمكن من الحيلة والرأي، فأقبلوا، أي: حتى توقّلوا، أي: صعدوا قلل تلك الجبال متفرقين، وجعلوا ينادون يانبي الله إنا نعوذ بالله وبك من غضب الله وسطواته، إنا لسنا كالذين أتوك قبلنا وإن أولئك فرقة نافقوا فصاروا إليك ليكيدوا بك في غير رأينا، ولو علمنا بهم لقتلناهم ولكفيناك مؤنتهم، فالآن قد كفاك ربك أمرهم وأهلكهم وانتقم لنا ولك منهم، فلما سمع إلياس مقالتهم دعا الله بدعوته الأولى فأمطر عليهم النار، فاحترقوا عن آخرهم، وفي كل ذلك ابن الملك في البلاء الشديد من وجعه، فلما سمع الملك بهلاك أصحابه ثانياً ازداد غضباً على غضب، وأراد أن يخرج في طلب إلياس بنفسه، إلا أنه شغله عن ذلك مرض ابنه، فلم يمكنه فوجه نحو إلياس المؤمن الذي هو كاتب امرأته رجاء أن يأنس به إلياس فينزل معه، وأظهر للكاتب أنه لا يريد بإلياس سوءاً، وإنما أظهر له لما اطلع عليه من إيمانه، وكان الملك مع اطلاعه على إيمانه مغضياً عنه لما هو عليه من الكفاية والأمانة وسداد الرأي، فلما وجهه نحوه أرسل معه فئة من أصحابه، وأوعز إلى الفئة ـ دون الكاتب ـ أن يوثقوا إلياس ويأتوا به إنْ أراد التخلف عنهم، وإن جاء مع الكاتب واثقاً به لم يروعوه، ثم أظهر مع الكاتب الإنابة وقال له: قد آن لي أن أتوب وقد أصابتنا بلايا من حريق أصحابنا والبلاء الذي فيه ابني، وقد عرفت أن ذلك بدعوة إلياس، ولست آمن أن يدعو على جميع من بقي منا فنهلك بدعوته، فانطلق إليه وأخبره أنا قد تبنا وأنبنا، وأنه لا يصلحنا في توبتنا، وما نريد من رضاء ربنا وخلع أصنامنا إلا أن يكون إلياس بين أظهرنا، يأمرنا وينهانا، ويخبرنا بما يرضي ربنا، وأمر قومه فاعتزلوا الأصنام، وقال له: أخبر إلياس أنا قد خلعنا آلهتنا التي كنا نعبد، وأرجينا أمرها حتى ينزل إلياس فيكون هو الذي يحرقها ويهلكها، وكان ذلك مكراً من الملك.

فانطلق الكاتب والفئة حتى علا الجبل الذي فيه إلياس ثم ناداه، فعرف إلياس صوته، فتاقت نفسه إليه وكان مشتاقاً إلى لقائه فأوحى الله تعالى إليه أن ابرز إلى أخيك الصالح فالقه، وجدد العهد به فبرز إليه وسلم عليه وصافحه، وقال له: ما الخبر؟ فقال المؤمن: إنه قد بعثني إليك هذا الجبار الطاغية وقومه، ثم قص عليه ما قالوا ثم قال له: وإني لخائف إن رجعت إليه ولست معي أن يقتلني فمرني بما شئت أفعله، إن شئت انقطعت إليك وكنت معك وتركته، وإن شئتَ جاهدته معك وإن شئت ترسلني إليه بما تحب فأبلغه رسالتك، وإن شئتَ دعوتَ ربك يجعل لنا من أمرنا

فرجاً ومخرجاً، فأوحى الله تعالى إلى إلياس أن كل شيء جاءك منهم مكر وكذب ليظفروا بك، وإن آجب إن أخبرته رسلُهُ أنك قد لقيتَ هذا الرجل ولم يأت بك اتهمه وعرف أنه قد داهن في أمرك، فلم يأمن أن يقتله، فانطلق معه فإني سأشغل عنكما آجب فأضاعف على ابنه البلاء، حتى لا يكون له همّ غيره، ثم أميته على شرِّ حال، فإذا مات فارجع عنه، قال: فانطلق معهم حتى قدموا على آجب، فلما قدموا شدّد الله تعالى الوجع على ابنه وأخذ الموت يكظمه، فشغل الله تعالى بذلك آجب وأصحابه عن إلياس، فرجع إلياس سالماً إلى مكانه، فلما مات ابن آجب وفرغوا من أمره وقلّ جزعه انتبه لإلياس، وسأل عنه الكاتب الذي جاء به، فقال: ليس لي به علم شغلني عنه موت ابنك والجزع عليه، ولم أكن أحسبك إلا قد استوثقت منه، فانصرف عنه آجب وتركه لما فيه من الحزن على ابنه .

فلما طال الأمر على إلياس ملَّ السكون في الجبال واشتاق إلى الناس نزل من الجبل فانطلق
٩٨/أ حتى نزل بامرأة من بني إسرائيل، وهي أم يونس بن متى ذي النون / استخفى عندها ستة أشهر ويونُس بن متى يومئذ مولود يرضع، فكانت أم يونس تخدمه بنفسها وتواسيه بذات يدها، ثم إن إلياس سئم ضيق البيوت بعد تعوده فسحة الجبال، فأحب اللحوق بالجبال فخرج وعاد إلى مكانه، فجزعت أم يونس لفراقه فأوحشها فقده، ثم لم تلبث إلا يسيراً حتى مات ابنها يونس حين فطمته، فعظمت مصيبتها فخرجت في طلب إلياس، فلم تزل ترقى الجبال وتطوف فيها حتى عثرت عليه، فوجدته وقالت له: إني قد فجعت بعدك لموت ابني فعظمت فيه مصيبتي واشتد لفقده بلائي، وليس لي ولد غيره، فارحمني وادع لي ربك جل جلاله ليحيي لي ابني وإني قد تركته مسجًّى لم أدفنه، وقد أخفيت مكانه، فقال لها إلياس: ليس هذا مما أُمرتُ به، وإنما أنا عبد مأمور أعمل بما يأمرني ربي، فجزعت المرأة وتضرعت فأعطف الله تعالى قلب إلياس لها، فقال لها: متى مات ابنك؟ قالت: منذ سبعة أيام فانطلق إلياس معها وسار سبعة أيام أخرى حتى انتهى إلى منزلها، فوجد ابنها ميتاً له أربعة عشر يوماً، فتوضأ وصلى ودعا، فأحيا الله تعالى يونس بن متى، فلما عاش وجلس وثب إلياس وتركه وعاد إلى موضعه .

فلما طال عصيان قومه ضاق بذلك إلياس ذرعاً فأوحى الله تعالى إليه بعد سبع سنين وهو خائف مجهود: يا إلياس ما هذا الحزن والجزع الذي أنت فيه؟ ألستَ أميني على وحيي وحجتي في أرضي وصفوتي من خلقي؟ فسلني أعطك، فإني ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم، قال: تميتني وتلحقني بآبائي فإني مللتُ بني إسرائيل وملوني، فأوحى الله تعالى إليه: يا إلياس ما هذا باليوم الذي أُعري عنك الأرض وأهلها، وإنما قوامها وصلاحها بك وبأشباهك، وإن كنتم قليلاً ولكن سلني فأعطك، فقال: إلياس: إن لم تمتني فأعطني ثأري من بني إسرائيل، قال الله تعالى: فأيّ شيء تريد

أن أعطيك؟ قال تمكنني من خزائن السماء سبع سنين فلا تنشر عليهم سحابة إلا بدعوتي، ولا تمطر عليهم سبع سنين قطرة إلا بشفاعتي، فإنه لا يذلهم إلا ذلك، قال الله تعالى: يا إلياس أنا أرحم بخلقي من ذلك، وإن كانوا ظالمين، قال: فست سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك، قال: فخمس سنين، قال: أنا أرحم بخلقي من ذلك ولكني أعطيك ثأرك ثلاث سنين، أجعل خزائن المطر بيدك، قال إلياس فبأي شيء أعيش؟ قال: أسخر لك جيشاً من الطير ينقل إليك طعامك وشرابك من الريف والأرض التي لم تقحط، قال إلياس: قد رضيت، قال: فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت الماشية والدواب والهوام والشجر وجهد الناس جهداً شديداً، وإلياس على حالته مستخفٍ من قومه، يوضع له الرزق حيث ما كان، وقد عرف ذلك قومه وكانوا إذا وجدوا ريح الخبز في بيت قالوا: لقد دخل إلياس هذا المكان، وطلبوه ولقي من أهل ذلك المنزل شراً.

قال ابن عباس: أصاب بني إسرائيل ثلاث سنين القحط، فمرّ إلياس بعجوز فقال لها: هل عندك طعام؟ قالت: نعم شيء من دقيق وزيت قليل، قال: فدعا بها ودعا فيه بالبركة ومسّه حتى ملأ جرابها دقيقاً، وملأ خوابيها زيتاً، فلما رأوا ذلك عندها قالوا: من أين لك هذا؟ قالت: مرّ بي رجل حاله كذا وكذا فوصفته بوصفه فعرفوه، فقالوا ذلك إلياس، فطلبوه فوجدوه فهرب منهم، ثم إنه أوى إلى بيت امرأة من بني إسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن أخطوب، به ضُرٌّ فآوته وأخفت أمره، فدعا له فعوفي من الضر الذي كان به، واتبع اليسعُ إلياس فآمن به وصدقه ولزمه، وكان يذهب حيث ما ذهب، وكان إلياس قد أسنَّ فكبر واليسع شابٌّ، ثم إن الله تعالى أوحى إلى إلياس: أنك قد أهلكت كثيراً من الخلق ممن لم يعص من البهائم والدواب والطير والهوام بحبس المطر، فيزعمون ـ والله أعلم ـ أن إلياس قال: يارب دعني أكن أنا الذي أدعو لهم وآتيهم بالفرج مما هم فيه من البلاء، لعلّهم أن يرجعوا وينزعوا عمّا هم عليه من عبادة غيرك، فقيل له: نعم، فجاء إلياس إلى بني إسرائيل، فقال: إنكم قد هلكتم جوعاً وجهداً، وهلكت البهائم والدواب والطير والهوام والشجر بخطاياكم، وإنكم على باطل فإن كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فاخرجوا بأصنامكم، فإن استجابت لكم فذلك كما تقولون، وإن هي لم تفعل علمتم أنكم على باطل، فنزعتم ودعوت الله تعالى ففرج عنكم ما أنتم فيه من البلاء، قالوا: أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوها، فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء، ثم قالوا لإلياس: إنا قد هلكنا فادع الله تعالى لنا، فدعا لهم إلياس ومعه اليسع بالفرج، فخرجت سحابة مثل الترس على ظهر البحر وهم ينظرون، فأقبلت نحوهم وطبّقت الآفاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأغاثهم، وأحييت بلادهم، فلما كشف الله تعالى عنهم الضر نقضوا العهد، ولم ينزعوا عن كفرهم، وأقاموا على أخبث ما كانوا عليه، فلما رأى ذلك إلياس دعا ربه عزّ وجلّ أن يريحه منهم، فقيل له فيما يزعمون: انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه إلى موضع كذا فما جاءك

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ١٢٤ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ١٢٥ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ١٢٦ فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ١٢٧ إِلَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ١٢٨﴾

من شيء فاركبه ولا تهبه، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كانا بالموضع الذي أُمر أقبل فرس من نار، وقيل: لونه كلون النار، حتى وقف بين يديه، فوثب عليه إلياس، فانطلق به الفرس فناداه اليسع: يا إلياس، ما تأمرني؟ فقذف إليه إلياس بكسائه من الجو الأعلى، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به، فرفع الله تعالى إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش فكان إنسياً ملكيـاً أرضيـاً سماوياً، وسلّط الله تعالى على آجب الملك وقومه عدواً لهم فقصدهم من حيث لم يشعروا به حتى رهقهم، فقتل آجب وامرأته أزبيل في بستان مزدكي، فلم تزل جيفتاهما ملقاتين[1] في تلك الجنينة حتى بليت لحومهما ورمت عظامهما، ونبّأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولاً إلى بني إسرائيل، وأوحى الله تعالى إليه وأيده، فآمنت
به بنو إسرائيل / فكانوا يعظّمونه، وحُكْمُ الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقهم اليسع[2] . ٩٨/ب

وروى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي روّاد، قال: الخضر وإلياس يصومان شهر رمضان ببيت المقدس، ويوافيان الموسم في كل عام .

وقيل: إن إلياس موكّل بالفيافي، والخضر موكل بالبحار[3]، فذلك قوله تعالى : «وإن إلياس لمن المرسلين» .

﴿**إذ قال لقومه ألا تتقون * أتدعون**﴾، أتعبدون[1]، ﴿**بَعْلاً**﴾ ، وهو اسم صنم لهم كانوا يعبدونه، ولذلك سميت مدينتهم بعلبك، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: «البعل»: الربُّ بلغة أهل اليمن.

﴿**وتذرونَ أحسنَ الخالقين**﴾، فلا تعبدونه .

﴿**الله ربَّكم وربَّ آبائِكُم الأوّلين**﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وحفص، ويعقوب: «الله ربَّكم وربَّ» بنصب الهاء والباءين على البدل، وقرأ الآخرون برفعهن على الاستئناف .

﴿**فكذبوه فإنهم لَمُحضَرُون**﴾، في النار .

﴿**إلّا عبادَ الله المخلَصينَ**﴾، من قومه فإنهم نَجَوْا من العذاب .

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) أخرج الطبري القصة من طريق ابن إسحاق في التاريخ: ٤٦١/١-٤٦٤. واختصرها في التفسير: ٩٣/٢٣-٩٤ .

(٣) انظر: الدر المنثور: ١١٨/٧ .

وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ﴿١٣٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾
إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ وَإِنَّ لُوطًا لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ
أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ
عَلَيْهِمْ مُصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾

﴿وتركنا عليه في الآخِرين * سلامٌ على إلْياسين﴾، قرأ نافع وابن عامر: «آل ياسين» بفتح الهمزة مشبعة، وكسر اللام مقطوعة، لأنها في المصحف مفصولة، [وقرأ الآخرون بكسر الهمزة وسكون اللام موصولة](1) .

فمن قرأ «آل يس» مقطوعة، قيل: أراد آل محمد ﷺ. وهذا القول بعيد لأنه لم يُسبَق له ذكر .

وقيل: أراد آل إلياس .

والقراءة المعروفة بالوصل، واختلفوا فيه، فقد قيل: إلياسين لغة في إلياس، مثل: إسماعيل وإسماعين، وميكائيل وميكائين .

وقال الفراء: هو جمع أراد إلياس وأتباعه من المؤمنين، فيكون بمنزلة الأشعرين والأعجمين بالتخفيف، وفي حرف عبد الله بن مسعود: سلامٌ على إدراسين يعني: إدريس وأتباعه، لأنه يقرأ: وإن إدريس لمن المرسلين(2) .

﴿إنا كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وإنَّ لوطاً لمن المرسلين * إذْ نجَّيناه وأهله أجمعين * إلّا عجوزاً في الغابرين﴾، أي: الباقين في العذاب .

﴿ثم دمرنا الآخَرين﴾، والتدمير: الإهلاك .

﴿وَإنكم لتمُرُّون عليهم﴾، على آثارهم ومنازلهم، **﴿مُصْبِحِيْنَ﴾**، وقت الصباح .

﴿وبالليل﴾، يريد: تمرون بالنهار والليل عليهم إذا ذهبتم إلى أسفاركم ورجعتم، **﴿أفلا تعقلون﴾**، فتعتبرون بهم.

قوله تعالى : **﴿وإن يُونُسَ لمن المُرسلين﴾**، من جملة رسل الله .

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢/٣٩١،٣٩٢ .

إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ
وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ
﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾

﴿إذ أبَقَ إلى الفُلك المشحون﴾، يعني: هرب .

قال ابن عباس رضي الله عنهما، ووهب: كان يونس وعد قومه العذاب، فلما تأخر عنهم العذاب خرج كالمَشْور[1] منهم، فقصد البحر فركب السفينة، فاحتبست السفينة فقال الملاحون: هاهنا عبد أبق من سيده، فاقترعوا فوقعت القرعة على يونس، فاقترعوا ثلاثاً فوقعت على يونس، فقال يونس: أنا الآبق، وزجّ نفسه في الماء .

ورُوي في القصة: أنه لما وصل إلى البحر كانت معه امرأته وابنان له، فجاء مركب فأراد أن يركب معهم فقدَّم امرأته ليركب بعدها، فحال الموج بينه وبين المركب ومرَّ المركب، ثم جاءت موجة أخرى وأخذت ابنه الأكبر وجاء ذئب فأخذ الابن الأصغر، فبقي فريداً، فجاء مركب آخر فركبه فقعد ناحية من القوم، فلما مرت السفينة في البحر ركدت، فاقترعوا، وقد ذكرنا القصة في سورة يونس[2] .

فذلك قوله عزّ وجلّ : **﴿فساهَمَ﴾**، فقارع، والمساهمة: إلقاء السهام على جهة القرعة، **﴿فكان من المُدْحَضِين﴾**، المقروعين .

﴿فالتقمه الحوت﴾، ابتلعه، **﴿وهو مُليمٌ﴾**، آتٍ بما يلام عليه .

﴿فلولا أنّه كان مِنَ المسبِّحين﴾، من الذاكرين لله قبل ذلك، وكان كثير الذكر، وقال ابن عباس: من المصلين. وقال وهب: من العابدين. وقال الحسن: ما كانت له صلاة في بطن الحوت ولكنه قدم عملاً صالحاً. وقال الضحاك: شكرَ اللّهُ تعالى له طاعتَه القديمة.

وقيل: «فلولا أنه كان من المسبحين» في بطن الحوت. قال سعيد بن جبير: يعني قوله: «لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (الأنبياء ــ ٨٧) .

﴿لَلَبِثَ في بطنه إلى يوم يبعثون﴾، لصار بطن الحوت له قبراً إلى يوم القيامة .

﴿فنبذناه﴾، طرحناه، **﴿بالعراء﴾**، يعني: على وجه الأرض، قال السدي: بالساحل، والعراء: الأرض الخالية عن الشجر والنبات. **﴿وهو سقيم﴾**، عليل كالفرخ الممعَّط. وقيل: كان قد بليَ لحمه ورقَّ عظمه ولم يبق له قوة .

---

(١) المَشُور: الخَجِل . وفي «أ» كالمتشوّر

(٢) انظر فيما سبق: ١٥١/٤-١٥٢ .

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ ١٤٦ وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ أَوۡ يَزِيدُونَ ١٤٧﴾

واختلفوا في مدة لبثه في بطن الحوت، فقال مقاتل بن حيان: ثلاثة أيام. وقال عطاء: سبعة أيام. وقال الضحاك: عشرين يوماً. وقال السدي والكلبي ومقاتل بن سليمان: أربعين يوماً. وقال الشعبي: التقمه ضحى ولفظه عشية[1] .

﴿وأنبتنا عليه﴾، أي: له، وقيل: عنده، ﴿شجرة من يقطين﴾،يعني: القرع، على قول جميع المفسرين .

قال الحسن ومقاتل: كل نبت يمتد وينبسط على وجه الأرض ليس له ساق ولا يبقى على الشتاء نحو القرع والقثاء والبطيخ فهو يقطين .

قال مقاتل بن حيان: فكان يونس يستظل بالشجرة، وكانت وعلة تختلف إليه فيشرب من لبنها بكرة وعشية حتى اشتد لحمه ونبت شعره وقوي، فنام نومة فاستيقظ وقد يبست الشجرة فحزن حزناً شديداً وأصابه أذى الشمس فجعل يبكي، فبعث الله تعالى إليه جبريل وقال: أتحزن على شجرة ولا تحزن على مائة ألف من أمتك وقد أسلموا وتابوا[2] .

فإن قيل: قال هاهنا: «فنبذناه بالعراء وهو سقيم»، وقال في موضع آخر: «لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء» (القلم ـ ٤٩)، فهذا يدل على أنه لم ينبذ؟

قيل: «لولا» هناك يرجع إلى الذم، معناه: لولا نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم، ولكن تداركه النعمة فنبذ، وهو غير مذموم .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وأرسلناه إلى مائة ألف﴾، قال قتادة: أُرسِل إلى أهل نينوى من أرض الموصل قبل أن يصيبه ما أصابه، وقوله: «وأرسلناه» أي: وقد أرسلناه، وقيل: كان إرساله بعد خروجه من بطن الحوت إليهم، وقيل: إلى قوم آخرين. ﴿أو يزيدون﴾، قال ابن عباس: معناه: ويزيدون، «أو» بمعنى الواو، كقوله: «عذراً أو نذراً» (المرسلات ـ ٦)، وقال مقاتل والكلبي: معناه بل يزيدون. وقال الزجاج : «أو» هاهنا على أصله، ومعناه: أو يزيدون على تقديركم وظنكم، كالرجل يرى قوماً فيقول: هؤلاء ألف أو يزيدون، فالشك على تقدير المخلوقين، والأكثرون على أن معناه: ويزيدون .

٩٩/أ واختلفوا في مبلغ تلك الزيادة / فقال ابن عباس، ومقاتل: كانوا عشرين ألفاً، ورواه أُبيّ بن كعب عن رسول الله ﷺ[3] .

---

(١) ذكر هذه الأقوال السيوطي في الدر المنثور: ١٢٧/٧ .

(٢) انظر: الطبري: ١٠٣/٢٣ـ١٠٤ .

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير: ٩٧/٩ وقال: «هذا حديث غريب» قال المباركفوري: «وفي سنده مجهول»، والطبري: ١٠٤/٢٣، =

﴿فَـَٔامَنُواْ فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ ١٤٨ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَلِرَبِّكَ ٱلۡبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلۡبَنُونَ
١٤٩ أَمۡ خَلَقۡنَا ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثٗا وَهُمۡ شَٰهِدُونَ ١٥٠ أَلَآ إِنَّهُم مِّنۡ إِفۡكِهِمۡ
لَيَقُولُونَ ١٥١ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمۡ لَكَٰذِبُونَ ١٥٢ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ١٥٣
مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ١٥٤ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٥٥ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ١٥٦﴾

وقال الحسن: بضعاً وثلاثين ألفاً.

وقال سعيد بن جبير: سبعين ألفاً[1].

﴿فآمنوا﴾، يعني: الذين أرسل إليهم يونس بعد معاينة العذاب، ﴿فمتّعناهم إلى حين﴾، إلى انقضاء آجالهم.

قوله تعالى: ﴿فاستفتِهم﴾، فاسأل يامحمد أهل مكة وهو سؤال توبيخ، ﴿ألربّك البنات ولهمُ البنون﴾، وذلك أن جهينة وبني سلمة بن عبد الدار زعموا أن الملائكة بنات الله[2]، يقول: جعلوا لله البنات ولأنفسهم البنين.

﴿أم خلقنا الملائكة إناثاً﴾، معناه: أخلقنا الملائكة إناثاً، ﴿وهم شاهدون﴾، حاضرون خَلْقنا إيّاهم، نظيره قوله: «أَشَهدوا خلقَهم» (الزخرف ـ ١٩).

﴿ألا إنهم من إفكِهم﴾، من كذبهم، ﴿ليقولون وَلَدَ الله وإنّهم لكاذبون﴾.

﴿أصطَفَى﴾، قرأ أبو جعفر: «لكاذبون اصطفى» موصولاً، على الخبر عن قول المشركين، وعند الوقف يبتدىء: «اصطفى» بكسر الألف، وقراءة العامة بقطع الألف، لأنها ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، فحذفت ألف الوصل وبقيت ألف الاستفهام مفتوحة مقطوعة، مثل: استكبر ونحوها، ﴿أصطفى البنات على البنين﴾.

﴿ما لكم كيف تحكمون﴾، لله بالبنات ولكم بالبنين.

﴿أفلا تذكّرون﴾، أفلا تتعظون.

﴿أم لكم سُلطان مبين﴾، برهان بيّن على أن لله ولداً.

= وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٢/٧ أيضاً لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(١) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٢/٧ لابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الدر المنثور: ١٣٣/٧.

فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٧﴾ وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ
إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٠﴾
فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ ﴿١٦٣﴾ وَمَا مِنَّا إِلَّا
لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ ﴿١٦٤﴾

﴿فأتوا بِكتابِكُم﴾، الذي لكم فيه حجة، ﴿إن كنتم صادقين﴾، في قولكم .

﴿وجعلوا بينه وبين الجِنَّةِ نَسَباً﴾. قال مجاهد وقتادة: أراد بالجِنّة: الملائكة، سُمّوا جِنّة لاجتنانهم عن الأبصار .

وقال ابن عباس: حي من الملائكة يقال لهم الجن، ومنهم إبليس، قالوا: هم بنات الله .

وقال الكلبي: قالوا ــ لعنهم الله ــ بل تزوج من الجن فخرج منها الملائكة[1]، تعالى الله عن ذلك، وقد كان زعم بعض قريش أن الملائكة بنات الله، تعالى الله، فقال أبو بكر الصديق: فمن أمهاتهم؟ قالوا: سروات الجن[2] .

وقال الحسن: معنى النسب أنهم أشركوا الشياطين في عبادة الله، ﴿ولقد عَلِمتِ الجِنَّةُ إنهم﴾، يعني قائلي هذا القول، ﴿لمُحضَرون﴾، في النار، ثم نزه نفسه عمّا قالوا فقال :

﴿سبحانَ الله عمّا يصفونَ * إلّا عباد الله المُخلَصِينَ﴾، هذا استثناء من المحضرين، أي: أنهم لا يحضرون .

قوله عزّ وجلّ : ﴿فإنكم﴾، يقول لأهل مكة: ﴿وما تعبدون﴾، من الأصنام .

﴿ما أنتم عليه﴾، على ما تعبدون، ﴿بفاتنين﴾، بمضلين أحداً .

﴿إلّا من هو صالِ الجحيم﴾، إلا من قدَّر الله أنه سيدخل النار، أي: سبق له في علم الله الشقاوة .

قوله عزّ وجلّ : ﴿وما منّا إلّا له مَقامٌ معلوم﴾، يقول جبرائيل للنبي ﷺ وما منا معشر الملائكة إلا له مقام معلوم، أي: ما منا ملك إلا له مقام معلوم في السموات يعبد الله فيه .

قال ابن عباس: ما في السموات موضع شبر إلّا وعليه ملك يصلي أو يسبح .

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٣ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٣٣/٧ أيضاً لآدم بن أبي إياس، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، والبيهقي في شعب الإيمان .

وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ ٱلْمُسَبِّحُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِن كَانُوا۟ لَيَقُولُونَ ﴿١٦٧﴾ لَوْ أَنَّ عِندَنَا
ذِكْرًا مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٦٨﴾ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿١٦٩﴾ فَكَفَرُوا۟ بِهِۦ ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧٠﴾
وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٧١﴾ إِنَّهُمْ لَهُمُ ٱلْمَنصُورُونَ ﴿١٧٢﴾ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ
ٱلْغَـٰلِبُونَ ﴿١٧٣﴾

وروينا عن أبي ذر عن النبي ﷺ قال: «أطَّت السماءُ، وحقَّ لها أن تئط، والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربعة أصابع إلّا وملك واضع جبهته ساجداً لله»(١).

قال السدي: إلا له مقام معلوم في القربة والمشاهدة.

وقال أبو بكر الوراق: إلّا له مقام معلوم يعبد الله عليه، كالخوف والرجاء والمحبة والرضا.

﴿وإنّا لنحن الصآفّون﴾، قال قتادة: هم الملائكة صفوا أقدامهم. وقال الكلبي: صفوف الملائكة في السماء للعبادة كصفوف الناس في الأرض.

﴿وإنّا لنحن المُسبِّحون﴾، أي: المصلُّون المنزهون الله عن السوء، يخبر جبريل عليه السلام [النبي ﷺ](٢) أنهم يعبدون الله بالصلاة والتسبيح، وأنهم ليسوا بمعبودين، كما زعمت الكفار، ثم أعاد الكلام إلى الإخبار عن المشركين فقال:

﴿وإن كانوا﴾، وقد كانوا يعني: أهل مكة، **﴿ليقولون﴾**، لام التأكيد.

﴿لو أن عندنا ذِكراً من الأولين﴾، أي: كتاباً مثل كتاب الأولين.

﴿لكُنّا عبادَ الله المخلَصِين * فكفروا به﴾، أي: فلما أتاهم ذلك الكتاب كفروا به، **﴿فسوف يعلمون﴾**، هذا تهديد لهم.

﴿ولقد سبقت كلِمَتُنا لعبَادِنا المُرسَلين﴾، وهي قوله: «كتب الله لأغلبنّ أنا ورسلي» (المجادلة ـ ٢١).

﴿إنهم لَهُمُ المنصورون * وإنَّ جُندنا لهمُ الغالبون﴾، أي: حزب الله لهم الغلبة بالحجة والنصرة في العاقبة.

---

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: في قول النبي ﷺ: «لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً» ٦٠١/٦-٦٠٣ وقال: «حسن غريب» وابن ماجه مطولاً في الزهد، باب الحزن والبكاء برقم: (٤١٩٠) ١٤٠٢/٢، والإمام أحمد: ١٧٣/٥، وصححه الحاكم: ٥١٠/٢، وفي ٥٧٩/٤ وقال صحيح الإسناد على شرط الشيخين وأقره الذهبي: وصححه الألباني في «الصحيحة» برقم (١٧٢٢).

(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٤﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ ﴿١٧٥﴾ أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا
نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ
يُبْصِرُونَ ﴿١٧٩﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى
ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾

﴿فتولَّ﴾، أعرض، ﴿عنهم حتى حين﴾، قال ابن عباس: يعني الموت. وقال مجاهد: يوم بدر. وقال السدي: حتى نأمُرك بالقتال. وقيل: إلى أن يأتيهم عذاب الله، قال مقاتل بن حيان: نسختها آية القتال.(١)

﴿وأبصِرهُم﴾، إذا نزل بهم العذاب، ﴿فسوف يُبصِرُون﴾، ذلك فقالوا: متى هذا العذاب؟

قال الله عزّ وجلّ : ﴿أفبعذابنا يستعجلون * فإذا نزل﴾، يعني: العذاب، ﴿بساحتهم﴾، قال مقاتل: بحضرتهم. وقيل: بفنائهم. وقال الفراء(٢): العرب تكتفي بذكر الساحة عن القوم، ﴿فساءَ صباح المُنْذَرِينَ﴾، فبئس صباح الكافرين الذين أُنذروا بالعذاب .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، أخبرنا مالك، عن حميد الطويل، عن أنس بن مالك: أن رسول الله ﷺ حين خرج إلى خيبر، أتاها ليلاً، وكان إذا جاء قوماً بليل لم يغز حتى يصبح، قال: فلما أصبح خرجت يهود خيبر بمساحيها ومكاتلها، فلما رأوا النبي ﷺ، قالوا: محمد، والله، محمد والخميس، فقال رسول الله ﷺ : «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين»(٣).

ثم كرر ما ذكرنا تأكيداً لوعيد العذاب فقال :

﴿وتولَّ عنهم حتى حين * وأبصرْ﴾، العذاب إذا نزل بهم، ﴿فسوف يُبصِرون﴾. ثم نزه نفسه فقال:

﴿سبحانك ربِّك ربِّ العِزة﴾، الغلبة والقوة، ﴿عمّا يصفون﴾، من اتخاذ الصاحبة والأولاد .

﴿وسلامٌ على المُرسلين﴾، الذين بلغوا عن الله التوحيد والشرائع .

﴿والحمد لله رب العالمين﴾، على هلاك الأعداء ونصرة الأنبياء عليهم السلام .

(١) انظر فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١)، ٢٧٣/٣ تعليق (٢) .

(٢) معاني القرآن: ٣٩٦/٢ .

(٣) أخرجه مالك في الموطأ باب ما جاء في الخيل: ٤٦٨/٢، البخاري في الأذان، باب: ما يحقن بالأذان من الدماء: ٨٩/٢-٩٠، ومسلم في الجهاد والسير، باب: غزوة خيبر برقم: (١٣٦٥) ١٤٢٦/٣-١٤٢٧، والمصنف في شرح السنة: ٥٩/١١.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا أحمد بن جعفر بن حمدان حدثنا إبراهيم / بن سهلويه، حدثنا علي بن محمد الطنافسي، حدثنا وكيع، عن ثابت بن أبي صفية، عن أصبغ بن نباتة، عن علي قال: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة، فليكن آخر كلامه من مجلسه: سبحان ربِّك ربِّ العزَّة عمّا يصفون، وسلامٌ على المرسلين، والحمد لله رب العالمين»(1)(*) .

---

(1) ذكره ابن كثير في التفسير: ٢٦/٤ من رواية ابن أبي حاتم مرسلاً، وقال: روي من وجه آخر متصل موقوف على علي رضي الله عنه وساقه من رواية المصنف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٤١/٧ لحميد بن زنجويه في ترغيبه. والحديث فيه أصبغ بن نباته، قال أبو حاتم في الجرح والتعديل: ٣٢٠/٢: ليّن الحديث، وقال ابن معين : ليس بشيء .

(*) في نسخة « أ »: تم المجلد الثالث بحمد الله وحسن توفيقه .

سُورَةُ صٓ

سُورَةُ صٓ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾

﴿صٓ﴾، قيل: هو قسم، وقيل: اسم السورة كما ذكرنا في سائر حروف التهجي في أوائل السور.

وقال محمد بن كعب القرظي: «صٓ» مفتاح اسم الصمد، وصادق الوعد[2].

وقال الضحاك: معناه صدق الله[3].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما: صدق محمد ﷺ.

﴿والقرآن ذِي الذِّكر﴾، أي ذي البيان، قاله ابن عباس ومقاتل. وقال الضحاك: ذي الشرف، دليله قوله تعالى: «وإنه لذكر لك ولقومك» (الزخرف ـ ٤٤)، وهو قسم.

واختلفوا في جواب القسم، قيل: جوابه قد تقدم، وهو قوله «صٓ» أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمداً قد صدق.

وقال الفراء: «صٓ» معناها: وجب وحق، وهو جواب قوله: «والقرآن»، كما تقول: نزل والله[4].

وقيل: جواب القسم محذوف تقديره: والقرآن ذي الذكر ما الأمر كما يقول الكفار، ودلّ على هذا المحذوف قوله تعالى: ﴿بل الذين كفروا﴾.

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت سورة «ص» بمكة. انظر: الدر المنثور: ١٤٢/٧.

(٢) انظر: زاد المسير: ٩٧/٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٣.

(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣٩٦/٢.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

قال قتادة: موضع القسم قوله: ﴿بل الذين كفروا﴾، كما قال: «والقرآن المجيد بل عجبوا» (ق ــ ٢).

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: بل الذين كفروا، ﴿في عِزّة وشقاق﴾، والقرآن ذي الذكر .

وقال الأخفش: جوابه قوله [تعالى: «إن كلٌّ إلّا كذّبَ الرسلَ» (ص ـ ١٤)، كقوله: «تالله إن كنا» (الشعراء ـ ٩٧) وقوله: «والسماء والطارق - إن كلُّ نفسٍ» (الطارق - ١ : ٣) .

وقيل:][1] جوابه قوله: «إنَّ هذا لَرِزْقُنا» (ص ـ٥٤) .

وقال الكسائيُ: قوله: «إنّ ذلك لحقٌّ تخاصمُ أهلِ النار» (ص ـ ٦٤)، وهذا ضعيف لأنه تخلل بين هذا القسم وبين الجواب أقاصيص وأخبار كثيرة.

وقال القتيبي: بل لتدارك كلام ونفي آخر، ومجاز الآية: إن الله أقسم بـ صٓ والقرآن ذي الذكر أن الذين كفروا من أهل مكة في عزة حمية جاهلية وتكبر عن الحق وشقاق وخلاف وعداوة لمحمد ﷺ.

وقال مجاهد: «في عزة» معازّين[2].

﴿كم أهلكنا مِن قبلهم من قَرنٍ﴾،يعني: من الأمم الخالية، ﴿فنادوا﴾، استغاثوا عند نزول العذاب وحلول النقمة، ﴿ولاتَ حين مناصٍ﴾، قوة ولا فرار[3]، و«المناص» مصدر ناص ينوص، وهو الفوت والتأخر، يقال: ناص ينوص إذا تأخر، وباص يبوص إذا تقدم، و«لات» بمعنى ليس بلغة أهل اليمن[4].

وقال النحويون هي «لا» زِيدَتْ في التاء، كقولهم: رُبَّ ورُبَّتْ وثم وثمّتْ، وأصلها هاء وصلت بلا، فقالوا: «لَاةَ»، كما قالوا: ثمة، فجعلوها في الوصل تاء، والوقف عليها بالتاء عند الزجاج، وعند الكسائيّ بالهاء: ولاة. ذهب جماعة إلى أن التاء زيدت في «حين»، والوقف على «ولا»، ثم يبتدىء: «تَحِينَ»، وهو اختيار أبي عبيدة، وقال: كذلك وجدت في مصحف عثمان، وهذا كقول أبي وَجْزَةَ السعديّ:

«العَاطِفُونَ تَحِيْنُ ما من عاطِفٍ والمُطعِمُونَ زمانَ مَا مِنْ مُطْعِمِ»[5]

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) في «ب» متعازين .

(٣) في «ب» (ليس حين نزو ولا فرار) .

(٤) في هامش «أ»: «يقال: ناصَ، يَنُوصُ، نَوْصاً ومناصاً، أي: فرَّ وراغ. وقال تعالى: «وحين مناص» أي: ليس وقت تأخر وفرارٍ، والمناص أيضاً: الملجأ والمفرُّ» .

(٥) البيت من شواهد ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» ص (٥٣٠)، والجوهري في الصحاح مادة «حين»: ٥/٢١٠٦، واللسان: «حين»: ١٣/١٣٤، والطبري: ١٢٣/٢٣. قال ابن بري: صوابه...: والمطعمون زمان أين المطعم .
انظر: «القرطين»: ٩٨/٢ تعليق (١) .

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا سَـٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْـَٔالِهَةَ إِلَـٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَـٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾

وفي حديث ابن عمر، وسأله رجل عن عثمان، فذكر مناقبه ثم قال: اذهب بها تلان إلى أصحابك، يريد: الآن .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: كان كفار مكة إذا قاتلوا فاضطروا في الحرب، قال بعضهم لبعض: مناص، أي: اهربوا وخذوا حذركم، فلما نزل بهم العذاب ببدر قالوا: مناص، فأنزل الله تعالى: «ولاتَ حين مناص»[1] [أي ليس][2] حين هذا القول .

﴿**وَعَجِبوا**﴾، يعني: الكفار الذين ذكرهم الله عزّ وجلّ في قوله: «بل الذين كفروا»، ﴿**أن جاءهم مُنذرٌ منهم**﴾، يعني: رسولاً من أنفسهم ينذرهم، ﴿**وقال الكافرون هذا ساحرٌ كذابٌ**﴾ .

﴿**أجعَلَ الآلهةَ إلهاً واحداً**﴾، وذلك أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أسلم، فشقَّ ذلك على قريش، وفرح به المؤمنون، فقال الوليد بن المغيرة للملأ من قريش، وهم الصناديد والأشراف، وكانوا خمسة وعشرين رجلاً أكبرهم سناً الوليد بن المغيرة، قال لهم: امشوا إلى أبي طالب، فأَتَوْا أبا طالب، وقالوا له: أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمتَ ما فعل هؤلاء السفهاء، وإنَّا قد أتيناك لتقضي بيننا وبين ابن أخيك، فأرسل أبو طالب إلى النبي ﷺ فدعاه، فقال: يا ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السَّوَاء، فلا تَمِلْ كلَّ الميل على قومك، فقال رسول الله ﷺ: وماذا يسألوني؟ قالوا: ارفض ذكر آلهتنا وندعك وإلهكَ، فقال النبي ﷺ: أتعطوني كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم؟ فقال أبو جهل: لله أبوكَ لَنُعطيكَها وعشر أمثالها، فقال رسول الله ﷺ: قولوا لا إله إلا الله، [فنفروا][3] من ذلك وقاموا، وقالوا: أجعل الآلهة إلهاً واحداً؟ كيف يسع الخلق كلهم إله واحد؟[4] .

﴿**إنَّ هذا لشيء عُجَابٌ**﴾، أي: عجيب، والعَجَبُ والعُجابُ واحد، كقولهم: رجل كريم وكُرام، وكبير وكُبار، وطويل وطُوال، وعريض وعُراض .

---

(١) انظر البحر المحيط: ٣٨٤/٧ .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) في «ب» فتفرقوا .

(٤) قال ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤١): «ذكره الثعلبي بغير سند. ورواه الترمذي: ٩٩/٩ - ١٠١ وقال: (هذا حديث حسن صحيح)، والنسائي في التفسير: ٢١٦/٢ - ٢١٧ ، وابن حبان برقم (١٧٥٧) ص (٤٣٥) =

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ (٦) مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ (٧) أَأُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ (٨) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ (٩)﴾

﴿وانطلق الملأُ منهم أنِ امشُوا واصبروا على آلهتكم﴾، أي: انطلقوا من مجلسهم الذي كانوا فيه-عند أبي طالب، يقول بعضهم لبعض: امشوا واصبروا على آلهتكم، أي: اثبتوا على عبادة آلهتكم، **﴿إنّ هذا لشيء يراد﴾**، أي لأمر يراد بنا، وذلك أن عمر لما أسلم وحصل للمسلمين قوة بمكانه قالوا: إنَّ هذا الذي نراه من زيادة أصحاب محمد ﷺ لشيء يراد بنا.

وقيل يراد بأهل الأرض، وقيل: يراد بمحمد أن يملك علينا.

﴿ما سمعنا بهذا﴾، أي بهذا الذي يقوله محمد من التوحيد، **﴿في المِلَّةِ الآخِرَة﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما، والكلبي، ومقاتل: يعنون النصرانية، لأنها آخر الملل وهم لا يوحِّدون، بل يقولون ثالث ثلاثة.

وقال مجاهد وقتادة: يعنون ملة قريش ودينهم الذي هم عليه.

﴿إنْ هذا إلّا اختلاق﴾، كذب وافتعال.

﴿أأُنزلَ عليه الذِكرُ﴾، القرآن، **﴿من بيننا﴾**، وليس بأكبرنا ولا أشرفنا، يقوله أهل مكة. قال الله عزّ وجلّ:

﴿بل هم في شكٍ من ذكري﴾، أي وحيي وما أنزلتُ، **﴿بل لَمَّا يذوقوا عذاب﴾**، ولو ذاقوه لما قالوا هذا القول.

﴿أم عِندَهم﴾، أعندهم، **﴿خزائنُ رحمةِ ربك﴾**، أي: نعمة ربك يعني: مفاتيح النبوة يعطونها
١٠٠/أ من شاؤوا، نظيره: «أهم يقسمون رحمة/ربك» (الزخرف ـ ٣٢) أي نبوة ربك، **﴿العزيز الوهاب﴾**، [العزيز في ملكه، الوهاب][1] وهب النبوة لمحمد ﷺ.

= من موارد الظمآن، والإمام أحمد: ١/٢٢٧، وإسحاق، وأبو يعلى، والطبري: ٢٣/١٢٥، وابن أبي حاتم وغيرهم من طريق يحيى بن عمارة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: قال: مرض أبو طالب فجاءته قريش وجاء النبي ﷺ ـ الحديث ـ نحوه» وليس فيه أوله.

وأخرجه أيضاً: البيهقي في السنن: ٩/١٨٨، وصححه الحاكم: ٢/٤٣٢، والواحدي في أسباب النزول ص (٤٢٤).

وانظر: الدر المنثور: ٧/١٤٢ ـ ١٤٣.

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾ جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾﴾

﴿أم لهم مُلكُ السمواتِ والأرض وما بينهما﴾، أي: ليس لهم ذلك، ﴿فليرتَقُوا في الأسباب﴾، أي: إن ادعوا شيئاً من ذلك فليصعدوا في الأسباب التي توصلهم إلى السماء، وليأتوا منها بالوحي إلى من يختارون، قال مجاهد وقتادة: أراد بالأسباب: أبواب السماء وطرقها من سماء إلى سماء، وكل ما يوصلك إلى شيء من باب أو طريق فهو سببه، وهذا أمر توبيخ وتعجيز.

﴿جندٌ مَّا هُنالِكَ﴾، أي: هؤلاء الذين يقولون هذا القول جند هنالك، و«ما» صلة، ﴿مهزومٌ﴾، مغلوب، ﴿من الأحزاب﴾، أي: من جملة الأجناد، يعني: قريشاً.

قال قتادة: أخبر الله تعالى نبيه ﷺ وهو بمكة أنه سيهزِمُ جندَ المشركين، فقال: «سيُهزَمُ الجمع ويولون الدُّبُرَ» (القمر ـ ٤٥)، فجاء تأويلها يوم بدر[1]، و«هنالك» إشارة إلى بدر ومصارعهم، «من الأحزاب»، أي: من جملة الأحزاب، أي: هم من القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهروا وأهلكوا. ثم قال معزياً لنبيه ﷺ: ﴿كذَّبت قبلهم قومُ نوحٍ وعادٌ وفرعونُ ذو الأوتاد﴾ قال ابن عباس، ومحمد بن كعب: ذو البناء المحكم، وقيل: أراد ذو الملك الشديد الثابت.

وقال القتيبي: تقول العرب: هم في عز ثابت الأوتاد، يريدون أنه دائم شديد.

وقال الأسود بن يعفر:

وَلَقَدْ غَنَوا فيهَا بأَنْعَمِ عَيشةٍ		في ظِلِّ مُلْكٍ ثابتِ الأَوْتَادِ[2]

فأصل هذا أن بيوتهم كانت تثبت بالأوتاد.

وقال الضحاك: ذو القوة والبطش. وقال عطية: ذو الجنود والجموع الكثيرة، يعني: أنهم كانوا يقوون أمره، ويشدون ملكه، كما يقوي الوتد الشيء، وسميت الأجناد أوتاداً لكثرة المضارب التي كانوا يضربونها ويوتدونها في أسفارهم، وهو رواية عطية عن ابن عباس.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/١٣٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/١٤٧ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) البيت في غريب القرآن لابن قتيبة: ٢/١٠٠ من «القرطين»، معاني القرآن للنحاس: ٦٠/٨٥، البحر المحيط: ٧/٣٦٧.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ۝١٣ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ
ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ۝١٤ وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥﴾

وقال الكلبي ومقاتل: «الأوتاد»: جمع الوتد، وكانت له أوتاد يعذب الناس عليها، وكان إذا غضب على أحد مدَّه مستلقياً بين أربعة أوتاد، وشد كل يد ورجل منه إلى سارية، ويتركه كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت.

وقال مجاهد، ومقاتل بن حيان: كان يمدّ الرجل مستلقياً على الأرض، يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد.

وقال السدي: كان يمد الرجل ويشده بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات[1].

وقال قتادة وعطاء: كانت له أوتاد وأرسان وملاعب يلعب عليها بين يديه[2].

﴿**وثمودُ وقومُ لوطٍ وأصحابُ الأيكةِ أولئك الأحزاب**﴾، الذين تحزبوا على الأنبياء، فأعلم أن مشركي قريش حزب من هؤلاء الأحزاب.

﴿**إن كلٌّ**﴾، ما كل، ﴿**إلَّا كذَّبَ الرسلَ فحقَّ عِقابِ**﴾، وجب عليهم ونزل بهم عذابي.

﴿**وما ينظر**﴾، ينتظر، ﴿**هؤلاءِ**﴾،يعني: كفار مكة، ﴿**إلَّا صيحة واحدة**﴾، وهي نفخة الصور، ﴿**ما لها من فَوَاق**﴾، قرأ حمزة، والكسائي: «فُواق» بضم الفاء، وقرأ الآخرون بفتحها وهما لغتان، فالفتح لغة قريش، والضم لغة تميم.

قال ابن عباس وقتادة: من رجوع، أي: ما يرد ذلك الصوت فيكون له رجوع.

وقال مجاهد: نظرة. وقال الضحاك: مثنوية، أي صَرْفٌ ورَدٌّ.

والمعنى: أن تلك الصيحة التي هي ميعاد عذابهم إذا جاءت لم ترد ولم تصرف.

وفرَّق بعضهم بين الفتح والضم، فقال الفرّاء، وأبو عبيدة: الفتح بمعنى الراحة والإفاقة، كالجواب من الإجابة، ذهبا بها إلى إفاقة المريض من علته، والفُواق بالضم ما بين الحَلْبَتين، وهو أن تحلب الناقة ثم تترك ساعة حتى يجتمع اللبن، فما بين الحَلْبَتين فُواق، أي أن العذاب لا يمهلهم بذلك القدر[3].

وقيل: هما أيضاً مستعارتان من الرجوع، لأن اللبن يعود إلى الضرع بين الحلبتين، وإفاقة المريض:

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٣٨٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٣/١٣٠.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٤٠٠، مجاز القرآن لأبي عبيدة: ٢/١٧٩.

﴿وَقَالُوا رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ (16) اصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُودَ ذَا الْأَيْدِ ۖ إِنَّهُ أَوَّابٌ (17)﴾

رجوعه إلى الصحة .

﴿وقالوا ربَّنا عجل لنا قِطَّنا قبل يوم الحساب﴾، قال سعيد بن جبير [عن ابن عباس](1): يعني كتابنا، و«القِطّ» الصحيفة التي أحصت كل شيء .

قال الكلبي: لما نزلت في الحاقة: «فأما من أوتي كتابه بيمينه» (الحاقة ـ ١٩)، «وأما من أوتي كتابه بشماله» (الحاقة ـ ٢٥)، قالوا استهزاءً: عجِّلْ لنا كتابنا في الدنيا قبل يوم الحساب. [وقال سعيد بن جبير](2): يعنون حظنا ونصيبنا من الجنة التي تقول .

وقال الحسن، وقتادة، ومجاهد، والسدي: يعني عقوبتنا ونصيبنا من العذاب .

[قال عطاء: قاله](2) النضر بن الحارث، وهو قوله: «اللهم إن كان هذا هو الحقَّ من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء»(3) (الأنفال: ٣٢) .

وعن مجاهد قال: «قطنا» حسابنا، يقال لكتاب الحساب قِطّ .

وقال أبو عبيدة والكسائي: «القِطّ»: الكتاب بالجوائز(4) .

قال الله تعالى: ﴿اصبِرْ على ما يقولون﴾، [أي على ما يقوله](5) الكفار من تكذيبك، ﴿واذكُر عبدَنا داودَ ذَا الأيدِ﴾، قال ابن عباس: أي القوة في العبادة .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن عمرو بن أوس، عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ أحبَّ الصيامِ إلى الله صيامُ داود، وأحبَّ الصلاة

---

(1) ساقط من «ب» .
(2) ما بين القوسين ساقط من «أ» .
(3) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٤٨/٧ لعبد بن حميد .
(4) ذكر الطبري أكثر هذه الأقوال: ١٣٤/٢٣ ـ ١٣٥ ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب أن يقال: إن القوم سألوا ربهم تعجيل صِكاكهم بحظوظهم من الخير أو الشر - الذي وعد الله عباده أن يؤتيهموها في الآخرة - قبل يوم القيامة في الدنيا استهزاءً بوعيد الله» .
(5) ساقط من «أ» .

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَهُ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُ وَآتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

إلى الله صلاةُ داود، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه»[١].

وقيل: ذو القوة في الملك .

﴿إنه أوَّاب﴾، رجَّاع إلى الله عزّ وجلّ بالتوبة عن كل ما يكره، قال ابن عباس: مطيع. قال سعيد بن جبير: مسبِّح بلغة الحبش.

﴿إنّا سَخَّرنا الجبالَ معه﴾، كما قال: «وسخرنا مع داود الجبال» (الأنبياء ـ ٧٩). ﴿يُسبِّحن﴾، بتسبيحه، ﴿بالعَشِيِّ والإشراق﴾، قال الكلبي: غدوة وعشية. والإشراق: هو أن تشرق الشمس ويتناهى ضوؤها. وفسره ابن عباس: بصلاة الضحى .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا أبو أمية محمد بن إبراهيم، حدثنا الحجاج بن نصير، أخبرنا أبو بكر الهذلي، عن عطاء بن
١٠٠/ب أبي رباح، عن ابن عباس في قوله: «بالعشي والإشراق»، قال: كنت أمرّ بهذه الآية لا أدري ما هي / حتى حدثتني أم هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها فدعا بوَضُوءٍ فتوضأ، ثم صلى الضحى، فقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق»[٢] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿والطَّيرَ﴾، أي: وسخرنا له الطير، ﴿محشورةً﴾، مجموعة إليه تسبح معه، ﴿كُلٌ لهُ أوَّاب﴾، مطيع رجّاع إلى طاعته بالتسبيح، وقيل: أواب معه أي مسبح .

﴿وَشَدَدْنا مُلكه﴾، أي: قويناه بالحرس والجنود، قال ابن عباس: كان أشد ملوك الأرض سلطاناً، كان يحرس محرابه كل ليلة ستة وثلاثون ألف رجل .

---

(١) أخرجه البخاري في التهجد، باب: من نام عند السحر: ١٦/٣، ومسلم في الصيام، باب النهي عن صوم الدهر برقم: (١١٥٩) ٨١٦/٢، والمصنف في شرح السنة: ٦٠/٤ .

(٢) رواه ابن مردويه، والثعلبي، والواحدي، والطبراني، كلهم من رواية أبي بكر الهذلي عن عطاء عن ابن عباس، حدثتني أم هانىء. ورواه الحاكم من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث موقوفاً على ابن عباس: ٣٥/٤ وفيه: ثم قال ابن عباس: هذه صلاة الإشراق.

قال ابن حجر: «هذا موقوف وهو أصح» .

قال الهيثمي: فيه حجاج بن نصير، ضعفه ابن المديني وجماعة، ووثقه ابن معين وابن حبان .

انظر: الكافي الشاف ص (١٤٢)، مجمع الزوائد: ٢٣٨/٢ .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبد الله بن حامد، أخبرنا محمد ابن خالد بن الحسن، حدثنا داود بن سليمان، حدثنا محمد بن حميد، حدثنا محمد بن الفضل، حدثنا داود بن أبي الفرات، عن علي بن أحمد، عن عكرمة، عن ابن عباس(1): أن رجلاً من بني إسرائيل استعدى(2) على رجل من عظمائهم عند داود عليه السلام أن هذا غصبني بقراً، فسأله داود فجحد، فقال للآخر: البينة؟ فلم يكن له بينة، فقال لهما داود: قُومَا حتى أنظر في أمركما، فأوحى الله إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدى(3) عليه، فقال: هذه رؤيا ولست أعجل حتى أتثبت، فأوحى الله إليه مرة أخرى فلم يفعل، فأوحى الله إليه الثالثة أن يقتله أو تأتيه العقوبة، فأرسل داود إليه فقال: إن الله أوحى إلَيَّ أن أقتلك، فقال: تقتلني بغير بيِّنة؟ فقال داود: نعم والله لأنفذنّ أمر الله فيك، فلما عرف الرجل أنه قاتله، قال: لا تعجل حتى أخبرك، إني والله ما أُخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت والد هذا فقتلته، فلذلك أُخذتُ، فأمر به داود فقتل، فاشتدتْ هيبة بني إسرائيل عند ذلك لداود، واشتد به ملكه فذلك قوله عزّ وجلّ: «وشددنا ملكه»(4).

﴿وآتيناه الحِكمة﴾، يعني: النبوة والإصابة في الأمور، ﴿وفَصْلَ الخطاب﴾، قال ابن عباس: بيان الكلام.

وقال ابن مسعود، والحسن، والكلبي، ومقاتل: علم الحكم والتبصر في القضاء.

وقال علي بن أبي طالب: هو أن البينة على المدعي واليمين على من أنكر، لأن كلام الخصوم ينقطع وينفصل به.

ويُروى ذلك عن أُبَيّ بن كعب قال: «فصل الخطاب»: الشهود والأيمان(5). وهو قول مجاهد وعطاء بن أبي رباح.

---

(1) قال الحافظ ابن كثير في التفسير: ٣٢/٣ «ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه، ولكن روى ابن أبي حاتم حديثاً لا يصح سنده لأنه من رواية يزيد الرقاشي عن أنس رضي الله عنه، ويزيد وإن كان من الصالحين لكنه ضعيف الحديث عن الأئمة فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة وأن يرد علمها إلى الله عز وجل فإن القرآن حق وما تضمن فهو حق أيضاً».

راجع «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لأبي شهبة ص (٢٦٤ - ٢٧٠).

وهو في الصحيح بغير هذا السياق، انظر: البخاري، كتاب التهجد: ٥١/٣، ومسلم، كتاب صلاة المسافرين: ٤٩٨/١.

(2) في «ب» ادعى.

(3) في «ب» ادعى.

(4) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٣ - ١٣٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٥٣/٧ أيضاً لعبد بن حميد والحاكم.

(5) انظر الطبري: ١٤٠/٢٣ معاني القرآن: ٤٠١/٢.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾﴾

وروي عن الشعبي: أن فصل الخطاب: هو قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه: «أما بعد»[١] إذا أراد الشروع في كلام آخر، وأول [من قاله داود عليه السلام.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوَّروا المحراب**﴾،][٢]، هذه الآية من قصة امتحان داود عليه السلام، واختلف العلماء بأخبار الأنبياء عليهم السلام في سببه:

فقال قوم: سبب ذلك أنه عليه السلام تمنى يوماً من الأيام منزلة إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وسأل ربَّه أن يمتحنه كما امتحنهم، ويعطيه من الفضل مثل ما أعطاهم.

فروى السدي، والكلبي، ومقاتل: عن أشياخهم قد دخل حديث بعضهم في بعض، قالوا: كان داود قد قَسَّمَ الدهر ثلاثة أيام يوماً يقضي فيه بين الناس، ويوماً يخلو فيه لعبادة ربه، ويوماً لنسائه وأشغاله، وكان يجد فيما يقرأ من الكتب فضل إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فقال: يا رب أرى الخير كله وقد ذهب به آبائي الذين كانوا قبلي، فأوحى الله إليه: أنهم ابتُلوا ببلايا لم تبتل بها فصبروا عليها، ابتُلي إبراهيم بنمرود وبذبح ابنه، وابتُلي إسحاق[٣] بالذبح وبذهاب بصره، وابتُلي يعقوب بالحزن على يوسف، فقال: رب لو ابتليتني بمثل ما ابتليتهم صبرت أيضاً. فأوحى الله إليه إنك مبتلى في شهر كذا وفي يوم كذا فاحترس، فلما كان ذلك اليوم الذي وعده الله دخل داود محرابه وأغلق بابه، وجعل يصلي ويقرأ الزبور، فبينا هو كذلك إذ جاءه الشيطان قد تمثل في صورة حمامة من ذهب فيها من كل لون حسن - وقيل: كان جناحاها من الدر والزبرجد - فوقعت بين رجليه فأعجبه حسنها، فمد يده ليأخذها ويريها بني إسرائيل فينظروا إلى قدرة الله تعالى، فلما قصد أخذها طارت غير بعيد من غير أن تؤيسه من نفسها، فامتد إليها ليأخذها، فتنحت، فتبعها فطارت حتى وقعت في كوة، فذهب ليأخذها، فطارت من الكوة، فنظر داود أين تقع فيبعث من يصيدها، فأبصر امرأة في بستان على شط بركة لها تغتسل، هذا قول الكلبي[٤].

وقال السدي: رآها تغتسل على سطح لها فرأى امرأة من أجمل النساء خلقاً، فعجب داود من حسنها وحانت منها التفاتة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فغطى بدنها، فزاده ذلك إعجاباً بها فسأل عنها، فقيل هي تيشايع بنت شايع امرأة أوريا بن حنانا، وزوجها في غزاة بالبلقاء مع أيوب بن صوريا ابن أخت داود.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/١٤٠ وانظر: معاني القرآن: ٢/٤٠١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٣) تقدم أن الذبيح هو إسماعيل عليه السلام.
(٤) هذه الروايات ضعيفة، راجع ما نقله السيوطي عن ابن حجر في الدر المنثور: ٨/٧٠٠ - ٧٠١.

وذكر بعضهم أنه أحب أن يقتل أوريا ويتزوج امرأته، فكان ذنبه هذا القدر .

وذكر بعضهم أنه كتب داود إلى ابن أخته أيوب أن ابعث أوريا إلى موضع كذا، وقدّمه قبل التابوت، وكان من قُدّم على التابوت لا يحل له أن يرجع وراءه حتى يفتح الله على يديه أو يستشهد، فبعثه وقدمه ففُتِحَ له، فكتب إلى داود بذلك فكتب إليه أيضاً أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا، فبعثه ففُتِحَ له، فكتب إلى داود بذلك فكتب له أيضاً أن يبعثه إلى عدو كذا وكذا أشد منه بأساً، فبعثه فقُتل في المرة الثالثة، فلما انقضت عدة المرأة تزوجها داود، فهي أم سليمان عليهما السلام[1] .

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه أنه قال: كان ذلك ذنب داود أنه التمس من الرجل أن ينزل له عن امرأته .

قال أهل التفسير: كان ذلك مباحاً لهم غير أن الله تعالى لم يرض له ذلكَ لأنه كان ذا رغبة في الدنيا، وازدياداً للنساء، وقد أغناه الله عنها بما أعطاه من غيرها .

وروي عن الحسن في سبب امتحان داود عليه السلام: أنه كان قد جزأ الدهر أجزاءً، يوماً لنسائه، ويوماً للعبادة، ويوماً للقضاء بين بني إسرائيل، ويوماً لبني إسرائيل، يُذاكرهم ويذاكرونه ويبكيهم ويبكونه، فلما كان يوم بني إسرائيل ذكروه فقالوا: هل يأتي على الإنسان يوم لا يصيب فيه ذنباً، فأضمر داود في نفسه أنه سيطيق ذلك[2] .

١٠١/أ وقيل: إنهم ذكروا فتنة النساء فأضمر داود في نفسه / أنه إن ابتلي اعتصم، فلما كان يوم عبادته أغلق أبوابه وأمر أن لا يدخل عليه أحد، وأكبّ على التوراة فبينما هو يقرأ إذْ دخلت عليه حمامة من ذهب كما ذكرنا، قال: وكان قد بعث زوجها على بعض جيوشه، فكتب إليه أن يسير إلى مكان كذا وكذا إذا سار إليه قتل، ففعل فأصيب فتزوج امرأته .

قالوا: فلما دخل داود بامرأة أوريا لم يلبث إلا يسيراً حتى بعث الله إليه ملكين في صورة رجلين في يوم عبادته، فطلبا أن يدخلا عليه، فمنعهما الحرس فتسوروا المحراب عليه، فما شعر وهو يصلي إلا وهما بين يديه جالسين، يقال: كانا جبريل وميكائيل، فذلك قوله عزّ وجلّ: .

﴿**وهل أتاك نبأ الخصم**﴾، خبر الخصم، ﴿**إذْ تسوروا المحراب**﴾، صعدوا وعلوا، يقال: تسورت الحائط والسور إذا علوته، وإنما جمع الفعل وهما اثنان لأن الخصم اسم يصلح للواحد والاثنين والجمع

---

(١) انظر الطبري: ١٤٧/٢٣ .

(٢) أخرجه الطبري: ١٤٨/٢٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٥٨/٧ ـ ١٥٩ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر .

﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾

والمذكر والمؤنث، ومعنى الجمع في الاثنين موجود، لأن معنى الجمع ضم شيء إلى شيء، هذا كما قال الله تعالى: «فقد صغت قلوبكما» (التحريم – ٤) .

﴿إِذْ دَخلوا على داودَ فَفَزِعَ مِنْهُم﴾، خاف منهما حين هجما عليه في محرابه بغير إذنه، فقال: ما أدخلكما عليّ، ﴿قالوا لا تَخَفْ خصمَانِ﴾، [أي نحن خصمان][(١)] ﴿بغى بعضُنا على بعض﴾ جئناك لتقضي بيننا، فإن قيل: كيف قالا: «بغى بعضنا على بعض» وهما ملكان لا يبغيان؟ قيل: معناه: أرأيت خصمين بغى أحدهما على الآخر، وهذا من معاريض الكلام لا على تحقيق البغي من أحدهما .

﴿فاحكُم بيننَا بالحقِّ ولا تُشْطِطْ﴾، أي لا تَجُرْ، يقال: شَطَّ الرجل شَطَطاً وَأَشَطَّ إشطاطاً[(٢)] إذا جار في حكمه، ومعناه مجاوزة الحد، وأصل الكلمة من شطَّت الدار وأشطَّت، إذا بَعُدت. ﴿واهدِنا إلى سواءِ الصِّراط﴾، أرشدنا إلى طريق الصواب والعدل، فقال داود لهما: تكلّما .

فقال أحدهما: ﴿إِنَّ هذا أخي﴾، أي: على ديني وطريقتي، ﴿له تِسعٌ وتِسعُونَ نَعْجَةً﴾، [يعني امرأة][(١)]، ﴿ولي نعْجةٌ واحدةٌ﴾، أي امرأة واحدة، والعرب تكني بالنعجة عن المرأة[(٣)]، قال الحسين بن الفضل: هذا تعريض للتنبيه والتفهيم، لأنه لم يكن هناك نعاج ولا بغي فهو كقولهم: ضرب زيد عمراً، أو اشترى بكرٌ داراً، ولا ضرب هنالك ولا شراء .

﴿فَقالَ أَكْفِلْنِيهَا﴾، قال ابن عباس: أعطنيها. قال مجاهد: انزل لي عنها. وحقيقته: ضمها إليّ فاجعلني كافلها، وهو الذي يعولها وينفق عليها، والمعنى : طلقها لأتزوجها، .

﴿وَعَزَّنِي﴾، غلبني، ﴿في الخطاب﴾، أي: في القول. وقيل: قهرني لقوة ملكه. قال الضحاك: يقول إن تكلم كان أفصح مني، وإن حارب كان أبطش مني .

وحقيقة المعنى: أن الغلبة كانت له لضعفي في يده، وإن كان الحق معي. وهذا كله تمثيل لأمر

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٢) في أ: شطاطاً .

(٣) راجع «الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير» لأبي شهبه: ص (٢٦٦ – ٢٧٠) .

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

داود مع أوريا زوج المرأة التي تزوجها داود حيث كان لداود تسع وتسعون امرأة ولأوريا امرأة واحدة فضمها إلى نسائه.

﴿قال﴾، داود، **﴿لقد ظَلَمَكَ بسُؤَالِ نعجَتِكَ إلى نِعَاجِهِ﴾**،أي: بسؤاله نعجتك ليضمها إلى نعاجه.

فإن قيل: كيف قال لقد ظلمك ولم يكن سمع قول صاحبه؟.

قيل: معناه إن كان الأمر كما تقول فقد ظلمك، وقيل: قال ذلك بعد اعتراف صاحبه بما يقول.

﴿وإنَّ كَثيراً من الخُلطَاءِ﴾، الشركاء، **﴿ليبغي بعضُهُم على بَعضٍ﴾**، يظلم بعضهم بعضاً، **﴿إلَّا الذين آمنوا وعَمِلوا الصالِحَاتِ﴾**، فإنهم لا يظلمون أحداً. **﴿وَقَليلٌ مَّا هُمْ﴾**، أي: قليلٌ هم، و«ما» صلة يعني: الصالحين الذين لا يظلمون قليل.

قالوا: فلما قضى بينهما داود نظر أحدهما إلى صاحبه فضحك وصعد إلى السماء، فعلم داود أن الله تعالى قد ابتلاه، وذلك قوله:

﴿وظنّ داودُ﴾، أيقن وعلم، **﴿أنَّما فَتنَّاهُ﴾**، إنما ابتليناه.

وقال السدي بإسناده: أن أحدهما لما قال: «هذا أخي» الآية، قال داود للآخر: ما تقول؟ فقال: إن لي تسعاً وتسعين نعجة ولأخي نعجة واحدة وأنا أريد أن آخذها منه فأُكمل نعاجي مائة، قال وهو كاره: إذاً لا ندعك وإن رُمتَ ذلك ضربت منك هذا وهذا وهذا، يعني: طرف الأنف وأصله والجبهة، فقال: يا داود أنت أحق بذلك حيث لم يكن لأوريا إلَّا امرأة واحدة، ولك تسع وتسعون امرأة، فلم تزل تعرضه للقتل حتى قتل وتزوجت امرأته، فنظر داود فلم يرَ أحداً فعرف ما وقع فيه[1].

وقال القائلون بتنزيه الأنبياء في هذه القصة: إن ذنب داود إنما كان أنه تمنى أن تكون امرأة أوريا حلالاً له، فاتفق غزو أوريا وتقدمه في الحرب وهلاكه، فلما بلغ قتله داود لم يجزع عليه كما جزع على غيره من جنده إذا هلك، ثم تزوج امرأته، فعاتبه الله على ذلك، لأن ذنوب الأنبياء

(١) انظر الطبري: ١٤٧/٢٣.

وإن صغرت فهي عظيمة عند الله .

وقيل: كان ذنب داود أن أوريا كان خطب تلك المرأة ووطن نفسه عليها، فلما غاب في غزاته خطبها داود فتزوجت منه لجلالته، فاغتمَّ لذلك أوريا، فعاتبه الله على ذلك حيث لم يترك هذه الواحدة لخاطبها وعنده تسع وتسعون امرأة .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي قال: ومما يصدق ما ذكرنا عن المتقدمين ما أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد الفقيه أن المعافى بن زكريا القاضي ببغداد أخبره عن محمد بن جرير الطبري، قال: حدثني يونس بن عبد الأعلى الصيرفي، أخبرنا ابن وهب، أخبرني ابن لهيعة، عن أبي صخر، عن يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه سمعه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن داود النبي عليه السلام حين نظر إلى المرأة فهمّ أن يُجمِع على بني إسرائيل وأوصى صاحب البعث، فقال إذا حضر العدو فقرِّبْ فلاناً بين يدي التابوت، وكان التابوت في ذلك الزمان يستنصر به وبمن قدم بين يدي التابوت، فلم يرجع حتى يقتل أو ينهزم عنه الجيش فقتل زوج المرأة، ونزل الملكان يقصان عليه قصته، ففطن داود فسجد ومكث أربعين ليلة ساجداً
٩٩/ب حتى نبت الزرع من دموعه على رأسه وأكلت الأرض من جبينه وهو يقول / في سجوده: ربِّ زلَّ داود زلةً أبعدَ مما بين المشرق والمغرب، ربِّ إن لم ترحم ضعف داود، ولم تغفر ذنبه جعلت ذنبه حديثاً في الخلق من بعده، فجاءه جبريل من بعد أربعين ليلة فقال: يا داود إن الله قد غفر لك الهم الذي هممت به، فقال داود: إن الرب قادر على أن يغفر لي الهمّ الذي هممت به، وقد عرفت أن الله عدل لا يميل، فكيف بفلان إذا جاء يوم القيامة، فقال: يا رب دمي الذي عند داود، فقال جبريل: ما سألتُ ربك عن ذلك وإن شئت لأفعلن، فقال: نعم، فعرج جبريل وسجد داود، فمكث ما شاء الله ثم نزل جبريل، فقال: سألت الله يا داود عن الذي أرسلتني فيه، فقال: قل لداود إن الله يجمعكما يوم القيامة، فيقول له: هَبْ لي دمك الذي عند داود، فيقول: هو لك يا رب، فيقول: إن لك في الجنة ما شئت وما اشتهيت عوضاً عنه[1] .

وروي عن ابن عباس، وعن كعب الأحبار، ووهب بن منبه قالوا جميعاً: إن داود لما دخل عليه الملكان فقضى على نفسه، فتحولا في صورتهما فعرجا وهما يقولان: قضى الرجل على نفسه، وعلم داود إنما عني به فخرَّ ساجداً أربعين يوماً، لا يرفع رأسه إلا لحاجة ولوقت صلاة مكتوبة،

(١) أخرجه الطبري: ٢٣/١٥٠-١٥١، وعزاه السيوطي للحكيم الترمذي وابن أبي حاتم بسند ضعيف، وفيه يزيد الرقاشي وهو ضعيف، وابن لهيعة اختلط. وراجع: تفسير ابن كثير: ٤/٣٢، والإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة: (٢٦٥-٢٦٨) .

ثم يعود ساجداً تمام أربعين يوماً، لا يأكل ولا يشرب، وهو يبكي حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادي ربه عزّ وجلّ، ويسأله التوبة، وكان من دعائه في سجوده: سبحان الملك الأعظم الذي يبتلي الخلق بما يشاء، سبحان خالق النور، سبحان الحائل بين القلوب، سبحان خالق النور، إلهي أنت خليت بيني وبين عدوي إبليس فلم أقم لفتنته إذْ نزلت بي، سبحان خالق النور، إلهي أنت خلقتني وكان من سابق علمك ما أنا إليه صائر، سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود إذا كشف عنه الغطاء، فيقال: هذا داود الخاطىء، سبحان خالق النور، إلهي بأي عين أنظر إليك يوم القيامة، وإنما ينظر الظالمون من طرف خفي، [سبحان خالق النور](١)، إلهي بأي قدم أمشي أمامك وأقوم بين يديك يوم القيامة يوم تزول أقدام الخاطئين، سبحان خالق النور، إلهي من أين يطلب العبد المغفرة إلَّا من عند سيده؟ سبحان خالق النور، إلهي أنا الذي لا أطيق حرَّ شمسك، فكيف أطيق حرَّ نارك؟ سبحان خالق النور، إلهي أنا الذي لا أطيق صوت رعدك؟ فكيف أطيق سوط جهنم؟ سبحان خالق النور، إلهي الويل لداود من الذنب العظيم الذي أصاب، سبحان خالق النور، إلهي قد تعلم سري وعلانيتي فاقبل عذري، سبحان خالق النور، إلهي برحمتك اغفر لي ذنوبي ولا تباعدني من رحمتك لهَوَاي، سبحان خالق النور، إلهي أعوذ بنور وجهك الكريم من ذنوبي التي أَوْبَقَتْني، سبحان خالق النور، فررت إليك بذنوبي واعترفت بخطيئتي فلا تجعلني من القانطين، ولا تخزني يوم الدين، سبحان خالق النور(٢).

وقال مجاهد: مكث أربعين يوماً ساجداً لا يرفع رأسه حتى نبت المرعى من دموع عينه حتى غطى رأسه، فنودي: يا داود أجائعٌ فتطعم؟ أو ظمآن فتسقى؟ أو عارٍ فتُكسى؟ فأجيب في غير ما طلب، قال فَنَحَبَ نحبةً هاج لها العود فاحترق من حرِّ جوفه، ثم أنزل الله له التوبة والمغفرة(٣).

قال وهب: إن داود أتاه نداء: أني قد غفرت لك، قال: يا رب كيف وأنت لا تظلم أحداً؟ قال: اذهب إلى قبر أوريا فنادِه، فأنا أُسْمِعُهُ نداءك فتحلل منه، قال: فانطلق وقد لبس المسوح حتى جلس عند قبره، ثم نادى أوريا فقال: لبيك من هذا الذي قطع عليَّ لذتي وأيقظني؟ قال: أنا داود، قال: ما جاء بك يا نبي الله، قال: أسألك أن تجعلني في حِلٍّ مما كان مني إليك، قال: وما كان منك إليّ؟ قال: عرَّضْتُك للقتل، قال: عرضتني للجنة فأنت في حل، فأوحى الله إليه: يا داود ألم تعلم أني حكم عدل لا أقضي بالعنت، ألا أعلمته أنك قد تزوجت امرأته؟ قال فرجع إليه فناداه

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) ليس في الآيات الكريمة شيء من هذه الروايات، ولا في شيء من كتب الحديث المعتمدة، وهي التي عليها المعول.

(٣) انظر: الطبري: ٢٣/١٥٠.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَآبٍ ﴿٢٥﴾﴾

فأجابه فقال: من هذا الذي قطع عليَّ لذتي؟ قال: أنا داود، قال: يا نبي الله أليس قد عفوتُ عنك؟ قال: نعم ولكن إنما فعلتُ ذلك بك لمكان امرأتك وقد تزوجتها، قال: فسكت ولم يجبه، ودعاه فلم يجبه، وعاوده فلم يجبه، فقام على قبره وجعل التراب على رأسه، ثم نادى: الويل لداود ثم الويل الطويل لداود، سبحان خالق النور، والويل لداود إذا نصبت الموازين بالقسط، سبحان خالق النور، الويل لداود ثم الويل الطويل له حين يؤخذ بذقنه فيدفع إلى المظلوم، سبحان خالق النور، الويل ثم الويل الطويل له حين يسحب على وجهه مع الخاطئين إلى النار، سبحان خالق النور، فأتاه نداء من السماء: يا داود قد غفرت لك ذنبك ورحمتُ بكاءك واستجبت دعاءك وأقلت عثرتك، قال: يارب كيف وصاحبي لم يعفُ عني؟ قال: يا داود أعطيه من الثواب يوم القيامة ما لم تر عيناه ولم تسمع أذناه، فأقول له رضي عبدي؟ فيقول: يارب من أين لي هذا ولم يبلغه عملي؟ فأقول: هذا عوض من عبدي داود فأستوهبك منه فيهبك لي، قال: يارب الآن قد عرفت أنك قد غفرت لي[1]. فذلك قوله تعالى:

﴿فاستغفرَ رَبَّهُ وخرّ راكعاً﴾[1]، أي ساجداً، عبّر بالركوع عن السجود، لأن كل واحد فيه انحناء.

قال الحسين بن الفضل: سألني عبد الله بن طاهر عن قوله: «وخرّ راكعاً» هل يقال للراكع: خرَّ؟ قلت: لا، ومعناه، فخرَّ بعدما كان راكعاً، أي: سجد. ﴿وَأَنابَ﴾، أي: رجع وتاب.

﴿فغفرنا له ذلك﴾، يعني: ذلك الذنب، ﴿وإنَّ له﴾، بعد المغفرة، ﴿عِندَنا﴾، يوم القيامة، ﴿لزُلفى﴾، لقربة ومكانة، ﴿وحُسْنَ مآبٍ﴾، أي: حسن مرجع ومنقلب.

قال وهب بن منبه[2]: إن داود لما تاب الله عليه بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمعه ليلاً ولا نهاراً، وكان أصاب الخطيئة وهو ابن سبعين سنة، فقسم الدهر بعد الخطيئة على أربعة أيام: يوم للقضاء بين بني إسرائيل، ويوم لنسائه، ويوم يسبّح في الفيافي والجبال والسواحل، ويوم يخلو في دار له فيها أربعة آلاف محراب، فيجتمع إليه الرهبان فينوح معهم على نفسه، فيساعدونه على ذلك،
فإذا كان يوم نياحته يخرج في / الفيافي فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وَيُبْكي معه [الشجر والرمال ١٠٢/أ
والطير والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار، ثم يجيء إلى الجبال فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وَيُبْكي معه][3] الجبال والحجارة والدواب والطير، حتى تسيل من بكائهم الأودية، ثم يجيء

(١) انظر: الدر المنثور: ٧/١٦٠ ـ ١٦١.

(٢) وخبر وهب أيضاً من الاسرائيليات في هذه القصة كما سبق.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

إلى الساحل فيرفع صوته بالمزامير فيبكي وَتَبْكي معه الحيتان ودواب البحر وطير الماء والسِّباع، فإذا أمسى رجع، فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه أن اليوم يوم نَوح داود على نفسه فليحضر من يساعده، فيدخل الدار التي فيها المحاريب، فيبسَط له ثلاثة فرش مسوح حشوها ليف، فيجلس عليها ويجيء أربعة آلاف راهب عليهم البرانس وفي أيديهم العصي، فيجلسون في تلك المحاريب ثم يرفع داود صوته بالبكاء والنوح على نفسه، ويرفع الرهبان معه أصواتهم، فلا يزال يبكي حتى تغرق الفُرُشُ من دموعه، ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب، فيجيء ابنه سليمان فيحمله فيأخذ داود من تلك الدموع بكفيه، ثم يمسح بها وجهه، ويقول: يا رب اغفر لي ما ترى، فلو عدل بكاء داود ببكاء أهل الدنيا لعدله.

وقال وهب: ما رفع داود رأسه حتى قال له الملك: أول أمرك ذنب وآخره معصية، ارفع رأسك فرفع رأسه فمكث حياته لا يشرب ماءً إلَّا مزجه بدموعه، ولا يأكل طعاماً إلَّا بله بدموعه.

وذكر الأوزاعي مرفوعاً إلى رسول الله ﷺ: «إنّ مثل عيني داود كقربتين تنطفان ماءً، ولقد خدَّت الدموع في وجهه كخديد الماء في الأرض»[1].

قال وهب: لما تاب الله على داود قال: يا رب غفرتَ لي فكيف لي أن لا أنسى خطيئتي فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة؟ قال: فوسم الله خطيئته في يده اليمنى، فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها، وما قام خطيباً في الناس إلا بسط راحته فاستقبل الناس ليروا وسم خطيئته، وكان يبدأ إذا دعا فاستغفر للخاطئين قبل نفسه.

وقال قتادة عن الحسن: كان داود بعد الخطيئة لا يجالس إلا الخاطئين، يقول: تعالوا إلى داود الخاطىء فلا يشرب شراباً إلا مزجه بدموع عينيه، وكان يجعل خبز الشعير اليابس في قصعة فلا يزال يبكي عليه حتى يبتل بدموع عينيه، وكان يذرُّ عليه الملح والرماد فيأكل ويقول: هذا أكل الخاطئين، قال: وكان داود قبل الخطيئة يقوم نصف الليل ويصوم نصف الدهر، فلما كان من خطيئته ما كان، صام الدهر كله وقام الليل كله.

وقال ثابت: كان داود إذا ذكر عقاب الله تخلعت أوصاله، فلا يشدها إلا الأسر، وإذا ذكر رحمة الله تراجعت.

وفي القصة: أن الوحوش والطير كانت تستمع إلى قراءته، فلما فعل ما فعل كانت لا تصغي

---

(١) ضعيف أخرجه الإمام أحمد في الزهد، والحكيم الترمذي في نوادر الأصول.
انظر: الدر المنثور: ١٦٣/٧.

إلى قراءته، فروي أنها قالت: يا داود ذهبت خطيئتك بحلاوة صوتك[١].

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب وأبو النعمان قالا: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «سجدة صٓ ليست من عزائم السجود، وقد رأيت النبي ﷺ يسجد فيها»[٢].

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي، عن العوام قال: سألتُ مجاهداً عن سجدة صٓ فقال: سألت ابن عباس من أين سجدت؟ قال: أوَما تقرأ: ﴿ومن ذريته داود وسليمان﴾، إلى ﴿أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده﴾ (الأنعام ـ ٨٤ : ٩٠) وكان داود ممن أُمِرَ نبيكم أن يَقْتَدِيَ به، فسجدها داود، فسجدها رسول الله ﷺ[٣].

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا قتيبة محمد بن زيد بن خنيس، حدثنا الحسن بن محمد ابن عبيد الله بن أبي يزيد قال: قال لي ابن جريج: أخبرني عبيد الله بن أبي يزيد، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «جاء رجُل إلى النبي ﷺ قال: يا رسول الله إنّي رأيتني الليلة وأنا نائم كأني أصلي خلف شجرة، فسجدتُ فسجدتِ الشجرة لسجودي، فسمعتها وهي تقول: اللهم اكتب لي بها عندك أجراً، وضع عني بها وزراً، واجعلها لي عندك ذخراً، وتقبلها مني كما تقبلتها من عبدك داود. قال الحسن: قال ابن جريج: قال لي جدك: قال ابن عباس: فقرأ النبي ﷺ سجدة ثم سجد، فسمعته وهو يقول [مثل ذلك][٤]، ما أخبره الرجل عن قول الشجرة»[٥].

---

(١) قال القاضي عياض في كتابه «الشفا بالتعريف بحقوق المصطفى» ٢/٨٢٧-٨٢٨ «لا تلتفت إلى ما سطره الأخباريون من أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله المفسرون، ولم ينص الله تعالى على شيء من ذلك في كتابه، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نص الله عليه في قصة داود: قوله (وظن داود أنما فتناه) وليس في قصة داود وأوريا خبر ثابت ... وقال الداوودي: ليس في قصة داود وأوريا خبر يثبت، ولا يظن بنبي محبة قتل مسلم».

(٢) أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب: سجدة (ص) ٢/٥٥٣.

(٣) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة (ص) ٨/٥٤٤.

(٤) ساقط من «ب».

(٥) أخرجه الترمذي في الجمعة، أبواب السفر، باب: ما جاء في ما يقول في سجود القرآن: ٣/١٨١، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب من حديث ابن عباس لا نعرفه إلا من هذا الوجه»، وابن ماجة في إقامة الصلاة والسنة، باب: سجود القرآن برقم (١٠٥٣) ١/٣٣٤، والحاكم: ١/٢١٩ ـ ٢٢٠ وصححه ووافقه الذهبي. قال الحافظ ابن حجر في التلخيص: ٢/٨ رواه الشافعي في الأم عن ابن عيينه عن أيوب عن عكرمة عن ابن عباس مرفوعاً.
ورواه في القديم عن سفيان عن عمر بن ذر عن أبيه قال: سجدها داود، قال البيهقي: وروي من وجه آخر عن عمر بن ذر =

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا بَٰطِلٗاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ٢٧ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلۡمُفۡسِدِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ نَجۡعَلُ ٱلۡمُتَّقِينَ كَٱلۡفُجَّارِ ٢٨﴾

قوله تعالى: **﴿يا دَاوُدُ إنا جَعلناكَ خليفةً في الأرض﴾** تدبر أمور العباد بأمرنا، **﴿فَاحكُمْ بين النَّاسِ بالحقِ﴾**، بالعدل، **﴿ولا تَتَّبع الهوى فَيُضِلَّكَ عن سبيلِ اللهِ * إنَّ الذين يضِلُّونَ عن سبيل اللهِ لهم عذابٌ شديدٌ بما نَسُوا يومَ الحسابِ﴾**، أي بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم .

وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل .

﴿وما خلقنا السماءَ وما بَينهُمَا باطلاً﴾، قال ابن عباس: لا لثواب ولا لعقاب. **﴿ذلك ظَنُّ الذين كفروا﴾**، يعني: أهل مكة هم الذين ظنوا أنهما خلقا لغير شيء، وأنه لا بعث ولا حساب. **﴿فَويلٌ للذين كفروا من النَّارِ﴾** .

﴿أمْ نجعلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ كالمفسدينَ في الأرضِ﴾، قال مقاتل: قال كفار قريش للمؤمنين إنا نُعطَى في الآخرةِ من الخير ما يُعْطَونَ، فنزلت هذه الآية[1]: **﴿أم نجعلُ المُتَّقين كالفُجَّارِ﴾**، [أي المؤمنين كالكفار][2]. وقيل: أراد بالمتقين أصحاب محمد ﷺ، أي: لا نجعل ذلك .

= عن أبيه عن سعيد بن جبير عن ابن عباس موصولاً وليس بالقوي .
قلت: ـ ابن حجر ـ رواه النسائي من حديث حجاج بن محمد عن عمر بن ذر موصولاً، ورواه الدارقطني من حديث عبد الله بن بزيع عن عمر بن ذر بنحو، وأعله ابن الجوزي به، وقد توبع، وصححه ابن السكن، وفي البخاري عن عكرمة عن ابن عباس (ص) ليست من عزائم السجود وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها». وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة برقم (٢٧١٠) .

(١) انظر: البحر المحيط: ٧/٣٩٥ .
(٢) زيادة من «ب» .

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ (٢٩) وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ (٣١)﴾

﴿كتابٌ أنزلناه إليك﴾، أي: هذا الكتاب أنزلناه إليك، ﴿مباركٌ﴾، كثير خيره ونفعه، ﴿ليدَّبَّروا﴾، أي: ليتدبروا، ﴿آياته﴾، وليتفكروا فيها، قرأ أبو جعفر «لتدبروا» بتاء واحدة وتخفيف الدال، قال الحسن: تدبر آياته: اتباعه، ﴿وليتَذَكَّرَ﴾، ليتعظ، ﴿أولوا الألبابِ﴾.

١٠٢/ب قوله عزّ وجلّ / : ﴿وَوَهبنا لداودَ سُليمانَ نِعْمَ العبدُ إنه أوَّابٌ * إذْ عُرِضَ عليه بِالعَشيِ الصافناتُ الجِيَادُ﴾.

قال الكلبي: غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين، فأصاب منهم ألف فرس.

وقال مقاتل: وورث من أبيه داود ألف فرس[1].

وقال عوف عن الحسن: بلغني أنها كانت خيلاً أخرجت من البحر لها أجنحة[2].

[قالوا:][3] فصلى سليمان الصلاة الأولى، وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه، فعرضت عليه تسعمائة، فتنبه لصلاة العصر فإذا الشمس قد غربت، وفاتته الصلاة، ولم يعلم بذلك فاغتم لذلك هيبةً لله، فقال: ردّوها عليّ، فردوها عليه، فأقبل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف تقرباً إلى الله عزّ وجلّ، وطلباً لمرضاته، حيث اشتغل بها عن طاعته، وكان ذلك مباحاً له وإن كان حراماً علينا، كما أبيح لنا ذبح بهيمة الأنعام، وبقي منها مائة فرس، فما بقي في أيدي الناس اليوم من الخيل يقال من نسل تلك المائة.

قال الحسن: فلما عقر الخيل أبدله الله عز وجل خيراً منها، وأسرع وهي الريح تجري بأمره كيف يشاء.

[وقال إبراهيم التيمي: كانت عشرين فرساً. وعن عكرمة: كانت عشرين ألف فرس، لها أجنحة][4].

قال الله تعالى: ﴿إذ عُرِضَ عليه بالعَشِيِ الصافناتُ الجيادُ﴾، و«الصافنات»: هي الخيل القائمة

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٣٩٦/٧.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٧٧/٧ لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾

على ثلاث قوائم وأقامت واحدة على طرف الحافر من يدٍ أو رجلٍ، يقال: صفن الفرس يصفن صفونا: إذا قام على ثلاثة قوائم، وقلب أحد حوافره. وقيل: الصافن في اللغة القائم. وجاء في الحديث: «من سرّه أن يقوم له الرجال صفوناً فليتبوأ مقعده من النار»(1). أي قياماً. والجياد: الخيار السراع، واحدها جواد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد الخيل السوابق.

﴿**فقالَ إني أَحْبَبْتُ حُبَّ الخيرِ**﴾، أي: آثرت حب الخير، وأراد بالخير الخيلَ، والعرب تعاقب بين الراء واللام، فتقول: ختلتُ الرجل وخترته، أي: خدعته، وسميت الخيل خيراً لأنه معقود بنواصيها الخير(2)، الأجر والمغنم، قال مقاتل: حب الخير يعني: المال، فهي الخيل التي عرضت عليه. ﴿**عن ذكر رَبّي**﴾، يعني: عن الصلاة وهي صلاة العصر. ﴿**حتى توارتْ بالحِجَابِ**﴾، أي: توارت الشمس بالحجاب: استترت بما يحجبها عن الأبصار، يقال: الحاجب جبل دون قاف، بمسيرة سنة، والشمس تغرب من ورائه.

﴿**رُدُّوها عَلَيَّ**﴾، أي: ردوا الخيل عليَّ فردوها، ﴿**فَطَفِقَ مَسْحاً بالسُّوقِ والأعناقِ**﴾، قال أبو عبيدة: طفق يفعل، مثل: مازال يفعل، والمراد بالمسح: القطع، فجعل يضرب سوقها وأعناقها بالسيف، هذا قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومقاتل، وأكثر المفسرين(3)، وكان ذلك مباحاً له، لأن نبي الله لم يكن يقدم على محرم، ولم يكن يتوب عن ذنب بذنب آخر.

وقال محمد بن إسحاق: لم يعنّفه الله على عقر الخيل إذا كان ذلك أسفاً على ما فاته من فريضة ربّه عزّ وجلّ.

---

(1) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في قيام الرجل للرجل: ٨/٩٢ ـ ٩٣، والترمذي في الأدب، باب: ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل: ٨/٣٠ وقال: «هذا حديث حسن» والإمام أحمد: ٤/١٠٠، والطبراني في الكبير: ١٩/٣٥١ ـ ٣٥٢ وابن أبي شيبة في المصنف: ٨/٥٨٦، وصححه الألباني في تعليقه على المشكاة: ٣/١٣٣٢.

(2) أخرج البخاري: ٦/٥٤، ومسلم: ٣/١٤٩٤ عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «البركة في نواصي الخيل». وأخرج مسلم: ٣/١٩٤٣ عن جرير رضي الله عنه ـ مرفوعاً ـ «الخيل معقود بنواصيها الخير إلى يوم القيامة: الأجر والغنيمة».

(3) انظر: الطبري: ٢٣/١٥٦، وزاد المسير: ٧/١٣١، معاني القرآن للفراء: ٢/٤٠٥، القرطين لابن مطرف: ٢/١٠٢، معاني القرآن للنحاس: ٦/١١٢، تفسير ابن كثير: ٤/٣٥.

﴿وَلَقَدۡ فَتَنَّا سُلَيۡمَٰنَ وَأَلۡقَيۡنَا عَلَىٰ كُرۡسِيِّهِۦ جَسَدٗا ثُمَّ أَنَابَ ٣٤﴾

وقال بعضهم: إنه ذبحها ذبحاً وتصدق بلحومها، وكان الذبح على ذلك الوجه مباحاً في شريعته[1].

وقال قوم: معناه أنه حبسها في سبيل الله، وكوى سوقها وأعناقها بكيِّ الصدقة[2].

وقال الزهري وابن كيسان: إنه كان يمسح سوقها وأعناقها بيده، يكشف الغبار عنها حباً لها وشفقة عليها، وهذا قول ضعيف[3]، والمشهور هو الأول.

وحكي عن علي أنه قال في معنى قوله: «ردوها عليَّ» يقول سليمان بأمر الله عزّ وجلّ للملائكة الموكلين بالشمس: «ردوها عليَّ» يعني: الشمس، فردوها عليه حتى صلى العصر في وقتها، وذلك أنه كان يعرض عليه الخيل لجهاد عدو، حتى توارت بالحجاب.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ولقد فتنَّا سُليمانَ﴾، اختبرناه وابتليناه بسلب ملكه.

وكان سبب ذلك ما ذكر محمد بن إسحاق عن وهب بن منبه قال: سمع سليمان عليه السلام بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون، بها ملك عظيم الشأن، لم يكن للناس إليه سبيلاً لمكانه في البحر، وكان الله قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يمتنع عليه شيء في بر ولا بحر، إنما يركب إليه الريح، فخرج إلى تلك المدينة تحمله الريح على ظهر الماء، حتى نزل بها بجنوده من الجن والإنس، فقتل ملكها واستولى واستفاء وسَبى ما فيها، وأصاب فيما أصاب بنتاً لذلك الملك، يقال لها: جرادة، لم ير مثلها حسناً وجمالاً، فاصطفاها لنفسه، ودعاها إلى الإسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه، وأحبها حباً لم يحبه شيئاً من نسائه، وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها، فشق ذلك على سليمان فقال لها: ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب، والدمع الذي لا يرقأ؟ قالت: إن أبي أذكره وأذكر ملكه وما كان فيه وما أصابه فيحزنني ذلك، قال سليمان: فقد أبدلك الله به مُلكاً هو أعظم من مُلكه، وسلطاناً هو أعظم من سلطانه، وهداك للإسلام وهو خير من

---

(١) انظر: معاني القرآن للنحاس: ٦/١١٣.

(٢) رجحه أبو حيان في البحر المحيط: ٧/٣٩٦ وقال: هذا القول هو الذي يناسب مناصب الأنبياء، لا القول المنسوب للجمهور، فإن في قصته ما لا يليق ذكره بالنسبة للأنبياء.

(٣) رواه الطبري ٢٣/١٥٦ عن ابن عباس ورجحه قائلاً: وهذا القول أشبه بتأويل الآية، لأن نبي الله ﷺ لم يكن ـ إن شاء الله ـ ليعذب حيواناً بالعرقبة ويهلك مالاً من ماله بغير سبب، سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها باشتغاله بالنظر إليها.
وانظر: البحر المحيط: ٧/٣٩٦، معاني القرآن للنحاس: ٦/١١٢.

ذلك كله، قالت: إن ذلك كذلك، ولكني إذا ذكرتُهُ أصابني ما ترى من الحزن، فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري التي أنا فيها أراها بكرة وعشياً لرجوت أن يُذهِبَ ذلك حزني، وأن يسلي عني بعض ما أجد في نفسي، فأمر سليمان الشياطين، فقال: مثلوا لها صورة أبيها في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً، فمثلوه لها حتى نظرت إلى أبيها بعينه إلا أنه لا روح فيه، فعمدت إليه حين صنعوه فأزّرتهُ وقمّصتهُ وعمّمته وردته بمثل ثيابه التي كان يلبس، ثم كانت إذا خرج سليمان [من دارها][1] تغدو عليه في ولائدها حتى تسجد له، ويسجدن له كما كانت تصنع به في ملكه، وتروح كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً، وبلغ ذلك آصف ابن برخيا، وكان صديقاً، وكان لا يُرد عن أبواب سليمان، أي ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل، حاضراً كان سليمان أو غائباً، فأتاه فقال: يا نبي الله كبر سني، ورق عظمي، ونفد عمري، وقد حان مني الذهاب، فقد أحببت أن أقوم مقاماً قبل الموت أذكر فيه من مضى من أنبياء الله وأثني عليهم بعلمي فيهم، وأُعَلِّمُ الناسَ بعض ما كانوا يجهلون من كثير من أمورهم، فقال: افعل، فجمع له سليمان الناس، فقام فيهم خطيباً فذكر من مضى من أنبياء الله تعالى، فأثنى على كل نبي بما فيه، ،فذكر ما فضله الله حتى انتهى إلى سليمان، فقال: ما أحلمك في صغرك، / وأورعك في ١٠٣/أ صغرك، وأفضلك في صغرك، وأحكم أمرك في صغرك، وأبعدك من كل ما تكره في صغرك، ثم انصرف، فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حتى ملأه غضباً، فلما دخل سليمان داره أرسل إليه، فقال: يا آصف ذكرتَ من مضى من أنبياء الله، فأثنيت عليهم خيراً في كل زمانهم، وعلى كل حال من أمرهم، فلمّا ذكرتني جعلت تثني عليَّ بخير في صغري، وسكت عما سوى ذلك من أمري في كبري؟ فما الذي أحدثت في آخر أمري؟ فقال: إن غير الله ليعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة، فقال: في داري؟ فقال: في دارِكَ، قال: إنا لله وإنا إليه راجعون، لقد عرفت أنك ما قلت الذي قلت إلا عن شيء بلغك، ثم رجع سليمان إلى داره وكسر ذلك الصنم، وعاقب تلك المرأة وولائدها، ثم أمر بثياب الطهرة فأتى بها وهي ثياب لا يغزلها إلا الأبكار، ولا ينسجها إلا الأبكار، ولا يغسلها إلا الأبكار، لم تمسسها امرأة قد رأت الدم، فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده، فأمر برماد ففرش له، ثم أقبل تائباً إلى الله عزّ وجلّ، حتى جلس على ذلك الرماد وتمعك فيه بثيابه تذللاً لله تعالى، وتضرعاً إليه يبكي ويدعو، ويستغفر مما كان في داره، فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى، ثم رجع إلى داره، وكانت له أم ولد يقال لها الأمينة، كان إذا دخل مذهبه أو أراد إصابة امرأة من نسائه وضع خاتمة عندها حتى يتطهر، وكان لا يمس خاتمه

(١) زيادة من «ب».

إلا وهو طاهر، وكان ملكه في خاتمه فوضعه يوماً عندها، ثم دخل مذهبه فأتاها الشيطان صاحب البحر، واسمه صخر، على صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً، فقال: خاتمي أمينة! فناولته إيّاه، فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان، وعكفت عليه الطير والجن والإنس، وخرج سليمان فأتى الأمينة وقد غيرت حاله، وهيئته عند كل من رآه، فقال: يا أمينة خاتمي، قالت: من أنت؟ قال: أنا سليمان بن داود، قالت: كذبت فقد جاء سليمان فأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه، فعرف سليمان أن خطيئته قد أدركته، فخرج فجعل يقف على الدار من دور بني إسرائيل فيقول: أنا سليمان بن داود، فيحثون عليه التراب ويسبونه، ويقولون انظروا إلى هذا المجنون أي شيء يقول يزعم أنه سليمان، فلما رأى سليمان ذلك عمد إلى البحر، فكان ينقل الحيتان لأصحاب البحر إلى السوق فيعطونه كل يوم سمكتين، فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأرغفة وشوى الأخرى فأكلها، فمكث بذلك أربعين صباحاً عدة ما كان عُبِدَ الوثن في داره، فأنكر آصف وعظماء بني إسرائيل حكم عدو الله الشيطان في تلك الأربعين، فقال آصف: يا معشر بني إسرائيل هل رأيتم اختلاف حكم ابن داود ما رأيت؟ قالوا: نعم، قال: أمهلوني حتى أدخل على نسائه فأسألهن هل أنكرتن منه في خاصة أمره ما أنكرناه في عامة الناس وعلانيته، فدخل على نسائه، فقال: ويحكن هل أنكرتن من أمر ابن داود ما أنكرنا؟ فقلن: أشدّه ما يدع منا امرأة في دمها ولا يغتسل من الجنابة، فقال: إنا لله وإنا إليه راجعون إن هذا لهو البلاء المبين ثم خرج على بني إسرائيل فقال: ما في الخاصة أعظم مما في العامة، فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان عن مجلسه، ثم مرّ بالبحر فقذف الخاتم فيه، فبلعته سمكة فأخذها بعض الصيادين، وقد عمل له سليمان صدر يومه ذلك، حتى إذا كان العشي أعطاه سمكتيه وأعطاه السمكة التي أخذت الخاتم، وخرج سليمان بسمكتيه، فباع التي ليس في بطنها الخاتم بالأرغفة، ثم عمد إلى السمكة الأخرى فبقرها ليشويها فاستقبله خاتمه في جوفها، فأخذه فجعله في يده، ووقع ساجداً، وعكفت عليه الطير والجن، وأقبل عليه الناس، وعرف الذي كان قد دخل عليه لما كان حدث في داره، فرجع إلى ملكه وأظهر التوبة من ذنبه، وأمر الشياطين فقال: ائتوني بصخر فطلبته الشياطين حتى أخذته، فأتي به وجاؤوا له بصخرة فنقرها فأدخله فيها ثم شدّ عليه بأخرى، ثم أوثقها بالحديد والرصاص، ثم أمر به فقذف في البحر. هذا حديث وهب[1].

(١) قال الحافظ ابن كثير: ٣٧/٤ بعد أن أورد عدة روايات ومنها عن ابن عباس رضي الله عنهما: «ولكن الظاهر أنه إنما تلقاه ابن عباس رضي الله عنهما –إن صح عنه– من أهل الكتاب وفيهم طائفة لا يعتقدون نبوة سليمان عليه الصلاة والسلام، فالظاهر أنهم يكذبون عليه، ولهذا كان في هذا السياق منكرات من أشدها ذكر النساء فإن المشهور عن مجاهد وغير واحد من أئمة السلف أن ذلك الجني لم يسلط على نساء سليمان بل عصمهن الله عز وجل منه تشريفاً وتكريماً لنبيه عليه السلام. وقد رويت هذه القصة مطولة عن جماعة من السلف رضي الله عنهم كسعيد بن المسيب وزيد بن أسلم وجماعة آخرين وكلها متلقاة من قصص أهل الكتاب والله سبحانه وتعالى أعلم بالصواب».
وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير ص (٢٧٠ – ٢٧٤).

وقال الحسن: ما كان الله ليسلط الشيطان على نسائه .

وقال السدي: كان سبب فتنة سليمان أنه كان له مائة امرأة، وكانت امرأة منهن يقال لها جرادة هي آثر نسائه وآمنهن عنده، وكان يأتمنها على خاتمه إذا أتى حاجته، فقالت له يوماً: إن أخي كان بينه وبين فلان خصومة، وأنا أحب أن تقضي له إذا جاءك، فقال: نعم، ولم يفعل فابتلي بقوله، فأعطاه خاتمه ودخل المخرج، فجاء الشيطان في صورته[1] فأخذه وجلس على مجلس سليمان، وخرج سليمان عليه السلام فسألها خاتمه فقالت: ألم تأخذه؟ قال: لا، وخرج مكانه ومكث الشيطان يحكم بين الناس أربعين يوماً، فأنكر الناس حكمه، فاجتمع قراء بني إسرائيل وعلماؤهم حتى دخلوا على نسائه، فقالوا: إنا قد أنكرنا هذا، فإن كان سليمان فقد ذهب عقله، فبكى النساء عند ذلك فأقبلوا حتى أحْدَقُوا به، ونشروا التوراة فقرؤوها فطار من بين أيديهم، حتى وقع على شرفة، والخاتم معه، ثم طار حتى ذهب إلى البحر، فوقع الخاتم منه في البحر، فابتلعه حوت، وأقبل سليمان حتى انتهى إلى صياد من صيادي البحر وهو جائع قد اشتد جوعه، فاستطعمه من صيده، وقال: إني أنا سليمان، فقام إليه بعضهم فضربه بعصا فشجه، فجعل يغسل دمه على شاطىء البحر، فلام الصيادون صاحبهم الذي ضربه، وأعطوه سمكتين مما قد مذر[2] عندهم، فشق بطونهما وجعل يغسلهما، فوجد خاتمه في بطن إحداهما، فلبسه فرد الله عليه ملكه وبهاءه .

وحامت عليه الطير فعرف القوم أنه سليمان، فقاموا يعتذرون مما صنعوا، فقال: ما أحمدكم على عذركم ولا ألومكم على ما كان منكم، هذا أمر كائن لابد منه، ثم جاء حتى أتى مملكته وأمر حتى أُتي بالشيطان الذي أخذ خاتمه وجعله في صندوق من حديد، وأطبق عليه [وأقفل عليه][3] بقفل، وختم عليه بخاتمه، وأمر به فألقي في البحر وهو حي كذلك حتى الساعة[4] .

١٠٣/ب وفي بعض / الروايات: أن سليمان لما افتتن سقط الخاتم من يده، وكان فيه ملكه فأعاده سليمان إلى يده فسقط فأيقن سليمان بالفتنة، فأتى آصف فقال لسليمان: إنك مفتون بذنبك، والخاتم لا يتماسك في يدك [أربعة عشر يوماً][3]، ففرّ إلى الله تائباً، فإني أقوم مقامك، وأسير بسيرتك إلى أن يتوب الله عليك، ففرّ سليمان هارباً إلى ربه، وأخذ آصف الخاتم، فوضعه في أصبعه فثبت فهو

(١) وقال القاضي عياض في «الشفاء»: (٨٣٦/٢): «ولا يصح ما نقله الأخباريون من تشبّه الشيطان به، وتسلطه على ملكه، وتصرفه في أمته بالجور في حكمه، لأن الشياطين لا يسلّطون على مثل هذا ؛ وقد عصم الأنبياء من مثله» .

(٢) في القاموس: مَذِرَتِ البيضةُ فهي مَذِرَة: فسدت، والمَذِرَة: القذرة. وفي «أ» جاءت الكلمة هكذا (مذلّى) .

(٣)

(٤) راجع التعليق السابق .

﴿قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ٣٥﴾

الجسد الذي قال الله تعالى: «وألقينا على كرسيه جسداً» فأقام آصف في ملكه يسير بسيرته أربعة عشر يوماً إلى أن ردّ الله على سليمان ملكه، فجلس على كرسيه وأعاد الخاتم في يده فثبت[١] .

ورُوي عن سعيد بن المسيب قال: احتجب سليمان عن الناس ثلاثة أيام، فأوحى الله إليه احتجبت عن الناس ثلاثة أيام؟ فلم تنظر في أمور عبادي؟ فابتلاه الله عزّ وجلّ. فذكر حديث الخاتم وأخذ الشيطان إياه كما روينا .

وقيل: قال سليمان يوماً لأطوفنّ الليلة على نسائي كلهن، فتأتي كل واحدة بابن يجاهد في سبيل الله، ولم يستثن، فجامعهن فما خرج له منهن إلا شق مولود، فجاءت به القابلة فألقته على كرسيه، فذلك قوله تعالى: «وألقينا على كرسيه جسداً» .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب، حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ «قال سُليمان: لأطوفنّ الليلة على تسعين امرأة كلهن تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله، فقال له صاحبه: قل إن شاء الله، فلم يقل إن شاء الله، فطاف عليهن جميعاً، فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة، جاءت بشق رجل، وايم الله الذي نفس محمد بيده لو قال إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرسَاناً أجمعون»[٢] .

وقال طاووس عن أبي هريرة: لأطوفنّ الليلة بمائة امرأة، قال له الملك: قل إن شاء الله، فلم يقل ونسي.

وأشهر الأقاويل أن الجسد الذي ألقي على كرسيه هو صخر الجني[٣]، فذلك قوله عزّ وجلّ: «وألقينا على كرسيه جسداً ثم أناب»، أي رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً فلما رجع

﴿قال ربِّ اغْفِرْ لي وَهَبْ لي مُلكاً لا ينبغي لأَحَدٍ من بَعْدي﴾، قال مقاتل وابن كيسان: لا يكون لأحد من بعدي. قال عطاء بن أبي رباح: يريد هبْ لي ملكاً لا تسلبنيه في آخر عمري، وتعطيه غيري كما استلبته في ما مضى من عمري .

﴿إنكَ أنتَ الوهابُ﴾، قيل: سأل ذلك ليكون آية لنبوته، ودلالة على رسالته، ومعجزةً .

---

(١) قال ابن الجوزي في زاد المسير: ١٣٣/٧: وهذا لا يصح، ولا ذكره من يوثق به .

(٢) أخرجه البخاري في الأيمان، باب: كيف كانت يمين النبي ﷺ ٥٢٤/١١، ومسلم في الأيمان، باب الاستثناء برقم (١٦٥٤) ١٢٧٦/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤٧/١ .

(٣) راجع تعليق (١) المتقدم وما قاله ابن الجوزي فيه .

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧
وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨ هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٩﴾

وقيل: سأل ذلك ليكون عَلَماً على قبول توبته حيث أجاب الله دعاءه ورد إليه ملكه، وزاد فيه.

وقال مقاتل بن حيان: كان لسليمان ملكاً ولكنه أراد بقول: «لا ينبغي لأحد من بعدي» تسخير الرياح والطير والشياطين، بدليل ما بعده.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر حدثنا شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «إن عفريتاً من الجن تفلت البارحة ليقطع عليَّ صلاتي، فأمكنني الله منه، فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد، حتى تنظروا إليه كلكم، فذكرت دعوة أخي سليمان «ربّ هبْ لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي»، فرددته خاسئاً»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿فَسَخَّرنا له الرِّيح تجري بأمره رُخاءً﴾، لينة ليست بعاصفة، ﴿حيثُ أصابَ﴾، [حيث أراد][2]، تقول العرب: أصاب الصواب [فأخطأ الجواب، تريد أراد الصواب][3].

﴿والشياطينَ﴾، أي: وسخرنا له الشياطين، ﴿كُلَّ بَنَّاءٍ﴾، يبنون له ما يشاء من محاريب وتماثيل، ﴿وغَوَّاصٍ﴾، يستخرجون له اللآليء من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

﴿وآخرينَ مُقَرَّنينَ في الأَصْفَادِ﴾، مشدودين في القيود، أي: وسخرنا له آخرين، يعني: مردة الشياطين، سخروا له حتى قرنهم في الأصفاد.

﴿هذا عَطَاؤنا﴾، [أي قلنا له هذا عطاؤنا][2]، ﴿فامْنُنْ أو أَمسِكْ بغير حسابٍ﴾، المنُّ: هو الإحسان إلى من لا يستثنيه، معناه: أعطِ من شئت وأمسك عمن شئت، ﴿بغير حسابٍ﴾، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا عليه تبعة، إلا سليمان فإنه إن أعطى أُجر، وإن

---

(١) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قوله تعالى: «ووهبنا لداود سليمان نعم العبد إنه أواب» ٦/٤٥٧ ـ ٤٥٨، ومسلم في المساجد، باب: جواز لعن الشيطان في أثناء الصلاة والتعوذ منه، وجواز العمل القليل برقم: (٥٤١) ١/٣٨٤ والمصنف في شرح السنة: ٣/٢٦٩.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) زيادة من «ب».

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَـٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾

لم يعط لم يكن عليه تبعة .

وقال مقاتل: هذا في أمر الشياطين، يعني: خلِّ من شئت منهم، وأمسك من شئت في وثاقك، لا تبعة عليك فيما تتعاطاه .

﴿**وإنّ له عندنا لَزُلفى وحسن مآب**﴾ .

قوله عزّ وجلّ: ﴿**واذكر عبدنا أيُّوب إذْ نادى ربَّهُ أنّي مسَّنِيَ الشيطانُ بِنُصْبٍ وعذابٍ**﴾، بمشقة وضر.

قرأ أبو جعفر: «بنُصُب» بضم النون والصاد، وقرأ يعقوب بفتحهما، وقرأ الآخرون بضم النون وسكون الصاد، ومعنى الكل واحد .

قال قتادة ومقاتل: بنصب في الجسد، وعذاب في المال. وقد ذكرنا قصة أيوب ومدة بلائه في سورة الأنبياء عليهم السلام[1].

فلما انقضت مدة بلائه قيل له: ﴿**اركُضْ بِرِجْلِكَ**﴾، اضرب برجلك الأرض ففعل فنبعت عين مـاء، ﴿**هذا مُغتسَلٌ**﴾، فأمره الله أن يغتسل منها، ففعل فذهب كل داء كان بظاهره، ثم مشى أربعين خطوة، فركض الأرض برجله الأخرى، فنبعت عين أخرى، ماء عذب بارد، فشرب منه، فذهب كل داء كان بباطنه، فقوله: «هذا مُغْتَسَلٌ بارد»، يعني: الذي اغتسل منه، ﴿**وشرابٌ**﴾ أراد الذي شرب منه.

﴿**وَوَهبنا له أهلَهُ ومثْلَهُم معَهُم رحمةً منّا وذكرى لأولي الألباب * وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثاً**﴾، وهو ملء الكف من الشجر أو الحشيش، ﴿**فاضْرِبْ به ولا تَحْنَثْ**﴾، في يمينك، وكان قد حلف أن يضرب امرأته مائة سوط، فأمره الله أن يأخذ ضغثاً يشتمل على مائة عود صغار، ويضربها به ضربة

(١) راجع فيما سبق تفسير الآيتين (٨٣–٨٤) من سورة الأنبياء .

﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾﴾

واحدة، ﴿إنا وجدناه صابراً نعمَ العبدُ إنه أوّابٌ﴾ .

﴿واذكر عبادنا﴾، قرأ ابن كثير «عبدنا» على التوحيد، وقرأ الآخرون «عبادنا» بالجمع، ﴿إبراهيمَ وإسحاقَ ويعقوبَ أُولي الأيدي﴾، قال ابن عباس: أولي القوة في طاعة الله تعالى(١)، ﴿والأبصار﴾ في المعرفة بالله، أي: البصائر في الدين، قال قتادة ومجاهد: أُعطوا قوة في العبادة، وبصراً في الدين(٢) .

١٠٤/أ ﴿إنّا أخلصناهم﴾، اصطفيناهم، ﴿بخالِصَةٍ ذكرى الدّار﴾، قرأ / أهل المدينة: «بخالصةِ» مضافاً، وقرأ الآخرون بالتنوين، فمن أضاف فمعناه: أخلصناهم بذكر الدار الآخرة، وأن يعملوا لها، والذكرى: بمعنى الذكر. قال مالك بن دينار: نزعنا من قلوبهم حبّ الدنيا وذكرها، وأخْلَصْناهم بحب الآخرة وذكرها .

وقال قتادة: كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عزَّ وجلَّ .

وقال السدي: أخلصوا بخوف الآخرة .

وقيل: معناه أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة(٣) .

قال ابن زيد: ومن قرأ بالتنوين فمعناه: بخلة خالصة، وهي ذكرى الدار، فيكون «ذكرى» بدلاً عن الخالصة .

وقيل: «أخلصناهم»: جعلناهم مخلصين، بما أخبرنا عنهم من ذكر الآخرة .

﴿وإنّهم عندنا لَمِنَ المُصْطَفَينَ الأخيارِ * واذكُرْ إسماعيلَ واليَسَعَ وذَا الكِفْلِ وكُلٌّ مِنَ

(١) انظر: الطبري: ١٧٠/٢٣ .
(٢) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٣، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ١٩٨/٧ أيضاً لعبد الرزاق وعبد بن حميد .
(٣) ذكر هذه الأقوال ابن كثير في تفسيره: ٤١/٤ .

جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ
وَشَرَابٖ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ
ٱلۡحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾ هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ
﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾

الأخيار * **هذا ذكرٌ﴾**، أي: هذا الذي يتلى عليكم ذكر، أي: شرف، وذكر جميل تُذكرون به **﴿وإنَّ للمُتَّقين لحُسنَ مآب﴾** .

﴿جناتِ عدنٍ مُفتَّحةً لهم الأبواب﴾، أي أبوابها [مفتحة لهم](1) .

﴿مُتَّكئينَ فيها يَدْعون فيها بفاكهةٍ كثيرةٍ وشرابٍ * وعِنْدَهم قاصراتُ الطَّرف أترابٌ﴾، مستويات الأسنان، بنات ثلاث وثلاثين سنة، واحدها تِرْب. وعن مجاهد قال: متواخيات لا يتباغضن ولا يتغايرن(2) .

﴿هذا ما تُوعدونَ﴾، قرأ ابن كثير: «يوعدون» بالياء هاهنا، وفي «قٓ» أي: ما يوعد المتقون، وافق أبو عمرو هاهنا، وقرأ الباقون بالتاء فيهما، أي: قل للمؤمنين: هذا ما توعدون، **﴿ليوم الحساب﴾**، [أي في يوم الحساب](3) .

﴿إنَّ هذا لرِزقُنا ما له من نَّفادٍ﴾، فناء وانقطاع .

﴿هذا﴾ أي الأمر هذا **﴿وإنَّ للطَّاغينَ﴾**، للكافرين، **﴿لشرَّ مآبٍ﴾**، مرجع .

﴿جهنَّمَ يصلونها﴾، يدخلونها(3)، **﴿فَبِئْسَ المهادُ﴾** .

﴿هذا﴾، أي هذا العذاب، **﴿فليذُوقُوهُ حميمٌ وغسَّاقٌ﴾**، قال الفراء: أي هذا حميم وغساق فليذوقوه، والحميم: الماء الحار الذي انتهى حره.

---

(1) زيادة من «ب» .
(2) ذكره الطبري: ١٧٥/٢٣ دون إسناد .
(3) زيادة من «ب» .

﴿وَءَاخَرُ مِن شَكْلِهِۦٓ أَزْوَٰجٌ ۝٥٨ هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ ۖ لَا مَرْحَبًۢا بِهِمْ ۚ إِنَّهُمْ صَالُوا۟ ٱلنَّارِ ۝٥٩ قَالُوا۟ بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًۢا بِكُمْ ۖ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ۝٦٠﴾

«وغساق»: قرأ حمزة، والكسائي وحفص: «وغسّاق»[1] حيث كان بالتشديد، وخففها الآخرون، فمن شدد جعله اسماً على فعّال، نحو: الخباز والطباخ، ومن خفف جعله اسماً على فَعَال نحو العذاب.

واختلفوا في معنى الغساق، قال ابن عباس: هو الزمهرير يحرقهم ببرده، كما تحرقهم النار بحرّها.

وقال مقاتل ومجاهد: هو الذي انتهى برده.

وقيل: هو المنتن بلغة الترك.

وقال قتادة: هو ما يغسق أي: ما يسيل من القيح والصديد من جلود أهل النار، ولحومهم، وفروج الزناة، من قوله: غَسِقَتْ عينه إذا انصبَّت، والغسقان الانصباب.

﴿وَآخَرُ﴾، قرأ أهل البصرة: «وأُخر» بضم الألف على جمع أخرى، مثل: الكبرى والكبر، واختاره أبو عبيدة لأنه نعته بالجمع، فقال: أزواج، وقرأ الآخرون بفتح الهمزة مشبعة على الواحد، ﴿مِن شَكْلِهِ﴾، مثله أي: مثل الحميم والغساق، ﴿أزواجٌ﴾، أي: أصناف أخر من العذاب.

﴿هذا فَوجٌ مقتَحِمٌ معَكُم﴾، قال ابن عباس: «هذا» هو أن القادة إذا دخلوا النار ثم دخل بعدهم الأتباع قالت الخزنة للقادة[2]. هذا يعني: الأتباع، فوج: جماعة مقتحم معكم النار، أي: داخلوها كما أنتم دخلتموها، والفوج: القطيع من الناس وجمعه أفواج، والاقتحام الدخول في الشيء رمياً بنفسه فيه، قال الكلبي: إنهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار، خوفاً من تلك المقامع، فقالت القادة: ﴿لا مَرحباً بِهِم﴾، يعني: بالأتباع، ﴿إنّهم صالوا النّارِ﴾، أي: داخلوها كما صلينا.

﴿قالوا﴾، فقال الأتباع للقادة: ﴿بَلْ أنتمُ لا مرحباً بِكُمْ﴾، والمرحب، والرحب: السعة، تقول العرب: مرحباً وأهلاً وسهلاً، أي: أتيت رحباً وسعة، وتقول: لا مرحباً بك، أي: لا رحبت عليك الأرض. ﴿أنتم قدّمتُمُوهُ لَنَا﴾، يقول الأتباع للقادة: أنتم بدأتم بالكفر قبلنا، وشرعتم وسننتموه لنا. وقيل: أنتم قدمتم هذا العذاب لنا، بدعائكم إيّانا إلى الكفر، ﴿فَبِئْسَ ا لقرارُ﴾، أي: فبئس دار القرار جهنم[3].

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب» للكفار.

(٣) زيادة من «ب».

﴿قَالُواْ رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدۡهُ عَذَابٗا ضِعۡفٗا فِي ٱلنَّارِ ٦١ وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالٗا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلۡأَشۡرَارِ ٦٢ أَتَّخَذۡنَٰهُمۡ سِخۡرِيًّا أَمۡ زَاغَتۡ عَنۡهُمُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٦٣ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقّٞ تَخَاصُمُ أَهۡلِ ٱلنَّارِ ٦٤ قُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٞۖ وَمَا مِنۡ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلۡوَٰحِدُ ٱلۡقَهَّارُ ٦٥﴾

﴿قالوا﴾، يعني: الأتباع، **﴿ربَّنا من قدَّم لنا هذا﴾**، أي: شرعه وسنَّه لنا، **﴿فزِدْهُ عذاباً ضِعْفاً في النّارِ﴾**، أي: ضعِّف عليه العذاب في النار. قال ابن مسعود: يعني: حيَّات وأفاعي.

﴿وقالوا﴾، يعني صناديد قريش وهم في النار، **﴿ما لنا لا نرى رجالاً كُنّا نعُدُّهم﴾**، في الدنيا، **﴿من الأشرارِ﴾**، يعنون فقراء المؤمنين: عماراً، وخباباً، وصهيباً، وبلالاً، وسلمان رضي الله عنهم، ثم ذكروا أنهم كانوا يسخرون من هؤلاء، فقالوا :

﴿أتَّخذناهُم سِخْرِيّاً﴾، قرأ أهل البصرة، وحمزة، والكسائي: «من الأشرار اتخذناهم» وَصْلٌ، ويكسرون الألف عند الابتداء، وقرأ الآخرون بقطع الألف وفتحها على الاستفهام[1].

قال أهل المعاني: القراءة الأولى أَولى؛ لأنهم علموا أنهم اتخذوهم سِخرياً فلا يستقيم الاستفهام، وتكون «أم» على هذه القراءة بمعنى «بل»، ومن فتح الألف قال: هو على اللفظ لا على المعنى ليعادل «أم» في قوله: **﴿أمْ زاغتْ عنهمُ الأبصارُ﴾**، قال الفراء: هذا من الاستفهام الذي معناه التوبيخ والتعجب، «أم زاغت»، أي: مالت، «عنهم الأبصار»، ومجاز الآية: ما لنا لا نرى هؤلاء الذين اتخذناهم سخرياً لم يدخلوا معنا النار؟ أم دخلوها فزاغت عنهم أبصارنا، فلم نرهم حين دخلوها .

وقيل: أم هم في النار ولكن احتجبوا عن أبصارنا؟

وقال ابن كيسان: أم كانوا خيراً منّا ولكن نحن لا نعلم، فكانت أبصارنا تزيغ عنهم في الدنيا فلا نعدهم شيئاً.

﴿إنَّ ذلك﴾، الذي ذكرت، **﴿لَحَقٌّ﴾**، ثم بيَّن فقال: **﴿تخاصُمُ أهلِ النّارِ﴾**، أي: تخاصم أهل النار في النار لحقٌّ .

﴿قلْ﴾، يا محمد لمشركي مكة، **﴿إنَّما أنا مُنذِرٌ﴾**، مخوف[2]، **﴿وما من إلَهٍ إلّا اللهُ الواحِدُ القهّارُ﴾**.

---

(١) تتمة العبارة في معاني القرآن (٢/٤١١) فهو يجوز بالاستفهام وبطرحه .

(٢) زيادة من «ب» .

رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾ قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾

﴿رَبُّ السمواتِ والأرضِ وما بينَهما العزيزُ الغفارُ﴾ .

﴿قُلْ﴾، يا محمد، ﴿هو﴾، يعني: القرآن، ﴿نبأٌ عظيمٌ﴾، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقيل: يعني: القيامة كقوله: «عمّ يتساءلون عن النبأ العظيم» (النبأ ـ ١ : ٢) .

﴿أنتم عنه مُعرِضُونَ ما كانَ لي من عِلم بِالمَلأ الأعلى﴾، يعني: الملائكة، ﴿إذْ يختصمونَ﴾ يعني: في شأن آدم عليه السلام، حين قال الله تعالى: «إني جاعلٌ في الأرضِ خليفة قالوا أتجعلُ فيها من يُفْسِدُ فيها» (البقرة: ٣٠) .

﴿إنْ يُوحَى إليّ إلّا أنّما أنا نذيرٌ مبينٌ﴾، قال الفراء: إن شئت جعلت «أنما» في موضع رفع، أي: ما يوحىٰ إليّ إلّا الإنذار، وإن شئت جعلت المعنى: ما يُوحى إليّ إلّا أني نذير مبين[1].

وقرأ أبو جعفر: «إنما» بكسر الألف، لأن الوحيَ قولٌ .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا هشام بن عمار، حدثنا صدقة بن خالد، حدثنا عبد الرحمن بن يزيد ابن جابر، قال مر بنا خالد بن اللجلاج، فدعاه مكحول / فقال: يا إبراهيم حدثنا حديث عبد الرحمن ١٠٤/ب ابن عائش، قال: سمعت عبد الرحمن بن عائش الحضرمي يقول: قال النبي ﷺ: «رأيتُ ربي عزّ وجلّ في أحسن صورة، فقال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: أنت أعلم أي ربِّ، مرتين، قال: فوضع كفه بين كتفي فوجدت بردها بين ثديي، فعلمت ما في السماء والأرض»، قال: ثم تلا هذه الآية «وكذلك نُري إبراهيمَ ملكوتَ السمواتِ والأرضِ وليكون من الموقنين» (الأنعام: ٧٥)، ثم قال: فِيمَ يختصم الملأ الأعلى يا محمد؟ قلت: في الكفارات، قال: وما هن؟ قلت: المشي على الأقدام إلى الجماعات، والجلوس في المساجد خلف الصلوات، وإبلاغ الوضوء أماكنه في المكاره، قال: ومَنْ يفعلْ ذلك يعشْ بخير ويمتْ بخير، ويكنْ من خطيئته كيومِ ولدته أمه، ومن الدرجات إطعام الطعام،

(١) في «معاني القرآن» للفراء: (٤١٢/٢ ... إلا لأني نذير ونبيّ.

إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي
فَقَعُوا لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ
وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ
أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾ قَالَ
فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ
يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْوَقْتِ ٱلْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

وبذل السلام، وأن يقوم بالليل والناس نيام، قال: قل اللهمّ إني أسألك الطيباتِ، وترك المنكرات، وحبَّ المساكين، وأن تغفر لي، وترحمني، وتتوب عليَّ، وإذا أردت فتنةً في قوم فتوفني غير مفتون، فقال رسول الله ﷺ: تعلّموهن، فوالذي نفس محمد بيده إنهن لحق»[1] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إذْ قال ربُّكَ للملائكةِ إنّي خالق بشراً من طينٍ**﴾، يعني: آدم عليه السلام .

﴿**فإذا سوَّيتُهُ**﴾، أتممت خلقه، ﴿**ونفختُ فيهِ من رُوحي فَقَعوا لهُ ساجدينَ * فَسَجَدَ الملائكةُ كُلُّهم أجمعونَ * إلَّا إبليسَ استَكْبَرَ وكان من الكافرينَ * قال يا إبليسُ ما منعكَ أن تسجُدَ لِمَا خلَقتُ بيديّ أستَكْبرتَ**﴾، ألف استفهام دخلت على ألف الوصل، ﴿**أم كُنتَ من العَالِينَ**﴾، المتكبرين. استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أستكبرت بنفسك حتى أبيت السجود؟ أم كنت من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود لكونك منهم؟ .

﴿**قال أنا خيرٌ منه خلقتني من نارٌ وخلقتهُ من طينٍ * قال فاخْرُجْ منها**﴾ أي: من الجنة، وقيل: من السموات. وقال الحسن وأبو العالية: أي من الخلقة التي أنت فيها. قال الحسين بن الفضل: هذا تأويل صحيح لأن إبليس تجبَّر وافتخر بالخلقة، فغيّر الله خلقته، فاسود وقبح بعد حسنه، ﴿**فإنَّك رجيمٌ**﴾، مطرود .

﴿**وإنَّ عليك لعنتي إلى يوم الدين * قال ربِّ فأنظِرني إلى يوم يُبعثُونَ * قال فإنَّك من المُنظَرينَ * إلى يومِ الوقتِ المعلومِ**﴾، وهو النفخة الأولى .

---

(١) أخرجه الدارمي: ١٢٦/٢، والمصنف في شرح السنة: ٣٥/٤ و ٣٧، وأشار إليه الترمذي: ١٠٦/٩.
وانظر: مجمع الزوائد: ٢٣٨/١، اختيار الأولى في حديث اختصام الملأ الأعلى ص (٥ ـ٧)، مسند الإمام أحمد: ٣٦٨/١ .

قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾ قَالَ
فَالْحَقُّ وَالْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ
مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ
نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾

﴿قال فبعزَّتك لأغوينَّهم أجمعين * إلَّا عبادَكَ منهمُ المُخلَصينَ * قال فَالحَقُّ والحَقَّ أقولُ﴾، قرأ عاصم وحمزة ويعقوب: «فالحقُّ» برفع القاف على الابتداء، وخبره محذوف تقديره: الحق مني، ونصب الثانية أي: وأنا أقول الحق، قاله مجاهد، وقرأ الآخرون بنصبهما، واختلفوا في وجههما، قيل: نصب الأولى على الإغراء كأنه قال: الزم الحق، والثاني بإيقاع القول عليه أي: أقول الحق. وقيل: الأول قسم، أي: فبالحق وهو الله عزّ وجلّ، فانتصب بنزع [الخافض، وهو](1) حرف الصفة، وانتصاب الثاني بإيقاع القول عليه. وقيل: الثاني تكرار القسم، أقسم الله بنفسه.

﴿لأملأنَّ جَهنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ منهُم أجمعينَ * قُلْ ما أسألُكُم عليه﴾، على تبليغ الرسالة، **﴿من أجرٍ﴾**، جُعل، **﴿وما أنا مِنَ المُتكلِّفينَ﴾**، المتقوّلين القرآن من تلقاء نفسي، وكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه فقد تكلّف له.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال: يا أيها الناس من علم شيئاً فليقل به، ومن لم يعلم فليقل الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله تعالى لنبيه: «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين»(2).

قوله: **﴿إن هو﴾**، ما هو، يعني: القرآن، **﴿إلَّا ذِكرٌ﴾**، موعظة، **﴿للعَالَمينَ﴾**، للخلق أجمعين. **﴿وَلَتَعلَمُنَّ﴾**، أنتم يا كفار مكة، **﴿نَبَأَهُ﴾**، خبر صدقه، **﴿بَعْدَ حينٍ﴾**، قال ابن عباس وقتادة: بعد الموت: وقال عكرمة: يعني يوم القيامة. وقال الكلبي: من بقي علم ذلك إذا ظهر أمره وعلا، ومن مات عَلِمَهُ بعدَ موته. قال الحسن: ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين(3).

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة (ص) ـ باب: (ما أنا من المتكلفين) ٥٤٧/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم باب الدخان برقم (٢٧٩٨) ٢١٥٦/٤ ـ ٢١٥٧.

(٣) أخرجه الطبري: ١٨٩/٢٣، وذكره السيوطي في الدر المنثور، ٢٠٩/٧.

سورة الزمر

سورة الزمر

مكية إلا قوله ﴿قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾الآية[1] .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ
فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن
دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى
مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾

﴿تنزيلُ الكتابِ من اللهِ﴾، [أي: هذا تنزيل الكتاب من الله. وقيل: تنزيل الكتاب][2] مبتدأ وخبره : ﴿مِنَ اللهِ العزيزِ الحكيمِ﴾، أي: تنزيل الكتاب من الله لا من غيره .

﴿إنا أنزلنا إليكَ الكتابَ بالحقِّ﴾، قال مقاتل : لم ننزله باطلاً لغير شيء، ﴿فاعْبُدِ اللهَ مُخلصاً له الدِّينَ﴾، الطاعة .

﴿ألاَ للَّهِ الدينُ الخالِصُ﴾، قال قتادة: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل : [لا يستحق الدين الخالص إلا الله. وقيل: الدين الخالص من الشرك هو لله][3] .

﴿والذين اتخذوا من دونه﴾، أي: من دون الله، ﴿أولياء﴾، يعني: الأصنام، ﴿ما نعبدُهم﴾، أي قالوا: ما نعبدهم، ﴿إلّا لِيقربُونا إلى اللَّهِ زُلفىٰ﴾، وكذلك قرأ ابن مسعود، وابن عباس .

---

(١) أخرج النحاس في تاريخه عن ابن عباس ــ رضي الله عنهما ــ قال: نزلت بمكة سورة الزمر سوى ثلاث آيات نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم» إلى ثلاث آيات. وانظر : زاد المسير: ١٦٠/٧ .

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

(٣) في « أ » : (لا يستحق الدين الخالص من الشرك سوى الله) .

لَوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ سُبْحَٰنَهُۥ هُوَ ٱللَّهُ
ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ
وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ
مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾ خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا
وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ

قال قتادة : وذلك أنهم إذا قيل لهم: مَنْ ربكم، ومَنْ خلقكم، ومَنْ خلق السموات والأرض ؟ قالوا: الله، فيقال لهم: فما معنى عبادتكم الأوثان ؟ قالوا: ليقربونا إلى الله زلفى، أي: قربى، وهو اسمٌ أقيم في مقام المصدر، كأنه قال: إلا ليقربونا إلى الله تقريباً ويشفعوا لنا عند الله، ﴿**إنَّ الله يحكمُ بينهم**﴾، يوم القيامة، ﴿**فيما هم فيه يَختلِفُون**﴾، من أمر الدين، ﴿**إنَّ الله لا يهدي من هو كاذبٌ كفار**﴾، لا يرشد لدينه من كذب فقال: إن الآلهة تشفع. وكفى باتخاذ الآلهة دونه كذباً [وكفراً][1] .

﴿**لو أرادَ اللَّهُ أنْ يتّخِذَ ولداً لاصْطَفَى**﴾، لاختار، ﴿**مما يَخْلُقُ ما يشاءُ**﴾، يعني: الملائكة، كما قال : «لو أردنا أن نَتَّخِذَ لهواً لاتَّخَذْناه من لَدُنّا» (الأنبياء ـ ١٧)، ثم نزّه نفسه فقال : ﴿**سُبْحانَهُ**﴾، تنزيهاً له عن ذلك، وعمّا لا يليق بطهارته، ﴿**هو الله الواحدُ القهّارُ**﴾ .

﴿**خلقَ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ يُكوِّرُ الليل على النهار ويُكوِّرُ النهارَ على الليلِ**﴾، قال قتادة : يغشي هذا هذا، كما قال : «يُغْشي الليلَ النّهارَ» (الأعراف ـ ٥٤)، وقيل: يدخل أحدهما على الآخر كما قال : «يُولج الليلَ في النهار ويُولجُ النهارَ في الليل» (الحج ـ ٦١) .

وقال الحسن، والكلبي: ينقص من الليل فيزيد في النهار، وينقص من النهار فيزيد في الليل، فما نقص من الليل دخل في النهار، وما نقص من النهار دخل في الليل، ومنتهى النقصان تسع ساعات، ومنتهى الزيادة خمس عشرة ساعة، وأصل التكوير اللّف والجمع، ومنه: كوّر العمامة. ﴿**وسخّرَ الشمسَ والقمرَ كلٌّ يجري لأجلٍ مسمّىً ألاَ هو العزيزُ الغفارُ**﴾ .

١٠٥/أ ﴿**خلقَكُم من / نفسٍ واحدةٍ**﴾، يعني: آدم، ﴿**ثُمَّ جعلَ منها زوجَها**﴾، يعني حواء، ﴿**وأنزلَ لكم من الأنعامِ**﴾، معنى الإنزال هاهنا: الإحداث والإنشاء، كقوله تعالى : «أنزلنا عليكم لباساً يُواري سوآتكم» (الأعراف ـ ٢٦) .

---

(١) ساقط من «ب» .

بَعْدِ خَلْقٍ فِي ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ
تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾ إِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن
تَشْكُرُوا يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ
فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾ ۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ
ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا إِلَيْهِ مِن قَبْلُ

وقيل: إنه أنزل الماء الذي هو سبب نبات القطن الذي يكون منه اللباس، وسبب النبات الذي تبقى به الأنعام.

وقيل: «وأنزل لكم من الأنعام» جعلها لكم نُزلاً ورزقاً. ﴿ثمانية أزواجٍ﴾، أصناف، تفسيرها في سورة الأنعام[1] ﴿يخلقكم في بطونِ أمهاتِكم خلْقاً من بعدِ خلْقٍ﴾، نطفة ثم علقة ثم مضغة، كما قال الله تعالى: «وقد خلقكم أطواراً» (نوح ـ ١٤)، ﴿في ظُلُماتٍ ثَلاثٍ﴾، قال ابن عباس: ظلمة البطن، وظلمة الرحم، وظلمة المشيمة[2]، ﴿ذلكم اللَّهُ﴾، الذي خلق هذه الأشياء، ﴿ربُّكم له الملكُ لا إلهَ إلّا هو فأنّى تُصْرَفُون﴾، عن طريق الحق بعد هذا البيان.

﴿إنْ تكفُروا فإنَّ الله غنيٌّ عنكم ولا يرضى لعبادِهِ الكُفرَ﴾، قال ابن عباس والسدي: لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين قال الله تعالى: «إنّ عبادي ليس لك عليهم سلطان» (الحجر ـ ٤٢)، فيكون عاماً في اللفظ خاصاً في المعنى، كقوله تعالى: «عيناً يشرب بها عباد الله» (الإنسان ـ ٦)، يريد بعض العباد، وأجراه قوم على العموم، وقالوا: لا يرضى لأحد من عباده الكفر.

ومعنى الآية: لا يرضى لعباده أن يكفروا به. يروى ذلك عن قتادة، وهو قول السلف، قالوا: كفر الكافر غير مرضيّ لله عزّ وجلّ، وإن كان بإرادته. ﴿وإنْ تَشْكُروا﴾، تؤمنوا بربكم وتطيعوه، ﴿يرضَهُ لكم﴾، فيثيبكم عليه. قرأ أبو عمرو: «يرضهْ لكم» ساكنة الهاء، ويختلسها أهل المدينة وعاصم وحمزة، والباقون بالإشباع، ﴿ولا تزر وازرةٌ وِزْرَ أُخرى ثُمّ إلى ربِّكم مَّرجِعُكُم فيُنبِئكُم بما كُنتم تعْمَلونَ إنه عليمٌ بذاتِ الصُدورِ﴾.

﴿وإذا مسّ الإنسانَ ضُرٌّ دَعَا ربَّه مُنيباً إليه﴾ راجعاً إليه مستغيثاً به، ﴿ثم إذا خوّلهُ نعمةً مِنه﴾، أعطاه نعمة منه، ﴿نسِيَ﴾، ترك، ﴿ما كان يدعو إليه من قبْلُ﴾، أي: نسي الضر الذي

---

(١) انظر فيما سبق: ٣/١٩٦ – ١٩٧.
(٢) انظر: الطبري: ٢٣/١٩٦، الدر المنثور: ٧/٢١٢.

وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾ أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٩﴾

كان يدعو الله إلى كشفه، ﴿وجعل لله أنداداً﴾، يعني: الأوثان، ﴿لِيُضِلَّ عن سبيلِهِ﴾، ليزل عن دين الله .

﴿قُلْ﴾، لهذا الكافر: ﴿تَمَتَّعْ بِكُفركَ قليلاً﴾، في الدنيا إلى أجلك، ﴿إنك من أصحاب النار﴾، قيل: نزلت في عتبة بن ربيعة، وقال مقاتل: [نزلت][1] في أبي حذيفة بن المغيرة المخزومي. وقيل: عام في كل كافر[2] .

﴿أَمَّنْ هو قانتٌ﴾ قرأ ابن كثير ونافع وحمزة: «أَمَنْ» بتخفيف الميم، وقرأ الآخرون بتشديدها، فمن شدد فله وجهان :

أحدهما : أن تكون الميم في «أم» صلة، فيكون معنى الكلام استفهاماً وجوابه محذوفاً، مجازه : أَمَّنْ هو قانتٌ كمَنْ هو غيرُ قانتٍ ؟ كقوله : «أفمن شرحَ اللَّهُ صدْرَهُ للإسلام» (الزمر ـ ٢٢)، يعني كمن لم يشرح صدره .

والوجه الآخر : أنه عطف على الاستفهام، مجازه: الذي جعل لله أنداداً خيرٌ أمَّن هو قانت ؟ ومن قرأ بالتخفيف فهو ألف استفهام دخلت على مَنْ، معناه: أهذا كالذي جعل لله أنداداً ؟ .

وقيل: الألف في «أمن» بمعنى حرف النداء، تقديره: يامن هو قانت، والعرب تنادي بالألف كما تنادي بالياء، فتقول: أبني فلان ويابني فلان، فيكون معنى الآية: قلْ تمتعْ بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار، يامَنْ هو قانتٌ ﴿آناءَ الليلِ﴾، إنك من أهل الجنة، قاله ابن عباس .

وفي رواية عطاء : نزلت في أبي بكر الصديق[3] .

وقال الضحاك : نزلت في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما[4] .

---

(١) ساقط من «ب» .
(٢) انظر: زاد المسير: ١٦٥/٧ .
(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول، ص ٤٢٦ .
(٤) انظر: البحر المحيط : ٤١٩/٧ .

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾ ١٠

وعن ابن عمر أنها نزلت في عثمان(١).

وعن الكلبي أنها نزلت في ابن مسعود وعمّار وسلمان.

والقانت: المقيم على الطاعة. قال ابن عمر: «القنوت»: قراءة القرآن وطول القيام، و«آناء الليل»: ساعاته، **﴿ساجداً وقائماً﴾**، يعني: في الصلاة، **﴿يحذَرُ الآخِرةَ﴾**، يخاف الآخرة، **﴿ويرجوا رحمة ربِّه﴾**، يعني: كمن لا يفعل شيئاً من ذلك، **﴿قلْ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾**، قيل: «الذين يعلمون»: عمّار، و«الذين لا يعلمون»: أبو حذيفة المخزومي، **﴿إنما يتذكَّرُ أُولوا الألبابِ﴾**.

﴿قلْ ياعبادِ الذين آمنوا اتَّقُوا ربَّكم﴾، بطاعته واجتناب معصيته، **﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾**، أي: آمنوا وأحسنوا العمل، **﴿حسنة﴾**، يعني: الجنة، قاله مقاتل. وقال السدي: في هذه الدنيا حسنة يعني»: الصحة والعافية، **﴿وأرضُ الله واسعةٌ﴾**، قال ابن عباس: يعني ارتحلوا من مكة. وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي.

وقيل: نزلت في مهاجري الحبشة.

وقال سعيد بن جبير: من أُمِر بالمعاصي فليهرب. **﴿إنَّمَا يُوفى الصابرون أجرَهم بغيرِ حسابٍ﴾**، الذين صبروا على دينهم فلم يتركوه للأذى.

وقيل: نزلت في جعفر بن أبي طالب وأصحابه، حيث لم يتركوا دينهم لمّا اشتد بهم البلاء، وصبروا وهاجروا(٢).

قال علي رضي الله عنه: كلُّ مطيع يكال له كيلاً ويوزن له وزناً إلّا الصابرون، فإنه يحثى لهم حثياً(٣).

ويُروى: «يؤتى بأهل البلاء فلا ينصب لهم الميزان ولا ينشر لهم ديوان، ويصبُّ عليهم الأجر صباً بغير حساب»(٤)، قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، حتى يتمنى أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل.

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٦.

(٢) انظر: البحر المحيط: ٤١٩/٧.

(٣) انظر: القرطبي: ٢٤١/١٥.

(٤) قطعة من حديث عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢١٥/٧ لابن مردويه.

قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ
إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟
مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ
هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ
ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى
ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾

﴿قل إني أُمرتُ أن أعبدَ اللَّهَ مخلصاً له الدين﴾، مخلصاً له التوحيد لا أشرك به شيئاً .

﴿وأُمِرتُ لأن أكونَ أوّلَ المسلمين﴾، من هذه الأمة .

﴿قل إني أخافُ إن عَصَيْتُ ربي﴾، وعبدت غيره، ﴿عذابَ يومٍ عظيم﴾، وهذا حين دعي إلى دين آبائه .

﴿قلِ اللَّهَ أعبدُ مخلصاً له ديني * فاعبدُوا ما شئتم مِنْ دونِهِ﴾، أمر توبيخ وتهديد، كقوله : «اعملوا ما شئتم» (فصلت ـ ٤٠)، ﴿قل إنّ الخاسرين الذين خسروا أنفسَهُم وأهليِهم﴾، أزواجهم وخدمهم، ﴿يومَ القيامةِ﴾، قال ابن عباس: وذلك أن الله جعل لكل إنسان منزلاً في الجنة وأهلاً، فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له، ومن عمل بمعصية الله دخل النار، وكان ذلك المنزل والأهل لغيره ممن عمل بطاعة الله[1]. وقيل: خُسران النفس بدخول النار، وخُسران الأهل بأن يفرق بينه وبين أهله، ﴿ألَا ذلك هو الخسران المبين﴾ .

﴿لهم مِّن فَوقِهم ظُلَلٌ من النّارِ﴾، أطباق سرادقات من النار ودخانها، ﴿وَمِن تحتِهم ظُلَلٌ﴾، فراش ومهاد من نار إلى أن ينتهي إلى القعر، وسُمي الأسفل ظُللاً لأنها ظلل لمن تحتهم نظيرها قوله عزّ وجلّ : «لهم من جهنَّمَ مهادٌ ومن فوقهم غَواشٍ» (الأعراف ـ ٤١) .

﴿ذلك يُخوِّفُ الله به عبادَهُ ياعبادِ فاتقونِ﴾ .

١٠٥/ب ﴿والذين اجتنبوا الطاغوتَ﴾، الأوثان /، ﴿أن يعبدُوها وأنابوا إلى اللهِ﴾، رجعوا إلى عبادة الله، ﴿لَهُم البُشرى﴾، في الدنيا والجنة في العقبى، ﴿فبشرْ عبادِ * الذين يستمعون القولَ﴾، القرآن،

---

(١) انظر: القرطبي: ٢٤٢/١٥ .

ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ
هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿١٨﴾ أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾
لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ
ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ ﴿٢٠﴾

﴿فيتبعونَ أحسنَهُ﴾، قال السدي: أحسن ما يؤمرون فيعملون به. وقيل: هو أن الله تعالى ذكر في لقرآن الانتصار من الظالم وذكر العفو، والعفو أحسنُ الأمرين. وقيل: ذكر العزائم والرخص فيتبعون الأحسن وهو العزائم . وقيل: يستمعون القرآن وغير القرآن فيتبعون القرآن .

وقال عطاء عن ابن عباس: آمن أبو بكر بالنبي ﷺ فجاءه عثمان، وعبدالرحمن بن عوف، وطلحة، والزبير، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد، فسألوه فأخبرهم بإيمانه فآمنوا، فنزلت فيهم[1]: «فبشّر عباد * الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه»، وكله حسن. **﴿أولئك الذين هداهُمُ الله وأولئك هم أولوا الألباب﴾** .

وقال ابن زيد: نزلت «والذين اجتنبوا الطاغوت» الآيتان، في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون: لا إله إلا الله: زيد بن عمرو بن نفيل، وأبو ذر الغفاري، وسلمان الفارسي[2]. والأحسن: قولُ لا إله إلا الله .

﴿أفمن حقّ عليه كلمةُ العذاب﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: من سبق في علم الله أنه من أهل النار. وقيل: كلمة العذاب [قوله : «لأملأنّ جهنّم»، وقيل :][3] قوله : «هؤلاء في النار ولا أبالي»[4] . **﴿أفأنت تُنقذُ من في النار﴾**، أي: لا تقدر عليه. قال ابن عباس: يريد أبا لهب وولده .

﴿لكِنِ الذين اتقوا ربَّهُمْ لهم غُرَفٌ من فوقها غُرَفٌ مبنيةٌ﴾، أي: منازل في الجنة رفيعة، وفوقها منازل أرفع منها، **﴿تجري من تحتها الأنهار وَعْدَ الله لا يُخلفُ الله الميعاد﴾**، أي: وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً لا يخلفه .

---

(١) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٢٦ .
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٣، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٢١٧/٧ نسبته لابن أبي حاتم .
(٣) ساقط من «ب» .
(٤) أخرج الإمام أحمد في مسنده: ٢٣٩/٥ عن معاذ بن جبل: «أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية أصحاب اليمين وأصحاب الشمال فقبض بيده قبضتين فقال: هذه في الجنة ولا أبالي.وهذه في النار ولا أبالي»، وانظر: مجمع الزوائد: ١٨٥/٧-١٨٦.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَـٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَـٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٢١﴾ أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَـٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَـٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني عبد العزيز بن عبد الله، حدثني مالك عن صفوان بن سليم، عن عطاء ابن يسار، عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال: «إن أهل الجنة يتراءون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لتفاضل ما بينهم»، قالوا: يارسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم، قال: «بلى، والذي نفسي بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين»[1].

قوله عزّ وجلّ: **﴿ألم تَرَ أن الله أنزلَ من السماء ماءً فسلكَهُ﴾**، أدخل ذلك الماء، **﴿ينابيعَ﴾**، عيوناً وركايا[2]، **﴿في الأرض﴾**، قال الشعبي: كل ماء في الأرض فمن السماء نزل، **﴿ثم يُخرِجُ به﴾**، أي: بالماء **﴿زرعاً مختلفاً ألوانُهُ﴾**، أحمر وأصفر وأخضر، **﴿ثم يهيج﴾**، ييبس، **﴿فتراه﴾**، بعد خضرته ونضرته، **﴿مصفرّاً ثم يجعله حطاماً﴾**، فتاتاً متكسراً، **﴿إنَّ في ذلك لذِكْرى لأولي الألباب﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿أفمَنْ شرحَ الله صدْرَهُ للإسلامِ﴾**، وسَّعه لقبول الحق، **﴿فهوَ على نورٍ منْ ربِهِ﴾**، ليس كمن أقسى الله قلبه.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا عبد الله بن محمد بن شيبة، حدثنا أبو جعفر محمد بن الحسن بن يزيد الموصلي ببغداد، حدثنا أبو فروة واسمه يزيد بن محمد، حدثني أبي عن أبيه، حدثنا زيد بن أبي أنيسة، عن عمرو بن مرة، عن عبدالله بن الحارث، عن عبدالله بن مسعود قال: تلا رسول الله ﷺ: (أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه) قلنا: يارسول الله كيف انشراح صدره؟

---

(١) أخرجه البخاري: في بدء الخلق، باب: ما جاء في صفة الجنة: ٣٢٠/٦، ومسلم: في الجنة باب: ترائي أهل الجنة الغرف كما يرى الكوكب في السماء، برقم: (٢٨٣١)، ٢١٧٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢١٥/١٥.

(٢) جمع، مفرده (ركيَّة) وهي البئر.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا مَّثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، قلنا: يارسول الله فما علامة ذلك ؟ قال : «الإنابة إلى دار الخلود، والتجافي عن دار الغرور، والتأهب للموت قبل نزول الموت»[١] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿فويلٌ للقاسيةِ قلوبُهم من ذكرِ الله أولئك في ضلالٍ مبين﴾، قال مالك بن دينار: ما ضُرِبَ عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلب، وما غضب الله عزّ وجلّ على قوم إلا نَزَعَ منهم الرحمة[٢].

قوله عزّ وجلّ : ﴿الله نَزَّل أحسَنَ الحديثِ كتاباً مُتشابهاً﴾، يشبه بعضه بعضاً في الحسن، ويصدق بعضه بعضاً ليس فيه تناقض ولا اختلاف . ﴿مثانيَ﴾، يُثنّى فيه ذكر الوعد والوعيد، والأمر والنهي، والأخبار والأحكام، ﴿تَقْشَعِرُّ﴾ ، تضطرب وتشمئز، ﴿منه جلود الذين يَخْشَوْنَ ربَّهم﴾، والاقشعرار تغير في جلد الإنسان عند الوجل والخوف، وقيل: المراد من الجلود القلوب، أي: قلوب الذين يخشون ربهم، ﴿ثم تَلينُ جلودُهم وقلوبُهم إلى ذكرِ الله﴾، أي: لذكر الله، أي: إذا ذكرت آيات العذاب اقشعرت جلود الخائفين لله، وإذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم، كما قال الله تعالى : «أَلَا بذكر الله تطمئن القلوب» (الرعد – ٢٨) .

وحقيقة المعنى: أن قلوبهم تقشعر عند الخوف، وتلين عند الرجاء .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، حدثنا موسى ابن محمد بن علي، حدثنا محمد بن عبدوس بن كامل، حدثنا يحيى بن عبدالحميد الحماني، حدثنا عبدالعزيز بن محمد عن يزيد بن الهاد، عن محمد بن إبراهيم التيمي، عن أم كلثوم بنت العباس، عن العباس بن عبدالمطلب قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا اقشعَر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبُه كما يتحاتُّ عن الشجرة اليابسة ورقُها»[٣] .

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢١٩/٧ لابن مردويه، وعزاه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص ١٤٣ للثعلبي والحاكم والبيهقي في الشعب من حديث ابن مسعود. وقال: «وفيه أبو فروة الرهاوي فيه كلام. ورواه الحكيم الترمذي في النوادر في الأصل السادس والثمانين» .

(٢) ذكره القرطبي : ٢٤٨/١٥ .

(٣) قال الهيثمي : (٣١٠/١٠) «رواه البزار ، وفيه أم كلثوم بنت العباس ، ولم أعرفها ، وبقية رجاله ثقات » وأشار المنذري إلى تضعيفه وعزاه في الترغيب (٢٦٦/٤) لأبي الشيخ في كتاب الثواب والبيهقي. وعزاه السيوطي في الدر المنثور : ٢٢٢/٧، للحكيم الترمذي في نوادر الأصول وفيه الحمّاني: اتهموه بسرقة الحديث (التقريب) وانظر: الجرح والتعديل : ١٦٨/٩ – ١٦٩ .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد، حدثنا أحمد ابن جعفر بن حمدان، حدثنا موسى بن إسحاق الأنصاري، حدثنا محمد بن معاوية، حدثنا الليث ابن سعد، حدثنا يزيد بن عبد الله بن الهاد بهذا الإسناد، وقال: «إذا اقشعرّ جلد العبد من خشية الله حرّمه الله على النار»(١).

قال قتادة: هذا نعت أولياء الله نعتهم الله بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله، و لم ينعتهم بذهاب عقولهم والغشيان عليهم، إنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا حمدان بن داود، حدثنا سلمة بن شيبة، حدثنا خلف بن سلمة، حدثنا هشيم عن حصين عن عبدالله بن عروة بن الزبير قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر: كيف كان / ١٠٦/أ
أصحاب رسول الله ﷺ يفعلون إذا قُرِىء عليهم القرآن؟ قالت: كانوا كما نعتهم الله عزّ وجلّ تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم، قال فقلت لها: إنّ ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خرّ أحدهم مغشياً عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم(٢).

وبه عن [سليمان بن](٣) سلمة حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا سعيد بن عبد الرحمن الجمحي أن ابن عمر: مرّ برجل من أهل العراق ساقطاً فقال: ما بال هذا؟ قالوا: إنه إذا قُرِىء عليه القرآن أو سمع ذكر الله سقط، قال ابن عمر: إنّا لنخشى الله وما نسقط!

وقال ابن عمر: إن الشيطان ليدخل في جوف أحدهم، ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ(٤).

وذُكر عند ابن سيرين: الذين يصرعون إذا قرىء عليهم القرآن؟ [فقال: بيننا وبينهم أن يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطاً رجليه ثم يُقرأ عليه القرآن](٥) من أوله إلى آخره، فإن رمى بنفسه فهو صادق(٦).

﴿ذلك﴾، يعني: أحسن الحديث، **﴿هُدَى الله يهدي به من يشاء، ومن يُضْلِلِ الله فما له من هادٍ﴾**.

---

(١) ذكره القرطبي: ١٥/٢٥٠، وانظر التعليق السابق.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٢ لسعيد بن منصور، وابن المنذر، وابن مردويه، وابن أبي حاتم، وابن عساكر. وذكره القرطبي: ١٥/٢٤٩.
(٣) ساقط من «ب».
(٤) ذكره صاحب البحر المحيط: ٧/٤٢٣، والقرطبي: ١٥/٢٤٩.
(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٦) ذكره صاحب البحر المحيط: ٧/٤٢٣، والقرطبي: ١٥/٢٤٩.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ
تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ
﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِى هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا
عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِى عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾

﴿أفَمَنْ يتقي بوجهِهِ سوءَ العذابِ﴾، أي: شدته، ﴿يومَ القيامةِ﴾، قال مجاهد: يُجَر على وجهه في النار. وقال عطاء: يُرمى به في النار منكوساً فأول شيء منه تمسه النار وجهه. قال مقاتل: هو أن الكافر يُرمى به في النار مغلولة يداه إلى عنقه، وفي عنقه صخرة مثل جبل عظيم من الكبريت، فتشتعل النار في الحجر، وهو معلق في عنقه فحرّ ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عن وجهه، للأغلال التي في عنقه ويده[1].

ومجاز الآية: أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب كمن هو آمن من العذاب؟

﴿وقيل﴾، يعني: تقول الخزنة، ﴿للظالمين ذوقوا ما كنتم تَكْسِبونَ﴾، أي: وباله.

﴿كذَّبَ الذين مِنْ قبلِهِم﴾، من قبل كفار مكة كذبوا الرسل، ﴿فأتاهُمُ العذابُ من حيثُ لا يشعرون﴾، يعني: وهم آمنون غافلون من العذاب.

﴿فأذاقهم الله الخزيَ﴾، العذاب والهوان، ﴿في الحياة الدنيا ولَعَذابُ الآخرةِ أكبرُ لو كانوا يعلمون﴾.

﴿ولقد ضربْنا للناسِ في هذا القرآنِ من كلِّ مَثَلٍ لعلَّهم يَتَذَكَّرون﴾، يتعظون.

﴿قرآناً عربياً﴾، نصب على الحال، ﴿غيرَ ذي عِوجٍ﴾، قال ابن عباس: غير مختلف. قال مجاهد: غير ذي لَبْس. قال السدي: غير مخلوق. ويروى ذلك عن مالك بن أنس، وحكي عن سفيان بن عيينة عن سبعين من التابعين أن القرآن ليس بخالق ولا مخلوق[2]. ﴿لعلّهم يتقون﴾، الكفر والتكذيب به.

---

(١) ذكر هذه الأقوال القرطبي: ١٥/٢٥١.
(٢) ذكر هذه الأقوال السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٣-٢٢٤.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾

﴿ضرب الله مثلاً رجلاً﴾، قال الكسائي: نصب رجلاً لأنه تفسير للمثل، ﴿فيه شركاءُ متشاكسون﴾، متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم، يقال: رجل شَكِسٌ شَرِسٌ، إذا كان سيءَ الخلق، مخالفاً للناس، لا يرضى بالإنصاف، ﴿ورجلاً سَلَماً لرجل﴾، قرأ أهل مكة والبصرة: «سالماً» بالألف أي: خالصاً له لا شريك ولا منازع له فيه، [وقرأ الآخرون: «سلَماً» بفتح اللام من غير ألف، وهو الذي لا ينازع فيه][1] من قولهم: هو لك سلم، أي: مسلم لا منازع لك فيه. ﴿هل يستويان مثلاً﴾، هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ للكافر الذي يعبد آلهة شتى، والمؤمن الذي لا يعبد إلا الله الواحد، وهذا استفهام إنكار أي: لا يستويان، ثم قال: ﴿الحمد لله﴾، أي: لله الحمد كله دون غيره من المعبودين. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾، ما يصيرون إليه. والمراد بالأكثر الكل.

﴿إنك ميِّتٌ﴾، أي: ستموت، ﴿وإنَّهم ميِّتون﴾. أي: سيموتون، قال الفراء والكسائي: الميِّتُ - بالتشديد -من لم يمت وسيموت، الميْتُ - بالتخفيف - من فارقه الروح، ولذلك لم يخفف هاهنا.

﴿ثم إنكم يومَ القيامةِ عندَ ربِّكم تَختصمون﴾، قال ابن عباس: يعني: المحق والمبطل، والظالم والمظلوم.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا ابن فنجويه، حدثنا ابن مالك، حدثنا ابن حنبل، حدثني أبي، حدثنا ابن نمير، حدثنا محمد يعني ابن عمرو عن يحيى بن عبدالرحمن ابن حاطب، عن عبدالله بن الزبير، عن الزبير بن العوام قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قال الزبير: أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؟ قال: «نعم ليكررن عليكم حتى يؤدّىٰ إلى كل ذي حق حقه» قال الزبير: والله إن الأمر لشديد[2].

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(٢) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الزمر: ٩/١١٠-١١١، وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد: ١/١٦٧، والحاكم: ٤/٥٧٢ وقال: «هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه وسكت عنه الذهبي. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٠٠ «رواه الطبراني ورجاله ثقات»، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٦ نسبته لابن منيع، وابن أبي حاتم، وابن مردويه، وأبي نعيم في الحلية، والبيهقي في البعث.

وقال ابن عمر: عشنا برهة من الدهر وكنا نرى أن هذه الآية أنزلت فينا وفي أهل الكتابين «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون»، قلنا : كيف نختصم وديننا وكتابنا واحد ؟ حتى رأيت بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف، فعرفت أنها نزلت فينا[١] .

وعن أبي سعيد الخدري في هذه الآية قال : كنا نقول ربنا واحد وديننا واحد ونبينا واحد فما هذه الخصومة ؟ فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف قلنا : نعم هو هذا[٢] .

وعن إبراهيم قال: لما نزلت: «ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون» قالوا: كيف نختصم ونحن إخوان ؟ فلما قتل عثمان قالوا: هذه خصومتنا[٣] ؟

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد عبدالرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم عبدالله بن محمد بن عبد العزيز البغوي، حدثنا علي بن الجعد، حدثنا ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال : «من كانت لأخيه عنده مظلمة من عرض أو مال فليتحلله اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم، فإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه»[٤] .

أخبرنا أبو عبدالله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «أتدرون من المفلس» ؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع، قال : «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وكان قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته، [قال : فإن فنيت حسناته][٥] قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحتْ عليه ثم طرح في النار»[٦] .

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٥ لابن أبي حاتم، والطبراني، وابن مردويه .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١٠٠ «رواه الطبراني ورجاله ثقات» .
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٢٦–٢٢٧ لسعيد بن منصور .
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٢، وانظر: الكافي الشاف ص ١٤٣ .
(٤) أخرجه البخاري في المظالم، باب: من كانت له مظلمة عند رجل فحللها له هل يبين مظلمته: ٥/١٠١، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٥٩ .
(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ» .
(٦) أخرجه مسلم: في البر والصلة والآداب، باب: تحريم الظلم، برقم: (٢٥٨١) ٤/١٩٩٧ .

فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ
مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ
ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾
لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى
كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن

قوله عزّ وجلّ : ﴿**فمن أظلمُ ممن كَذَبَ على الله**﴾، فزعم أن له ولداً وشريكاً، ﴿**وكَذَّبَ بالصدقِ**﴾، بالقرآن، ﴿**إذ جاءه أليس في جهنم مثوىً**﴾، منزلٌ ومقام، ﴿**للكافرين**﴾، استفهام بمعنى التقرير .

١٠٦/ب ﴿**والذي جاء بالصدق / وصدّق به**﴾، قال ابن عباس: «والذي جاء بالصدق» يعني رسول الله ﷺ جاء بلا إله إلا الله «وصدَّق به» الرسول أيضاً بلَّغه إلى الخلق. وقال السدي: «والذي جاء بالصدق» جبريل جاء بالقرآن، «وصدق به» محمد ﷺ تلقاه بالقبول. وقال الكلبي وأبو العالية: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدق به» أبو بكر رضي الله عنه. وقال قتادة ومقاتل: «والذي جاء بالصدق» رسول الله ﷺ، «وصدّق به» هم المؤمنون، لقوله عزّ وجلّ: ﴿**أولئك هم المتقون**﴾، وقال عطاء: «والذي جاء بالصدق» الأنبياء «وصدّق به» الأتباع، وحينئذ يكون الذي بمعنى: الذين، كقوله تعالى : «مثلهم كمثل الذي استوقد ناراً» (البقرة ـ ١٧)، ثم قال : «ذهب الله بنورهم» (البقرة ـ ١٧). وقال الحسن: هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤوا به في الآخرة. وفي قراءة عبدالله ابن مسعود: والذين جاؤوا بالصدق وصدقوا به. ﴿**أولئك هم المتقون**﴾ .

﴿**لهم ما يشاؤون عندَ ربِّهم ذلك جزاءُ المحسنين * ليكفِّرَ الله عنهم أسوأ الذي عملوا**﴾، يسترها عليهم بالمغفرة، ﴿**ويجزيهم أجرهم بأحسنِ الذي كانوا يعملون**﴾، قال مقاتل: يجزيهم بالمحاسن من أعمالهم ولا يجزيهم بالمساوىء .

قوله عزّ وجلّ : ﴿**أليسَ الله بكافٍ عبدهُ**﴾؟ يعني: محمداً ﷺ، وقرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: «عباده» بالجمع يعني: الأنبياء عليهم السلام، قصدهم قومهم بالسوء كما قال : «وهمَّتْ كل أمة برسولهم ليأخذوه» (غافر ـ ٥)، فكفاهم الله شر من عاداهم، ﴿**ويُخوِّفونك بالذينَ من دونِهِ**﴾، وذلك أنهم خوّفوا النبي ﷺ معرَّة الأوثان. وقالوا: لتكفنّ عن شتم آلهتنا أو ليصيبنك منهم خبل أو جنون، ﴿**ومن يضلِلِ الله فما له من هادٍ**﴾ .

دُونِهِۦۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّۗ
أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ
كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُۖ
عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى
عَٰمِلٌۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦۖ
وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَاۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى
ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَاۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا

﴿ومن يهدِ اللهُ فما له من مضلٍّ أليسَ اللهُ بعزيزٍ ذي انتقام﴾، منيع في ملكه، منتقم من أعدائه.

﴿ولئن سألتهم من خلقَ السمواتِ والأرضَ ليقولنَّ اللَّهُ قل أفرأيتم ما تدعون من دونِ الله إنْ أرادنيَ اللَّهُ بِضرٍ﴾، بشدة وبلاء، ﴿هل هنّ كاشفاتُ ضُرِّهِ أو أرادني برحمةٍ﴾، بنعمة وبركة، ﴿هل هنّ ممسكاتُ رحمتهِ﴾، قرأ أهل البصرة: «كاشفاتٌ» و«ممسكاتٌ» بالتنوين، «ضرَّه» و«رحمتَه» بنصب الراء والتاء، وقرأ الآخرون بلا تنوين وجر الراء والتاء على الإضافة، قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ عن ذلك فسكتوا، فقال الله تعالى لرسوله ﷺ : ﴿قل حسبيَ اللهُ﴾[1]، ثقتي به واعتمادي عليه، ﴿عليه يتوكلُ المتوكلون﴾، يثق به الواثقون.

﴿قل ياقوم اعملوا على مكانتكم إني عاملٌ فسوف تعلمونَ * مَنْ يأتيه عذابٌ يخزيه ويحِلُّ عليه عذابٌ مقيمٌ﴾، أي: ينزل عليه عذاب دائم.

﴿إنا أنزلنا عليك الكتابَ للناسِ بالحقِّ فمَنْ اهتدى فلنفسه ومن ضَلَّ فإنما يَضِلُّ عليها﴾، وبال ضلالته عليه، ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾، بحفيظ ورقيب لم توكل بهم ولا تؤاخذ بهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ يتوفّى الأنفسَ﴾، أي: الأرواح، ﴿حين موتها﴾، فيقبضها عند فناء أكلها وانقضاء أجلها، وقوله: ﴿حين موتها﴾ يريد موت أجسادها. ﴿والتي لم تمت﴾، يريد يتوف

(١) انظر: القرطبي: ١٥/٢٥٩.

﴿الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾

الأنفس التي لم تمت، ﴿في منامها﴾، والتي تتوفى عند النوم هي النفس التي يكون بها العقل والتمييز، ولكل إنسان نفسان: إحداهما نفس الحياة وهي التي تفارقه عند الموت فتزول بزوالها النفس، والأخرى نفس التمييز وهي التي تفارقه إذا نام، وهو بعد النوم يتنفس. ﴿فَيُمْسِكُ التي قَضَى عليها الموتَ﴾، فلا يردها إلى الجسد.

قرأ حمزة والكسائي: «قُضِيَ» بضم القاف وكسر الضاد وفتح الياء، «الموتُ» رفع على مالم يُسم فاعلهُ، وقرأ الآخرون بفتح القاف والضاد، «الموتَ» نصب لقوله عزّ وجلّ: «الله يتوفى الأنفس». ﴿ويرسل الأخرى﴾، ويرد الأخرى وهي التي لم يقضِ عليها الموت إلى الجسد، ﴿إلى أجلٍ مسمى﴾، إلى أن يأتي وقت موته.

ويقال: للإنسان نفس وروح، فعند النوم تخرج النفس وتبقى الروح. وعن علي قال: تخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فبذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه من النوم عاد الروح إلى جسده بأسرع من لحظة. ويقال: إن أرواح الأحياء والأموات تلتقي في المنام فتتعارف ما شاء الله، فإذا أرادت الرجوع إلى أجسادها أمسك الله أرواح الأموات عنده، وأرسل أرواح الأحياء حتى ترجع إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن يونس، حدثنا زهير، حدثنا عبدالله بن عمر حدثني سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة قال: قال رسوّل الله ﷺ: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره فإنه لا يدري ما خلفه عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه، إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين»[1].

﴿إن في ذلك لآياتٍ لقوم يتفكرون﴾، لدلالات على قدرته حيث لم يغلط في إمساك ما يمسك من الأرواح، وإرسال ما يرسل منها.

قال مقاتل: لعلامات لقوم يتفكرون في أمر البعث، يعني: إنَّ توفي نفس النائم وإرسالها بعد التوفي دليل على البعث.

---

(١) أخرجه البخاري في الدعوات، باب: التعوذ والقراءة عند المنام: ١١/١٢٥-١٢٦، ومسلم في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، برقم: (٢٧١٤)، ٤/٢٠٨٤، والمصنف في شرح السنة: ٥/٩٩.

أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا
وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ
إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾ قُلِ
ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ عَٰلِمَ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحۡكُمُ بَيۡنَ عِبَادِكَ
فِي مَا كَانُواْ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾

﴿أم اتخذوا من دونِ الله شفعاءَ قل﴾، يامحمد، **﴿أوَلَو كانوا﴾**، وإن كانوا يعني الآلهة، **﴿لا يملكون شيئاً﴾**، من الشفاعة، **﴿ولا يعقلون﴾**، أنكم تعبدونهم. وجواب هذا محذوف تقديره: وإن كانوا بهذه الصفة تتخذونهم.

﴿قل لله الشفاعة جميعاً﴾، قال مجاهد: لا يشفع أحد إلّا بإذنه، **﴿له ملكُ السمواتِ والأرض ثم إليه تُرجعونَ، وإذا ذُكِرَ اللّهُ وحدَهُ اشمأزتْ﴾**، نفرت، وقال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: انقبضت عن التوحيد. وقال قتادة: استكبرت. وأصل الاشمئزاز النفور والاستكبار، **﴿قلوبُ الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾**.

﴿وإذا ذُكِرَ الذين مِنْ دونه﴾، يعني: الأصنام، **﴿إذا هم يستبشرون﴾**، يفرحون، قال مجاهدومقاتل: وذلك حين قرأ النبي ﷺ سورة والنجم فألقى الشيطان في أمنيته: تلك الغرانيق العلى، ففرح به الكفار[1].

﴿قل اللهم فاطرَ السمواتِ والأرضِ عالمَ الغيب والشهادة أنت تحكُم بين عبادِك فيما كانوا فيه يختلفون﴾، أخبرنا الإمام أبو علي الحسين / بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم الإسفرايني، أخبرنا ١٠٧/أ
أبو عوانة، حدثنا السلمي، حدثنا النضر بن محمد، حدثنا عكرمة بن عمار، أخبرنا يحيى بن أبي كثير، حدثنا أبو سلمة قال: سألت عائشة رضي الله عنها بِمَ كان رسول الله ﷺ يفتتح الصلاة من الليل؟ قالت: كان يقول: «اللهمَّ ربَّ جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطرَ السموات والأرض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم»[2].

---

(١) راجع فيما سبق تفسير سورة الحج، الآية (٥٢): ٣٩٤/٥ تعليق (١).

(٢) أخرجه مسلم: في صلاة المسافرين، باب: الدعاء في صلاة الليل وقيامه، برقم: (٧٧٠) ٥٣٤/١، والمصنف في شرح السنة: ٧١/٤.

وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾ فَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَاهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلْ هِيَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾

قوله عزّ وجلّ: **﴿ولو أنّ للذين ظلموا ما في الأرضِ جميعاً ومثلَهُ معه لافتدَوْا به من سوءِ العذابِ يوم القيامة وبدا لهم من الله مالم يكونوا يحتسبون﴾**، قال مقاتل: ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا في الدنيا أنه نازل بهم في الآخرة. قال السدي: ظنوا أنها حسنات فبدت لهم سيئات، والمعنى: أنهم كانوا يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام، فلما عوقبوا عليها بدَا لهم من الله مالم يحتسبوا. ورُوي أن محمد بن المنكدر جزع عند الموت، فقيل له في ذلك فقال: أخشى أن يبدو لي مالم أحتسب[1].

﴿وبدَا لهم سيئاتُ ما كسبوا﴾، أي: مساوىء أعمالهم من الشرك والظلم بأولياء الله. **﴿وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾**.

﴿فإذا مسَّ الإنسانَ ضُرٌّ﴾، شدة، **﴿دعانا ثم إذا خوّلناه﴾**، أعطيناه **﴿نعمةً منّا قال إنّما أوتيتُهُ على علمٍ﴾**، أي: على علم من الله أني له أهل. وقال مقاتل: على خير علمه الله عندي، وذُكر الكناية لأن المراد من النعمة الإنعام، **﴿بل هي فتنة﴾**، [يعني: تلك النعمة فتنة][2] استدراج من الله تعالى وامتحان وبلية. وقيل: بل كلمته التي قالها فتنة. **﴿ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون﴾**، أنه استدراج وامتحان.

﴿قد قالها الذين من قبلِهم﴾، قال مقاتل: يعني قارون فإنه قال: «إنما أوتيته على علم عندي» (القصص – ٧٨)، **﴿فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون﴾**، فما أغني عنهم الكفر من العذاب شيئاً.

---

(١) انظر: القرطبي: ١٥/٢٦٥–٢٦٦.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا ۚ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَٰؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ
مَا كَسَبُوا وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ
وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ ۞ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا
عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ
الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾

﴿فأصابَهم سيئاتُ ما كَسَبوا﴾، أي: جزاؤها يعني العذاب. ثم أوعد كفار مكة فقال: **﴿والذين ظلموا من هؤلاءِ سيُصيبُهم سيئاتُ ما كَسَبُوا وما هم بمعجزين﴾**، بفائتين لأن مرجعهم إلى الله عزّ وجلّ.

﴿أوَ لم يعلموا أنّ الله يبسطُ الرزقَ لمَنْ يشاءُ﴾، أي: يوسع الرزق لمن يشاء، **﴿وَيَقْدِرُ﴾**، أي: يقتر على من يشاء، **﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يؤمنون﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿قُلْ ياعبادِيَ الذين أسرفوا على أنفسِهم لا تَقْنَطوا من رحمةِ الله﴾**.

روى سعيد بن جبير عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك كانوا قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا النبي ﷺ وقالوا: إن الذي تدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية[1].

وقال عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس رضي الله عنهما: بعث رسول الله ﷺ إلى وحشي يدعوه إلى الإسلام، فأرسل إليه: كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل أو أشرك أو زنى يلق أثاماً، يضاعف له العذاب، وأنا قد فعلت ذلك كله، فأنزل الله عزّ وجلّ: «إلّا من تاب وآمن وعمل صالحاً» (مريم - ٦٠)، فقال وحشي: هذا شرط شديد لعلّي لا أقدر عليه فهل غير ذلك؟ فأنزل الله تعالى: «إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء» (النساء - ٤٨، ١١٦)، فقال وحشي: أراني بعد في شبهة، فلا أدري يغفر لي أم لا؟ فأنزل الله تعالى: «قل ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله»، فقال وحشي: نعم هذا، فجاء وأسلم، فقال المسلمون: هذا له خاصة أم للمسلمين عامة؟ فقال: بل للمسلمين عامة[2].

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة الزمر - باب: «ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم..» الآية: ٥٤٩/٨.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٣٥/٧ للطبراني، وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان بسند لين، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠١/٧: «رواه الطبراني في الأوسط وفيه أيمن بن سفيان، ضعفه الذهبي». وضعفه ابن عدي وابن حبان وغيرهما.

ورُوي عن ابن عمر قال : نزلت هذه الآيات في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين كانوا قد أسلموا ثم فتنوا وعذبوا، فافتتنوا فكنّا نقول : لا يقبل الله من هؤلاء صرفاً ولا عدلاً أبداً، قوم أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه، فأنزل الله تعالىٰ هذه الآيات، فكتبها عمر ابن الخطاب بيده ثم بعث بها إلى عياش بن ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك النفر فأسلموا وهاجروا[(١)] .

وروى مقاتل بن حيان عن نافع عن ابن عمر قال : كنّا معاشر أصحاب رسول الله ﷺ نُرى أو نقول : ليس بشيء من حسناتنا إلّا وهي مقبولة حتى نزلت : ﴿أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم﴾ (محمد ــ ٣٣)، فلما نزلت هذه الآية قلنا : ما هذا الذي يبطل أعمالنا ؟ فقلنا : الكبائر والفواحش، قال: فكنّا إذا رأينا من أصاب شيئاً منها قلنا قد هلك، فنزلت هذه الآية، فكففنا عن القول في ذلك، فكنا إذا رأينا أحداً أصاب منها شيئاً خفنا عليه، وإن لم يصب منها شيئاً رجونا له، وأراد بالإسراف ارتكاب الكبائر[(٢)] .

وروي عن ابن مسعود أنه دخل المسجد فإذا قاص يقص وهو يذكر النار والأغلال، فقام على رأسه فقال : يامذكر لِمَ تقنّطُ الناسَ ؟ ثم قرأ : ﴿ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله﴾[(٣)] .

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا أبو محمد عبدالله بن أحمد الحموي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن خزيم الشاشي، حدثنا [عبد الله][(٤)] بن حميد، حدثنا حيان بن هلال وسليمان بن حرب وحجاج بن منهال قالوا : حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت : سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول : « (ياعبادي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعاً) ولايبالي»[(٥)] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن أبي عدي عن شعبة عن قتادة عن أبي الصديق الناجي عن أبي سعيد الخدري عن النبي ﷺ قال : «كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعةً

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/١٥، وانظر : أسباب النزول للواحدي ص ٤٢٧ ــ ٤٢٨ .
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/١٦ .
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤/١٦، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٣٧ لابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن أبي الدنيا، وابن أبي حاتم، والطبراني، والبيهقي في شعب الإيمان .
(٤) في «ب» (عبدالرحمن)، وفي شرح السنة: ١٤/٣٨٤ (عبد) .
(٥) أخرجه الترمذي في تفسير سورة الزمر: ٩/١١١ ــ ١١٢، وقال: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث ثابت عن شهر بن حوشب»، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٨٤ .

وتسعين إنساناً، ثم خرج يسأل فأتى راهباً فسأله، فقال: هل لي من توبة ؟ فقال : لا، فقتله فكمل به المائة، فقال له رجل : ائتِ قريةَ كذا وكذا، فأدركه الموت فَنَأى بصدره نحوها، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقربي وأوحى إلى هذه أن تباعدي، وقال: قيسوا ما بينهما فوجِدَ إلى هذه أقرب بشبر فغفر له»(١) .

١٠٧/ب ورواه مسلم بن الحجاج عن محمد بن المثنى العنبري عن / معاذ بن هشام عن أبيه عن قتادة بهذا الإسناد، وقال: «فَدُلّ على راهب فأتاه فقال إنّه قتل تسعة وتسعين نفساً فهل له من توبة؟ فقال له: لا فقتله وكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال له: قتلت مائة نفس فهل لي من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة ؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا فإن بها أناساً يعبدون الله فاعبدِ اللَّهَ معهم ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا كان نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فأتاهم ملك في صورة آدمي فجعلوه بينهم، فقال : قيسوا ما بين الأرضين فإلى أيتهما كان أدنى فهو له، فقاسوا فوجدوه أدنى إلى الأرض التي أراد، فقبضته ملائكة الرحمة»(٢) .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبدالصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «قال رجل - لم يعمل خيراً قط - لأهله إذا مات فحرِّقوه، ثم اذروا نصفه في البر ونصفه في البحر فوالله لئن قدر الله عليه ليعذبنه عذاباً لا يعذبه أحداً من العالمين، قال : فلما مات فعلوا ما أمرهم، فأمر الله البحر فجمع ما فيه وأمر البر فجمع ما فيه، ثم قال له : لِمَ فعلتَ هذا ؟ قال : من خشيتك يارب وأنت أعلم، فغفر له»(٣) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبدالله الخلال، حدثنا عبدالله بن المبارك عن عكرمة بن عمار، حدثنا ضمضم بن جوسٍ قال : دخلت مسجد المدينة فناداني شيخ، فقال: يايماني تعال، وما أعرفه، فقال: لا تقولن لرجل : والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الله الجنة، قلت: ومن أنت يرحمك الله ؟ قال : أبو هريرة، قال فقلت :

---

(١) أخرجه البخاري في أحاديث الأنبياء : ٦/٥١٢ .
(٢) أخرجه مسلم في التوبة، باب : قبول توبة القاتل وإن كثر قتله، برقم: (٢٧٦٦) ٤/٢١١٨ .
(٣) أخرجه مالك في الموطأ: ١/٢٤٠ والبخاري في التوحيد، باب: (يريدون أن يبدلوا كلام الله) ١٣/٤٦٦، ومسلم في التوبة، باب في سعة رحمة الله وأنها سبقت غضبه، برقم: (٢٧٥٦) ٤/٢١٠٩-٢١١٠، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٨٠ .

وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴿٥٤﴾ وَٱتَّبِعُوٓا۟ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾

إن هذه الكلمة [يقولها](١) أحدنا لبعض أهله إذا غضب أو لزوجته أو لخادمه، قال: فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر يقول كأنه مذنب، فجعل يقول: أقصِرْ أقصِرْ عمّا أنت فيه، قال فيقول: خلّني وربي، قال: حتى وجده يوماً على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أَبُعثتَ عليَّ رقيباً؟ فقال: واللهِ لا يغفر اللّهُ لك أبداً، ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث الله إليهما ملَكاً فقبض أرواحهما فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي؟ فقال: لا يارب، فقال اذهبوا به إلى النار» قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته(٢).

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنّ الله يغفرُ الذنوبَ جميعاً إنّه هو الغفور الرحيم﴾.

أخبرنا عبد الرحمن بن أبي بكر القفّال، أخبرنا أبو مسعود محمد بن أحمد بن يونس الخطيب، حدثنا محمد بن يعقوب الأصم، حدثنا أبو قلابة، حدثنا أبو عاصم، حدثنا زكريا بن إسحاق عن عمرو بن دينار عن عطاء عن ابن عباس في قوله تعالى: «إلا اللمم» (النجم - ٣٢) قال رسول الله ﷺ:

«إنْ تغفرِ اللهمّ تغفرْ جمّا ... وأيُّ عبدٍ لك لا ألمّا»(٣)

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأنيبوا إلى ربّكم﴾، أقبلوا وارجعوا إليه بالطاعة، ﴿وأسلِموا له﴾، أخلصوا له التوحيد، ﴿من قبل أن يأتيَكم العذابُ ثم لا تُنصرون﴾.

﴿واتّبعوا أحسنَ ما أُنزل إليكم من ربّكم﴾، يعني: القرآن، والقرآن كله حسن، ومعنى الآية ما قاله الحسن: التزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن القرآن ذكر القبيح لتجتنبه، وذكر الأدْون لئلا ترغب فيه، وذكر الأحسن لتؤثره. قال السدي: «الأحسن» ما أمر الله به في الكتاب، ﴿من قبلِ أنْ يأتيَكم العذابُ بغتةً وأنتم لا تشعرون﴾.

---

(١) في «أ» يذكرها.

(٢) أخرجه ابن المبارك في الزهد برقم (٩٠٠) وأبو داود في الأدب، باب في النهي عن البغي: ٧/٢٢٤-٢٢٥، والإمام أحمد: ٢/٣٢٣، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٨٤-٣٨٥.

(٣) أخرجه الترمذي في التفسير - تفسير سورة النجم - ٩/١٧٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق» والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٨٧.

أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾
أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى
ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ
ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى
لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ ٱلسُّوٓءُ

﴿أن تقولَ نفسٌ﴾، يعني: لئلا تقول نفس، كقوله : «وألقى في الأرض رواسيَ أن تميد بكم» (النحل ـ ١٥)، أي : لئلا تميد بكم، قال المبرد : أي بادرُوا واحذرُوا أن تقول نفس. وقال الزجاج : خوفَ أن تصيروا إلى حال تقولون هذا القول، ﴿ياحسرتى﴾ ياندامتا، والتحسر الاغتمام على ما فات، وأراد: ياحسرتي، على الإضافة، لكن العرب تحول ياء الكناية ألفاً في الاستغاثة، فتقول: ياحسرتا[1] وياندامتا، وربما ألحقوا بها الياء بعد الألف ليدل على الإضافة، وكذلك قرأ أبو جعفر (ياحسرتاي)، وقيل: معنى قوله: «ياحسرتا» يا أيتها الحسرة هذا وقتك، ﴿على ما فرَّطتُ في جنب الله﴾، قال الحسن : قصرت في طاعة الله . وقال مجاهد : في أمر الله. وقال سعيد بن جبير : في حق الله. وقيل : ضيعت في ذات الله. وقيل : معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي إلى رضاء الله. والعرب تسمي الجنب جانباً. ﴿وإن كنتُ لمن الساخرين﴾، المستهزئين بدين الله وكتابه ورسوله والمؤمنين قال قتادة : لم يكفه أن ضيع طاعة الله حتى جعل يسخر بأهل طاعته .

﴿أوْ تقولَ لو أنّ الله هداني لكنتُ من المتقين * أو تقولَ حين ترى العذابَ﴾، عياناً، ﴿لو أن لي كرةً﴾، رجعة إلى الدنيا، ﴿فأكونَ من المحسنين﴾، الموحدين .

ثم يقال لهذا القائل : ﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾،يعني: القرآن، ﴿فكذَّبتَ بها﴾، وقلت إنها ليست من الله، ﴿واستكبرتَ﴾، تكبرت عن الإيمان بها، ﴿وكنتَ من الكافرين﴾ .

﴿ويومَ القيامة ترى الذين كَذَبُوا على الله﴾، فزعموا أن له ولداً وشريكاً، ﴿وجُوهُهُم مسودةٌ أليسَ في جهنَّمَ مثوىً للمتكبرين﴾، عن الإيمان .

﴿وَيُنَجّي الله الذين اتّقَوْا بمفازَتِهِم﴾، قرأ حمزة، والكسائي، وأبو بكر: «بمفازاتهم» بالألف على

---

(١) في «ب» : ياويلتا .

وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾

الجمع، أي: بالطرق التي تؤديهم إلى الفوز والنجاة، وقرأ الآخرون: «بمفازتهم» على الواحد لأن المفازة بمعنى الفوز، أي: ينجيهم بفوزهم من النار بأعمالهم الحسنة. قال المبرد: المفازة مفعلة من الفوز، والجمع حسن كالسعادة والسعادات. ﴿لا يمسُّهم السوءُ﴾، لا يصيبهم المكروه، ﴿ولا هم يحزنون﴾.

﴿الله خالقُ كُلِّ شيءٍ وهو على كلِّ شيءٍ وكيلٌ﴾، أي: الأشياء كلها موكولة إليه فهو القائم بحفظها

﴿له مقاليدُ السمواتِ والأرضِ﴾، مفاتيح خزائن السموات والأرض، واحدها / مقلاد، مثل ١٠٨/أ
مفتاح، ومقليد مثل منديل ومناديل. وقال قتادة ومقاتل: مفاتيح السموات والأرض بالرزق والرحمة. وقال الكلبي: خزائن المطر وخزائن النبات. ﴿والذين كفروا بآياتِ الله أولئك هُمُ الخاسرون﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿قل أفغيرَ الله تأمُرُونّي أعبدُ أيّها الجاهلون﴾؟ قال مقاتل: وذلك أن كفار قريش دعوه إلى دين آبائه. قرأ أهل الشام «تأمرونَنِي» بنونين خفيفتين على الأصل، وقرأ أهل المدينة بنون واحدة خفيفة على الحذف، وقرأ الآخرون بنون واحدة مشددة على الإدغام.

﴿ولقد أُوحيَ إليك وإلى الذين من قبلِك لئِنْ أشركتَ لَيَحْبَطنّ عمَلُكَ﴾، الذي عملته قبل الشرك وهذا خطاب مع الرسول ﷺ، والمراد منه غيره. وقيل: هذا أدب من الله عزّ وجلّ لنبيه وتهديد لغيره، لأن الله تعالى عصمه من الشرك. ﴿ولَتكونَنّ من الخاسرين﴾.

﴿بَلِ الله فاعبدْ وكن من الشاكرين﴾، لإنعامه عليك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وما قَدَرُوا الله حقَّ قدْرِهِ﴾، ما عظّموه حق عظمته حين أشركوا به غيره، ثم أخبر عن عظمته فقال: ﴿والأرضُ جميعاً قبضَتُهُ يومَ القيامةِ والسمواتُ مطوياتٌ بيمينهِ سبحانَهُ وتعالى عمّا يشركون﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا آدم، حدثنا شيبان عن منصور عن إبراهيم عن عبيدة عن عبدالله بن مسعود قال: جاء حَبْرٌ من الأحبار إلى رسول الله ﷺ فقال: «يامحمد إنَّا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه تصديقاً لقول الحبر، ثم قرأ: «وما قدروا الله حقّ قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة»[(1)].

ورواه مسلم بن الحجاج عن أحمد بن عبدالله بن يونس عن فضيل بن عياض عن منصور، وقال: «والجبال والشجر على إصبع، وقال: ثم يهزهن هزاً، فيقول: (أنا الملك أنا الله)»[(2)].

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني الحسين بن فنجويه، حدثنا عمر بن الخطاب، حدثنا عبدالله بن الفضل، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا أبو أسامة، عن عمر ابن حمزة، عن سالم بن عبدالله، أخبرني عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «يطوي اللهُ السمواتِ يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون؟ ثم يطوى الأرضين ثم يأخذهن بشماله، ثم قال: أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون»، هذا حديث صحيح أخرجه مسلم عن أبي بكر بن أبي شيبة[(3)].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبدالله بن أبي توبة الكشميهني، حدثنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، حدثنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبدالله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبدالله ابن المبارك، عن يونس عن الزهري، حدثني سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك أين ملوك الأرض»[(4)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**وَنُفِخَ في الصور فَصَعِقَ مَنْ في السموات وَمَنْ في الأرض**﴾، ماتوا من الفزع، وهي النفخة الأولى، ﴿**إِلَّا مَنْ شاءَ اللهُ**﴾، اختلفوا في الذين استثناهم الله عزّ وجلّ، وقد ذكرناهم في سورة النمل، قال الحسن: إلا من شاء الله يعني الله وحده، ﴿**ثم نُفِخَ فيه**﴾، أي: في الصور، ﴿**أخرى**﴾، أي: مرة أخرى، ﴿**فإذا هم قيامٌ ينظرون**﴾، [من قبورهم][(5)] ينتظرون أمر الله فيهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد، حدثنا أبو معاوية عن الأعمش عن أبي صالح عن أبي هريرة قال:

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة الزمر – باب: «وما قدروا الله حق قدره» ٨/٥٥٠-٥٥١.
(٢) أخرجه مسلم في صفة القيامة والجنة والنار برقم (٢٧٨٦): ٤/٢١٤٧.
(٣) أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم (٢٧٨٨): ٤/٢١٤٨.
(٤) أخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة الزمر – باب: «وما قدروا الله حق قدره» ٥/٥٥١، ومسلم في صفة القيامة والجنة والنار. برقم (٢٧٨٧) ٤/٢١٤٨، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١١٠-١١١.
(٥) زيادة من «ب».

ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾ وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا
وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا
يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾
وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ
لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ

قال رسول الله ﷺ: «ما بين النفختين أربعون»، قالوا: أربعون يوماً؟ قال: «أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: «أبيت»، قالوا: أربعون سنة؟ قال: «أبيت، قال: «ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظم واحد، وهو عجب الذنب ومنه يتركب الخلق يوم القيامة»[1].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وأشرقتِ الأرضُ﴾، أضاءت، ﴿بنورِ ربِّها﴾ بنور خالقها، وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه، فما يتضارون في نوره كما لا يتضارون في الشمس في اليوم الصحو. وقال الحسن والسدي: بعدل ربِّها، وأراد بالأرض عرصات القيامة، ﴿ووُضِعَ الكتابُ﴾، أي: كتاب الأعمال، ﴿وجِيءَ بالنبيين والشهداءِ﴾، قال ابن عباس: يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة، وهم أمة محمد ﷺ. وقال عطاء: يعني الحفظة، يدل عليه قوله تعالى: «وجاءتْ كلُّ نفسٍ معها سائقٌ وشهيد» (قٓ - ٢١)، ﴿وقُضِيَ بينهم بالحقِّ﴾، أي: بالعدل، ﴿وهم لا يُظلَمُونَ﴾، أي: لا يزاد في سيئاتهم ولا ينقص من حسناتهم.

﴿ووُفِّيتْ كلُّ نفسٍ ما عملتْ﴾، أي: ثواب ما عملت، ﴿وهو أعلمُ بما يفعلون﴾، قال عطاء: يريد أني عالم بأفعالهم لا أحتاج إلى كاتب ولا إلى شاهد.

﴿وسِيقَ الذين كفروا إلى جهنمَ﴾، سوقاً عنيفاً، ﴿زُمَراً﴾، أفواجاً بعضها على إثر بعض، كل أمة على حدة. قال أبو عبيدة والأخفش: «زمراً» أي: جماعات في تفرقة، واحدتها زمرة. ﴿حتى إذا جاءوها فُتِحَتْ أبوابها﴾، السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك، قرأ أهل الكوفة «فُتِحَتْ، وفُتِحَتْ» بالتخفيف، وقرأ الآخرون بالتشديد على التكثير ﴿وقال لهم خزنتُها﴾، توبيخاً وتقريعاً لهم، ﴿ألمْ يأتِكم رسلٌ منكم﴾، من أنفسكم، ﴿يتلون عليكم آياتِ ربكم وينذرونكم لقاءَ يومِكم هذا قالوا بلى ولكنْ حقتْ﴾، وجبت، ﴿كلمةُ العذابِ على الكافرين﴾، وهو قوله عزّ وجلّ: «لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين» (هود-١١٩).

(١) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة الزمر- باب: «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض»: ٨/٥٥١، ومسلم في الفتن، باب: ما بين النفختين. برقم (٢٩٥٥) ٤/٢٢٧٠-٢٢٧١، والمصنف في شرح السنة: ١٥/١٠٤ .

لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾
قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾
وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا
وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾

﴿قِيلَ ادخلوا أبوابَ جهنمَ خالدين فيها فبئسَ مثوى المتكبرين * وسِيقَ الذين اتَّقَوْا ربَّهم إلى الجنةِ زمراً حتى إذا جاءوها وَفُتِحَتْ أبوابُها﴾، قال الكوفيون: هذه الواو زائدة حتى تكون جواباً لقوله: «حتى إذا جاءوها» / كما في سَوق الكفار، وهذا كما قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى وهارون الفرقان وضياء» (الأنبياء - ٤٨)، [أي: ضياء][1]، والواو زائدة. ١٠٨/ب

وقيل: الواو واو الحال، مجازه: وقد فتحت أبوابها، فأدخل الواو لبيان أنها كانت مفتحة قبل مجيئهم، وحذفها في الآية الأولى لبيان أنها كانت مغلقة قبل مجيئهم.

فإذا لم تجعل الواو زائدة في قوله: «وفتحت أبوابها» اختلفوا في جواب قوله: «حتى إذا»، قيل: جوابه قوله: «جاءوها».

«وقال لهم خزنتها»، والواو فيه ملغاة تقديره: حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها.

وقال الزجاج: القول عندي أن الجواب محذوف، تقديره: «حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها، وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين» دخلوها، فحذف «دخلوها» لدلالة الكلام عليه.

﴿وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم﴾ يريد أن خزنة الجنة يسلمون عليهم ويقولون: طبتم. قال ابن عباس: طاب لكم المقام. قال قتادة: هم إذا قطعوا النار حبسوا على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص بعضهم من بعض حتى إذا هُذِّبوا وطيّبوا أدخلوا الجنة، فقال لهم رضوان وأصحابه: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»[2].

وروي عن علي عليه السلام قال: سيقوا إلى الجنة فإذا انتهوا إليها وجدوا عند بابها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان فيغتسل المؤمن من إحداهما فيطهر ظاهره، ويشرب من الأخرى فيطهر باطنه، وتلقيهم الملائكة على أبواب الجنة يقولون: «سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين»[3].

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر: القرطبي: ٢٨٦/١٥.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٢٦٣/٧، القرطبي: ٢٨٦/١٥.

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِّينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٥﴾

﴿وقالوا الحمدُ لله الذي صدقَنا وعدَهُ وأورثَنا الأرضَ﴾، أي: أرض الجنة. وهو قوله عزّ وجلّ: «ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أنّ الأرضَ يرثها عباديَ الصالحون» (الأنبياء - ١٠٥). **﴿نتبوَّأ﴾**، ننزل، **﴿من الجنة حيث نشاء﴾**، قال الله تعالى: **﴿فنِعمَ أجرُ العاملين﴾**، ثواب المطيعين .

﴿وترى الملائكةَ حافّينَ من حولِ العرشِ﴾، أي: محدقين محيطين بالعرض، مطيفين بحوافيه أي: بجوانبه، **﴿يسبِّحون بحمد ربهم﴾**، قيل: هذا تسبيح تلذذ لا تسبيح تعبد، لأن التكليف [يزول][(١)] في ذلك اليوم، **﴿وقُضيَ بينهم بالحق﴾**، أي: قضي بين أهل الجنة والنار بالعدل، **﴿وقيلَ الحمدُ لله ربِّ العالمين﴾**، يقول أهل الجنة: شكرا لله، حين تم وعدُ الله لهم .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثناعبيد الله بن موسى، حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق عن أبي الأحوص عن عبد الله قال : إن مثل القرآن كمثل رجل انطلق يرتاد لأهله منزلاً فمرّ بأثر غيث فبينما هو يسير فيه ويتعجب منه إذ هبط على روضات دمثات[(٢)]، فقال : عجبت من الغيث الأول فهذا أعجب منه وأعجب، فقيل له : إن مثل الغيث الأول مثل عُظْم القرآن، وإن مثل هؤلاء الروضات الدمثات مثل الـ حَمٓ في القرآن[(٣)] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو محمد الرومي، حدثنا أبو العباس السراج، حدثنا قتيبة، حدثنا ابن لهيعة، عن يزيد بن أبي حبيب أن الجراح بن أبي الجراح حدثه عن ابن عباس قال : لكل شيء لباب ولباب القرآن الحواميم[(٤)]. وقال ابن مسعود: إذا وقعت في آل حَمٓ وقعت في روضات دمثات أتأنّق فيهن[(٥)]. وقال سعد بن إبراهيم: كن - آل حَمٓ - يسمين العرائس[(٦)] .

(١) في «ب» : متروك .
(٢) في تربتها لين وسهولة، نقول: رجل دمث: سهل خلُقه .
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٦٨-٢٦٩ لمحمد بن نصر، وحميد بن زنجويه .
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٦٨ لأبي عبيد في فضائله .
(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٦٨ لأبي عبيد، ومحمد بن نصر، وابن المنذر . وانظر : البحر المحيط : ٧/٤٤٧ .
(٦) أخرجه الدارمي: ٢/٣٢٨ ، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٢٦٩ .نسبته لمحمد بن نصر .

سورة غافر

سُورَةُ غَافِرٍ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوْبِ

قوله عزّ وجلّ : ﴿حمٓ﴾، قد سبق الكلام في حروف التهجي[2]. قال السدي عن ابن عباس : حمٓ اسم الله الأعظم. وروى عكرمة عنه قال : آلر، وحمٓ، ونون، حروف الرحمن ١٠٩/أ
مقطعة[3]. وقال سعيد بن جبير وعطاء الخراساني : الحاء افتتاح أسمائه : حكيم حميد حي حليم حنان، والميم افتتاح أسمائه : مالك مجيد منان. وقال الضحاك والكسائي : معناه قضى ما هو كائن كأنهما أشارا إلى أن معناه : حُمّ، بضم الحاء وتشديد الميم[4]، وقرأ حمزة والكسائي وأبو بكر: حمٓ بكسر الحاء، والباقون بفتحها .

﴿تنزيلُ الكتابِ مِنَ الله العزيزِ العليم * غافرِ الذَّنبِ﴾، ساتر الذنب، ﴿وقابِلِ التَّوْبِ﴾،

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس - رضي الله - عنهما - قال : أُنزلت الحواميم السبع بمكة .
وأخرج ابن جرير عن الشعبي - رضي الله عنه - قال: أخبرني مسروق رضي الله عنه أنها أُنزلت بمكة .
وأخرج ابن مردويه والديلمي عن سمرة بن جندب - رضي الله عنه - قال: نزلت الحواميم جميعاً بمكة .
وأخرج ابن مردوية عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: نزلت حم (المؤمن) بمكة، انظر : الدر المنثور : ٢٦٨/٧ .

(٢) راجع فيما سبق: ٥٨/١-٥٩.

(٣) أخرجه الطبري : ٣٩/٢٤ .

(٤) قال صاحب البحر المحيط : ٤٤٧/٧ : «تقدم الكلام على هذه الحروف المقطعة في أول البقرة، وقد زادوا في حاميم أقوالاً وهي مروية عن السلف غنينا عن ذكرها لاضطرابها وعدم الدليل على صحة شيء منها» .

﴿شَدِيدِ ٱلْعِقَابِ ذِى ٱلطَّوْلِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ إِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ۝٣ مَا يُجَٰدِلُ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝٤﴾

يعني التوبة، مصدر تاب يتوب توباً. وقيل: التوب جمع توبة مثل دومة ودَوم وخَومة وخَوم. قال ابن عباس: غافر الذنب لمن قال لا إله إلا الله، [وقابل التوب ممن قال لا إله إلا الله][1]. ﴿**شديدِ العقاب**﴾، لمن لا يقول لا إله إلا الله، ﴿**ذي الطَّوْلِ**﴾، ذي الغنى عمن لا يقول لا إله إلا الله. قال مجاهد: «ذي الطول»: ذي السعة والغنى. وقال الحسن: ذو الفضل. وقال قتادة: ذو النعم. وقيل: ذو القدرة. وأصل الطَّول الإنعام الذي تطول مدته على صاحبه. ﴿**لا إله إلا هو إليه المصير**﴾.

﴿**ما يجادلُ في آياتِ الله**﴾، في دفع آيات الله بالتكذيب والإنكار، ﴿**إلّا الذين كفروا**﴾، قال أبو العالية: آيتان ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن: «ما يجادلُ في آيات الله إلا الذين كفروا»، و«إن الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد»[2] (البقرة ـــ ١٧٦).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عبدالله بن أحمد، حدثنا محمد ابن خالد، أخبرنا داود بن سليمان، أخبرنا عبد الله بن حميد، حدثنا الحسين بن علي الجعفي عن زائدة عن ليث عن سعد بن إبراهيم عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إنّ جدالًا في القرآن كفر»[3].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن عمرو ابن شعيب عن أبيه عن جده قال: سمع رسول الله ﷺ قوماً يتمارون في القرآن، فقال: «إنما هلك من كان قبلكم بهذا، ضربوا كتاب الله عز وجل بعضه ببعض، وإنما نزل كتاب الله يصدق

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) انظر: القرطبي: ٢٩٢/١٥.
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٣/٧ لعبد بن حميد وليث فيه ضعف.
وانظر: الكافي الشاف ص (١٤٤).
وأخرجه الطيالسي في المسند ص ٣٠٢ والبيهقي من حديث عبد الله بن عمرو بلفظ: «لا تجادلوا في القرآن، فإن جدالاً فيه كفر». انظر: الفتح السماوي: ٩٧٥/٣-٩٧٦، كنز العمال: ٦١٥/١.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْزَابُ مِن بَعْدِهِمْ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ﴾

بعضه بعضاً، فلا تكذّبوا بعضه ببعض، فما علمتم منه فقولوه، وما جهلتم منه فكلوه إلى عالمه»[1].

قوله تعالى: ﴿فلا يَغْرُرْكَ تقلّبهم في البلادِ﴾، تصرفهم في البلاد للتجارات وسلامتهم فيها مع كفرهم، فإن عاقبة أمرهم العذاب، نظيره قوله عزّ وجلّ: «لا يغرنّك تقلب الذين كفروا في البلاد» (آل عمران ــ ١٩٦).

١٠٩/أ ﴿كَذَّبتْ قبلَهم قومُ نوحٍ والأحزابُ من بعدِهم﴾، وهم الكفار الذين تحزبوا / على أنبيائهم بالتكذيب من بعد قوم نوح، ﴿وهمّت كلُّ أمةٍ برسولهم ليأخذُوه﴾، قال ابن عباس: ليقتلوه ويهلكوه. وقيل: ليأسروه. والعرب تسمي الأسير أخيذاً، ﴿وجادلوا بالباطلِ لِيُدْحِضُوا﴾، ليبطلوا، ﴿به الحقَّ﴾، الذي جاء به الرسل ومجادلتهم مثل قولهم: «إن أنتم إلّا بشرٌ مثلنا» (إبراهيم ــ ١٠)، و«لولا أنزل علينا الملائكة» (الفرقان ــ ٢١)، ونحو ذلك، ﴿فأخذْتُهم فكيف كانَ عِقابِ﴾.

﴿وكذلكَ حقَّتْ كلمةُ ربِّك﴾، يعني: كما حقت كلمة العذاب على الأمم المكذبة حقت، ﴿على الذين كفروا﴾، من قومك، ﴿أنّهم أصحابُ النّارِ﴾، قال الأخفش: لأنهم أو بأنهم أصحاب النار.

قوله عزّ وجلّ: ﴿الذين يحملونَ العرشَ ومَنْ حولَهُ﴾، حملة العرش والطائفون به وهم الكروبيون، وهم سادة الملائكة. قال ابن عباس: حملة العرش ما بين كعب أحدهم إلى أسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام[2]، ويروى أن أقدامهم في تخوم الأرضين، والأرضون والسموات إلى

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف (كتاب الجامع للإمام معمر): ٢١٧/١١، والإمام أحمد: ١٩٥/٢، وابن ماجه بمعناه برقم: (٨٥) في المقدمة: ٣٣/١ وقال في الزوائد: إسناده صحيح ورجاله ثقات، وعزاه في مجمع الزوائد: ١٧١/١ للطبراني في الكبير، وفيه صالح بن أبي الأخضر.

(٢) أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ١٤٣/٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٢٧٥/٧ـ٢٧٦ لعبد بن حميد وابن مردويه.

﴿ٱلنَّارِ ۝٦ ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ۝٧﴾

حجزهم، وهم يقولون : سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت، سبحان الحي الذي لا يموت، سُبّوحٌ قُدّوسٌ ربُّ الملائكة والروح .

وقال ميسرة بن عروبة : أرجلهم في الأرض السفلى ، ورؤوسهم خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة، وأهل السماء السابعة أشد خوفاً من أهل السماء التي تليها، والتي تليها أشد خوفاً من التي تليها. وقال مجاهد: بين الملائكة والعرش سبعون حجاباً من نور .

وروى محمد بن المنكدر عن جابر قال : قال رسول الله ﷺ : « أُذن لي أن أُحدّث عن ملك من ملائكة الله من حملة العرش ما بين شحمة أذنيه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام»(1) .

وروى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده أنه قال : [إن ما](2) بين القائمة من قوائم العرش والقائمة الثانية خفقان الطير المسرع ثلاثين ألف عام، والعرش يُكسى كل يوم سبعين ألف لون من النور، لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة في فلاة .

وقال مجاهد : بين السماء السابعة وبين العرش سبعون ألف حجاب من نور، وحجاب من ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة .

وقال وهب بن منبه : إن حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة، صف خلف صف يطوفون بالعرش ، يقبل هؤلاء [ويدبر](3) هؤلاء ، فإذا استقبل بعضهم بعضاً هلّل هؤلاء وكبّر هؤلاء ، ومن ورائهم سبعون ألف صف قيام ، أيديهم إلى أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم ، فإذا سمعوا تكبير أولئك وتهليلهم رفعوا أصواتهم، فقالوا: سبحانك وبحمدك ما أعظمك

---

(1) أخرجه أبو داود في السنة، باب في الجهمية : ١٧/٧، والبيهقي في الأسماء والصفات : ١٤٢/٢ بسند صحيح، وزاد السيوطي في الدر المنثور : ٢٧٤/٧ عزوه لابن أبي حاتم وأبي الشيخ في العظمة، وابن مردويه .

(2) زيادة من «ب» .

(3) في «أ»: ويقبل .

رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِي وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ

وأجلَّك أنت الله لا إله غيرك، أنت الأكبر، الخلق كلهم لك راجعون. ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليمنى على اليسرى ليس منهم أحد إلا وهو يسبح بتحميد لا يسبحه الآخر، ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلثمائة عام، وما بين شحمة أذنه إلى عاتقه أربعمائة عام، واحتجب الله من الملائكة الذين حول العرش بسبعين حجاباً من نار، وسبعين حجاباً من ظلمة، وسبعين حجاباً من نور، وسبعين حجاباً من دُرٍّ أبيض، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، [وسبعين حجاباً من ياقوت أصفر][(١)]، وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ثلج، وسبعين حجاباً من ماء، وسبعين حجاباً من برد، ومالا يعلمه إلا الله تعالى. قال: ولكل واحد من حملة العرش ومن حوله أربعة وجوه، وجه ثور ووجه أسد ووجه نسر ووجه إنسان، ولكل واحد منهم أربعة أجنحة، أما جناحان فعلى وجهه مخافة أن ينظر إلى العرش فيصعق، وأما جناحان فيهفو بهما، ليس لهم كلام إلا التسبيح والتحميد والتكبير والتمجيد[(٢)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**يُسَبِّحون بحمدِ ربِّهم ويؤمنون به**﴾، يصدّقون بأنه واحد لا شريك له.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا عمر بن عبدالله الرقاشي، حدثنا جعفر بن سليمان، حدثنا هارون بن رباب، حدثنا شهر بن حوشب قال: حملة العرش ثمانية، فأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك، وأربعة منهم يقولون: سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك، قال: وكأنهم ينظرون ذنوب بني آدم[(٣)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ويستغفرون للذين آمنوا ربَّنا**﴾، يعني يقولون ربنا، ﴿**وسعتَ كلَّ شيء رحمةً وعلماً**﴾، قيل: نصب على التفسير، وقيل: على النقل، أي: وسعت رحمتك وعلمك كل شيء، ﴿**فاغفر للذين تابوا واتَّبعُوا سبيلَك**﴾، دينك. ﴿**وَقِهِم عذابَ الجحيم**﴾، قال [مطرِّف][(٤)]: أنصح عباد الله للمؤمنين هم الملائكة، وأغش الخلق للمؤمنين هم الشياطين[(٥)].

﴿**ربَّنا وأدخِلْهم جناتِ عدنٍ التي وعدْتَهم ومَنْ صَلَحَ من آبائِهم وأزواجِهم وذُرِّيّاتِهم إنك أنت العزيزُ الحكيمُ**﴾، قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة فيقول: أين أبي؟ أين أمي، أين ولدي

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».
(٢) انظر: زاد المسير: ٢٠٨/٧.
(٣) ذكره ابن كثير في تفسيره: ٧٣/٤.
(٤) ساقط من «أ».
(٥) انظر: القرطبي ٢٩٥/١٥.

وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾ قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾

أين زوجي ؟ فيقال : إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول : إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال : أدخلوهم الجنة[1] .

﴿وَقِهِمُ السيئاتِ﴾، العقوبات، ﴿ومن تقِ السيئاتِ﴾، أي: ومن تقه السيئات يعني العقوبات، وقيل : جزاء السيئات، ﴿يومئذٍ فقد رَحِمتَه وذلك هو الفوزُ العظيمُ﴾ .

قوله عزّ وجلّ : ﴿إنّ الذين كفروا يُنادَوْنَ﴾، يوم القيامة وهم في النار وقد مَقَتُوا أنفسَهم حين عُرضت عليهم سيئاتهم، وعاينوا العذاب، فيقال لهم : ﴿لمقتُ الله أكبرُ من مقتِكم أنفسَكُم إذ تُدْعَوْنَ إلى الإيمانِ فتكفرون﴾، يعني لمقت الله إيّاكم في الدنيا إذْ تدعون إلى الإيمان فتكفرون أكبر من مقتكم اليوم أنفسكم عند حلول العذاب بكم .

﴿قالوا ربنا أمتّنا اثنتين وأحييتَنا اثنتين﴾، قال ابن عباس - رضي الله تعالى عنهما - وقتادة والضحاك : كانوا أمواتاً في أصلاب آبائهم فأحياهم الله في الدنيا، ثم أماتهم الموتة التي لا بدّ منها، ثم أحياهم للبعث يوم القيامة، فهما موتتان وحياتان[2]، وهذا كقوله تعالى : «كيف تكفرون بالله
وكنتم أمواتاً فأحياكم ثم يميتكم / ثم يحييكم» (البقرة - ٢٨)، وقال السدي: أُميتوا في الدنيا ثم أُحيوا ١٠٩/ب
في قبورهم للسؤال، ثم أميتوا في قبورهم ثم أُحيوا في الآخرة[3]. ﴿فاعترفنا بذنوبنا فهل إلى خروجٍ من سبيل﴾، أي : من خروج من النار إلى الدنيا فنصلح أعمالنا ونعمل بطاعتك، نظيره : «هل إلى مَردٍّ من سبيل» (الشورى - ٤٤) .

(١) أخرجه الطبري : ٤٥/٢٤ .
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٢٧٨/٧ لعبد بن حميد، وابن المنذر .
(٣) أخرجه الطبري : ٤٨/٢٤ .

ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِيَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ ۖ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾ هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾ يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ ۚ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾

قال الله تعالى : **﴿ذلكم بأنه إذا دُعيَ اللَّهُ وحدَه كفرتُم﴾**، فيه متروك استغني عنه لدلالة الظاهر عليه، مجازه : فأُجيبوا أن لا سبيل إلى ذلك، وهذا العذاب والخلود في النار بأنكم إذا دعي الله وحده كفرتم، إذا قيل لا إله إلا الله [كفرتم](١)، وقلتم: «أجعل الآلهة إلهاً واحداً» (صٓ - ٥)، **﴿وإن يُشرَكْ به﴾**، غيره، **﴿تؤمنوا﴾**، تصدقوا ذلك الشرك، **﴿فالحكم لله العليّ الكبير﴾**. الذي لا أعلى منه ولا أكبر .

﴿هو الذي يُريْكم آياتِه ويُنَزِّلُ لكم من السماءِ رزقاً﴾، يعني : المطر الذي هو سبب الأرزاق، **﴿وما يَتَذَكَّرُ﴾**، وما يتعظ بهذه الآيات، **﴿إلَّا مَنْ يُنيبُ﴾**، يرجع إلى الله تعالى في جميع أموره .

﴿فادعوا الله مُخلصينَ له الدين﴾، الطاعة والعبادة. **﴿ولو كَرِهَ الكافرون﴾** .

﴿رفيعُ الدرجاتِ﴾، رافع درجات الأنبياء والأولياء في الجنة، **﴿ذو العرش﴾**، خالقه ومالكه، **﴿يُلقي الرُّوحَ﴾**، ينزل الوحي، سماه روحاً لأنه تحيا به القلوب كما تحيا الأبدان بالأرواح، **﴿من أمره﴾**، قال ابن عباس : من قضائه. وقيل : من قوله. وقال مقاتل : بأمره. **﴿على مَنْ يشاءُ من عبادِه لينذرَ﴾**، أي: لينذر النبي بالوحي، **﴿يومَ التلاقِ﴾**، وقرأ يعقوب بالتاء أي : لتنذر أنت يامحمد يوم التلاق، يوم يلتقي أهل السماء وأهل الأرض. قال قتادة ومقاتل : يلتقي فيه الخلق والخالق. قال ابن زيد: يتلاقى العباد. وقال ميمون بن مهران: يلتقي الظالم والمظلوم والخصوم. وقيل: يلتقي العابدون والمعبودون. وقيل: يلتقي فيه المرء مع عمله(٢) .

﴿يومَ هم بارزون﴾، خارجون من قبورهم ظاهرون لا يسترهم شيء، **﴿لا يخفى على الله منهم﴾**، من أعمالهم وأحوالهم، **﴿شيء﴾**، يقول الله تعالى في ذلك اليوم بعد فناء الخلق : **﴿لِمَنْ**

---

(١) في «ب» أنكرتم .

(٢) ذكر هذه الأقوال القرطبي : ١٥/٣٠٠ .

ٱلْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ ۚ لَا ظُلْمَ ٱلْيَوْمَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ
﴿١٧﴾ وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْءَازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ
حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾
وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ
ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ ۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ

الملكُ اليومَ﴾، فلا أحد يجيبه، فيجيب نفسه فيقول: **﴿لله الواحدِ القهارِ﴾**، الذي قهر الخلق بالموت .

﴿اليومَ تُجزى كلُّ نفسٍ بما كسبتْ﴾، يُجزى المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، **﴿لا ظلمَ اليومَ إنَّ الله سريعُ الحساب﴾** .

﴿وأنذِرْهم يومَ الآزِفَةِ﴾، يعني : يوم القيامة، سميت بذلك لأنها قريبة إذ كل ما هو آت قريب، نظيره قوله عزّ وجلّ : «أزفت الآزفة» (النجم ــ ٥٧)، أي : قربت القيامة. **﴿إذِ القلوبُ لدى الحناجرِ﴾**، وذلك أنها تزول عن أماكنها من الخوف حتى تصير إلى الحناجر، فلا هي تعود إلى أماكنها، ولا هي تخرج من أفواههم فيموتوا ويستريحوا، **﴿كاظمين﴾**، مكروبين ممتلئين خوفاً وحزناً، والكظم تردد الغيظ والخوف والحزن في القلب حتى يضيق به. **﴿ما للظالمين من حميمٍ﴾**، قريب ينفعهم، **﴿ولا شفيعٍ يُطاعُ﴾**، فيشفع فيهم .

﴿يعلمُ خائنَةَ الأعينِ﴾، أي: خيانتها وهي مسارقة النظر إلى مالا يحل. قال مجاهد : وهو نظر الأعين إلى ما نهى الله عنه. **﴿وما تُخفي الصدور﴾** .

﴿والله يقضي بالحقِّ والذين يَدْعُون من دونِهِ﴾، [يعني الأوثان][1]، **﴿لا يَقْضُون بشيء﴾**، لأنها لا تعلم شيئاً ولا تقدر على شيء، قرأ نافع [وابن عامر][2] : «تدعون»، بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء. **﴿إن الله هو السميع البصير﴾** .

﴿أوَ لَمْ يَسيروا في الأرضِ فينظروا كيفَ كان عاقبةُ الذين كانوا من قبلِهم كانوا هم أشدَّ منهم قوةً﴾، قرأ ابن عامر: «منكم» بالكاف، وكذلك هو في مصاحفهم، **﴿وآثاراً في الأرضِ﴾**، فلم ينفعهم ذلك. **﴿فأخذَهم الله بذنوبِهم وما كان لهم من الله من واقٍ﴾**، يدفع عنهم العذاب .

---

(١)　زيادة من «ب» .

(٢)　ساقط من «ب» .

ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوا۟ هُمۡ أَشَدَّ مِنۡهُمۡ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَأَخَذَهُمُ
ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٖ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَانَت تَّأۡتِيهِمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدۡ
أَرۡسَلۡنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ
وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٞ كَذَّابٞ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلۡحَقِّ مِنۡ عِندِنَا
قَالُوا۟ ٱقۡتُلُوٓا۟ أَبۡنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسۡتَحۡيُوا۟ نِسَآءَهُمۡۚ وَمَا كَيۡدُ
ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٖ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ فِرۡعَوۡنُ ذَرُونِيٓ أَقۡتُلۡ مُوسَىٰ وَلۡيَدۡعُ
رَبَّهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ ﴿٢٦﴾

﴿**ذلك**﴾، أي: ذلك العذاب الذي نزل بهم، ﴿**بأنهم كانت تأتيهم رسلُهم بالبيناتِ فكفروا فأخذَهم الله إنه قويّ شديدُ العقاب**﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ولقد أرسلنا موسى بآياتِنا وسلطانٍ مبين * إلى فرعونَ وهامانَ وقارونَ فقالوا ساحرٌ كذاب * فلما جاءهم بالحقِّ من عندِنا قالوا**﴾، يعني فرعون وقومه، ﴿**اقتلوا أبناءَ الذين آمنوا معه**﴾، قال قتادة: هذا غير القتل الأول، لأن فرعون كان قد أمسك عن قتل الولدان، فلما بعث موسى عليه السلام أعاد القتل عليهم، فمعناه أعيدوا عليهم القتل[1]، ﴿**واستحيُوا نساءَهم**﴾، ليصدوهم بذلك عن متابعة موسى ومظاهرته، ﴿**وما كيدُ الكافرين**﴾، وما مكر فرعون وقومه واحتيالهم، ﴿**إلّا في ضلال**﴾، أي: يذهب كيدهم باطلاً، ويحيق بهم ما يريده الله عزّ وجلّ.

﴿**وقال فرعونُ**﴾، لملئه، ﴿**ذروني أقتلْ موسى**﴾، وإنما قال هذا لأنه كان في خاصة قوم فرعون من يمنعه من قتله خوفاً من الهلاك، ﴿**وليَدْعُ ربَّه**﴾، أي: وليدع موسى ربه الذي يزعم أنه أرسله إلينا فيمنعه منا، ﴿**إني أخافُ أن يُبدِّلَ**﴾، يغير، ﴿**دينَكم**﴾، الذي أنتم عليه، ﴿**أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾، قرأ يعقوب وأهل الكوفة «أو أن يظهر»، وقرأ الآخرون «وأن يظهَر»، وقرأ أهل المدينة والبصرة وحفص «يُظهِر» بضم الياء وكسر الهاء على التعدية، ﴿**الفسادَ**﴾، نصب لقوله: «أن يبدل دينكم»، حتى يكون الفعلان على نسق واحد، وقرأ الآخرون بفتح الياء والهاء على اللزوم، «الفسادُ»، رفع وأراد بالفساد تبديل الدين وعبادة غيره.

(١) ذكره القرطبي: ١٥/٣٠٥.

وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾

﴿وقال موسى﴾، لما توعده فرعون بالقتل، **﴿إني عُذْتُ بربي وربِّكم من كلِ مُتكبِّرٍ لا يؤمنُ بيومِ الحساب * وقال رجلٌ مؤمنٌ من آلِ فرعون يكتمُ إيمانه﴾** .

واختلفوا في هذا المؤمن: قال مقاتل والسدي : كان قبطياً ابن عم فرعون وهو الذي حكى الله عنه فقال : «وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى» (القصص ــ ٢٠)، وقال قوم : كان إسرائيلياً، ومجاز الآية : وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون، وكان اسمه حزئيل عند ابن عباس، وأكثر العلماء. وقال ابن إسحاق : كان اسمه [جبران][(١)]. وقيل : كان اسم الرجل الذي آمن من آل فرعون حبيباً[(٢)]. **﴿أتقتلون رجلاً أن يقولَ ربِّيَ الله﴾**، لأن يقول ربي الله، **﴿وقد جاءكم بالبينات من ربِّكم﴾**، أي : بما يدل على صدقه، **﴿وإنْ يكُ كاذباً / فعليه كَذِبُه﴾**، لا يضركم ذلك، **﴿وإن يكُ صادقاً﴾**، فكذبتموه، **﴿يُصِبْكُمْ بعضُ الذي يَعِدُكُم﴾**، قال أبو عُبيد : المراد بالبعض الكل، أي: إن قتلتموه وهو صادق أصابكم ما يتوعدكم به من العذاب. قال الليث: «بعض» صلة، يريد: يُصِبْكم الذي يعدكم. وقال أهل المعاني : هذا على الظاهر في الحِجاج كأنه قال : أقل ما في صدقه أن يصيبكم بعض الذي يعدكم وفي بعض ذلك هلاككم، فذكر البعض ليوجب الكل، **﴿إنَّ الله لا يهدي﴾**، إلى دينه، **﴿من هو مُسرفٌ﴾**، [مشرك][(٣)]، **﴿كذاب﴾**، على الله . ١١٠/أ

---

(١) في «ب» جبريل .

(٢) هذا القول الأخير ذكره السيوطي في الدر المنثور : ٢٨٥/٧، وذكر القولين السابقين الطبري : ٥٨/٢٤ وقال مرجحاً : «وأولى القولين في ذلك بالصواب عندي، القول الذي قاله السدي من أن الرجل المؤمن كان من آل فرعون، قد أصغى لكلامه، واستمع منه ما قاله، وتوقف عن قتل موسى عند نهيه عن قتله، وقيله ما قال، وقال له : ما أريكم إلا ما أرى، وما أهديكم إلا سبيل الرشاد، ولو كان إسرائيلياً لكان حرياً أن يعاجل هذا القائل له وملئه ما قال بالعقوبة على قوله، لأنه لم يكن يستنصح بني إسرائيل، لاعتداده إياهم أعداء له، فكيف بقوله عن قتل موسى لو وجد إليه سبيلاً، ولكنه لما كان من ملأ قومه، استمع قوله، وكفَّ عما كان همَّ به في موسى» اهـ .

(٣) زيادة من «ب» .

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُم مِّثْلَ يَوْمِ ٱلْأَحْزَابِ ﴿٣٠﴾ مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِّلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَٰقَوْمِ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبدالله، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثني الأوزاعي، حدثني يحيى بن أبي كثير، حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، حدثني عُروة بن الزبير قال: قلت لعبد الله ابن عمرو بن العاص: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي مُعيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه، فخنقه به خنقاً شديداً، فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ، وقال: «أتقتلون رجلاً أن يقول ربّيَ الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم»(1).

﴿ياقومِ لكم الملكُ اليومَ ظاهرين في الأرض﴾، غالبين في أرض مصر، ﴿فمَنْ ينصُرنا من بأسِ الله﴾، من يمنعنا من عذاب الله، ﴿إنْ جاءنا﴾، والمعنى لكم الملك اليوم فلا تتعرضوا لعذاب الله بالتكذيب، وقتل النبي فإنه لا مانع من عذاب الله إن حل بكم، ﴿قال فرعونُ ما أُرِيكُم﴾، من الرأي والنصيحة، ﴿إلّا ما أرى﴾، لنفسي. وقال الضحاك: ما أعلمكم إلا ما أعلم، ﴿وما أهديكم إلا سبيلَ الرشاد﴾، ما أدعوكم إلا إلى طريق الهدى.

﴿وقال الذي آمنَ ياقومِ إني أخافُ عليكم مِثْلَ يومِ الأحزابِ، مثلَ دَأْبِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ والذين من بعدِهم﴾، أي: مثل عادتهم في الإقامة على التكذيب حتى أتاهم العذاب، ﴿وما الله يُريدُ ظلماً للعبادِ﴾، أي: لا يهلكُهم قبل اتخاذ الحجة عليهم.

﴿وياقومِ إني أخافُ عليكم يومَ التّنادِ﴾، يوم القيامة يُدعى كل أناس بإمامهم ويُنادي بعضهم بعضاً، فينادي أصحابُ الجنة أصحابَ النار، وأصحابُ النار أصحابَ الجنة، وينادى أصحاب الأعراف، ويُنادى بالسعادة والشقاوة، ألا إن فلان ابن فلان قد سعد سعادة لا يشقى بعدها أبداً، وفلان ابن فلان قد شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبداً، وينادى حين يذبح الموت: يا أهل الجنة خلودٌ فلا موت، ويا أهل النار خلودٌ فلا موت.

---

(1) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة المؤمن: ٨/٥٥٣ ـ ٥٥٤.

﴿يَوْمَ تُوَلُّونَ مُدْبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾
وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ
حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ
مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ
أَتَىٰهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ
كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

وقرأ ابن عباس والضحاك : «يوم التنادّ» بتشديد الدال أي : يوم التنافر، وذلك أنهم هربوا فندُّوا في الأرض كما تَنِدُّ الإبلُ إذا شردت عن أربابها .

قال الضحاك: وكذلك إذا سمعوا زفير النار ندُّوا هرباً فلا يأتون قطراً من الأقطار إلا وجدوا الملائكة صفوفاً، فيرجعون إلى المكان الذي كانوا فيه، فذلك قوله تعالى: «والمَلَكُ على أرجائها» (الحاقة–١٧)، وقوله: «يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض فانفذوا»[(١)] (الرحمن – ٣٣).

﴿يومَ تُوَلُّون مُدبرين﴾، منصرفين عن موقف الحساب إلى النار. وقال مجاهد : فارين غير معجزين، ﴿ما لكم من الله من عاصمٍ﴾، يعصمكم من عذابه، ﴿ومَنْ يُضْلِلِ اللهُ فما له من هادٍ * ولقد جاءَكم يوسفُ من قبلُ﴾، يعني يوسف بن يعقوب «من قبل». أي: من قبل موسى، ﴿بالبينات﴾، يعني قوله : «أأرباب متفرقون خير أم الله الواحد القهار» (يوسف ـ ٣٩)، ﴿فما زلتم في شكٍ مما جاءَكم به﴾، قال ابن عباس : من عبادة الله وحده لا شريك له، ﴿حتى إذا هلك﴾، مات، ﴿قلتم لن يبعثَ اللهُ من بعدِهِ رسولاً﴾، أي : أقمتم على كفركم وظننتم أن الله لا يجدد عليكم الحجة، ﴿كذلك يُضِلُّ اللهُ من هو مُسْرِفٌ﴾، مشرك، ﴿مرتابٌ﴾، شاك .

﴿الذين يُجادلون في آياتِ اللهِ﴾، قال الزجاج : هذا تفسير للمسرف المرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله أي : في إبطالها بالتكذيب، ﴿بغيرِ سُلْطانٍ﴾، حجة، ﴿أتاهم﴾، [من الله][(٢)]، ﴿كَبُرَ مقتاً﴾، أي : كبر ذلك الجدال مقتاً، ﴿عندَ اللهِ وعندَ الذين آمنوا كذلك يطبعُ اللهُ على كلِّ قلبِ متكبرٍ جبارٍ﴾، قرأ أبو عمرو وابن عامر «قلبٍ» بالتنوين، وقرأ الآخرون بالإضافة، دليله قراءة عبدالله بن مسعود «على قلبِ كلِّ متكبر جبار» .

---

(١) انظر: القرطبي : ٣١١/١٥ .

(٢) زيادة من «ب» .

وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ
عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِى تَبَابٍ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ
ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُونِ أَهْدِكُمْ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوْمِ إِنَّمَا
هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ
سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ
مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ
مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾

﴿وقال فرعونُ﴾، لوزيره: ﴿ياهامانُ ابنِ لي صَرْحاً﴾، والصرح : البناء الظاهر الذي لا يخفى على الناظر وإن بَعُد، وأصله من التصريح وهو الإظهار، ﴿لعلّي أبلُغُ الأسبابَ * أسبابَ السموات﴾، يعني : طرقها وأبوابها من سماء إلى سماء، ﴿فأطَّلِعَ إلى إلهِ موسى﴾، قراءة العامة برفع العين نسقاً على قوله : «أبلغُ الأسباب»، وقرأ حفص عن عاصم بنصب العين وهي قراءة حميد الأعرج، على جواب «لعل» بالفاء، ﴿وإني لأظُنُّه﴾، يعني موسى، ﴿كاذباً﴾، فيما يقول أن له رباً غيري، ﴿وكذلك زُيِّنَ لفرعونَ سوءُ عملِهِ وَصُدَّ عن السبيلِ﴾، قرأ أهل الكوفة ويعقوب: «وصُدّ» بضم الصاد نسقاً على قوله: «زُيّن لفرعون» قال ابن عباس: صده الله عن سبيل الهدى. وقرأ الآخرون بالفتح أي: صَدّ فرعونُ الناس عن السبيل. ﴿وما كيدُ فرعونَ إلّا في تَبَابٍ﴾، يعني: وما كيده في إبطال آيات موسى إلا في خسار وهلاك

﴿وقال الذي آمنَ ياقومِ اتَّبعونِ أهدِكُم سبيلَ الرَّشادِ﴾، طريق الهدى .

﴿ياقومِ إنّما هذه الحياةُ الدّنيا متاعٌ﴾، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، ﴿وإنَّ الآخرةَ هي دارُ القرارِ﴾، التي لا تزول .

﴿مَنْ عَمِلَ سيئةً فلا يُجزى إلا مِثلَها ومَنْ عمل صالحاً من ذكرٍ أو أنثى وهو مؤمنٌ فأولئك يدخلونَ الجنةَ يُرزقونَ فيها بغيرِ حسابٍ﴾، قال مقاتل : لا تبعة عليهم فيما يعطون في الجنة من الخير .

﴿وياقومِ مالي أدعوكم إلى النجاةِ﴾، يعني : مالكم، كما تقول : مالي أراك حزيناً؟ أي: مالك؟ يقول: أخبروني عنكم؟ كيف هذه الحال أدعوكم إلى النجاة من النار بالإيمان بالله، ﴿وتدعونني إلى النارِ﴾؟ إلى الشرك الذي يوجب النار، ثم فسر فقال :

تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِي بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى
الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِيٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي
الْآخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى اللَّهِ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٤٣﴾
فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِيٓ إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ
بِالْعِبَادِ ﴿٤٤﴾ فَوَقَىٰهُ اللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ
الْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟
ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ﴿٤٦﴾

﴿تدعونني لِأكفرَ بالله وأُشركَ به ماليسَ لي به علمٌ وأنا أدعُوكم إلى العزيزِ الغفارِ﴾، في انتقامه
١١٠/ب ممن كفر، الغفار لذنوب / أهل التوحيد .

﴿لا جَرَمَ﴾، حقاً، **﴿أنّ ما تدعونني إليه﴾**، أي : إلى الوثن، **﴿ليس له دعوةٌ في الدنيا ولا في الآخرة﴾**، قال السدي: لا يستجيب لأحد في الدنيا ولا في الآخرة، يعني ليست له استجابة دعوة. وقيل: ليست له دعوة إلى عبادته في الدنيا لأن الأوثان لا تَدّعِي الربوبية، ولا تدعو إلى عبادتها، وفي الآخرة تتبرأ من عابديها. **﴿وأنّ مَرَدَّنا إلى الله﴾**، مرجعنا إلى الله فيجازي كلاً بما يستحقه، **﴿وأنَّ المسرفين﴾**، المشركين، **﴿هم أصحابُ النار﴾** .

﴿فستذكُرون ما أقولُ لكم﴾، إذا عاينتم العذاب حين لا ينفعكم الذكر، **﴿وأُفَوِّضُ أمري إلى الله﴾**، وذلك أنهم توعدوه لمخالفته دينهم، **﴿إنّ اللهَ بصيرٌ بالعباد﴾**، يعلم المحق من المبطل، ثم خرج المؤمن من بينهم، فطلبوه فلم يقدروا عليه .

وذلك قوله عزّ وجلّ: **﴿فوقاهُ الله سيئاتِ ما مَكَروا﴾**، [ما أرادوا به من الشر][(١)]، قال قتادة: نجا مع موسى وكان قبطياً، **﴿وحَاقَ﴾**، نزل، **﴿بآلِ فرعونَ سوءُ العذاب﴾**، الغرق في الدنيا، والنار في الآخرة .

وذلك قوله تعالى : **﴿النارُ﴾**، هي رفع على البدل من السوء، **﴿يُعرضون عليها غُدُوّاً وعَشِيّاً﴾**، صباحاً ومساءً، قال ابن مسعود: أرواح آل فرعون في أجواف طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين، تغدو وتروح إلى النار، ويقال : يا آل فرعون هذه منازلكم حتى تقوم الساعة[(٢)] .

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب» .
(٢) انظر: البحر المحيط : ٤٦٨/٧، والقرطبي: ٣١٨/١٥ .

وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي النَّارِ فَيَقُولُ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ النَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُلٌّ فِيهَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ﴿٤٨﴾ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَىٰ قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٥٠﴾

وقال قتادة، ومقاتل، والسدي، والكلبي: تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشياً ما دامت الدنيا.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن نافع عن عبدالله بن عمر أن رسول الله ﷺ قال: «إن أحدكم إذا مات عُرِض عليه مقعدُه بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيُقال له: هذا مقعدك حتى يبعثك الله إليه يوم القيامة»[1].

ثم أخبر الله تعالى عن مستقرهم يوم القيامة فقال: ﴿ويومَ تقومُ الساعةُ أَدْخِلُوا﴾، قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو عمرو وأبو بكر: «الساعةُ»، «ادخلوا» بحذف الألف والوصل، وبضمها في الابتداء، وضم الخاء من الدخول، أي: يقال لهم: ادخلوا يا «آل فرعون أشد العذاب»، وقرأ الآخرون «أَدْخِلوا» بقطع الألف وكسر الخاء من الإدخال، أي: يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون أشد العذاب. قال ابن عباس: يريد ألوان العذاب غير الذي كانوا يعذبون به منذ أُغرقوا.

﴿وإذ يتحاجُّونَ في النارِ﴾، أي: اذكر يامحمد لقومك إذ يختصمون، يعني أهل النار في النار، ﴿فيقول الضعفاءُ للذين استكْبَروا إنّا كنّا لكم تَبَعَاً﴾، في الدنيا، ﴿فهل أنتم مُغنونَ عنّا نصيباً من النارِ﴾، والتبع يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة، وواحده تابع، وقال أهل الكوفة: هو جمع لا واحد له، وجمعه أتباع.

﴿قالَ الذين استكبروا إنّا كلٌّ فيها إنَّ اللهَ قد حَكَمَ بينَ العبادِ * وقالَ الذين في النارِ﴾، حين اشتد عليهم العذاب، ﴿لخزنةِ جهنَّمَ ادعوا ربَّكم يخففْ عنّا يوماً من العذابِ﴾.

﴿قالوا﴾، يعني خزنة جهنم لهم، ﴿أو لم تكُ تأتِيكُم رُسُلُكُم بالبيناتِ قالوا بلى قالوا فادعُوا﴾، أنتم إذاً ربكم، إنا لا ندعو لكم، لأنهم علموا أنه لا يخفف عنهم العذاب. قال الله تعالى: ﴿وما

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: الميت يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي: ٢٤٣/٣، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه وإثبات عذاب القبر، والتعوذ منه برقم: (٢٨٦٦): ٢١٩٩/٤.

إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾
يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْكِتَٰبَ ﴿٥٣﴾ هُدًى
وَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَٰبِ ﴿٥٤﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَاسْتَغْفِرْ
لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَٰرِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ
يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ إِن فِي صُدُورِهِمْ

دعاءُ الكافرين إلّا في ضَلال﴾، أي: يبطل ويضل ولا ينفعهم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**إنَّا لننصر رُسُلَنا والذين آمنوا في الحياةِ الدنيا**﴾، قال ابن عباس: بالغلبة والقهر. وقال الضحاك: بالحجة، وفي الآخرة بالعذر. وقيل: بالانتقام من الأعداء في الدنيا والآخرة، وكل ذلك قد كان للأنبياء والمؤمنين، فهم منصورون بالحجة على من خالفهم، وقد نصرهم الله بالقهر على من ناوأهم وإهلاك أعدائهم، ونصرهم بعد أن قتلوا بالانتقام من أعدائهم، كما نصر يحيى ابن زكريا لما قتل، قتل به سبعون ألفاً، فهم منصورون بأحد هذه الوجوه، ﴿**ويومَ يقومُ الأشهاد**﴾، يعني: يوم القيامة يقوم الحفظة من الملائكة يشهدون للرسل بالتبليغ وعلى الكفار بالتكذيب.

﴿**يومَ لا ينفعُ الظالمين مَعْذِرتُهم**﴾، إن اعتذروا عن كفرهم لم يقبل منهم، وإن تابوا لم ينفعهم، ﴿**ولهم اللعنةُ**﴾، البعد من الرحمة، ﴿**ولهم سوءُ الدار**﴾، يعني جهنم.

﴿**ولقد آتينا موسى الهدى**﴾، قال مقاتل: الهدىٰ من الضلالة، يعني التوراة، ﴿**وأورثنا بني إسرائيل الكتاب**﴾، [التوراة][(1)].

﴿**هدىً وذكرى لأُولي الألباب**﴾.

﴿**فاصبرْ**﴾، يامحمد على أذاهم، ﴿**إنَّ وَعْدَ الله**﴾، في إظهار دينك وإهلاك أعدائك، ﴿**حقٌّ**﴾، قال الكلبي: نسخت آية القتال آية الصبر[(2)]، ﴿**واستغفرْ لذنْبِك**﴾، هذا تعبد من الله ليزيده به درجة وليصير سنة لمن بعده، ﴿**وسبحْ بحمدِ ربِّك**﴾، صلِّ شاكراً لربك، ﴿**بالعشيِّ والإبكار**﴾، قال الحسن: يعني صلاة العصر وصلاة الفجر. وقال ابن عباس: الصلوات الخمس.

﴿**إنَّ الذين يُجادلون في آياتِ الله بغيرِ سُلطان أتاهُم إنْ في صدورِهم**﴾، ما في قلوبهم، والصدر

---

(1) زيادة من «ب».
(2) راجع فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١).

﴿إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٥٦﴾ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾﴾

موضع القلب، فكنى به عن القلب لقرب الجوار، ﴿إِلَّا كِبْرٌ﴾، قال ابن عباس: ما يحملهم على تكذيبك إلّا ما في صدورهم من الكبر والعظمة، ﴿ما هم ببالغيه﴾، قال مجاهد: ما هم ببالغي مقتضى ذلك الكبر، لأن الله عزّ وجلّ مذلهم.

قال ابن قتيبة: إنْ في صدورهم إلا تكبر على محمد ﷺ، وطمع في أن يغلبوه[١] وما هم ببالغي ذلك.

قال أهل التفسير: نزلت في اليهود، وذلك أنهم قالوا للنبي ﷺ: إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان، فيبلغ سلطانه في البر والبحر، ويرد الملك إلينا[٢]، قال الله تعالى: ﴿فاستعذ بالله﴾، من فتنة الدجال، ﴿إنه هو السميعُ البصيرُ﴾.

﴿لخلقُ السمواتِ والأرض﴾، مع عظمهما، ﴿أكبرُ﴾، أعظم في الصدور، ﴿من خلقِ الناس﴾، أي: من إعادتهم بعد الموت، ﴿ولكنَّ أكثرَ الناس﴾، يعني الكفار، ﴿لا يعلمون﴾، حيث لا يستدلون بذلك على توحيد خالقها. وقال قوم: «أكبر» [أي: أعظم][٣] من خلق الدجال، ﴿ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يعلمون﴾، يعني اليهود الذين يخاصمون في أمر الدجال.

وروي عن هشام بن عامر قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلقٌ أكبرُ من خلق الدجال»[٤].

أخبرنا أبو سعيد عبدالله بن أحمد الطاهري، أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، [أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبدالرزاق][٥]، حدثنا معمر عن قتادة / عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد الأنصارية قالت: كان رسول الله ١١١/أ ﷺ في بيتي فذكر الدجال، فقال: «إنَّ بين يديه ثلاثَ سنين: سنة تمسك السماء ثلث قطرها، والأرض ثلث نباتها، والثانية تمسك السماء ثلثي قطرها، والأرض ثلثي نباتها، والثالثة تمسك السماء قطرها كله، والأرض نباتها كله، فلا يبقى ذات ظلف ولا ذات ضرس من البهائم إلا هلك، وإنّ من أشد فتنته أنه يأتي الأعرابي فيقول: أرأيتَ إن أحييتُ لك إبلك ألستَ تعلم أني ربُّك؟ قال:

---

(١) في غريب القرآن: (أن تقتلوه) راجع القرطين لابن مطرف: ٢/١٠٦.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٧/٢٩٤.

(٣) زيادة من «ب».

(٤) أخرجه مسلم في الفتن، باب: في بقية من أحاديث الدجال، برقم: (٢٩٤٦): ٤/٢٢٦٦ - ٢٢٦٧.

(٥) ما بين القوسين ساقط من «أ».

فيقول : بلى، فيتمثل له نحو إبله كأحسن ما يكون ضروعاً وأعظمه أسنمة، قال : ويأتي الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول : أرأيتَ إن أحييت لك أباك وأخاك ألستَ تعلم أني ربك؟ فيقول: بلى، فيتمثل له الشياطين نحو أبيه ونحو أخيه». قالت : ثم خرج رسول الله ﷺ لحاجته، ثم رجع والقوم في اهتمام وغمٍّ مما حدثهم، قالت: فأخذ بلحمتي الباب فقال : مهيم أسماء ؟ فقلت : يارسول الله لقد خلعت أفئدتنا بذكر الدجال، قال : «إن يخرج وأنا حيٌّ فأنا حجيجه، وإلّا فإن ربي خليفتي على كل مؤمن»، قالت أسماء فقلت : يارسول الله والله إنا لنعجن عجيناً فما نخبزه حتى نجوع فكيف بالمؤمنين يومئذ؟ قال : «يجزيهم ما يجزىء أهل السماء من التسبيح والتقديس»(١) .

وبهذا الإسناد قال : أخبرنا معمر، عن ابن خثيم، عن شهر بن حوشب، عن أسماء بنت يزيد قالت : قال رسول الله ﷺ : «يمكث الدجال في الأرض أربعين سنة. السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كاضطرام السعفة في النار»(٢) .

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أخبرنا جدي عبدالصمد بن عبدالرحمن البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري عن سالم عن ابن عمر قال : قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال فقال : «إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذر قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه: تعلمون أنه أعور وإن الله ليس بأعور»(٣) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا جويرية عن نافع عن عبدالله قال : ذكر الدجال عند النبي ﷺ فقال : «إن الله لا يخفى عليكم، إن الله ليس بأعور، وأشار بيده إلى عينيه، وإن المسيح الدجال أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية»(٤) .

أخبرنا إسماعيل بن عبدالقاهر الجرجاني، أخبرنا عبدالغافر بن محمد الفارسي، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا علي بن حجر،

(١) أخرجه عبد الرزاق في المصنف ٣٩١/١١، ومن طريقه الإمام أحمد: ٤٥٣/٦، وذكره الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٤٤/٧-٣٤٥ وقال: «رواه كله أحمد والطبراني من طرق، وفي إحداها: يكون قبل خروجه سنون خمس جدب، وفيه شهر بن حوشب، وفيه ضعف، وقد وثق». والمصنف في شرح السنة: ٦٠/١٥-٦١ .

(٢) أخرجه عبدالرزاق في المصنف: ٣٩٢/١١، ومن طريقه الإمام أحمد: ٤٥٤/٦، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد: ٣٤٧/٧ ونسبه إلى الطبراني وأعله بشهر، قال: «ولا يحتمل مخالفته للأحاديث الصحيحة أنه يلبث في الأرض أربعين يوماً وفي هذا أربعين سنة». والمصنف في شرح السنة: ٦٢/١٥ .

(٣) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: قول الله عز وجل: «ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه» ٣٧٠/٦، والمصنف في شرح السنة: ٤٩/١٥.

(٤) أخرجه البخاري في التوحيد، باب قول الله تعالى : «ولتصنع على عيني» ٣٨٩/١٣ .

حدثنا شعيب بن صفوان عن عبدالملك بن عُمير عن ربعي بن حراش عن عقبة بن عمرو بن مسعود الأنصاري قال : انطلقت معه إلى حذيفة بن اليمان فقال له عقبة : حدثني ما سمعتَ من رسول الله ﷺ في الدجال ؟ قال : «إن الدجال يخرج وإنَّ معه ماءً وناراً، فأما الذي يراه الناس ماءً فنارٌ تحرق، وأما الذي يراه الناس ناراً فماءٌ بارد عَذْبٌ، فمن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه ناراً فإنه ماء عذب طيب» فقال عقبة : وأنا قد سمعته، تصديقاً لحذيفة[1] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثني إبراهيم بن المنذر، حدثنا ابن الوليد، حدثنا ابن عمرو وهو الأوزاعي، حدثنا إسحاق، حدثني أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال : «ليس من بلد إلا سيطؤه الدجال إلا مكة والمدينة، ليس من نِقَابها إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، [ثم][2] ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفات، فيخرج إليه كل كافر ومنافق»[3] .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبدالله الطيسفوني، أخبرنا عبدالله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل ابن جعفر عن العلاء عن أبيه عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : «يأتي المسيح من قبل المشرق وهمته المدينة، حتى ينزل دُبُرَ أُحد، ثم تَصرِفُ الملائكة وجهه قِبَلَ الشام، وهناك يهلك»[4] .

أخبرنا أبو سعيد الطاهري، أخبرنا جدي عبدالصمد البزار، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق الدبري، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن أبي هارون العبدي عن أبي سعيد الخدري قال : قال رسول الله ﷺ : «يتبع الدجال من أمتي سبعون ألفاً عليهم السِّيجان[5]»[6]، ويرويه أبو أُمامة رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال : «مع الدجال يومئذ سبعون ألف يهودي كلهم ذو تاج وسيف محلى»[7] .

---

(١) أخرجه مسلم في الفتن، باب ذكر الدجال وصفته ومن معه. برقم: (٢٩٣٤/٢٩٣٥) ٤/٢٢٥٠، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٥٢.
(٢) في «أ»: يوم .
(٣) أخرجه البخاري في فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة: ٤/٩٥، ومسلم في الفتن، باب قصة الجساسة برقم: (٢٩٤٣): ٤/٢٢٦٥، والمصنف في شرح السنة: ٧/٣٢٦ .
(٤) أخرجه مسلم في الحج، باب صيانة المدينة من دخول الطاعون والدجال إليها. برقم: (١٣٨٠) ٢/١٠٠٥، والمصنف في شرح السنة: ٧/٣٢٦ .
(٥) الطيلسان الأخضر .
(٦) أخرجه عبدالرزاق في المصنف (كتاب الجامع): ١١/٣٩٣، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٦٢، وفيه أبو هارون العبدي وهو متروك .
(٧) قطعة من حديث طويل رواه ابن ماجة في الفتن، باب : فتنة الدجال.. برقم (٤٠٧٧) ٢/١٣٥٩-١٣٦٣، وأخرجه الحاكم مختصراً، وصححه على شرط مسلم: ٤/٥٣٦-٥٣٧، وعزاه في كنز العمال: ١٤/٢٩٦ لابن خزيمة والضياء المقدسي .

وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَى وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَلَا
الْمُسِيءُ قَلِيلًا مَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ
الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾

قوله تعالى: ﴿**وما يستوي الأعمى والبصيرُ والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ ولا المسيءُ قليلاً ما تتذكَّرون**﴾، قرأ أهل الكوفة «تتذكرون» بالتاء، وقرأ الآخرون بالياء، لأن أول الآيات وآخرها خبر عن قوم.

﴿**إنَّ الساعةَ**﴾، أي: القيامة، ﴿**لآتيةٌ لا ريبَ فيها ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يؤمنون**﴾.

﴿**وقال ربُكُمُ ادعوني أستجبْ لكم**﴾، أي: اعبدوني دون غيري أجِبْكم وأُثِبْكم وأغفرْ لكم، فلما عبَّر عن العبادة بالدعاء جعل الإنابة استجابةً.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبدالجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن منصور عن ذرٍ عن يُسيع الكندي عن النعمان بن بشير قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول على المنبر: «إن الدعاء هو العبادة»، ثم قرأ: «ادعوني أستجب لكم إن الذين يستكبرون عن عبادتي سيَدْخُلون جهنَّمَ داخرين»(١).

أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن علي الدورقي، حدثنا أبو الحسن علي بن يوسف الشيرازي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى القرشي ببغداد، حدثنا محمد بن عبيد بن العلاء، حدثنا أحمد بن بديل، حدثنا وكيع، حدثنا أبو المليح قال: سمعت أبا صالح يذكر عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: «من لم يدعُ اللَّهَ غضبَ اللَّهُ عليه»(٢).

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب الدعاء: ١٤١/٢، والترمذي في التفسير ـ تفسير سورة المؤمن ـ ١٢١/٩-١٢٢ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائي في التفسير: ٢٥٣/٢، وابن ماجه في الدعاء، باب فضل الدعاء برقم (٣٨٢٨): ١٢٥٨/٢، وابن حبان في الأدعية، باب ما جاء في فضل الدعاء برقم: (٢٣٩٦) ص (٥٩٥)، والحاكم: ٤٩٠/١ وصححه ووافقه الذهبي، والطيالسي: ١٥٣/١، والطبري: ٧٩/٢٤، والمصنف في شرح السنة: ١٨٤/٥.

(٢) أخرجه الترمذي في الدعوات: ٣١٣/٩، وابن ماجه في الدعاء، باب فضل الدعاء برقم: (٣٨٢٧): ١٢٥٨/٢، والإمام أحمد: ٤٤٢/٢، والحاكم: ٤٩١/١ والطبري: ٧٩/٢٤، والمصنف في شرح السنة: ١٨٨/٥، وأبو صالح الجوزي: ضعفه ابن معين. وانظر: فتح الباري: ٩٥/١١.

ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ
لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾ ذَٰلِكُمُ
ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ
ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ
قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾
هُوَ ٱلْحَىُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ
ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾

وقيل: الدعاء: هو الذكر والسؤال، ﴿إنّ الذين يستكبرون عن عبادتي سيدخلون جهنّم داخرين﴾، قرأ ابن كثير/ ١١١/ب
وأبو جعفر وأبو بكر: «سيُدْخَلون» بضم الياء وفتح الخاء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الخاء، «داخرين» صاغرين ذليلين.

﴿اللَّهُ الذي جعلَ لكمُ الليلَ لِتسْكُنوا فيه والنهارَ مبصراً إنّ الله لذو فضلٍ على الناسِ ولكنَّ أكثرَ الناسِ لا يشكرون * ذلكمُ اللَّهُ ربُّكم خالقُ كلِّ شيءٍ لا إله إلّا هو فأنى تُؤفكون﴾.

﴿كذلك﴾، يعني كما أفكتم عن الحق مع قيام الدلائل كذلك، ﴿يُؤفكُ الذين كانوا بآياتِ اللهِ يجحدون﴾.

﴿اللَّهُ الذي جعلَ لكمُ الأرضَ قراراً﴾، فراشاً، ﴿والسماءَ بناءً﴾، سقفاً كالقبة، ﴿وصوَّركم فأحسنَ صورَكم﴾، قال مقاتل: خلقكم فأحسن خلقكم. قال ابن عباس: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل ويتناول بيده، وغير ابن آدم يتناول بفيه. ﴿ورزقَكم من الطيباتِ﴾، قيل: من غير رزق الدواب ﴿ذلكُمُ اللَّهُ ربُّكُمْ فتباركَ اللَّهُ ربُّ العالمين * هو الحيُّ لا إلهَ إلا هو فادعوه مُخلصين له الدينَ الحمدُ لله ربِ العالمين﴾، قال الفراء: هو خبر وفيه إضمار الأمر، مجازه: فادعوه واحمدوه. وروي عن مجاهد عن ابن عباس قال: من قال لا إله إلا الله فليقل على إثرها الحمد لله رب العالمين، فذلك قوله عزّ وجلّ: «فادعوه مخلصين له الدين الحمدُ لله ربِّ العالمين»(١).

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٨١، والحاكم: ٢/٤٣٨ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه» والبيهقي في الأسماء والصفات: ١/١٧٩ موقوفاً على ابن عباس-رضي الله عنه-وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٠٤ نسبته لابن المنذر وابن مردويه.

قُلْ إِنِّي نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِيَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّي
وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾ هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن
نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟
شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ
﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِيٓ
أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾

﴿قل إني نُهيت أن أعبدَ الذينَ تدعونَ من دونِ الله لَمّا جاءَنِيَ البيناتُ من ربي وأُمرتُ أن أُسلمَ لربِّ العالمين﴾، وذلك حين دعي إلى الكفر .

﴿هو الذي خلقَكم من ترابٍ ثم من نطفةٍ ثم من علقةٍ ثم يُخرجُكم طفلاً﴾، أي : أطفالاً، **﴿ثم لِتبلغوا أشُدَّكم ثم لِتكونوا شيوخاً، ومنكم من يُتوفّى من قبلُ﴾**، أي : من قبل أن يصير شيخاً، **﴿ولتبلغوا﴾**، جميعاً، **﴿أجلاً مسمّىً﴾**، وقتاً معلوماً محدوداً لا تجاوزونه، يريد أجل الحياة إلى الموت، **﴿ولعلّكم تعقلون﴾**، أي: لكي تعقلوا توحيد ربكم وقدرته .

﴿هوالذي يُحيي ويُميتُ فإذا قَضى أمراً فإنّما يقولُ له كنْ فيكون * ألم تَر إلى الذين يُجادلون في آياتِ الله﴾، يعني: القرآن، يقولون ليس من عند الله، **﴿أنّى يُصرفون﴾**، كيف يصرفون عن دين الحق. قيل : هم المشركون(1). وعن محمد بن سيرين وجماعة : أنها نزلت في القدرية(2) .

﴿الذين كذّبوا بالكتابِ وبما أرسلنا به فسوف يعلمون * إذِ الأغلالُ في أعناقِهم والسلاسلُ يُسحبون﴾، [يجرون](3) .

---

(1) ذكره الطبري: ٨٣/٢٤ .

(2) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤ .

(3) زيادة من «ب» .

فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾
مِن دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا مِن قَبْلُ شَيْئًا كَذَٰلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ
الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ
تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبِئْسَ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ
﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ
وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ
فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي
جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْعَامَ لِتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا

﴿**في الحميمِ ثم في النارِ يُسجَرُون**﴾، قال مقاتل: توقد بهم النار. وقال مجاهد: يصيرون وقوداً للنار.

﴿**ثم قيلَ لهم أينَ ما كنتم تُشركون * من دونِ الله**﴾؟ يعني الأصنام، ﴿**قالوا ضَلُّوا عنا**﴾، فقدناهم فلا نراهم، ﴿**بل لم نكنْ ندعوا من قبلُ شيئاً**﴾، قيل: أنكروا. وقيل: معناه بل لم نكن ندعو من قبل شيئاً ينفع ويضر. وقال الحسين بن الفضل: أي : لم نكن نصنع من قبل شيئاً، أي : ضاعت عبادتنا لها، كما يقولُ مَنْ ضاعَ عمله : ما كنتُ أعمل شيئاً. قال الله عزّ وجلّ : ﴿**كذلك**﴾ أي : كما أضل هؤلاء، ﴿**يُضِلُّ اللهُ الكافرين**﴾ .

﴿**ذلكُمْ**﴾ العذاب الذي نزل بكم، ﴿**بما كنتم تفرحون**﴾ تبطرون وتأشرون، ﴿**في الأرضِ بغيرِ الحقِّ وبما كنتم تمرحون**﴾ تفرحون وتختالون .

﴿**ادخلوا أبوابَ جهنمَ خالدين فيها فبئسَ مثوى المتكبرين * فاصبرْ إنَّ وعدَ الله**﴾، بنصرك، ﴿**حقّ فإمّا نُرِيَنَّكَ بعضَ الذي نعِدُهُم**﴾، من العذاب في حياتك، ﴿**أو نتوفينّك**﴾، قبل أن يحل ذلك بهم، ﴿**فإلينا يُرجعون**﴾ .

﴿**ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك منهم من قَصصْنا عليك**﴾، خبرهم في القرآن، ﴿**ومنهم مَن لم نقصصْ عليك وما كان لرسولٍ أن يأتيَ بآيةٍ إلّا بإذنِ الله**﴾، بأمر الله وإرادته، ﴿**فإذا جاء أمرُ الله**﴾، قضاؤه بين الأنبياء والأمم، ﴿**قُضي بالحقِ وخسرَ هنالك المبطلون**﴾ .

﴿**الله جعلَ لكمُ الأنعامَ لِتركبوا منها**﴾، بعضها، ﴿**ومنها تأكلون * ولكم فيها منافعُ**﴾، في

مَنَٰفِعُ وَلِتَبۡلُغُواْ عَلَيۡهَا حَاجَةٗ فِي صُدُورِكُمۡ وَعَلَيۡهَا وَعَلَى ٱلۡفُلۡكِ تُحۡمَلُونَ
﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَأَيَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ
فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِنۡهُمۡ وَأَشَدَّ قُوَّةٗ
وَءَاثَارٗا فِي ٱلۡأَرۡضِ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَآءَتۡهُمۡ
رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ
يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ
مُشۡرِكِينَ ﴿٨٤﴾ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي
عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

أصوافها وأوبارها وأشعارها وألبانها. ﴿ولِتبلغوا عليها حاجةً في صدورِكم﴾، تحمل أثقالكم من بلد إلى بلد ولِتبلغوا عليها حاجاتكم، ﴿وعليها وعلى الفُلْكِ تُحملون﴾، أي: على الإبل في البر وعلى السفن في البحر. نظيره: قوله تعالى: «وحملناهم في البر والبحر» (الإسراء - ٧٠).

﴿ويُريكم آياته﴾، دلائل قدرته، ﴿فأيَّ آياتِ الله تُنكرون﴾.

﴿أفلمْ يسيروا في الأرضِ فينظروا كيف كان عاقبةُ الذين من قبلِهم كانوا أكثرَ منهم وأشدَّ قوةً وآثاراً في الأرض﴾، يعني: مصانعهم وقصورهم، ﴿فما أغنى عنهم﴾، لم ينفعهم، ﴿ما كانوا يَكْسِبون﴾، وقيل: هو بمعنى الاستفهام، مجازه: أيُّ شيء أغنى عنهم كسبهم؟

﴿فلما جاءتْهم رسلُهم بالبيناتِ فرحوا﴾، رضوا، ﴿بما عندَهم من العلم﴾، قال مجاهد: هو قولهم نحن أعلم، لن نبعث ولن نعذب، سمي ذلك علماً على ما يدعونه ويزعمونه وهو في الحقيقة جهل. ﴿وحاقَ بهم ما كانوا به يَستهزءون * فلما رأَوْا بأسَنا قالوا آمنا باللهِ وحدَه وكفرْنا بما كنّا به مشركين﴾، يعني: تبرأنا مما كنّا نعدل بالله.

﴿فلم يَكُ ينفعُهم إيمانُهم لمّا رأَوْا بأسَنا﴾، عذابنا، ﴿سُنَّتَ اللهِ﴾، قيل: نصبها بنزع الخافض، أي: كسنة الله. وقيل: على المصدر. وقيل: على الإغراء، أي: احذروا سنة الله، ﴿التي قد خَلَتْ في عبادِهِ﴾، وتلك السنة أنهم إذا عاينوا عذاب الله آمنوا، ولا ينفعهم إيمانهم عند معاينة العذاب. ﴿وخسِرَ هنالك الكافرون﴾، بذهاب الدارين، قال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه يتبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب.

سُورَةُ فُصِّلَتْ

سورة فصلت

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ يَعۡلَمُونَ ۝٣ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ۝٤ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥

﴿حمٓ * تنزيلٌ من الرحمٰنِ الرحيم﴾، قال الأخفش: «تنزيل» مبتدأ، وخبره قوله عزّ وجلّ: ﴿كتابٌ فُصِّلَتْ آياته﴾، بينت آياته، ﴿قرآناً عربياً لقومٍ يعلمون﴾، اللسان العربي، ولو كان بغير لسانهم ما علموه / ونصب قرآناً بوقوع البيان عليه أي: فصلناه قرآناً. ١١٢/أ

﴿بشيراً ونذيراً﴾، نعتان للقرآن أي: بشيراً لأولياء الله، ونذيراً لأعدائه، ﴿فأعرضَ أكثرُهم فهم لا يسمعون﴾، لا يصغون إليه تكبراً.

﴿وقالوا﴾، يعني مشركي مكة، ﴿قلوبُنا في أكِنَّةٍ﴾، في أغطية، ﴿مما تدعُونا إليه﴾، فلا نفقه ما تقول، ﴿وفي آذانِنا وَقْرٌ﴾، صمم فلا نسمع ما تقول، والمعنى: إنا في ترك القبول عندك بمنزلة من لا يفهم ولا يسمع، ﴿ومِنْ بيننا وبينِك حجابٌ﴾، خلاف في الدين وحاجز في الملة فلا نوافقك على ما تقول، ﴿فاعملْ﴾، أنت على دينك، ﴿إننا عاملون﴾، على ديننا.

---

(١) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ قال: نزلت (حم) السجدة بمكة، وأخرج ابن مردويه عن الزبير ـ رضي الله عنه ـ مثله. انظر: الدر المنثور: ٣٠٨/٧.

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْـَٔاخِرَةِ هُمْ كَـٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾

﴿قل إنّما أنا بشرٌ مثلُكم﴾، يعني كواحدٍ منكم ولولا الوحي ما دعوتكم، وهو قوله : ﴿يُوحَى إليَّ أنّما إلهكُم إلهٌ واحدٌ﴾، قال الحسن: علّمه الله التواضع، ﴿فاستقيموا إليه﴾، توجهوا إليه بالطاعة ولا تميلوا عن سبيله، ﴿واستغفروه﴾، من ذنوبكم، ﴿وويلٌ للمشركين﴾ .

﴿الذين لا يُؤتون الزكاةَ﴾، قال ابن عباس: الذين لا يقولون لا إله إلا الله[1] وهي زكاة الأنفس، والمعنى : لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد. وقال الحسن وقتادة : لا يقرون بالزكاة، ولا يرون إيتاءها واجباً، وكان يقال : الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك[2]. وقال الضحاك ومقاتل : لا ينفقون في الطاعة ولا يتصدقون. وقال مجاهد: لا يزكون أعمالهم ﴿وهمْ بالآخرةِ هم كافرون﴾ .

﴿إنَّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ لهم أجرٌ غيرُ ممنونٍ﴾، قال ابن عباس: غير مقطوع. وقال مقاتل: غير منقوص، ومنه «المنون» لأنه ينقص مُنّةَ الإنسان وقوته، وقيل: غير ممنون عليهم به. وقال مجاهد: غير محسوب.

وقال السدي: نزلت هذه الآية في المرضى والزمنى والهرمى، إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملون فيه[3] .

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر عن عاصم بن أبي النجود عن خيثمة بن عبدالرحمن عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ : «إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة، ثم مرض قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان طليقاً حتى أطلقه أو أكفِتَهُ إليَّ»[4] .

---

(١) ذكر السيوطي في الدر المنثور: ٣١٣/٧ عن ابن عباس قال : «لا يشهدون أن لا إله إلا الله» وعزا هذا لابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الأسماء والصفات .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣١٣/٧ لعبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة، بلفظ : «الزكاة قنطرة الإسلام، من قطعها برىء ونجا، ومن لم يقطعها هلك» .

(٣) انظر البحر المحيط: ٤٨٥/٧ .

(٤) أخرجه عبد الرزاق في المصنف، كتاب الجامع: ١٩٦/١١، والإمام أحمد: ٢٠٣/٢. قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٠٣/٢: «رواه أحمد وإسناده صحيح». والمصنف في شرح السنة: ٢٤٠/٥-٢٤١، وله شاهد عند البخاري .

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ
رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي
أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ
ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ﴿١١﴾﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**قل أئنّكم لتكفرون بالذي خلقَ الأرضَ في يومين**﴾، يوم الأحد والاثنين، ﴿**وتجعلون له أنداداً ذلك ربُّ العالمين**﴾.

﴿**وجعلَ فيها**﴾، أي: في الأرض، ﴿**رواسيَ**﴾، جبالاً ثوابت، ﴿**من فوقِها**﴾، من فوق الأرض، ﴿**وباركَ فيها**﴾، أي: في الأرض، بما خلق فيها من البحار والأنهار والأشجار والثمار، ﴿**وقدَّرَ فيها أقواتها**﴾، قال الحسن ومقاتل: قسم في الأرض أرزاق العباد والبهائم. وقال عكرمة والضحاك: قدّر في كل بلدة ما لم يجعله في الأخرَى ليعيش بعضهم من بعض بالتجارة من بلد إلى بلد[1]. قال الكلبي: قدر الخبز لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والذرة لأهل قطر، والسمك لأهلِ قطر، وكذلك أقواتها. ﴿**في أربعةِ أيامٍ**﴾، يريد خلق ما في الأرض، وقدر الأقوات في يومين يوم الثلاثاء والأربعاء فهما مع الأحد والاثنين أربعة أيام، رد الآخر على الأول في الذكر، كما تقول: تزوجت أمس امرأة واليوم ثنتين، وإحداهما هي التي تزوجتها بالأمس، ﴿**سواءً للسائلين**﴾ قرأ أبو جعفر «سواءٌ» رفع على الابتداء، أي: هي سواء، [وقرأ يعقوب بالجر على نعت قوله: «في أربعة أيام»، وقرأ الآخرون «سواءً»][2] نصب على المصدر، أي: استوت سواء أي: استواءً، ومعناه: سواء للسائلين عن ذلك. قال قتادة والسدي: من سأل عنه فهكذا الأمر سواء لا زيادة ولا نقصان جواباً لمن سأل: في كم خلقت الأرض والأقوات؟

﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾، أي: عمد إلى خلق السماء، ﴿**وهيَ دخانٌ**﴾، وكان ذلك الدخان بخار الماء، ﴿**فقال لها وللأرضِ ائتيا طَوعاً أو كَرهاً**﴾، أي: ائتِيا ما آمركما أي: افعلاه، كما يقال: ائت ما هو الأحسن، أي: افعله.

وقال طاووس عن ابن عباس: ائتيا: أعطيا[3]، يعني أخرجا ما خلقت فيكما من المنافع لمصالح العباد.

---

(١) انظر: القرطبي: ١٥/٣٤٢-٣٤٣.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٩٨-٩٩.

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا
بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًاۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ
صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ
خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ قَالُواْ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ

[قال ابن عباس][1] : قال الله عزّ وجلّ : أمّا أنتِ ياسماء فأطلعي شمسك وقمرك ونجومك، وأنت يا أرض فشقي أنهارك وأخرجي ثمارك ونباتك، وقال لهما: افعلا ما آمركما طوعاً وإلا ألجأتكما إلى ذلك [حتى تفعلاه كرهاً][2] فأجابتا بالطوع[3]، و﴿قالتا أتينا طائعين﴾، [و لم يقل طائعتين][2]، لأنه ذهب به إلى السموات والأرض ومن فيهن، مجازه: أتينا بما فينا طائعين، فلما وصفهما بالقول أجراهما في الجمع مجرى من يعقل .

﴿فقضاهنّ سَبْعَ سمواتٍ في يومين﴾، أي : أتمهن وفرغ من خلقهن، ﴿وأوحى في كلّ سماءٍ أمرَهَا﴾، قال عطاء عن ابن عباس : خلق في كل سماء خلقها من الملائكة وما فيها من البحار وجبال البرد ومالا يعلمه إلا الله .

وقال قتادة والسدي : يعني خلق فيها شمسها وقمرها ونجومها .

وقال مقاتل : وأوحى إلى كل سماء ما أراد من الأمر والنهي، وذلك يوم الخميس والجمعة. ﴿وزيّنّا السماءَ الدنيا بمصابيحَ﴾، كواكب، ﴿وحِفظاً﴾، لها ونصب «حفظاً» على المصدر، أي: حفظناها بالكواكب حفظاً من الشياطين الذين يسترقون السمع، ﴿ذلك﴾، الذي ذكر من صنعه، ﴿تقديرُ العزيزِ﴾، في ملكه، ﴿العليم﴾، بحفظه[4] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿فإنْ أعرضُوا﴾، يعني : هؤلاء المشركين عن الإيمان بعد هذا البيان، ﴿فقلْ أنذرتُكم﴾، خوّفتكم، ﴿صاعقةً مثلَ صاعقةِ عادٍ وثمودَ﴾، أي : هلاكاً مثل هلاكهم، والصاعقة المهلكة من كل شيء .

﴿إذْ جاءتْهم﴾، يعني: عاداً وثموداً، ﴿الرسلُ من بينِ أيديهم ومن خلفِهم﴾، أراد بقوله : ﴿من بين أيديهم﴾ الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم من قبلهم، ﴿ومن خلفهم﴾، يعني: ومن بعد

---

(١) ما بين القوسين ساقط من « أ » .
(٢) زيادة من «ب» .
(٣) انظر الدر المنثور: ٣١٦/٧-٣١٧، القرطبي: ٣٤٣/١٥-٣٤٤ .
(٤) في «ب» : بخلقه .

كَفِرُونَ ﴿١٤﴾

الرسل الذين أرسلوا إلى آبائهم الذين أرسلوا إليهم، هودٌ وصالح ، فالكناية في قوله من بين أيديهم راجعة إلى [الرسل][1] / وفي قوله : [﴿ومن خلفهم﴾ راجعة إلى الرسل][2]، ﴿أنْ لا﴾، بأن لا، ١١٢/ب ﴿تعبدوا إلَّا اللهَ قالوا لو شاءَ ربُّنا لأنزلَ﴾، بدل هؤلاء الرسل، ﴿ملائكةً﴾، أي : لو شاء ربنا دعوة [الحق][3] لأنزل ملائكة، ﴿فإنَّا بما أُرسلتُم به كافرون﴾ .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، حدثنا عبدالله بن حامد الأصفهاني، حدثنا أحمد بن محمد بن يحيى العبيدي، أخبرنا أحمد بن مجدة بن العريان، حدثنا الحماني، حدثنا ابن فضيل، عن الأجلح، عن الذيال بن حرملة، عن جابر بن عبدالله قال : قال الملأ من قريش وأبو جهل: قد التبس علينا أمر محمد، فلو التمستم رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فأتاه فكلّمه، ثم أتانا ببيانٍ من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليَّ إن كان كذلك أو لا، فأتاه فلما خرج إليه قال : يامحمد أنت خير أم هاشم ؟ أنت خير أم عبدالمطلب ؟ أنت خير أم عبدالله ؟ فبم تشتم آلهتنا ؟ وتُضلل آباءنا ؟ فإن كنتَ تريد الرياسة عقدنا لك ألويتنا فكنت رأساً ما بقيت، وإن كان بك الباءة زوّجناك عشر نسوة تختار من أي بنات قريش ؟ وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني أنت وعقبك من بعدك ؟ ورسول الله ﷺ ساكت لا يتكلم، فلما فرغ، قرأ رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم» «حمٓ تنزيل من الرحمن الرحيم كتابٌ فصّلت آياته»، إلى قوله: «فإن أعرضوا فقلْ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود»، الآية. فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم ورجع إلى أهله، ولم يخرج إلى قريش فاحتبس عنهم فقال أبو جهل : يامعشر قريش والله ما نرى عتبة إلّا قد صبأ إلى دين محمد، وقد أعجبه طعامه وما ذاك إلا من حاجة أصابته، فانطلقوا بنا إليه، فانطلقوا إليه، فقال أبو جهل : والله ياعتبة ما حبسك عنّا إلّا أنك صبوت إلى دين محمد وأعجبك طعامه، قال : فإن كانت بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد، فغضب عتبة وأقسم أن لا يكلم محمداً أبداً، وقال : والله لقد علمتم أني من أكثر قريش مالاً، ولكني أتيته وقصصت عليه القصة فأجابني بشيء، والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر، وقرأ السورة إلى قوله: «فإن أعرضوا فقلْ أنذرتكم صاعقةً مثل صاعقة عاد وثمود» الآية فأمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً

(١) في «ب» عاد وثمود .
(٢) ساقط من «أ» .
(٣) في «ب» الخلق .

﴿فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾

إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب[1].

وقال محمد بن كعب القرظي : حُدِّثتُ أن عتبة بن ربيعة كان سيداً حليماً، قال يوماً وهو جالس في نادي قريش ورسول الله ﷺ جالس وحده في المسجد : يامعشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أموراً لعلّه يقبل منا بعضها، فنعطيه ويكف عنا، وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله ﷺ يزيدون ويكثرون، فقالوا : بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه، فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله ﷺ، فقال : يابن أخي إنك منّا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب، وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم، فرقت جماعتهم، وسفهت أحلامهم، وعبت آلهتهم، وكفّرت من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها، فقال رسول الله ﷺ : قل يا أبا الوليد، فقال : يابن أخي إن كنت إنما تريد بما جئت به مالاً جمعنا لك من أموالنا حتى تكون أكثرنا مالاً، وإن كنت تريد شرفاً سوّدناك علينا، وإن كان هذا الذي بك رئياً تراه لا تستطيع رده طلبنا لك الطب، ولعل هذا شعر جاش به صدرك، فإنكم لعمري بني عبدالمطلب تقدرون ذلك مالا يقدر عليه غيركم، حتى إذا فرغ، فقال له رسول الله ﷺ : أَوَ قد فرغتَ يا أبا الوليد ؟ قال: نعم، قال: فاستمع مني، قال: أفعلُ، فقال ﷺ: بسم الله الرحمن الرحيم «حمٓ تنزيلٌ من الرحمن الرحيم كتابٌ فصّلت آياتُه قرآناً عربياً»، ثم مضى فيها يقرأ، فلما سمعها عتبة أنصت له، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه، حتى انتهى رسول الله ﷺ إلى السجدة فسجد، ثم قال : قد سمعتَ يا أبا الوليد فأنت وذاك، فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ فقال : ورائي أني قد سمعتُ قولاً والله ما سمعت بمثله قط، ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة، يامعشر قريش، أطيعوني، خلُّوا ما بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعتُ نبأ، فإن تُصِبْه العرب فقد كفيتموه بغيركم، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزّه عزكم، فأنتم أسعد الناس به، فقالوا : سحرك والله يا أبا الوليد بلسانه، قال : هذا رأيي لكم، فاصنعوا ما بدا لكم[2].

قوله عزّ وجلّ : ﴿**فأمّا عادٌ فاستكبروا في الأرض بغيرِ الحقِّ وقالوا مَنْ أشدُّ منّا قوة**﴾،

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور : ٣١٠/٧ للبيهقي في الدلائل، وابن عساكر، والأجلح فيه لين .

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٠٩/٧ لابن إسحاق: ٢٩٣/١ من (سيرة ابن هشام)، وابن المنذر والبيهقي في الدلائل وابن عساكر .

أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ
ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ
فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ
﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ
فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾

وذلك أن هوداً عليه السلام هددهم بالعذاب، فقالوا : من أشد منّا قوة؟ نحن نقدر على دفع العذاب عنّا بفضل قوتنا، وكانوا ذوي أجسام طوال، قال الله تعالى رداً عليهم : **﴿أولم يروا أنَّ الله الذي خلقهم هو أشدُّ منهم قوةً وكانوا بآياتنا يجحدون﴾** .

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾، عاصفة شديدة الصوت، من الصِّرة وهي الصيحة. وقيل : هي الباردة من الصِّر وهو البرد، **﴿في أيامٍ نحِساتٍ﴾**، قرأ ابن كثير ونافع وأبو عمرو ويعقوب «نَحْسات» بسكون الحاء، وقرأ الآخرون بكسرها أي : نكدات مشؤومات ذات نحوس. وقال الضحاك : أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين، ودامت الرياح عليهم من غير مطر، **﴿لِنُذيقهم عذابَ الخِزْيِ﴾**، أي : عذاب الهون والذل، **﴿في الحياةِ الدنيا ولَعذابُ الآخرةِ أخزى﴾**، أشد إهانة **﴿وهم لا يُنصرون﴾** .

﴿وأما ثمودُ فهديناهم﴾، دعوناهم، قاله مجاهد، وقال ابن عباس : بينّا لهم سبيل الهدى. وقيل :
/ دللناهم على الخير والشر، كقوله : «هديناه السبيل» (الإنسان ــ ٣)، **﴿فاستحبّوا العَمَى على** ١١٣/أ
الهدى﴾، فاختاروا الكفر على الإيمان، **﴿فأخذتْهم صاعقةُ العذابِ﴾**، [أي : هلكة العذاب][(1)]، **﴿الهُونِ﴾**، أي : ذي الهون، أي : الهوان، وهو الذي يهينهم ويخزيهم، **﴿بما كانوا يَكسِبون﴾** .

﴿ونجّيْنَا الذين آمنوا وكانوا يتقون * ويومَ يُحشَرُ أعداءُ اللهِ إلى النارِ﴾، قرأ نافع ويعقوب: «نحشر» بالنون، «أعداءَ» نصب، وقرأ الآخرون بالياء ورفعها وفتح الشين «أعداءُ» رفع أي : يجمع إلى النار، **﴿فهم يُوزَعون﴾**، يساقون ويدفعون إلى النار، وقال قتادة والسدي : يُحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا .

(١) ساقط من «أ» .

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠
وَقَالُواْ لِجُلُودِهِمۡ لِمَ شَهِدتُّمۡ عَلَيۡنَاۖ قَالُوٓاْ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَنطَقَ كُلَّ شَيۡءٖۚ وَهُوَ
خَلَقَكُمۡ أَوَّلَ مَرَّةٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ٢١ وَمَا كُنتُمۡ تَسۡتَتِرُونَ أَن يَشۡهَدَ عَلَيۡكُمۡ
سَمۡعُكُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُكُمۡ وَلَا جُلُودُكُمۡ وَلَٰكِن ظَنَنتُمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعۡلَمُ كَثِيرٗا مِّمَّا تَعۡمَلُونَ
٢٢﴾

﴿حتى إذا ما جاؤوها﴾، جاؤوا النار، ﴿شهد عليهم سمعُهم وأبصارُهم وجلودُهم﴾، أي: بشراتهم، ﴿بما كانوا يعملون﴾، قال السدي وجماعة: المراد بالجلود الفروج. وقال مقاتل: تنطق جوارحهم بما كتمت الألسن من عملهم.

﴿وقالوا﴾، يعني الكفار الذين يحشرون إلى النار، ﴿لِجلودِهم لِمَ شهدتُم علينا قالوا أنطقَنا اللهُ الذي أنطقَ كلَّ شيءٍ﴾، تمّ الكلام هاهنا. وقال الله تعالى: ﴿وهو خلقَكم أولَ مرةٍ﴾، وليس هذا من جواب الجلود، ﴿وإليه تُرجعون﴾.

﴿وما كنتم تستترون﴾، أي: تستخفون [عند أكثر أهل العلم][1]. وقال مجاهد: تتقون. وقال قتادة: تظنون. ﴿أنْ يشهدَ عليكم سمعُكم ولا أبصارُكم ولا جلودُكم ولكنْ ظننتم أنَّ اللهَ لا يعلمُ كثيراً مما تعملون﴾.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا الحميدي، أخبرنا سفيان، أخبرنا منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله بن مسعود قال: اجتمع عند البيت ثقفيان وقرشي، أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم، قليل فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا، فأنزل الله تعالى: «وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون»[2]. قيل: الثقفي، عبد ياليل، وختناه القرشيان: ربيعة، وصفوان بن أميّة.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) أخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة حم السجدة، باب: «وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم من الخاسرين» ٥٦٢/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم برقم: (٢٧٧٥): ٢١٤١/٤.

وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِن
يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ۞
وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ
ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾
وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ
ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾

قوله تعالى : ﴿وذلكم ظنُّكم الذي ظننتم بربّكم أرداكم﴾، أهلككم، أي : ظنكم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون، أرداكم. قال ابن عباس : طرحكم في النار، ﴿فأصبحتم من الخاسرين﴾، ثم أخبر عن حالهم فقال :

﴿فإنْ يصبروا فالنارُ مثوىً لهم﴾، مسكن لهم، ﴿وإنْ يَستَعْتِبوا﴾، يسترضوا ويطلبوا العتبى، ﴿فما هم من المُعتَبين﴾، المُرضين، والمعتَب الذي قُبل عتابُه وأجيب إلى ما سأل، يقال : أعتبني فلان، أي : أرضاني بعد إسخاطه إيّاي، واستعتبته : طلبت منه أن يعتب، أي : يرضى .

﴿وقيّضنا لهم﴾، أي : بعثنا ووكلنا، وقال مقاتل : هيأنا. وقال الزجاج : سبَّبنا لهم. ﴿قُرناءَ﴾، نُظراء من الشياطين حتى أضلوهم، ﴿فزيَّنوا لهم ما بين أيديهم﴾، من أمر الدنيا حتى آثروه على الآخرة، ﴿وما خلفهم﴾، من أمر الآخرة فدعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، ﴿وحقَّ عليهم القولُ في أممٍ﴾، [مع أمم][(1)]، ﴿قد خلتْ من قبلِهم من الجنِّ والإنسِ إنّهم كانوا خاسرين﴾ .

﴿وقال الذين كفروا﴾، من مشركي قريش، ﴿لا تسمعوا لهذا القرآنِ والْغَوْا فيه﴾، قال ابن عباس : يعني الغطوا فيه، وكان بعضهم يُوصي إلى بعض إذا رأيتم محمداً يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو. قال مجاهد : والغوا فيه بالمُكاء والصفير. وقال الضحاك : أكثروا الكلام فيختلط عليه[(2)] ما يقول : وقال السدي : صيحوا في وجهه . ﴿لعلكم تغلبون﴾، محمداً على قراءته .

﴿فلنذيقنَّ الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينّهم أسوأ الذي﴾، يعني بأسوأ الذي، أي : بأقبح الذي، ﴿كانوا يعملون﴾، في الدنيا وهو الشرك بالله .

(١) زيادة من «ب» .
(٢) أخرج الطبري: ١١٢/٢٤ قول مجاهد، وذكر القرطبي أكثر الأقوال الأخرى: ٣٥٦/١٥ .

﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعۡدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُۖ لَهُمۡ فِيهَا دَارُ ٱلۡخُلۡدِ جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجۡحَدُونَ ٢٨ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيۡنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ نَجۡعَلۡهُمَا تَحۡتَ أَقۡدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ٢٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي﴾

﴿ذلك﴾، الذي ذكرت من العذاب الشديد، ﴿جزاءُ أعداءِ الله﴾، ثم بين ذلك الجزاء فقال: ﴿النارُ﴾، أي: هو النار، ﴿لهم فيها﴾، أي: في النار، ﴿دارُ الخلدِ﴾، دار الإقامة لا انتقال منها، ﴿جزاءً بما كانوا بآياتِنا يجحدون﴾ .

﴿وقال الذين كفروا﴾، أي: في النار يقولون، ﴿ربَّنا أرِنا اللذَيْنِ أضلَّانا مِن الجنِّ والإنسِ﴾، يعنون إبليس وقابيل بن آدم الذي قتل أخاه لأنهما سنّا المعصية، ﴿نجعلْهما تحتَ أقدامِنا﴾، في النار، ﴿لِيكونا من الأسفلين﴾، ليكونا في الدرك الأسفل من النار. قال ابن عباس: ليكونا أشد عذاباً منّا.

قوله عزّ وجلّ: ﴿إنَّ الذين قالوا ربُّنا الله ثم استقاموا﴾، سئل أبو بكر الصديق رضي الله تعالى عنه عن الاستقامة فقال: أن لا تشرك بالله شيئاً[1]. وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الاستقامة»: أن تستقيم على الأمر والنهي، ولا تروغ روغان الثعلب[2]. وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه: أخلصوا العمل لله[3]. وقال علي رضي الله عنه: أدّوا الفرائض[4]. وقال ابن عباس: استقاموا على أداء الفرائض[5].

وقال الحسن: استقاموا على أمر الله تعالى، فعملوا بطاعته، واجتنبوا معصيته.

وقال مجاهد وعكرمة: استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله.

وقال مقاتل: استقاموا على المعرفة ولم يرتدوا. وقال قتادة: كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٢١-٣٢٢ لعبد الرزاق والفريابي وسعيد بن منصور وابن سعد وعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/١١٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٢٢ لابن المبارك وسعيد بن منصور وأحمد في الزهد، وعبد بن حميد، والحكيم الترمذي، وابن المنذر.

(٣) انظر: البحر المحيط: ٧/٤٩٦.

(٤) أخرجه الطبري: ٢٤/١١٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٤/١١٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٢٢ لابن المنذر وابن أبي حاتم.

كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ
غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾

قوله عزّ وجلّ : ﴿**تتنزّلُ عليهمُ الملائكةُ**﴾، قال ابن عباس : عند الموت. وقال قتادة ومقاتل : إذا قاموا من قبورهم[(١)]. قال وكيع بن الجراح : البشرى تكون في ثلاث مواطن: عند الموت وفي القبر وعند البعث. ﴿**أنْ لا تخافوا**﴾، من الموت. وقال مجاهد: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة. ﴿**ولا تحزنوا**﴾، على ما خلفتم من أهلٍ وولد، فإنا نخلفكم في ذلك كله[(٢)]. وقال عطاء بن أبي رباح: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم[(٣)]، ﴿**وأبشروا بالجنةِ التي كنتم توعدون**﴾.

﴿**نحنُ أولياؤكم**﴾، تقول لهم الملائكة الذين تنزل عليهم بالبشارة : نحن أولياؤكم أنصاركم وأحباؤكم، ﴿**في الحياةِ الدنيا وفي الآخرةِ**﴾،[أي: في الدنيا والآخرة. وقال السدي : تقول الملائكة نحن الحفظة الذين كنا معكم في الدنيا، ونحن أولياؤكم في الآخرة][(٤)]، يقولون لا نفارقكم حتى تدخلوا الجنة. ﴿**ولكم فيها ما تشتهي أنفسكم**﴾، من الكرامات واللذات، ﴿**ولكم فيها**﴾، في الجنة، ﴿**ما تدَّعُونَ**﴾، تتمنون .

﴿**نُزُلاً**﴾، رزقاً، ﴿**من غفورٍ رحيم**﴾ .

١١٣/ب قوله عزّ وجلّ : ﴿**ومَن أحسنُ قولاً ممن دعا إلى / اللهِ**﴾، إلى طاعته، ﴿**وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين**﴾، قال ابن سيرين [والسدي وابن عباس][(٥)] : هو رسول الله ﷺ دعا إلى شهادة أن لا إله إلا الله[(٦)]. وقال الحسن : هو المؤمن الذي أجاب الله في دعوته، ودعا الناس إلى ما أجاب إليه، وعمل صالحاً في إجابته، وقال : إنني من المسلمين[(٧)] .

وقالت عائشة : أرى هذه الآية نزلت في المؤذّنين[(٨)] .

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٤٩٦/٧، زاد المسير: ٢٥٤/٧ .

(٢) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٤، وذكره ابن كثير في تفسيره: ١٠٠/٤ .

(٣) انظر: البحر المحيط: ٤٩٦/٧ .

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٥) زيادة من «ب» .

(٦)، (٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧ لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٨) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧ لابن أبي شيبة وابن المنذر وابن مردويه من وجه عن عائشة .

﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾

وقال عكرمة : هو المؤذن أبو أُمامة الباهلي، «وعمل صالحاً» : صلى ركعتين بين الأذان والإقامة .

وقال قيس بن أبي حازم : هو الصلاة بين الأذان والإقامة(١) .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا أبو عبدالله محمد بن عبدالله الحافظ، حدثنا أبو عبدالله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، حدثنا أبو يحيى بن أبي ميسرة، حدثنا عبدالله ابن زيد المقري، حدثنا كهمس بن الحسن عن عبدالله بن بريدة عن عبدالله بن مغفل قال : قال رسول الله ﷺ : «بين كل أذانين صلاة»، ثلاث مرات ثمّ قال في الثالثة : «لمن شاء»(٢) .

أخبرنا عبدالواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد ابن زنجويه، حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا سفيان عن زيد العمي عن أبي إياس معاوية بن قرة عن أنس بن مالك قال سفيان: لا أعلمه إلا وقد رفعه إلى النبي ﷺ قال: «لا يردّ الدعاءُ بين الأذان والإقامة»(٣) .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولا تستوي الحسنةُ ولا السيئةُ﴾، قال الفراء : «لا» هاهنا صلة، معناه : ولا تستوي الحسنة والسيئة، يعني الصبر والغضب، والحلم والجهل، والعفو والإساءة. ﴿ادفعْ بالتي هي أحسنُ﴾، قال ابن عباس : أمر بالصبر عند الغضب، وبالحلم عند الجهل، وبالعفو عند الإساءة. ﴿فإذا الذي بينَك وبينهَ عداوةٌ﴾، يعني : إذا فعلت ذلك خضع لك عدوك، وصار الذي بينك وبينه عداوة، ﴿كأنه وليٌّ حميمٌ﴾، كالصديق والقريب. قال مقاتل بن حيان : نزلت في أبي سفيان ابن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد شدة عداوته بالمصاهرة التي حصلت بينه وبين النبي ﷺ، ثم أسلم فصار ولياً بالإسلام، حميماً بالقرابة(٤) .

---

(١) أخرجه الطبري : ١١٨/٢٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٢٥/٧ للخطيب في تاريخ بغداد .

(٢) أخرجه البخاري في الأذان، باب بين كل أذانين صلاة لمن شاء: ١١٠/٢، ومسلم في صلاة المسافرين، باب بين كل أذانين صلاة برقم: (٨٣٨): ٥٧٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٩٣/٢ .

(٣) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب في الدعاء بين الأذان والإقامة: ٢٨٣/١، والترمذي في أبواب الصلاة، باب ما جاء في أن الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة: ٦٢٤/١-٦٢٥ قال أبو عيسى: «حديث أنس حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد: ١١٩/٣ وابن حبان في الأذان، باب فضل الأذان والمؤذن وإجابته برقم (٢٩٦) ص ٩٧، والمصنف في شرح السنة: ٢٨٩/٢ .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٤٩٨/٧ .

وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ
مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِ
ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُواْ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ
وَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ
ٱسْتَكْبَرُواْ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ
لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ
ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ

﴿**وما يُلَقَّاها**﴾، ما يلقى هذه الخصلة وهي دفع السيئة بالحسنة، ﴿**إلّا الذينَ صبَرُوا**﴾، على كظم الغيظ واحتمال المكروه، ﴿**وما يُلَقَّاها إلّا ذو حظٍ عظيم**﴾، في الخير والثواب، وقال قتادة: «الحظ العظيم»: الجنة، أي: ما يلقاها إلّا من وجبت له الجنة.

﴿**وإمّا ينزغنَّك من الشيطانِ نزْغٌ فاستعذْ باللهِ إنه هو السميعُ**﴾، لاستعاذتك وأقوالك، ﴿**العليمُ**﴾، بأفعالك وأحوالك.

قوله عزّ وجلّ: ﴿**ومن آياتهِ الليلُ والنهارُ والشمسُ والقمرُ لا تسجدوا للشمسِ ولا للقمرِ، واسجدوا للهِ الذي خلقهنّ**﴾، إنما قال: «خلقهن» بالتأنيث لأنه أجراها على طريق جمع التكسير، ولم يجرها على طريق التغليب للمذكر على المؤنث، ﴿**إنْ كنتم إيّاهُ تعبدون**﴾.

﴿**فإنِ استكبروا**﴾، عن السجود، ﴿**فالذين عندَ ربِّك**﴾، يعني الملائكة ﴿**يُسبحون له بالليلِ والنهارِ وهم لا يسأمُون**﴾، لا يملون ولا يَفْتُرون.

﴿**ومن آياته**﴾، دلائل قدرته، ﴿**أنَّك ترى الأرضَ خاشعةً**﴾، يابسة غبراء لا نبات فيها، ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماءَ اهتزَّتْ وَرَبَتْ إن الذي أحياها لمحيي الموتى إنه على كلِّ شيءٍ قديرٌ**﴾.

﴿**إنّ الذين يُلحدون في آياتنا**﴾، يميلون عن الحق في أدلتنا، قال مجاهد: يلحدون في آياتنا بالمكاء والتصدية واللغو واللغط. قال قتادة: يكذبون في آياتنا. قال السدي: يعاندون ويشاقون.

﴿الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ﴾

قال مقاتل: نزلت في أبي جهل[1].

﴿لا يَخْفَوْن علينا أفمَنْ يُلقى في النارِ﴾، وهو أبو جهل، **﴿خيرٌ أم مَن يأتي آمناً يومَ القيامةِ﴾**، قيل: هو حمزة، وقيل: عثمان. وقيل: عمار بن ياسر. **﴿اعملوا ما شئتم﴾**، أمر تهديد ووعيد، **﴿إنّه بما تعلمون بصيرٌ﴾**، عالم فيجازيكم به.

﴿إنَّ الذين كفروا بالذكرِ﴾، بالقرآن[2]، **﴿لمّا جاءهم﴾**، ثم أخذ في وصف الذكر وترك جواب: «إن الذين كفروا»، على تقدير: الذين كفروا بالذكر يجازون بكفرهم. وقيل: خبره قوله من بعد: «أولئك يُنادَوْنَ من مكان بعيد». **﴿وإنه لكتابٌ عزيزٌ﴾**، قال الكلبي عن ابن عباس رضي الله عنهما: كريم على الله: قال قتادة: أعزه الله عزّ وجلّ عزاً فلا يجد الباطل إليه سبيلاً[3].

وهو قوله: **﴿لا يأتيهِ الباطلُ من بينِ يديه ولا من خلفِهِ﴾**، قال قتادة والسدي: الباطل: هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه[4].

قال الزجاج: معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه، فيأتيه الباطل من بين يديه أو يزاد فيه فيأتيه الباطل من خلفه، وعلى هذا معنى «الباطل»: الزيادة والنقصان.

وقال مقاتل: لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله، ولا يجيء من بعده كتاب فيبطله.

﴿تنزيلٌ من حكيمٍ حميدٍ﴾، ثم عزى نبيه ﷺ على تكذيبهم.

فقال: **﴿ما يقالُ لكَ﴾**، من الأذى، **﴿إلّا ما قدْ قيلَ للرسلِ من قبلِكَ﴾**، يقول: إنه قد قيل للأنبياء والرسل قبلك: ساحر، كما يقال لك وكُذِّبوا كما كُذِّبْتَ، **﴿إنّ ربَّك لذو مغفرةٍ﴾**، لمن تاب وآمن بك **﴿وذو عقابٍ أليمٍ﴾**، لمن أصر على التكذيب.

﴿ولو جعلناه﴾، أي: جعلنا هذا الكتاب الذي تقرؤه على الناس، **﴿قرآناً أعجمياً﴾**، بغير

(١) انظر: القرطبي: ١٥/٣٦٦.
(٢) زيادة من «ب».
(٣) انظر: الدر المنثور: ٧/٣٣٢.
(٤) انظر: الطبري: ٢٤/١٢٥.

ءَاعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ
فِي ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾
وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَٰبَ فَاخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ
أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ
مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ

لغة العرب، ﴿لقالوا لولا فُصّلتْ آياته﴾، هلّا بينت آياته بالعربية حتى نفهمها، ﴿ءأعجميٌّ وعربيٌّ﴾، يعني : أكتاب أعجمي ورسول عربي ؟ وهذا استفهام على وجه الإنكار، أي : أنهم كانوا يقولون : المنزَّل عليه عربي والمنزَل أعجمي.

قال مقاتل: وذلك أن رسول الله ﷺ كان يدخل على يسار، غلام عامر بن الحضرمي، وكان يهودياً أعجمياً، يكنى أبا فكيهة، فقال المشركون: إنما يعلمه يسار فضربه سيده، وقال: إنك تعلم محمداً، فقال يسار: هو يعلمني، فأنزل الله تعالى هذه الآية[1] :

١١٤/أ ﴿قلْ﴾، يامحمد، ﴿هو﴾، يعني القرآن، ﴿للذين آمنوا هدىً / وشفاءٌ﴾، هدى من الضلالة وشفاء لما في القلوب، وقيل : شفاء من الأوجاع .

﴿والذين لا يؤمنون في آذانهم وَقْرٌ وهو عليهم عمىً﴾، قال قتادة : عَمُوا عن القرآن وصمُّوا عنه فلا ينتفعون به، ﴿أولئك يُنادَوْنَ من مكانٍ بعيد﴾، أي : أنهم لا يسمعون ولا يفهمون كما أن من دعي من مكان بعيد لم يسمع ولم يفهم، وهذا مَثَل لقلة انتفاعهم بما يوعظون به كأنهم ينادون من حيث لا يسمعون .

﴿ولقد آتينا موسى الكتابَ فاختُلِفَ فيه﴾، فمصدق ومكذب كما اختلف قومك في كتابك، ﴿ولولا كلمةٌ سبقت من ربِّك﴾، في تأخير العذاب عن المكذبين بالقرآن، ﴿لقُضِيَ بينهم﴾، لفرغ من عذابهم وعُجِّل إهلاكهم، ﴿وإنّهم لفي شكٍّ منه﴾، من صدقك، ﴿مُريبٍ﴾، موقع لهم الريبة .

﴿مَنْ عملَ صالحاً فلنفسه ومَن أساءَ فعليها، وما ربُّك بظلّامٍ للعبيد﴾.

﴿إليه يُردُّ علمُ الساعةِ﴾، أي : علمها إذا سئل عنها مردود إليه لا يعلمه غيره، ﴿وما تخرجُ من ثمراتٍ من أكمامِها﴾، قرأ أهل المدينة والشام وحفص : «ثمرات»، على الجمع، وقرأ الآخرون

(١) انظر: فيما سبق تفسير سورة النحل : ٥ / ٤٤-٤٥ .

أَيۡنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٖ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ
يَدۡعُونَ مِن قَبۡلُۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسۡـَٔمُ ٱلۡإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلۡخَيۡرِ
وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٞ قَنُوطٞ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنۡ أَذَقۡنَٰهُ رَحۡمَةٗ مِّنَّا مِنۢ بَعۡدِ ضَرَّآءَ
مَسَّتۡهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّجِعۡتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي
عِندَهُۥ لَلۡحُسۡنَىٰۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِمَا عَمِلُواْ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنۡ عَذَابٍ

«ثمرة» على التوحيد، ﴿من أكمامها﴾ أوعيتها، واحدها : كِمٌّ[1]. قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني الكُفَرَّى[2] قبل أن تنشق. ﴿وما تحملُ من أنثى ولا تضعُ إلّا بعلمه﴾، [إلا بإذنه][3]، يقول : يرد إليه علم الساعة كما يرد إليه علم الثمار والنتاج. ﴿ويوم يناديهم﴾، ينادي الله المشركين، ﴿أينَ شركائي﴾، الذين كنتم تزعمون أنها آلهة، ﴿قالوا﴾، يعني المشركين، ﴿آذنّاكَ﴾، أعلمناك، ﴿ما منّا من شهيدٍ﴾، أي : من شاهد بأن لك شريكاً لَمَّا عاينوا العذاب تبرأوا من الأصنام .

﴿وضلَّ عنهم ما كانوا يَدعون﴾، يعبدون، ﴿من قبلُ﴾، في الدنيا، ﴿وظنوا﴾، أيقنوا، ﴿ما لهم من محيصٍ﴾، مهرب .

﴿لا يسأمُ الإنسانُ﴾، لا يمل الكافر، ﴿من دعاءِ الخيرِ﴾، أي : لا يزال يسأل ربَّه الخير، يعني المال والغنى والصحة، ﴿وإنْ مسّه الشرُّ﴾، الشدة والفقر، ﴿فيؤوسٌ﴾، من روح الله، ﴿قنوطٌ﴾، من رحمته .

﴿ولئِن أذقناهُ رحمةً منّا﴾، آتيناه خيراً وعافية وغنى، ﴿من بعدِ ضراءَ مسّته﴾، من بعد شدة وبلاء أصابته، ﴿ليقولَنّ هذا لي﴾، أي : بعملي وأنا محقوق بهذا، ﴿وما أظنُّ الساعةَ قائمةً ولئن رُجعتُ إلى ربي إنّ لي عنده للحُسنى﴾، يقول هذا الكافر لست على يقين من البعث، فإن كان الأمر على ذلك، وَرُدِدتُ إلى ربي إن لي عنده للحسنى، أي : الجنة، أي : كما أعطاني في الدنيا سيعطيني في الآخرة. ﴿فلننبئنّ الذين كفروا بما عملوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: لَنُفَقِّهَنَّهم[4] على مساوىء أعمالهم، ﴿ولنذيقنّهم من عذابٍ غليظٍ﴾ .

---

(١) الكِمُّ : بالكسر وعاءُ الطَّلع وغطاء النَّور .
(٢) هو كِمُّ العنب قبل أن يَنوِّر .
(٣) زيادة من «ب» .
(٤) في « ب » : لنقفنّهم .

غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو
دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ
مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْـَٔافَاقِ وَفِىٓ
أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾

﴿وإذا أنعمنا على الإنسانِ أعرضَ ونأى بجانبهِ وإذا مسَّهُ الشرّ فَذُو دُعاءٍ عريضٍ﴾، كثير والعرب تستعمل الطول والعرض في الكثرة، فيقال : أطال فلان الكلام والدعاء وأعرض، أي: أكثر.

﴿قل أرأيتم إنْ كانَ﴾، هذا القرآن، ﴿من عندِ الله ثم كفرتُم به من أضَلُّ ممن هو في شقاقٍ بعيدٍ﴾، خلاف للحق بعيد عنه، أي : فلا أحد أضل منكم .

﴿سنُريهم آياتِنا في الآفاقِ﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني منازل الأمم الخالية. ﴿وفي أنفسِهم﴾، بالبلاء والأمراض .

وقال قتادة : في الآفاق يعني : وقائع الله في الأمم، وفي أنفسهم يوم بدر .

وقال مجاهد، والحسن، والسدي : «في الآفاق» : ما يفتح من القرى على محمد ﷺ والمسلمين[١]، «وفي أنفسهم» : فتح مكة . ﴿حتى يتبيّنَ لهم أنه الحقّ﴾، يعني : دين الإسلام. وقيل : القرآن يتبين لهم أنه من عند الله. وقيل : محمد ﷺ يتبين لهم أنه مؤيد من قبل الله تعالى .

وقال عطاء وابن زيد : «في الآفاق» يعني : أقطار السماء والأرض من الشمس والقمر والنجوم والنبات والأشجار والأنهار، «وفي أنفسهم» من لطيف الصنعة وبديع الحكمة، حتى يتبين لهم أنه الحق[٢].

﴿أوَ لَمْ يكفِ بربّك أنه على كلّ شيءٍ شهيدٌ﴾، قال مقاتل : أوَ لَمْ يكفِ بربّك شاهداً أن القرآن من الله تعالى. قال الزجاج : معنى الكفاية هاهنا: أن الله عز وجل قد بين من الدلائل ما فيه كفاية، يعني : أولم يكف بربك لأنه على كل شيء شهيد، شاهد لا يغيب عنه شيء .

﴿ألا إنّهم في مِرْيةٍ من لقاءِ ربِّهم﴾، في شك من البعث، ﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾، أحاط بكل شيء علماً .

---

(١) انظر : ابن كثير في تفسير: ٤/١٠٦ .

(٢) انظر : القرطبي: ١٥/٣٧٤-٣٧٥ .

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سُورَةُ الشُّورَىٰ

مكية(1)

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ١ عٓسٓقٓ ٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣

﴿حمٓ * عٓسٓقٓ﴾، سُئل الحسين بن الفضل: لِمَ يُقطّع حمٓ عٓسٓقٓ ولِمَ يُقطّع كهيعٓصٓ؟ فقال: لأنها سورة أوائلها حمٓ، فجرت مجرى نظائرها، فكان «حمٓ» مبتدأ و «عٓسٓقٓ» خبره، ولأنهما عُدَّا آيتين، وأخواتها مثل: «كهيعٓصٓ» و«المٓصٓ» و«المٓرٓ» عُدَّتْ آية واحدة.

وقيل: لأن أهل التأويل لم يختلفوا في «كهيعٓصٓ» وأخواتها أنها حروف التهجي لا غير، واختلفوا في «حمٓ» فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلاً، وقال: معناها حُمَّ أي: قُضِي ما هو كائن(2).

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: حٓ حلمه، مٓ مجده، عٓ علمه، سٓ سناؤه، قٓ قدرته، أقسم الله بها.

وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبي رباح: حٓ حرب يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز من قريش، مٓ ملك يتحول من قوم إلى قوم، عٓ عدو لقريش يقصدهم، سٓ سيء، يكون فيهم، قٓ قدرة الله النافذة في خلقه.

---

(1) أخرج ابن مردوية عن ابن عباس وابن الزبير - رضي الله عنهم -: نزلت (حم عسق) بمكة.
وذكر صاحب البحر المحيط: ٥٠٧/٧ «أنها مكية في قول الحسن وعطاء وعكرمة وجابر. وقال ابن عباس مكية إلا أربع آيات من قوله: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى» إلى آخر الأربع آيات فإنها نزلت بالمدينة. وقال مقاتل: فيها مدني قوله «ذلك الذي يبشر الله عباده» إلى «الصدور»، انظر: الدر المنثور: ٣٣٥/٧.

(2) انظر: القرطبي: ١/١٦، وراجع فيما سبق: ٥٨/١-٥٩.

﴿لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ ۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ ۚ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: ليس من نبي صاحب كتاب إلا وقد أُوحيت إليه «حَمٓ عسقٓ»[1]. فلذلك قال:

﴿كذلك يُوحِي إليك﴾، قرأ ابن كثير «يُوحَى» بفتح الحاء وحجته قوله: «ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك» (الزمر ـ ٦٥)، فعلى هذه القراءة قوله، ﴿اللهُ العزيزُ الحكيمُ﴾، [تبيين للفاعل كأنه قيل: من يوحي؟ فقيل: الله العزيز الحكيم][2].

وقرأ الآخرون «يوحي» بكسر الحاء، إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم.

قال عطاء عن ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أخبار الغيب.

﴿له ما في السموتِ وما في الأرضِ وهو العليُّ العظيم * تكادُ السمواتُ يتفطّرْنَ من فوقِهن﴾،

١١٤/ب أي: كل واحدة منها تتفطر / فوق التي تليها من قول المشركين: «اتَّخذ الله ولـداً» نظيره في سورة مريم: «وقالوا اتخذ الرحمن ولداً * لقد جئتم شيئاً إدّاً * تكاد السمواتُ يتفطّرْنَ منه» (مريم ٨٨ـ٩٠). ﴿والملائكةُ يُسبِّحُون بحمدِ ربِّهم ويستغفرونَ لِمَنْ في الأرضِ﴾، من المؤمنين، ﴿ألا إنَّ الله هو الغفورُ الرحيمُ﴾.

﴿والذين اتَّخذُوا من دونه أولياءَ اللهُ حفيظٌ عليهم﴾، يحفظ أعمالهم ويحصيها عليهم ليجازيهم بها، ﴿وما أنتَ عليهم بوكيل﴾، لم يوكلك الله بهم حتى تؤخذ بهم.

﴿وكذلك﴾، مثل ما ذكرنا، ﴿أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذرَ أمَّ القرى﴾، مكة، يعني: أهلها، ﴿ومَنْ حولَها﴾، يعني قرى الأرضِ كلِّها، ﴿وتنذرَ يومَ الجَمْعِ﴾، أي: تنذرهم بيوم الجمع وهو يوم القيامة يجمع الله الأولين والآخرين وأهل السموات وأهل الأرضين ﴿لا رَيْبَ فيه﴾، لا شك

(١) انظر: زاد المسير: ٧/٢٧١.
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾

في الجمع أنه كائن ثم بعد الجمع يتفرقون. ﴿فريقٌ في الجنةِ وفريقٌ في السعيرِ﴾ .

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، حدثنا أبو منصور الخشماذي، حدثنا أبو العباس الأصم، حدثنا أبو عثمان سعيد بن عثمان التنوخي، حدثنا بشر بن بكر، حدثني سعيد بن عثمان عن أبي الزاهر، حدثنا جرير بن كريب عن عبدالله بن عمرو بن العاص، قال الثعلبي : وأخبرنا أبو عبدالله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبدالله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا هاشم بن القاسم، حدثنا ليث، حدثني أبو قبيل المعافري عن شفي الأصبحي عن عبدالله بن عمرو قال : خرج علينا رسول الله ﷺ ذات يوم قابضاً على كفيه ومعه كتابان، فقال : «أتدرون ما هذان الكتابان ؟» قلنا : لا يا رسول الله، فقال : «للذي في يده اليمنى: هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل الجنة وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون فليس بزائد فيهم ولا ناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة، [ثم قال للذي في يساره : هذا كتاب من رب العالمين فيه أسماء أهل النار وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب، وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذْ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم، إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة][(1)]، فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل إذاً يارسول الله ؟ فقال : «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أيَّ عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار وإن عمل أيّ عمل، ثم قال: «فريقٌ في الجنة» فضل من الله، «وفريقٌ في السعير»، عدل من الله عزّ وجلّ»[(2)] .

قوله عزّ وجلّ : ﴿ولو شاءَ الله لجعلَهم أمةً واحدةً﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما : على دين واحد. وقال مقاتل : على ملة الإسلام كقوله تعالى : «ولو شاء الله لجمعهم على الهدى» (الأنعام ـ ٣٥)، ﴿ولكنْ يدخلُ من يشاءُ في رحمتِهِ﴾، في دين الإسلام، ﴿والظالمون﴾، الكافرون، ﴿ما لهم من وليٍّ﴾، يدفع عنهم العذاب، ﴿ولا نصيرٍ﴾، يمنعهم من النار .

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب» .

(٢) أخرجه الترمذي في القدر، باب ما جاء أن القلوب بين أصبعي الرحمن : ٦/٣٥٠-٣٥٢، والنسائي في التفسير: ٢/٢٦٥، وابن أبي عاصم في السنة: ١/١٥٤، والإمام أحمد: ٢/١٦٧، والطبري: ٢٥/٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٣٧ لابن المنذر وابن مردويه. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة رقم: (٨٤٨) .

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ
﴿٩﴾ وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ
تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ
أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا ۖ يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ ۚ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ
ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ
إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ

﴿أم اتَّخذوا﴾، [بل اتخذوا، أي: الكافرون][(1)]، **﴿من دونه﴾**، [أي: من دون الله][(1)]، **﴿أولياءَ فاللهُ هو الوليُّ﴾**، [قال ابن عباس رضي الله عنهما][(1)]. وليّك يامحمد وولي مَن اتّبعك، **﴿وهو يحيي الموتى وهو على كلِّ شيءٍ قديرٌ﴾**.

﴿وما اختلفتم فيه من شيءٍ﴾، من أمر الدين، **﴿فحكمُهُ إلى اللهِ﴾**، يقضي فيه ويحكم يوم القيامة بالفصل الذي يزيل الريب، **﴿ذلكمُ اللهُ﴾**، الذي يحكم بين المختلفين هو، **﴿ربي عليه توكلتُ وإليه أنيبُ﴾**.

﴿فاطرُ السمواتِ والأرضِ جعلَ لكم من أنفسِكم أزواجاً﴾، من مثل خلقكم حلائل، قيل: إنما قال «من أنفسكم» لأنه خلق حواء من ضلع آدم. **﴿ومن الأنعامِ أزواجاً﴾**، أصنافاً ذكوراً وإناثاً، **﴿يذرؤُكم﴾**، يخلقكم، **﴿فيه﴾**، أي: في الرحم. وقيل: في البطن. وقيل: على هذا الوجه من الخلقة. قال مجاهد: نسلاً بعد نسل من الناس والأنعام. وقيل: «في»، بمعنى الباء، أي: يذرؤكم به. وقيل: معناه يكثركم بالتزويج. **﴿ليس كمثلِه شيءٌ﴾**، «مثل» صلة، أي: ليس هو كشيء، فأدخل المثل للتوكيد، كقوله: «فإن آمنوا بمثل ما آمنتم به» (البقرة – ١٣٧)، وقيل: الكاف صلة، مجازه: ليس مثله شيء. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس له نظير. **﴿وهو السميعُ البصيرُ﴾**.

﴿له مقاليدُ السمواتِ والأرضِ﴾، مفاتيح الرزق في السموات والأرض. قال الكلبي: المطر والنبات. **﴿يبسطُ الرزقَ لِمَنْ يشاءُ ويَقْدِرُ﴾**، لأن مفاتيح الرزق بيده، **﴿إنه بكلِّ شيءٍ عليمٌ﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿شَرَعَ لكم من الدِّينِ﴾**، بيّن وسنّ لكم، **﴿ما وَصَّى به نوحاً﴾**، وهو أول أنبياء الشريعة. قال مجاهد: أوصيناك وإياه يامحمد ديناً واحداً. **﴿والذي أوحينا إليك﴾**، من

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «ب».

أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟
فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ
إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟
ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ

القرآن وشرائع الإسلام، ﴿وما وَصَّينا به إبراهيمَ وموسى وعيسى﴾، واختلفوا في وجه الآية : فقال قتادة : تحليل الحلال وتحريم الحرام. وقال الحكم : تحريم الأمهات والبنات والأخوات .

وقال مجاهد : لم يبعث الله نبياً إلّا وَصّاه بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة والإقرار لله بالطاعة له، فذلك دينه الذي شرع لهم .

وقيل : هو التوحيد والبراءة من الشرك[1]. وقيل : هو ما ذكر من بَعْدُ، وهو قوله : ﴿أنْ أقيموا الدينَ ولا تتفرقوا فيه﴾، بعث الله الأنبياء كلهم بإقامة الدين والألفة والجماعة وترك الفرقة والمخالفة .

﴿كَبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه﴾، من التوحيد ورفض الأوثان ثم قال : ﴿اللهُ يجتبي إليه مَنْ يشاءُ﴾، يصطفي إليه[2] من عباده من يشاء، ﴿ويهدي إليه مَنْ يُنيبُ﴾، يقبل إلى طاعته .

﴿وما تَفَرَّقُوا﴾، يعني أهل الأديان المختلفة، وقال ابن عباس رضي الله عنهما : يعني أهل الكتاب كما ذكر في سورة المنفكين . ﴿إلّا من بعدِ ما جاءَهُمُ العلمُ﴾، بأن الفرقة ضلالة ولكنهم فعلوا ذلك، ﴿بغياً بينهم﴾، أي : للبغي، قال عطاء : يعني بغياً بينهم على محمد ﷺ، ﴿ولولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّكَ﴾، في تأخير العذاب عنهم، ﴿إلى أجلٍ مسمى﴾، وهو يوم القيامة، ﴿لقُضِيَ بينهم﴾، بين من آمن وكفر، يعني أنزل العذاب بالمكذبين في الدنيا، ﴿وإنَّ الذين أُورثوا الكتابَ﴾، يعني / اليهود والنصارى، ١١٥/أ
﴿من بعدِهم﴾، من بعد أنبيائهم، وقيل: من بعد الأمم الخالية. وقال قتادة : معناه من قبلهم أي : من قبل مشركي مكة. ﴿لفي شكٍّ منه مُريبٍ﴾، أي : من محمد ﷺ .

﴿فلذلك فادْعُ﴾، أي : فإلى ذلك كما يقال دعوت إلى فلان ولفلان، وذلك إشارة إلى ما وصّى به الأنبياء من التوحيد، ﴿واستقمْ كما أُمِرْتَ﴾، اثبت على الدين الذي أُمرت به، ﴿ولا تتبعْ أهواءَهم

(١) انظر: زاد المسير: ٧/٢٧٦، القرطبي: ١٦/١١ .
(٢) في «ب» لدينه .

كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ
وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ
لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ
فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ
وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ
وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا

وقلْ آمنتُ بما أنزلَ اللهُ من كتاب﴾، أي: آمنت بكتبِ الله كلِّها، **﴿وأُمرتُ لِأَعْدِلَ بينكم﴾**، [أن أعدل بينكم][1]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: أُمرتُ أن لا أحيف عليكم بأكثر مما افترض الله عليكم من الأحكام. وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأحوال والأشياء، **﴿اللهُ ربُّنا وربُّكم لنا أعمالُنا ولكم أعمالُكم﴾**، يعني: إلهنا واحد، وإن اختلفت أعمالنا، فكلٌّ يُجازَى بعمله، **﴿لا حجة﴾**، لا خصومة، **﴿بينَنا وبينَكم﴾**، نسختها آية القتال[2]، فإذا لم يؤمر بالقتال وأمر بالدعوة لم يكن بينه وبين من لا يجيب خصومة، **﴿اللهُ يجمعُ بيننا﴾**، في المعاد لفصل القضاء، **﴿وإليه المصيرُ﴾**.

﴿والذين يحاجّون في اللهِ﴾، يخاصمون في دينَ اللهِ تعالى نبيَّه ﷺ. وقال قتادة: هم اليهود قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبيّنا قبل نبيكم، فنحن خير منكم، فهذه خصومتهم[3]. **﴿من بعدِ ما استُجيبَ له﴾**، [أي: استجاب له][1] الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته، **﴿حُجَّتُهم داحضةٌ﴾**، خصومتهم باطلة، **﴿عندَ ربِّهم وعليهم غضبٌ ولهم عذابٌ شديدٌ﴾**، في الآخرة.

﴿اللهُ الذي أنزلَ الكتابَ بالحقِّ والميزانَ﴾، قال قتادة، ومجاهد، ومقاتل: سُمي العدل ميزاناً لأن الميزان آلة الإنصاف والتسوية. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أمر الله تعالى بالوفاء، ونهى عن البَخْس **﴿وما يُدريك لعلَّ الساعةَ قريبٌ﴾**، ولم يقل قريبة لأن تأنيثها غير حقيقي، ومجازه: الوقت. وقال الكسائي: إتيانها قريب. قال مقاتل: ذكر النبي ﷺ الساعة وعنده قوم من المشركين، قالوا تكذيباً: متى تكون الساعة؟ فأنزل الله هذه الآية: **﴿يستعجلُ بها الذين لا يؤمنون بها﴾**، ظناً منهم أنها غير آتية، **﴿والذين آمنوا مُشفقون﴾**، أي: خائفون، **﴿منها ويعلمون أنّها الحقُّ﴾**، أنها آتية لا ريب فيها، **﴿ألا إنّ**

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر فيما سبق: ٣/٣٣ تعليق (١).
(٣) انظر: الطبري: ٢٥/١٩.

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ
فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ
الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾

﴿الذين يُمارون﴾، يخاصمون، وقيل: تدخلهم المرية والشك، ﴿في الساعةِ لَفِي ضَلالٍ بعيدٍ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿اللهُ لطيفٌ بعباده﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: حفيٌّ بهم. قال عكرمة: بارٌّ بهم. قال السدي: رفيق. قال مقاتل: لطيف بالبرِّ والفاجر حيث لم يهلكهم جوعاً بمعاصيهم، يدل عليه: قوله «يرزق من يشاء» (البقرة – ٢١٢)، وكل من رزقه الله من مؤمن وكافر وذي روح فهو ممن يشاء الله أن يرزقه. قال جعفر الصادق: اللطف في الرزق من وجهين: أحدهما: أنه جعل رزقك من الطيبات، والثاني: أنه لم يدفعه إليك بمرة واحدة[1]. ﴿وهو القويُّ العزيزُ﴾.

﴿مَنْ كان يُريدُ حَرْثَ الآخرةِ﴾، الحرث في اللغة: الكسب، يعني: من كان يريد بعمله الآخرة، ﴿نَزِدْ له في حَرْثِهِ﴾، بالتضعيف بالواحد عشرة إلى ما شاء الله من الزيادة، ﴿ومَنْ كانَ يريدُ حَرْثَ الدنيا﴾، يريد بعمله الدنيا، ﴿نُؤْتِهِ منها﴾، قال قتادة: أي: نؤته بقدر ما قَسَم الله له، كما قال: «عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد» (الإسراء – ١٨). ﴿وما له في الآخرةِ من نصيبٍ﴾، لأنه لم يعمل للآخرة.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو طاهر الزيادي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى بن بلال، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن منيع العبدي، حدثنا محمد بن يوسف الفريابي، حدثنا سفيان عن المغيرة عن أبي العالية عن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «بشر هذه الأمة بالسنا والرفعة والنصر والتمكين في الأرض، فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة نصيب»[2].

---

(١) انظر: القرطبي: ١٦/١٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ١٣٤/٥، قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٢٢٠/١٠ «رواه أحمد وابنه من طرق، ورجال أحمد رجال الصحيح». وابن حبان في موارد الظمآن برقم: (٢٥٠١) ص ٦١٨، والحاكم: ٣١١/٤ وصححه ووافقه الذهبي، والمصنف في شرح السنة: ٣٣٥/١٤.

أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوْلَا
كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى
ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ
وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْۚ
ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ
ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ

قوله عزّ وجلّ: ﴿**أم لهم شركاءُ شَرَعُوا لهم من الدينِ مالم يأذنْ بهِ اللهُ**﴾، يعني كفار مكة، يقول: أم لهم آلهة سنُّوا لهم من الدين مالم يأذن به الله؟

قال ابن عباس رضي الله عنهما: شرعوا لهم ديناً غير دين الإسلام.

﴿**ولولا كلمةُ الفصْلِ**﴾، لولا أن الله حكم في كلمة الفصل بين الخلق بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة، حيث قال: «بل الساعة موعدهم» (القمر ـ ٤٦)، ﴿**لَقُضيَ بينهم**﴾، لفُرغ من عذاب الذين يكذبونك في الدنيا، ﴿**وإنَّ الظالمين**﴾، المشركين، ﴿**لهم عذابٌ أليمٌ**﴾، في الآخرة.

﴿**ترى الظالمين**﴾، المشركين يوم القيامة، ﴿**مشفقين**﴾، وجلين، ﴿**مما كسبوا وهو واقعٌ بهم**﴾، جزاء كسبهم واقع بهم، ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ في رَوْضَاتِ الجناتِ لهم ما يشاؤون عندَ ربِّهم ذلك هو الفضلُ الكبيرُ**﴾.

﴿**ذلك الذي**﴾، ذكرت من نعيم الجنة، ﴿**يُبَشِّرُ الله به عبادَهُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ**﴾، فإنهم أهله، ﴿**قل لا أسئلكم عليه أجراً إلّا المودةَ في القربى**﴾.

أخبرنا عبدالواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن بشار، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عبدالملك ابن ميسرة قال: سمعت طاووساً عن ابن عباس- رضي الله عنهما- أنه سئل عن قوله: «إلا المودة في القربى»، قال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: عجلتَ، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلّا كان له فيهم قرابة، فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة[1].

وكذلك روى الشعبي وطاووس عن ابن عباس رضي الله عنهما، قال: «إلا المودة في القربى»

(١) أخرجه البخاري في التفسير ـ تفسير سورة (حم عسق)، باب: «إلا المودة في القربى» ٥٦٤/٨.

يعني: أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا رحمي[1]. وإليه ذهب مجاهد، وقتادة، وعكرمة، ومقاتل، والسدي، والضحاك، رضي الله عنهم.

وقال عكرمة: لا أسألكم على ما أدعوكم إليه أجراً إلّا أن تحفظوني في قرابتي بيني وبينكم[1]، وليس كما يقول الكذابون.

وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس في معنى الآية: إلّا أن تودُّوا الله وتتقربوا إليه بطاعته[2]، وهذا قول الحسن، قال: هو القربى إلى الله، يقول: إلا التقرب إلى الله والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح.

١١٥/ب وقال بعضهم: معناه إلا أن تودّوا / قرابتي وعترتي وتحفظوني فيهم، وهو قول سعيد بن جبير وعمرو بن شعيب.

واختلفوا في قرابته قيل: هم فاطمة وعلي وأبناؤهما، وفيهم نزل: «إنّما يُريدُ اللَّهُ لِيُذهبَ عنكم الرِّجْسَ أهلَ البيت» (الأحزاب ـ ٣٣).

وروينا عن يزيد بن حيان عن زيد بن أرقم عن النبي ﷺ قال: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي»، قيل لزيد بن أرقم: مَنْ أهل بيته؟ قال: هم آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبدالله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبدالله بن عبدالوهاب، حدثنا خالد، حدثنا شعبة عن واقد قال: سمعت أبي يحدث عن ابن عمر عن أبي بكر قال: ارقبُوا محمداً في أهل بيته[4].

وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة من أقاربه ويقسم فيهم الخمس، وهم بنو هاشم، وبنو المطلب، الذين لم يتفرقوا في جاهلية ولا في إسلام[5].

وقال قوم: هذه الآية منسوخة وإنما نزلت بمكة، وكان المشركون يؤذون رسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية فأمرهم فيها بمودة رسول الله ﷺ، وصلة رحمه[6]، فلما هاجر إلى المدينة وآواه

---

(١) عزاه ابن حجر لأحمد بن منيع باسناد صحيح. انظر: المطالب العالية: ٣٦٨/٣.

(٢) انظر: الطبري: ٢٣/٢٥.

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٢٦٨/١. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٣/٧ «رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد فيهم قزعة بن سويد، وثقه ابن معين وغيره، وفيه ضعف، وبقية رجاله ثقات»، والحاكم: ٤٤٣/٢ ـ ٤٤٤ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٣٤٧/٧ عزوه لابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٤) قطعة من حديث أخرجه مسلم في فضائل الصحابة: باب: من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، برقم: (٢٤٠٨): ١٨٧٣/٤.

(٥) أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب قرابة رسول الله ﷺ: ٧٨/٧.

(٦) انظر: زاد المسير: ٢٨٥/٧.

فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾

الأنصار ونصروه أحبَّ اللهُ عزّ وجلّ أن يلحقه بإخوانه من الأنبياء عليهم السلام حيث قالوا: «وما أسئلكم عليه من أجر إن أجري إلّا على ربِّ العالمين» (الشعراء ـ ١٠٩) فأنزل الله تعالى: «قل ما سألتكم من أجر فهو لكم إن أجري إلّا على الله»، فهي منسوخة بهذه الآية، وبقوله: «قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين» (الزمر ـ ٨٦)، وغيرها من الآيات. وإلى هذا ذهب الضحاك بن مزاحم، والحسين بن الفضل.

وهذا قول غير مرضي؛ لأن مودة النبي ﷺ وكف الأذى عنه ومودة أقاربه، والتقرب إلى الله بالطاعة، والعمل الصالح من فرائض الدين، وهذه أقاويل السلف في معنى الآية، فلا يجوز المصير إلى نسخ شيء من هذه الأشياء.

وقوله: «إلا المودة في القربى» ،ليس باستثناء متصل بالأول حتى يكون ذلك أجراً في مقابلة أداء الرسالة، بل هو منقطع، ومعناه: ولكني أذكركم المودة في القربى وأذكركم قرابتي منكم، كما روينا في حديث زيد بن أرقم: «أذكركم الله في أهل بيتي».

قوله عزّ وجلّ: ﴿وَمَنْ يقترفْ حسنةً نَزِدْ له فيها حُسناً﴾، أي: من يزد[1] طاعةً نزد له فيها حسناً بالتضعيف، ﴿إنّ الله غفورٌ﴾، للذنوب، ﴿شكورٌ﴾، للقليل حتى يضاعفها.

﴿أم يقولون﴾، بل يقولون يعني: كفار مكة، ﴿افترى على اللهِ كذباً فإنْ يشأ اللهُ يختمْ على قلبكَ﴾، قال مجاهد: يربط على قلبك بالصبر حتى لا يشق عليك أذاهم، وقولهم إنه مفتر، قال قتادة: يعني يطبع على قلبك فينسيك القرآن وما أتاك، فأخبرهم أنه لو افترى على الله لفعل به ما أخبر عنه في هذه الآية، ثم ابتدأ فقال: ﴿ويمحُ اللهُ الباطلَ﴾، قال الكسائي: فيه تقديم وتأخير مجازه: والله يمحو الباطل. وهو في محل رفع، ولكنه حذف منه الواو في المصحف على اللفظ كما حذفت من قوله: «ويدع الإنسان» (الإسراء ـ ١١) و«سندع الزبانية» (العلق ـ ١٨)، أخبر أن ما يقولونه باطل يمحوه الله، ﴿ويحقُّ الحقَّ بكلماته﴾، أي: الإسلام بما أنزل من كتابه، وقد فعل الله ذلك فمحا باطلهم وأعلى كلمة الإسلام، ﴿إنه عليمٌ بذاتِ الصدور﴾، قال ابن عباس: لما نزلت: «قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى»، وقع في قلوب قوم منها شيء وقالوا يريد أن يحثنا على أقاربه من بعده، فنزل جبريل فأخبره أنهم اتهموه وأنزل هذه الآية، فقال القوم: يارسول الله فإنا نشهد أنك صادق؟ فنزل:

(١) في «ب»: يكتسب.

﴿وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَعْفُوا عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وهو الذي يقبلُ التوبةَ عن عبادِهِ﴾[١]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد أولياءه وأهل طاعته، قيل التوبة ترك المعاصي نيةً وفعلاً، والإقبال على الطاعة نيةً وفعلاً، قال سهل بن عبد الله: التوبة الانتقال من الأحوال المذمومة إلى الأحوال المحمودة. ﴿ويعفو عن السيئاتِ﴾، إذا تابوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن سمعان، حدثنا أبو جعفر محمد بن أحمد بن عبد الجبار الرياني، أخبرنا حميد بن زنجويه، حدثنا يحيى بن حماد، حدثنا أبو عوانة عن سليمان عن الأعمش عن عمارة بن عمير عن الحارث بن سويد قال: دخلت على عبدالله أعوده، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لله أفرح بتوبة عبده من رجل، أظنه قال: [في برّية][٢] مهلكة معه راحلته عليها طعامه وشرابه، فنزل فنام فاستيقظ وقد ضلّتْ[٣] راحلته، فطاف عليها حتى أدركه العطش، فقال: أرجع إلى حيث كانت راحلتي فأموت عليه، فرجع فأغفى فاستيقظ فإذْ هو بها عنده عليها طعامه وشرابه»[٤].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن الصباح وزهير بن حرب قالا: حدثنا عمر بن يونس، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إسحاق بن أبي طلحة، حدثني أنس بن مالك وهو عمه قال: قال رسول الله ﷺ: «لله أشد فرحاً بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته بأرض فلاة، فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه، فأيس منها فأتى شجرة فاضطجع في ظلها، وقد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذْ هو بها قائمة عنده، فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح: اللهمّ أنت عبدي وأنا ربك، أخطأ من شدة الفرح»[٥].

﴿ويعفو عن السيئات﴾ فيمحوها إذا تابوا. ﴿ويعلمُ ما تفعلون﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص «تفعلون» بالتاء، وقالوا: هو خطاب للمشركين، وقرأ الآخرون بالياء لأنه بين خبرين عن قوم، فقال: قبله عن عباده، وبعده ويزيدهم من فضله.

---

(١) انظر: القرطبي: ٢٦/١٦.
(٢) في «ب» بِدَوِيَّةٍ.
(٣) في «ب» هلكت.
(٤) أخرجه البخاري في الدعوات، باب التوبة: ١٠٢/١١، ومسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٢٧٤٤): ٢١٠٣/٤، واللفظ له، والمصنف في شرح السنة: ٨٤/٥-٨٥.
(٥) أخرجه مسلم في التوبة، باب في الحض على التوبة والفرح بها، برقم: (٢٧٤٧) ٢١٠٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ٨٧/٥-٨٨.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ ۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

١١٦/أ ﴿ويستجيبُ الذين آمنوا﴾ /، [أي : ويجيب الذين آمنوا](١)، ﴿وعملوا الصالحاتِ﴾، إذا دعوه، وقال عطاء عن ابن عباس : ويثيب الذين آمنوا. ﴿ويزيدُهم من فضلِهِ﴾، سوى ثواب أعمالهم تفضلاً منه. قال أبو صالح عنه : يُشفّعهم في إخوانهم، ويزيدهم من فضله. قال: في إخوان إخوانهم. ﴿والكافرون لهم عذابٌ شديدٌ﴾ .

﴿ولو بسطَ الله الرزقَ لعبادِهِ﴾، قال خباب بن الأرت : فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنّا نظرنا إلى أموال بني قريظة وبني النضير وبني قينقاع فتمنّيناها فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية(٢) «ولو بسط الله الرزق» وسع الله الرزق ﴿لعباده﴾، ﴿لبَغَوْا﴾، لطغوا وعتوا، ﴿في الأرض﴾.

قال ابن عباس : بغيُهم طلبهم منزلةً بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس .

﴿ولكن يُنَزِّل﴾، أرزاقهم، ﴿بِقَدَرٍ مَّا يشاء﴾، كما يشاء نظراً منه لعباده، ﴿إنه بعبادِه خبيرٌ بصيرٌ﴾.

أخبرنا أحمد بن عبدالله الصالحي، أخبرنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد ابن عبدالله حفيد العباس بن حمزة، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا أبو حفص عمر بن سعيد الدمشقي، حدثنا صدقة عن عبدالله، حدثنا هشام الكناني عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله عزّ وجلّ قال : «يقول الله عزّ وجلّ من أهان لي وليـاً فقد بارزني بالمحاربة، وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الحرد، وما تقرَّبَ إليَّ عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما يزال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ولساناً ويداً ومؤيداً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته وما ترددت في شيء أنا فاعله ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت، وأنا أكره مساءته ولا بدّ له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة فأكفه عنه أنْ لا يدخله عُجبٌ فيفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر ولو أغنيته لأفسده ذلك، وإنّ من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة

(١) زيادة من «ب» .
(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٣٤ .

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ
(٢٨) وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ
جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ (٢٩) وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ
أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ (٣٠)﴾

ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلّا السقم ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبّر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم إني عليم خبير»(١).

قوله عزّ وجلّ: ﴿وهو الذي يُنَزِّلُ الغيثَ﴾، المطر، ﴿من بعدِ ما قَنَطُوا﴾، يعني: من بعد ما يئس الناس منه، وذلك أدعى لهم إلى الشكر، قال مقاتل: حبس الله المطر عن أهل مكة سبع سنين حتى قنطوا، ثم أنزل الله المطر فذكّرهم الله نعمته، ﴿وينشُرُ رحمَتَه﴾، يبسط مطره، كما قال: «وهو الذي يُرسلُ الرياحَ بشرىً بين يدي رحمته». (الأعراف - ٧٥) ﴿وهو الوليُّ﴾، لأهل طاعته، ﴿الحميد﴾، عند خلقه.

﴿ومن آياتِهِ خَلْقُ السمواتِ والأرضِ وما بثَّ فيهما من دابةٍ وهو على جمعِهم إذا يشاءُ قديرٌ﴾، يعني: يوم القيامة.

﴿وما أصابكم من مصيبةٍ فبما كسبتْ أيديكم﴾، قرأ أهل المدينة والشام «بما كسبت» بغير فاء، وكذلك هو في مصاحفهم، فمن حذف الفاء جعل «ما» في أول الآية بمعنى الذي أصابكم بما كسبت أيديكم. ﴿ويعفوا عن كثيرٍ﴾، قال الحسن: لما نزلت هذه الآية قال رسول الله ﷺ: «والذي نفس محمد بيده ما من خدش عود ولا عثرة قدم، ولا اختلاج عرق إلّا بذنب، وما يعفو الله عنه أكثر»(٢).

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني أبو عبدالله بن فنجويه، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا بشر بن موسى الأسدي، حدثنا خلف بن الوليد، حدثنا مروان ابن معاوية، أخبرني الأزهر بن راشد الباهلي عن الخضر بن القواس البجلي عن أبي سخيلة قال:

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٥٣ لابن أبي الدنيا في كتاب الأولياء والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية وابن عساكر في تاريخه، وانظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ص (٣٣٨).

(٢) أخرجه هناد مرسلاً في الزهد: ١/٥١٩، وله شواهد عند الترمذي من حديث أبي موسى الأشعري وعند الطبراني من حديث البراء. انظر: التعليق على كتاب الزهد في الموضع السابق. وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٥٤ لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

﴿وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ (٣١)
وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ (٣٢) إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ
ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ (٣٣) أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَن
كَثِيرٍ (٣٤) وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ (٣٥)﴾

قال علي بن أبي طالب: ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله عز وجل حدثنا بها رسول الله ﷺ؟ «وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفوا عن كثير»، قال: وسأفسرها لك ياعلي: «ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فبما كسبت أيديكم، والله عزّ وجلّ أكرم من أن يُثنّي عليهم العقوبة في الآخرة، وما عفا الله عنكم في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد عفوه»(١).

قال عكرمة: ما من نكبة أصابت عبداً فما فوقها إلّا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلّا بها، أو درجة لم يكنْ الله ليبلغها إلّا بها..

﴿وما أنتم بمعجزين﴾، بفائتين، ﴿في الأرض﴾، هرباً يعني لا تعجزونني حيث ما كنتم ولا تسبقونني، ﴿وما لكم من دونِ اللهِ من وليٍ ولا نصيرٍ﴾.

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومن آياتهِ الجوارِ﴾، يعني: السفن، واحدتها جارية وهي السائرة، ﴿في البحرِ كالأعلامِ﴾، أي: الجبال، [قال مجاهد: القصور، واحدها عَلَم](٢)، وقال الخليل بن أحمد: كل شيء مرتفع عند العرب فهو عَلَم.

﴿إنْ يشأْ يُسكنِ الريحَ﴾، التي تجريها، ﴿فيظللْنَ﴾، يعني: الجواري، ﴿رواكدَ﴾، ثوابت، ﴿على ظهرِهِ﴾، على ظهر البحر لا تجري، ﴿إن في ذلك لآياتٍ لكلّ صبّارٍ شكورٍ﴾، أي: لكل مؤمن لأن صفة المؤمن الصبر في الشدة والشكر في الرخاء.

﴿أو يُوبِقْهُنّ﴾، يهلكهن ويغرقهن، ﴿بما كسَبوا﴾، أي: بما كسبت ركبانها من الذنوب، ﴿ويعفُ عن كثيرٍ﴾، من ذنوبهم [فلا يعاقب عليها](٣).

﴿ويعلمَ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «ويعلمُ» برفع الميم على الاستئناف كقوله عزّ وجلّ في سورة براءة: «ويتوب الله على من يشاء» (التوبة ـ ١٥)، وقرأ الآخرون بالنصب على الصرف والجزم

---

(١) أخرجه الإمام أحمد: ٨٥/١، والحاكم: ٣٨٨/٤، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٣٥٤/٧ عزوه لابن راهويه وابن منيع وعبد ابن حميد والحكيم الترمذي وأبي يعلى وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. وقال الهيثمي (١٠٤/٧): فيه أزهر بن راشد وهو ضعيف.
(٢) ساقط من «أ».
(٣) ساقط من «ب».

﴿فَمَا أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

إذا صرف عنه معطوفه نصب، وهو كقوله تعالى : «ويعلمَ الصابرين» (آل عمران ـ ١٤٢)، صرف من حال الجزم إلى النصب استخفافاً وكراهية لتوالي الجزم. **﴿الذين يجادلون في آياتنا ماهم من محيص﴾**،أي: يعلم الذين يكذبون بالقرآن إذا صاروا إلى الله بعد البعث أن لا مهرب لهم من عذاب الله.

﴿فما أوتيتم من شيءٍ﴾،[من رياش الدنيا][1]، **﴿فمتاعُ الحياة الدنيا﴾**، ليس من زاد المعاد، **﴿وما عندَ اللهِ﴾**، [من الثواب][1]، **﴿خيرٌ وأبقى للذين آمنوا وعلى ربِّهم يتوكلون﴾**، فيه بيان أن المؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع قليل لهما يتمتعان بها فإذا صارا إلى الآخرة كان ما عند الله خيرٌ للمؤمن .

﴿والذين يجتنبون كبائرَ الإثم﴾، قرأ حمزة والكسائيُّ : «كبير الإثم» على الواحد هاهنا، وفي سورة النجم، وقرأ الآخرون: «كبائر» بالجمع، وقد ذكرنا معنى الكبائر في سورة النساء[2] **﴿والفواحشَ﴾**، قال السدي : يعني الزنا. وقال مجاهد ومقاتل : ما يوجب الحدّ . **﴿وإذا ما غضبوا هم يَغفرون﴾**، يحلمون ويكظمون الغيظ ويتجاوزون / . ١١٦/ب

﴿والذين استجابوا لربِّهم﴾، أجابوه إلى ما دعاهم إليه من طاعته، **﴿وأقاموا الصلاةَ وأمرُهم شُورى بينهم﴾**، يتشاورون فيما يبدو لهم ولا يعجلون **﴿ومما رزقناهم ينفقون﴾** .

﴿والذين إذا أصابَهُمُ البغيُ﴾، الظلم والعدوان، **﴿هم ينتصرون﴾**، ينتقمون من ظالميهم من غير أن يعتدوا . قال ابن زيد : جعل الله المؤمنين صنفين : صنف يعفون عن ظالميهم فبدأ بذكرهم، وهو قوله: «وإذا ما غضبوا هم يغفرون»، وصنف ينتصرون من ظالميهم، وهم الذين ذكروا في هذه الآية.

قال إبراهيم في هذه الآية: كانوا يكرهون أن يستذلوا فإذا قدروا عفوا .

قال عطاء : هم المؤمنون الذين أخرجهم الكفار من مكة وبغوا عليهم، ثم مكنهم الله في الأرض حتى انتصروا ممن ظلمهم[3]، ثم ذكر الله الانتصار فقال :

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) انظر فيما سبق: ٢/٢٠١-٢٠٤ .

(٣) انظر : زاد المسير: ٧/٢٩١

وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ
يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾
وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾

﴿وجزاءُ سيئةٍ سيئةٌ مِّثلُها﴾، [سمى الجزاء سيئة][1] وإن لم تكن سيئة لتشابههما في الصورة. قال مقاتل: يعني القصاص في الجراحات والدماء[2].

قال مجاهد والسدي: هو جواب القبيح إذا قال: أخزاك الله تقول: أخزاك الله، وإذا شتمك فاشتمه بمثلها من غير أن تعتدي[3].

قال سفيان بن عيينة: قلت لسفيان الثوري ما قوله عزّ وجلّ: «وجزاء سيئة سيئة مثلها»؟ قال: أن يشتمك رجل فتشتمه، وأن يفعل بك فتفعل به، فلم أجد عنده شيئاً، فسألت هشام ابن حجيرة عن هذه الآية؟ فقال: الجارح إذا جرح يُقتص منه، وليس هو أن يشتمك فتشتمه.

ثم ذكر العفو فقال: **﴿فمَن عفا﴾**، عمن ظلمه، **﴿وأصلحَ﴾**، بالعفو بينه وبين ظالمه، **﴿فأجرُه على اللهِ﴾**، قال الحسن: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: من كان له على الله أجر فليقم. فلا يقوم إلا من عفا، ثم قرأ هذه الآية[4]. **﴿إنه لا يحبُّ الظالمينَ﴾**، قال ابن عباس: الذين يبدؤون بالظلم.

﴿ولَمَنِ انتصرَ بعد ظلمِهِ﴾، أي: بعد ظلم الظالم إياه، **﴿فأولئك﴾**، يعني المنتصرين، **﴿ما عليهم من سبيل﴾**، بعقوبة ومؤاخذة.

﴿إنما السبيلُ على الذين يظلمون الناسَ﴾، يبدؤون بالظلم، **﴿ويبغون في الأرضِ بغيرِ الحقِّ﴾**، يعملون فيها بالمعاصي، **﴿أولئك لهم عذاب أليم﴾**.

﴿ولَمَن صبرَ وغفرَ﴾، فلم ينتصر، **﴿إنَّ ذلك﴾**، الصبر والتجاوز، **﴿لَمِنْ عَزْمِ الأمورِ﴾**، حقها وجزمها. قال مقاتل: من الأمور التي أمر الله بها. قال الزجّاج: الصابر يؤتى بصبره الثواب فالرغبة في الثواب أتم عزماً.

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) انظر: زاد المسير: ٢٩٣/٧.
(٣) انظر: البحر المحيط: ٥٢٣/٧، زاد المسير: ٢٩٣/٧.
(٤) ذكره السيوطي في الدر المنثور: ٣٥٩/٧.

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ
يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ
مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ
خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ
﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن
سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم
مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾

﴿ومن يُضللِ الله فما له من وليٍّ من بعدِهِ﴾، فما له من أحد يلي هدايته بعد إضلال الله إيّاه ويمنعه من عذاب الله، **﴿وترى الظالمين لمّا رأوُا العذابَ﴾**، يوم القيامة، **﴿يقولون هل إلى مردٍّ من سبيل﴾**، يسألون الرجعة في الدنيا .

﴿وتراهم يُعرضون عليها﴾، أي : على النار، **﴿خاشعين﴾**، خاضعين متواضعين، **﴿من الذلّ ينظرون من طَرْفٍ خفيٍّ﴾**، خفيِّ النظر لما عليهم من الذل يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها وذلةً في أنفسهم . وقيل : «من» بمعنى الباء أي : بطرف خفي ضعيف من الذل. وقيل : إنما قال : «من طرف خفي» لأنه لا يفتح عينه إنما ينظر ببعضها. وقيل : معناه ينظرون إلى النار بقلوبهم لأنهم يحشرون عمياً، والنظر بالقلب خفي . **﴿وقالَ الذين آمنوا إنّ الخاسرين الذين خسِرُوا أنفسَهم وأهليهم يومَ القيامةِ﴾**، قيل : خسروا أنفسهم بأن صاروا إلى النار، وأهليهم بأن صاروا لغيرهم في الجنة. **﴿ألا إنّ الظالمين في عذابٍ مقيم﴾** .

﴿وما كان لهم من أولياءَ ينصرونَهم من دونِ الله ومن يضللِ اللهُ فما له من سبيل﴾، طريق إلى الصواب وإلى الوصول إلى الحق في الدنيا والجنة في العقبى، قد انسدَّ عليهم طريق الخير .

﴿استجيبوا لربّكم﴾، أجيبوا داعي الله يعني محمداً ﷺ، **﴿من قبلِ أن يأتـي يومٌ لا مردَّ له من اللهِ﴾**، لا يقدر أحد على دفعه وهو يوم القيامة **﴿ما لكم من ملجأٍ﴾**، تلجأون إليه **﴿يومئذٍ وما لكم من نكير﴾** من منكر يغير ما بكم .

فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَن يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ

﴿فإنْ أعرضوا﴾، عن الإجابة، **﴿فما أرسلناك عليهم حفيظاً إنْ عليك﴾**، ما عليك، **﴿إلّا البلاغُ وإنّا إذا أذقنا الإنسانَ منّا رحمةً﴾**، قال ابن عباس: يعني الغنى والصحة. **﴿فرحَ بها وإنْ تُصبْهم سيئةٌ﴾**، قحط، **﴿بما قدمتْ أيديهم فإنَّ الإنسانَ كفورٌ﴾**، أي: لما تقدم من نعمة الله عليه ينسى ويجحد بأول شدة جميع ما سلف من النعم.

﴿للهِ ملكُ السمواتِ والأرضِ﴾، له التصرف فيهما بما يريد، **﴿يخلقُ ما يشاءُ يهبُ لمَنْ يشاءُ إناثاً﴾**، فلا يكون له ولد ذكر، قيل: من يمن المرأة تبكيرها بالأنثى قبل الذكر، لأن الله تعالى بدأ بالإناث، **﴿ويهبُ لمَنْ يشاءُ الذكورَ﴾**، فلا يكون له أنثى.

﴿أو يزوجُهم ذُكراناً وإناثاً﴾، يجمع له بينهما فيولد له الذكور والإناث، **﴿ويجعلُ من يشاءُ عقيماً﴾**، فلا يلد ولا يولد له. قيل: هذا في الأنبياء عليهم السلام **﴿يهبُ لمَنْ يشاءُ إناثاً﴾**، يعني: لوطاً لم يولد له ذكر إنّما ولد له ابنتان، **﴿ويهبُ لمن يشاءُ الذكورَ﴾** يعني: إبراهيم عليه السلام لم يولد له أنثى، **﴿أو يزوجُهم ذُكراناً وإناثاً﴾**، يعني: محمداً ﷺ ولد له بنون وبنات، **﴿ويجعلُ من يشاءُ عقيماً﴾** يحيى وعيسى عليهما السلام لم يولد لهما، وهذا على وجه التمثيل، والآية عامة في حق كافة الناس. **﴿إنه عليمٌ قديرٌ﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وما كان لبشرٍ أن يكلمَهُ اللهُ إلّا وحياً﴾**، وذلك أن اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تُكلم الله وتنظر إليه، إن كنتَ نبياً، كما كلمه موسى ونظر إليه؟ فقال: لم ينظر موسى إلى الله عزّ وجلّ، فأنزل الله تعالى: «وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً»(١) يوحي إليه في المنام أو بالإلهام، **﴿أو من وراءِ حجابٍ﴾**، يسمعه كلامه ولا يراه، كما كلمه موسى عليه الصلاة والسلام،

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٦): لم أجده.

حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾

﴿أو يرسلَ رسولاً﴾، إما جبريل أو غيره من الملائكة، ﴿فيوحيَ بإذنهِ ما يشاءُ﴾، أي : يوحي ذلك الرسول إلى المرسَل إليه بإذن الله ما يشاء .

قرأ نافع : «أو يرسلُ» برفع اللام على الابتداء، «فيوحي» ساكنة الياء، وقرأ الآخرون بنصب اللام والياء عطفاً على محل الوحي لأن معناه : وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا أن يوحي إليه أو يرسل رسولاً. ﴿إنه عليّ حكيمٌ﴾.

﴿وكذلكَ﴾، أي : كما أوحينا إلى سائر رسلنا، ﴿أوحينا إليك رُوْحاً من أمرِنا﴾، قال ابن عباس : نبوة. وقال الحسن : رحمة. وقال السدي ومقاتل : وحياً. وقال الكلبي : كتاباً. وقال الربيع : جبريل. وقال مالك بن دينار : يعني القرآن. ﴿ما كنتَ تدري﴾، قبل الوحي، ﴿ما الكتابُ ولا الإيمان﴾، يعني شرائع الإيمان ومعالمه، قال محمد بن إسحاق بن خزيمة[1]: «الإيمان» في هذا الموضع: الصلاة، ودليله: قوله عزّ وجلّ: «وما كان الله ليضيع إيمانكم» (البقرة ١٤٣).

وأهل الأصول على أن الأنبياء عليهم السلام كانوا مؤمنين قبل الوحي، وكان النبي ﷺ يعبد الله قبل الوحي على دين إبراهيم، ولم يتبين له شرائع دينه.

﴿ولكنْ جعلناه نوراً﴾، قال ابن عباس: يعني الإيمان. وقال السدي: يعني القرآن. ﴿نهدي به﴾ نرشد به، ﴿مَنْ نشاءُ من عبادِنا وإنّك لتهدي﴾، أي لتدعو، ﴿إلى صراطٍ مستقيم﴾، يعني الإسلام .

﴿صراطِ الله الذي له ما في السموات وما في الأرضِ ألا إلى الله تصيرُ الأمورُ﴾، أي: أمور الخلائق كلها في الآخرة .

(١) انظر: صحيح ابن خزيمة : ٢/١٦٠ .

سُورَة الزخرف

سُورَةُ الزُّخْرُف

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٣﴾ وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٤﴾

﴿ **حمٓ** * **والكتابِ المبين** ﴾، أقسم بالكتاب الذي أبان طريق الهدى من طريق الضلالة، وأبان ما تحتاج إليه الأمة من الشريعة.

﴿ **إنّا جعلناه قرآناً عربياً لعلّكم تعقلون** ﴾، قوله: « جعلناه » أي: صيّرنا قراءة هذا الكتاب عربياً. وقيل: بيّناه. وقيل: سميناه. وقيل: وصفناه، يقال: جعلِ فلان زيداً أعلم الناس، أي وصفه، هذا كقوله تعالى: « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً » (الزخرف - ١٩) وقولِه: « جعلوا القرآن عضين » (الحجر - ٩١)، وقال: « أجعلتم سقاية الحاج » (التوبة - ١٩)، كلها بمعنى الوصف والتسمية.

﴿ **وإنّه** ﴾، يعنى القرآن، ﴿ **في أمِّ الكتابِ** ﴾، **في اللوح** المحفوظ. قال قتادة: « أم الكتاب »: أصل الكتاب، وأم كل شيء: أصله. قال ابن عباس: أول ما خلق الله القلم فأمره أن يكتب بما يريد أن يخلق، فالكتاب عنده[2]، ثم قرأ « وإنه في أم الكتاب لدينا »، فالقرآن مثبت عند **الله في** اللوح المحفوظ كما قال: « بل هو قرآن مجيد في لوح محفوظ » (البروج - ٢١). ﴿**لعليٌّ حكيم**﴾، قال قتادة: يخبر عن منزلته وشرفه، أي: إن كذبتم بالقرآن يا أهل مكة فإنه عندنا **لعليٌّ** رفيعٌ شريف محكم من الباطل.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٦٥ لابن مردويه، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت بمكة سورة « حم » الزخرف.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٤٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٦٦ لابن أبي حاتم.
وانظر: السنة لابن أبي عاصم مع ظلال الجنة للألباني: ١/٤٨-٥٠.

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ
﴿٧﴾ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم
مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾

﴿**أفنضرِبُ عنكم الذكرَ صَفْحاً**﴾، يقال: ضربت عنه وأضربت عنه إذا تركته وأمسكت عنه، و «الصفح» مصدر قولهم صفحت عنه إذا أعرضت عنه، وذلك بأن تُوليه صفحة وجهك [وعنقك][1]، والمراد بالذكر القرآن. ومعناه: أفنترك عنكم الوحي ونمسك عن إنزال القرآن فلا نأمركم [ولا ننهاكم][1] من أجل أنكم أسرفتم في كفركم وتركتم الإيمان؟ استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا نفعل ذلك، وهذا قول قتادة وجماعة.

قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رُفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، ولكن الله عاد عليهم بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة أو ما شاء الله[2].

وقيل: معناه: أفنضرب عنكم بتذكيرنا إيّاكم صافحين معرضين.

قال الكسائي: أفنطوي عنكم الذكر طياً فلا تُدْعَوْن ولا توعَظون. وقال الكلبي: أفنترككم سُدىً لا نأمركم ولا ننهاكم. وقال مجاهد والسدي: أفنعرض عنكم ونترككم فلا نعاقبكم على كفركم[3]. ﴿ **أن كنتم قوماً مسرفين** ﴾، قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة،

﴿**أن كنتم قوماً مسرفين**﴾ قرأ أهل المدينة وحمزة والكسائي: «إن كنتم» بكسر الهمزة، على معنى: إذ كنتم، كقوله: «وأنتم الأعلون إن كنتم مؤمنين» (آل عمران – ١٣٩)، وقرأ الآخرون بالفتح، عل معنى: لأن كنتم قوماً مسرفين [مشركين][4].

﴿ **وكم أرسلْنا من نبيٍ في الأولين** * **وما يأتيهم** ﴾، أي وما كان يأتيهم، ﴿ **من نبيٍ إلّا كانوا به يستهزؤون** ﴾، كاستهزاء قومك بك، يعزّي نبيه ﷺ.

﴿ **فأهلكنا أشدَّ منهم بَطْشاً** ﴾، أي أقوى من قومك، يعني الأولين الذين أُهلكوا بتكذيب الرسل، ﴿ **ومضى مَثَلُ الأولين** ﴾، أي صفتهم وسنتهم وعقوبتهم، فعاقبة هؤلاء كذلك في الإهلاك.

﴿ **ولئِنْ سألتهم** ﴾، أي سألت قومك، ﴿ **مَنْ خلقَ السمواتِ والأرض ليَقولُن خلقَهن**

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٤٩.
(٣) انظر: الطبري: ٢٥/٤٩.
(٤) زيادة من «ب».

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ
﴿١٠﴾ وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ
تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ
مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ
وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا
لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾

العزيزُ العليمُ ﴾، أقروا بأن الله خالقها، وأقروا بعزه وعلمه ثم عبدوا غيره وأنكروا قدرته على البعث لفرط جهلهم. إلى هاهنا تم الإخبار عنهم، ثم ابتدأ دالاً على نفسه بصنعه فقال:

﴿ الذي جعلَ لكمُ الأرضَ مَهْداً وجعلَ لكمْ فيها سُبُلاً لعلّكم تَهْتدون ﴾. إلى مقاصدكم في أسفاركم.

﴿ والذي نَزَّلَ من السماءِ ماءً بِقَدرٍ ﴾، أي بقدر حاجتكم إليه لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أهلكهم. **﴿فأنشرنا به بلدةً ميْتاً كذلك﴾**، أي كما أحيينا هذه البلدة [الميتة][1] بالمطر كذلك، **﴿ تُخْرجون ﴾**، من قبوركم أحياء.

﴿ والذي خلقَ الأزواجَ ﴾، أي الأصناف **﴿ كلَّها ﴾**: **﴿ وجعَلَ لكم من الفُلْكِ والأنعامِ ما تركبون ﴾**، في البر والبحر.

﴿ لتستوُوا على ظهورِه ﴾، **ذكَّر الكناية** لأنه ردها إلى «ما». **﴿ ثم تذكروا نعمةَ ربِّكُم إذا استويتُم عليه ﴾**، بتسخير المراكب في البر والبحر، **﴿ وتقولوا سبحانَ الذي سَخَّرَ لنا هذا ﴾**، ذلل لنا هذا، **﴿ وما كنا له مُقرِنين ﴾**، مطيقين، وقيل: ضابطين.

﴿ وإنَّا إلى ربِّنا لَمُنقِلبون ﴾، لمنصرفون في المعاد.

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، أخبرنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أبي إسحاق، **أخبرني علي** بن ربيعة أنه شهد علياً رضى الله عنه حين ركب فلما وضع رجله في الركاب قال: بسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: سبحان الذي سخر لنا هذا وما

(١) زيادة من « ب »

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُم بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾

كنّا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، ثم حمد ثلاثاً وكبر ثلاثاً، ثم قال: لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقال: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟ قال: رأيت
رسول الله ﷺ/ فعل ما فعلت، وقال مثل ما قلت، ثم ضحك، فقلنا: ما يضحكك يا نبي الله؟ ١١٧/ب
قال: «العبد»، أو قال: «عجبت للعبد إذا قال لا إله إلا الله ظلمت نفسي فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، يعلم أنه لا يغفر الذنوب إلا هو»[(١)] .

قوله عز وجل: ﴿ **وجعلوا له من عباده جُزءاً** ﴾، أي نصيباً وبعضاً وهو قولهم: الملائكة **بنات الله، ومعنى الجعل – ها هنا – الحكم بالشيء والقول، كما تقول: جعلت زيداً أفضل الناس، أي** وصفته وحكمت به، ﴿ **إنّ الإنسانَ** ﴾، يعني الكافر، ﴿ **لكفورٌ** ﴾، جحود لنعم الله، ﴿ **مُبين** ﴾، ظاهر الكفران .

﴿**أمِ اتَّخذ ممّا يَخلُق بناتٍ** ﴾ هذا استفهام توبيخ وإنكار، يقول: أَتَّخذَ ربكم لنفسه البنات، ﴿ **وأصفاكم بالبنين**﴾؟ كقوله: «أفأصفاكم ربكم بالبنين» (الإسراء – ٤٠) .

﴿ **وإذا بُشّرَ أحدُهم بما ضَرَبَ للرحمنِ مَثَلاً** ﴾، بما جعل لله **شبهاً**، وذلك أن ولد كل شيء يشبهه، يعني إذا بُشّر أحدهم بالبنات كما ذكر في سورة النحل: «وإذا بُشّر أحدهم بالأنثى ظل وجهه **مسوداً** وهو كظيم»، (النحل – ٥٨) من الحزن والغيظ .

﴿ **أَوَ مَنْ يُنَشَّأُ** ﴾، قرأ حمزة والكسائي وحفص: «يُنشّأ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، أي يُربّى، وقرأ الآخرون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي ينبت ويكبر، ﴿ **في الحِلية**﴾، في الزينة يعني النساء، ﴿ **وهو في الخصامِ غيرُ مُبين** ﴾، في المخاصمة غير مبين للحجة

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد ، باب: مايقول الرجل إذا ركب:٣/٤١٠، والترمذي في الدعوات، باب: ماجاء مايقول إذا ركب دابة: ٩/٤٠٨-٤٠٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» والنسائي في عمل اليوم والليلة ص (٣٤٩)، والإمام أحمد: ١/١١٥، وابن حبان في الأذكار، باب: مايقول إذا ركب الدابة برقم: (٢٣٨١) ص (٥٩١)، والحاكم: ٢/٩٨ من طريق ميسرة بن حبيب النهدي عن المنهال بن عمرو، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، والمصنف في شرح السنة: ٥/١٣٨-١٣٩ .
وانظر: الفتوحات الربانية على الأذكار النواوية لابن علان: ٥/١٢٥-١٢٦ .

وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ
شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ
عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ
مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾

من ضعفهن وسفههن، قال قتادة في هذه الآية: قلّما تتكلم امرأة فتريد أن تتكلم بحجتها إلا تكلمت بالحجة عليها[1] .

وفي محل «مَنْ» ثلاثة أوجه: الرفع على الابتداء، والنصب على الإضمار، مجازه: أَوَ مَنْ ينشؤ في الحلية يجعلونه بنات الله، والخفض ردّاً على قوله: «مما يخلق»، وقوله: «بما ضرب» .

﴿ **وجعلوا الملائكةَ الذين هم عبادُ الرحمنِ إناثاً** ﴾، قرأ أهل الكوفة، **وأبو عمرو: «عباد** الرحمن» بالباء والألف بعدها ورفع الدال كقوله تعالى: «بل عباد مكرمون» (الأنبياء - ٢٦)، وقرأ الآخرون: «عند الرحمن» بالنون ونصب الدال على الظرف، وتصديقه **قوله عزّ وجل : «إن الذين** عند ربك» (الأعراف - ٢٠٦) الآية، ﴿ **أشهِدُوا خلْقَهم** ﴾، قرأ أهل المدينة على ما لم يسم فاعله، وليَّن الهمزة الثانية بعد همزة الاستفهام، أي: أَحَضَرُوا خلقهم، وقرأ الآخرون بفتح الشين أي أَحَضَرُوا خلقهم حين خُلقوا، وهذا كقوله: «أم خلقنا الملائكة إناثاً وهم شاهدون» (الصافات - ١٥٠)، ﴿ **ستُكتب شهادتُهم** ﴾، على الملائكة أنهم بنات الله، ﴿ **وُيسئلون** ﴾، عنها .

قال الكلبي ومقاتل: لما قالوا هذا القول سألهم النبي ﷺ فقال: «ما يُدريكم أنهم إناث؟ **قالوا : سمعنا من آبائنا ونحن نشهد أنهم لم يكذبوا[2]، فقال الله تعالى : « ستُكتب شهادتهم** ويسئلون»، عنها في الآخرة .

﴿ **وقالوا لو شاءَ الرحمنُ ما عبدْناهم** ﴾، يعني الملائكة، قاله قتادة ومقاتل والكلبي، قال مجاهد: يعني الأوثان، وإنما لم يعجل عقوبتنا على عبادتنا إياها لرضاه منا بعبادتها. قال الله تعالى: ﴿ **ما لهم بذلك من علم** ﴾، فيما يقولون ﴿ **إن هم إلا يَخْرُصُون**﴾ ما هم إلّا كاذبون في قولهم: إن الله تعالى رضي منّا بعبادتها، وقيل: إن هم إلّا يخرصون، في قولهم: إن الملائكة إناث وإنهم بنات الله .

﴿ **أم آتيناهم كتاباً من قبلِهِ** ﴾، أي من قبل القرآن بأن يعبدوا غير الله، ﴿ **فهم به**

(١) أخرجه الطبري: ٢٥/٥٧، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/١٩٥، وزاد السيوطي في الدر: ٧/٣٧٠ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر .
(٢) انظر: زاد المسير ٧/٣٠٧، وقد عزاه للبغوي، وقال: «وهو منقطع» .

بَلۡ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّهۡتَدُونَ ٢٢ وَكَذَٰلِكَ
مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا
عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ ٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوۡ جِئۡتُكُم بِأَهۡدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمۡ عَلَيۡهِ
ءَابَآءَكُمۡۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرۡسِلۡتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ٢٤ فَٱنتَقَمۡنَا مِنۡهُمۡۖ فَٱنظُرۡ كَيۡفَ كَانَ
عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ٢٥ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦
إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ٢٧ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ
مستمسكون ﴾ .

﴿ **بل قالوا إنا وجدنا آباءَنا على أُمّةٍ** ﴾، على دين وملة، قال مجاهد: على إمام. ﴿ **وإنا على آثَارِهم مهتدون**﴾، جعلوا أنفسهم باتباع آبائهم مهتدين .

﴿ **وكذلكَ ما أرسلنا من قبلِكَ في قريةٍ من نذيرٍ إلّا قال مُترفُوها** ﴾، أغنياؤها ورؤساؤها، ﴿ **إنا وجدنا آباءنا على أمّةٍ وإنّا على آثارِهم مُقتدون** ﴾، بهم .

﴿ **قل** ﴾ ، قرأ ابن عامر وحفص: « **قال** » على الخبر ، وقرأ الآخرون « **قل** » على الأمر، ﴿ **أوَلَوْ جئتُكم** ﴾، قرأ أبو جعفر: «جئناكم» على الجمع، والآخرون «جئتكم» على الواحد، ﴿ **بأهدى** ﴾، بدين أصوب، ﴿ **مما وجدتُم عليه آباءَكم** ﴾، قال الزجاج: قل لهم [يا محمد][1]: أتتبعون ما وجدتم عليه آباءكم وإن جئتكم بأهدى منه؟ فأبوا أن يقبلوا، و﴿ **قالوا إنا بما أرسلتُم به كافرون** ﴾ .

﴿ **فانتقمنا منهم فانظرْ كيفَ كان عاقبةُ المكذبين** ﴾ .

قوله عزّ وجلّ: ﴿ **وإذْ قال إبراهيم لأبيه وقومه إنني بَرَاءٌ** ﴾، أي بريء، ولا يثنى البراء ولا يجمع ولا يُؤنث لأنه مصدر وضع موضع النعت. ﴿ **مما تعبدُون إلّا الذي فطَرني** ﴾ خلقني ﴿ **فإنه سيهدينِ** ﴾، يرشدني لدينه .

﴿ **وجعلَها** ﴾، يعني هذه الكلمة، ﴿ **كلمةً باقيةً في عَقِبِهِ** ﴾، قال مجاهد وقتادة: يعني كلمة التوحيد، وهي «لا إله إلا الله» كلمة باقية في عقبه في ذريته. قال قتادة: لا يزال في ذريته من يعبد الله ويوحده. وقال القرظي: يعني: وجعل وصية إبراهيم التي أوصى بها بنيه باقية في نسله وذريته،

---

(١) زيادة من «ب» .

يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا
جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُواْ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ
رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ
فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا

وهو قوله عزّ وجلّ: «ووصّى بها إبراهيمُ بنيه» (البقرة – ١٣٢).

وقال ابن زيد: يعني قوله: «أسلمت لرب العالمين» (البقرة – ١٣١)، وقرأ: «هو سماكم المسلمين» (الحج – ٧٨).

﴿ لعلّهم يَرْجِعُون ﴾، لعل أهل مكة يتبعون هذا الدين ويرجعون عما هم عليه إلى دين إبراهيم. وقال السدي: لعلهم يتوبون ويرجعون إلى طاعة الله عزّ وجلّ.

﴿بل متّعتُ هؤلاءِ وآباءَهم﴾، يعني: المشركين في الدنيا، ولم أعاجلهم بالعقوبة على الكفر، **﴿ حتى جاءَهُم الحقُّ ﴾**، يعني القرآن، وقال الضحاك: الإسلام. **﴿ ورسولٌ مبينٌ ﴾**، يبين لهم الأحكام وهو محمدٌ ﷺ، وكان من حق هذا الإنعام أن يطيعوه، فلم يفعلوا، وعصوا.

وهو قوله عز وجل: **﴿ ولمّا جاءَهم الحقُّ ﴾**، يعني القرآن، **﴿ قالوا هذا سحرٌ وإنّا به كافرون * وقالوا لولا نُزِّل هذا القرآنُ على رجلٍ من القريتين عظيمٍ ﴾**، يعنون الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، قاله قتادة.

وقال مجاهد: عتبة بن ربيعة من مكة، وابن عبد ياليل الثقفي من الطائف.

وقيل: الوليدبن المغيرة من مكة، ومن الطائف: حبيب بن عمرو بن عمير الثقفي. ويُروى هذا عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما[1].

قال الله تعالى: **﴿ أهم يَقْسِمُون رحمَةَ ربِّك ﴾**، يعني النبوة، قال مقاتل/، يقول: بأيديهم ١١٨/أ
مفاتيح الرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ ثم قال:

﴿ نحن قسمنا بينَهم معيشتَهم في الحياة الدنيا ﴾، فجعلنا هذا غنياً وهذا فقيراً وهذا ملكاً

---

(١) أخرج هذه الأقوال الطبري: ٢٥/٦٥-٦٦ ثم قال: « وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال كما قال جل ثناؤه مخبراً عن هؤلاء المشركين (وقالوا لولا نُزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) إذ كان جائزاً أن يكون بعض هؤلاء، ولم يضع الله تبارك وتعالى لنا الدلالة على الذين عُنوا منهم في كتابه، ولا على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم، والاختلاف فيه موجود على ما بينت». وبنحوه قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤/١٢٧-١٢٨ « ...والظاهر أن مرادهم رجل كبير من أي البلدتين كان ».

سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً
وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا
يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن
كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾

وهذا مملوكاً، فكما فضلنا بعضهم على بعض في الرزق كما شئنا، كذلك اصطفينا بالرسالة من شئنا .

﴿ **ورفعْنا بعضَهم فوقَ بعضٍ درجاتٍ** ﴾، بالغنى والمال، ﴿ **ليتَّخِذَ بعضُهم بعضاً سُخريًّا** ﴾، ليستخدم بعضهم بعضا فيسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش، هذا بماله، وهذا بأعماله، فيلتئم قِوامُ أمر العالم. وقال قتادة والضحاك: يملك بعضهم بمالهم بعضاً بالعبودية والملك. ﴿ **ورحمةُ ربِّك** ﴾، [يعني الجنة][1]، ﴿ **خيرٌ** ﴾، للمؤمنين، ﴿ **مما يَجْمعون** ﴾، مما يجمع الكفار من الأموال .

﴿ **ولولا أنْ يكونَ الناسُ أمةً واحدةً** ﴾، أي: لولا أن يصيروا كلهم كفاراً فيجتمعون على الكفر، ﴿ **لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سُقُفاً من فضةٍ** ﴾، قرأ ابن كثير، وأبو جعفر، وأبو عمرو: «سَقْفاً» بفتح السين وسكون القاف على الواحد، ومعناه الجمع، كقوله تعالى: «فخرَّ عليهم السقف من فوقهم» (النحل - ٢٦)، وقرأ الباقون بضم السين والقاف على الجمع، وهي جمع «سقف» مثل: رُهُن ورَهْن، قال أبو عبيدة: ولا ثالث لهما. وقيل: هو جمع سقيف. وقيل: جمع سقوف جمع الجمع. ﴿ **ومعارجَ** ﴾ ، مصاعد ودرجاً من فضة، ﴿ **عليها يَظْهَرُونَ** ﴾ ، يعلون ويرتقون، يقال: ظهرت على السطح إذا علوته .

﴿ **ولبيوتِهم أبواباً** ﴾، من فضة، ﴿ **وسُرُراً** ﴾ **أي: وجعلنا لهم سرراً من فضة،** ﴿ **عليها يتّكؤون** ﴾ .

﴿ **وزُخْرُفاً** ﴾، أي وجعلنا مع ذلك لهم زخرفاً وهو الذهب، نظيره: «أو يكون لك بيت من زخرف» (الإسراء - ٩٣)، ﴿ **وإنْ كلُّ ذلك لمّا متاعُ الحياةِ الدنيا** ﴾، **قرأ حمزة وعاصم: «لمّا» بالتشديد على معنى: وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا فكان: «لمّا» بمعنى إلّا، وخففه الآخرون على معنى: وكل ذلك متاع الحياة الدنيا، فيكون: «إن» للابتداء، و «ما» صلة، يريد: إن هذا** كله متاع الحياة الدنيا يزول ويذهب، ﴿ **والآخرةُ عندَ ربِّك للمتقين** ﴾، خاصة يعنى الجنة .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو العباس عبد الله بن محمد بن هارون

---

(١) مابين القوسين زيادة من «ب» .

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ۝٣٦ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ﴾

الطيسفوني، أخبرنا أبو الحسن محمد بن أحمد الترابي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن محمد بن عمر بن بسطام، أخبرنا أحمد بن سيّار القرشي، حدثنا عبد الرحمن بن يونس أبو مسلم، حدثنا أبو بكر بن منظور، عن أبي حازم، عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى كافراً منها قطرة ماء»[1].

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله، أخبرنا محمد بن إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن [مجالد][2] بن سعيد، عن قيس بن أبي حازم، عن المستورد بن شداد أخي بني فهر قال: كنت في الركب الذين وقفوا مع رسول الله ﷺ على السخلة الميتة، فقال رسول الله ﷺ: «أترون هذه هانت على أهلها حين ألقوها»؟ قالوا: من هوانها ألقوها، قال رسول الله ﷺ: «فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها»[3].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ومَنْ يَعْشُ عن ذكرِ الرحمن﴾، أي يعرض عن ذكر الرحمن فلم يخف عقابه، ولم يرجُ ثوابه، يقال: عشوت إلى النار أعشو عشواً، إذا قصدتها مهتدياً بها، وعشوت عنها: أعرضت عنها، كما يقول: عدلت إلى فلان، وعدلت عنه، وملت إليه، وملت عنه. قال القرظي[4]: يولي ظهره عن ذكر الرحمن وهو القرآن. قال أبو عبيدة والأخفش: يُظلم بصرف بصره عنه. قال الخليل بن أحمد: أصل العشو النظر ببصر ضعيف. وقرأ ابن عباس: «ومن يعشَ» بفتح الشين أي يعم، يقال عشي يعشى عشاً إذا عمي فهو أعشى، وامرأة عشواء. ﴿نقيّضْ له شيطاناً﴾، قرأ يعقوب: «يقيض» بالياء، والباقون بالنون، نسبب له شيطاناً ونضمه إليه ونسلطه عليه. ﴿فهو له قرين﴾، لا يفارقه، يزين له العمى ويخيل إليه أنه على الهدى.

﴿وإنّهم﴾، يعني الشياطين، ﴿ليصدُّونهم عن السبيلِ﴾، أي ليمنعونهم عن الهدى وجمع

(١) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: ماجاء في هوان الدنياعلى الله: ٦/٦١١ وقال: «هذا حديث صحيح غريب من هذا الوجه»، وابن ماجه في الزهد، باب: مثل الدنيا برقم: (٤١١٠): ٢/١٣٧٧، وأبو نعيم في الحلية: ٣/٢٥٣ من رواية أبي هريرة وقال: رواه البزار، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٢٩.
قال الهيثمي في المجمع: ١٠/٢٨٨ «وفيه صالح مولى التوأمة، وهو ثقة لكنه اختلط، وبقية رجاله ثقات». وصححه المناوي في فيض القدير: ٥/٣٢٨، وذكره الألباني في الصحيحة رقم: (٦٨٦) وقال: «روي من حديث سهل بن سعد، وأبي هريرة، وعبد الله بن عمر، وعبد الله بن عباس، وجماعة من الصحابة، والحسن وعمرو بن مرة مرسلاً، ثم ساق الروايات وقال: وبالجملة فالحديث بمجموع هذه الطرق صحيح بلا ريب، والله أعلم».

(٢) في «أ» خالد، وما أثبتناه هو الصواب.

(٣) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: ماجاء في هوان الدنيا على الله عز وجل: ٦/٦١١-٦١٢ وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه في الزهد، باب: مثل الدنيا برقم: (٤١١١) ٢/١٣٧٧، والإمام أحمد: ٤/٢٢٩، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٢٧-٢٢٨.

(٤) في المخطوطتين «القرطبي» والصحيح «القرظي» كما ذكره القرطبي: ١٦/٩٠.

عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ
بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى
ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى
ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى

الكناية لأن قوله: «ومن يعشُ عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً» في مذهبِ جمعٌ وإن كان اللفظَ على الواحد، ﴿ **ويحسبون أنهم مهتدون** ﴾، ويحسب كفار بني آدم أنهم على الهدى.

﴿ **حتى إذا جاءنا** ﴾، قرأ أهل العراق غير أبي بكر: «جاءنا» على الواحد يعنون الكافر، وقرأ الآخرون: جاءانا، على التثنية يعنون الكافر وقرينه، جُعلا في سلسلة واحدة. ﴿ **قال** ﴾، الكافر لقرينه الشيطان: ﴿ **يا ليتَ بيني وبينَك بُعدَ المشرقين** ﴾، أي بعد ما بين المشرق والمغرب فغلب اسم أحدهما على الآخر كما يقال للشمس والقمر: القمران، ولأبي بكر وعمر: العُمَران. وقيل: أراد بالمشرقين مشرق الصيف ومشرق الشتاء، والأول أصح، ﴿ **فبئس القرين** ﴾، قال أبو سعيد الخدري: إذا بعث الكافر زُوّج بقرينه من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير إلى النار(١).

﴿ **ولن ينفعَكم اليومَ** ﴾، في الآخرة، ﴿ **إذ ظَلَمْتُم** ﴾، أشركتم في الدنيا، ﴿ **أنكم في العذابِ مُشتركون** ﴾، يعني لا ينفعكم الاشتراك في العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم شيئا من العذاب، لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الحظ الأوفر من العذاب. وقال مقاتل: لن ينفعكم الاعتذار والندم اليوم فأنتم وقرناؤكم اليوم مشتركون في العذاب كما كنتم مشتركين **في الدنيا [في** الكفر](٢).

﴿ **أفأنتَ تُسمع الصُمَّ أو تهدى العُمْيَ ومَنْ كان في ضَلالٍ مبين** ﴾، يعني الكافرين الذين حقت عليهم كلمة العذاب لا يؤمنون.

﴿ **فإمّا نَذْهَبَنَّ بك** ﴾، بأن نميتك قبل أن نعذبهم، ﴿ **فإنّا منهم مُنتقمون** ﴾، بالقتل بعدك.

﴿ **أو نُرِيَنّك** ﴾، في حياتك، ﴿ **الذي وَعَدْناهم** ﴾، من العذاب، ﴿ **فإنا عليهم مقتدرون** ﴾، **قادرون، متى** شئنا عذبناهم، وأراد به مشركي مكة انتقم منهم يوم بدر، هذا قول أكثر المفسرين، وقال الحسن وقتادة: عنى به أهل الإسلام من أمة محمد ﷺ، وقد كان **بعد النبي**

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٥/٧٤، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/١٩٦ كلاهما عن سعيد الجريري، خلافاً لما في المخطوطتين إذ نسبتا القول **لأبي سعيد الخدري.**
وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٧٨ عزوه لابن المنذر.

(٢) زيادة من «ب».

وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن
قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾

١١٨/ب ﷺ نقمة شديدة في أمته، فأكرم الله نبيه وذهب به ولم يره في أمته إلا الذى / يقر عينه، وأبقى النقمة بعده. ورُوي أن النبي ﷺ أُري ما يُصيب أمته بعده فما رُئي ضاحكاً منبسطاً حتى قبضه الله[(١)].

﴿فاستمسك بالذي أوحيَ إليك إنّك على صراطٍ مستقيم﴾.

﴿وإنه﴾، يعنى القرآن، ﴿لَذكرٌ لك﴾، لشرف لك، ﴿ولقومك﴾، من قريش، نظيره: «لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم» (الأنبياء - ١٠)، أي شرفكم، ﴿وسوف تُسئلون﴾، عن حقه وأداء شكره، روى الضحاك عن ابن عباس **أن النبي** ﷺ كان إذا سئل لمن **هذا الأمر بعدك؟ لم يخبر** بشيء حتى نزلت هذه الآية، فكان بعد ذلك إذا سئل لمن هذا؟ قال: لقريش[(٢)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا عاصم بن محمد بن زيد، عن أبيه، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزال هذا الأمر في قريش ما بقي اثنان»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو اليمان، أخبرنا شعيب عن الزهري قال: كان محمد بن جبير بن مطعم يحدث عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن هذا الأمر في قريش لا يعاديهم أحد إلا كبّه الله على وجهه ما أقاموا الدين»[(٤)].

وقال مجاهد: القوم هم العرب، فالقرآن لهم شرف إذ نزل بلغتهم، ثم يختص بذلك الشرف الأخص فالأخص من العرب، حتى يكون [الأكثر لقريش ولبني هاشم.

وقيل: «ذكر ذلك»: شرف لك بما أعطاك من الحكمة، «ولقومك» المؤمنين بما

---

(١) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٥، والحاكم: ٤٤٧/٢، وعبد الرزاق في التفسير: ١٩٧/٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٧٩/٧ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٧.

(٣) أخرجه البخاري في المناقب، باب: مناقب قريش: ٥٣٣/٦، ومسلم في الإمارة، باب: الناس تبع لقريش والخلافة في قريش برقم: (١٨٢٠): ١٤٥٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ٦٠/١٤.

(٤) قطعة من حديث أخرجه البخاري في المناقب باب مناقب قريش: ٥٣٣/٦.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ السَّاحِرُ﴾

هداهم][1] الله به، «وسوف تسئلون» عن القرآن وعمّا يلزمكم من القيام بحقه.

قوله عزّ وجلّ: ﴿واسئل مَنْ أرسلْنا من قبلِكَ من رسلِنا أجعلنا من دونِ الرحمٰنِ آلهةً يُعْبَدون﴾، اختلفوا في هؤلاء المسئولين:

قال عطاء عن ابن عباس: لما أُسري بالنبي ﷺ بعث الله له آدم وولده من المرسلين، فأذّن جبريل ثم أقام، وقال: يا محمد تقدم فصلِّ بهم، فلما فرغ من الصلاة قال له جبريل: سلْ يا محمد «من أرسلنا قبلك من رسلنا»، الآية، فقال رسول الله ﷺ: «لا أسأل فقد اكتفيت»، وهذا قول الزهري وسعيد بن جبير وابن زيد، قالوا: جمع الله له المرسلين ليلة أسري به وأمره أن يسئلهم فلم يشك ولم يسأل[2].

وقال أكثر المفسرين: سل مؤمني أهل الكتاب الذين أُرسِلتْ إليهم الأنبياء هل جاءتهم الرسل إلا بالتوحيد[3]؟ وهو قول ابن عباس في سائر الروايات، ومجاهد وقتادة والضحاك والسدي والحسن والمقاتليين. يدل عليه قراءة عبد الله وأُبيّ: «واسئل الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا»، ومعنى الأمر بالسؤال التقرير لمشركي قريش أنه لم يأت رسول ولا كتاب بعبادة غير الله عزّ وجلّ.

قوله عز وجل: ﴿ولقد أرسلنا موسى بآياتنا إلى فرعونَ ومَلَئِهِ فقال إني رسولُ ربِّ العالمين * فلما جاءَهم بآياتِنا إذا هم منها يضحكون﴾، استهزاء.

﴿وما نُريهم من آيةٍ إلّا هي أكبرُ من أختِها﴾، قرينتها وصاحبتها التي كانت قبلها، ﴿وأخذناهم بالعذابِ﴾، بالسنين والطوفان والجراد والقُمَّل والضفادع والدم والطمس، فكانت هذه دلالاتٍ لموسى، وعذاباً لهم، فكانت كل واحدة أكبر من التي قبلها، ﴿لعلّهم يرجعون﴾، عن كفرهم.

﴿وقالوا﴾، لموسى لمّا عاينوا العذاب، ﴿يا أيُّهَ الساحرُ﴾، يا أيها العالم الكامل الحاذق، وإنما قالوا هذا توقيراً وتعظيماً له، لأن السحر عندهم كان علماً عظيماً وصفةً ممدوحة، وقيل: معناه

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) ذكره القرطبي: ١٦/٩٤-٩٥ عن ابن عباس وابن زيد.
وانظر: الطبري: ٢٥/٧٨.
(٣) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤/١٣٠ «أي جميع الرسل دعوا إلى ما دعوت إليه ... كقوله: (ولقد بعثنا في كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت)...» واختاره ابن جرير.

ٱدۡعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهۡتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفۡنَا عَنۡهُمُ ٱلۡعَذَابَ إِذَا هُمۡ
يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرۡعَوۡنُ فِي قَوۡمِهِۦ قَالَ يَٰقَوۡمِ أَلَيۡسَ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ
وَهَٰذِهِ ٱلۡأَنۡهَٰرُ تَجۡرِي مِن تَحۡتِيٓۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمۡ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ
مَهِينٞ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوۡلَآ أُلۡقِيَ عَلَيۡهِ أَسۡوِرَةٞ مِّن ذَهَبٍ أَوۡ جَآءَ مَعَهُ
ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ مُقۡتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسۡتَخَفَّ قَوۡمَهُۥ فَأَطَاعُوهُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا

يا أيها الذي غلبنا بسحره. وقال الزجاج: خاطبوه به لما تقدم له عندهم من التسمية بالساحر. **﴿ادعُ لنا ربَّك بما عَهِدَ عندك﴾**، أي بما أخبرتنا من عهده إليك إن آمنا كشف عنا العذاب فاسأله يكشف عنا العذاب، **﴿إننا لَمهتدون﴾**، مؤمنون، فدعا موسى فكشف عنهم فلم يؤمنوا، فذلك قوله عز وجل:

﴿فلما كشفْنا عنهمُ العذابَ إذا هم يَنكُثون﴾، ينقضون عهدهم ويصرون على كفرهم.

﴿ونادى فرعونُ في قومِه قالَ يا قومِ أليسَ لي مُلْكُ مِصْرَ وهذهِ الأنهارُ﴾، أنهار النيل، **﴿تجري من تحتي﴾**، من تحت قصوري، وقال قتادة: تجري بين يدي في جناني وبساتيني. وقال الحسن: بأمري. **﴿أفلا تُبصرون﴾**، عظمتي وشدة ملكي.

﴿أمْ أنا خيرٌ﴾، بل أنا خير، «أم» بمعنى «بل»، وليس بحرف عطف على قول أكثر المفسرين، وقال الفراء: الوقف على قوله: «أم»، وفيه إضمار، مجازه: أفلا تبصرون أم [تبصرون][1]، ثم ابتدأ فقال: **أنا خير، ﴿من هذا الذي هو مَهينٌ﴾**، ضعيف حقير يعني موسى، قوله: **﴿ولا يَكَادُ يُبِيْنُ﴾** يفصح بكلامه للثغته التي في لسانه.

﴿فلولا أُلقيَ عليه﴾، إن كان صادقاً، **﴿أَسْوِرَةٌ من ذهبٍ﴾**، قرأ حفص ويعقوب «أسورة» جمع سوار، وقرأ الآخرون «أساورة» على جمع الأسورة، وهي جمع الجمع. قال مجاهد: كانوا إذا سوّدوا رجلاً سوّروه بسوار وطوقوه بطوق من ذهب يكون ذلك دلالة لسيادته، فقال فرعون: هلا ألقى ربُّ موسى عليه أسورة من ذهب إن كان سيداً تجب علينا طاعته. **﴿أو جاءَ معه الملائكة مقترنين﴾**، متتابعين يقارن بعضهم بعضاً يشهدون له بصدقه ويعينونه على أمره.

قال الله تعالى: **﴿فاستخفَّ قومَهُ﴾**، أي استخف فرعون قومه القبط، أي وجدهم جهالاً. وقيل: حملهم على الخفة والجهل. يقال: استخفه عن رأيه، إذا حمله على الجهل وأزاله عن الصواب،

---

(١) ساقط من «ب».

فَسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾
فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا
قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا
بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾

﴿فأطاعوه﴾، على تكذيب موسى، ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾.

﴿فلما آسفونا﴾، أغضبونا، ﴿انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين * فجعلناهم سَلَفاً﴾، قرأ حمزة والكسائي «سُلُفا» بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف من سلف بضم اللام يسلف، أي تقدم، وقرأ الآخرون بفتح السين واللام على جمع السالف، مثل: حارس وحرس/وخادم وخدم، ١١٩/أ
وراصد ورصد، وهما جميعاً الماضُون المتقدمون من الأمم، يقال: سلف يسلف، إذا تقدم والسلف من تقدم من الآباء، فجعلناهم متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. ﴿ومَثَلاً للآخرين﴾، عبرة وعظة لمن بقي بعدهم. وقيل: سلفاً لكفار هذه الأمة إلى النار ومثلاً لمن يجيء بعدهم.

﴿ولما ضُرِبَ ابنُ مريم مثلاً﴾، قال ابن عباس وأكثر المفسرين: إن الآية نزلت في مجادلة عبد الله بن الزبعري مع النبي ﷺ في شأن عيسى عليه السلام، لما نزل قوله عز وجل: «إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم» (الأنبياء – ٩٨)، وقد ذكرناه في سورة الأنبياء عليهم السلام[1]. ﴿إذا قومُك منه يَصِدُّون﴾، قرأ أهل المدينة والشام والكسائي: «يصدون» بضم الصاد، أي يعرضون، نظيره قوله تعالى: «يصدون عنك صدوداً»، (النساء – ٦١) وقرأ الآخرون بكسر الصاد.

واختلفوا في معناه، قال الكسائي: هما لغتان مثل يعرُشون ويعرِشون، وشد عليه يَشُدّ ويَشِد، ونمّ بالحديث يَنُمّ ويَنِمّ.

وقال ابن عباس: معناه يضجّون. وقال سعيد بن المسيب: يصيحون. وقال الضحاك: يعجّون. وقال قتادة: يجزعون. وقال القرظي: يضجرون. ولمّا ضُرب ابنُ مريم مثلاً إذا قومك منه يصدون يقولون ما يريد محمد منا إلا أن نعبده ونتخذه إلهاً كما عبدت النصارى عيسى.

﴿وقالوا آلهتُنا خيرٌ أمْ هو﴾، قال قتادة: «أم هو» يعنون محمداً، فنعبده ونطيعه ونترك آلهتنا. وقال السدي وابن زيد: «أم هو» يعني عيسى، قالوا: يزعم محمد أن كل ما عبد من دون الله في النار فنحن نرضى أن تكون آلهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار، وقال الله تعالى: ﴿ما ضربُوه﴾، يعني هذا المثل، ﴿لك إلّا جدلاً﴾، خصومة بالباطل وقد علموا أن المراد من قوله: «وما تعبدون من دون الله حَصَبُ جهنم» (الأنبياء – ٩٨)، هؤلاء الأصنام. ﴿بل هم قومٌ خَصِمُون﴾.

(١) انظر فيما سبق: ٣٥٧/٥.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٥٩ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ٦٠ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو بكر عبد الرحمن بن عبد الله الحمشاوي، أخبرنا أحمد بن جعفر بن **حمدان القطيعي،** حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني أبي، حدثنا عبد الله بن نمير، حدثنا حجاج بن دينار الواسطي، عن أبي غالب عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما ضلّ قوم بعد هدىً كانوا عليه إلّا أُوتوا الجَدَل»، ثم قرأ: «ما ضربوه لك إلّا جدلاً بل هم قوم خَصِمُون»[1] .

ثم ذكر عيسى فقال: ﴿**إِنْ هُوَ**﴾، **ما هو**، يعني عيسى عليه السلام، ﴿**إلّا عبدٌ أنعمنا عليه**﴾، بالنبوة، ﴿**وجعلناه مثلاً**﴾ آية وعبرة، ﴿**لبني إسرائيلَ**﴾، يعرفون به قدرة الله عزّ وجلّ على ما يشاء حيث خلقه من غير أب .

﴿**ولو نشاءُ لجعلنا منكم ملائكةً**﴾، أي ولو نشاء لأهلكناكم وجعلنا بدلاً منكم ملائكة، ﴿**في الأرض يَخْلُفون**﴾، يكونون **خلفاً منكم** يعمرون الأرض ويعبدونني ويطيعونني. وقيل: يخلف بعضهم بعضاً .

﴿**وإنّه**﴾، يعني عيسى عليه السلام، ﴿**لَعِلْمٌ للساعةِ**﴾، يعني نزوله من أشراط الساعة يعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: «وإنه لَعَلَمٌ للساعة» بفتح اللام والعين أي أمارة وعلامة .

وروينا عن النبي ﷺ: «لَيوشكنّ أن ينزل فيكم ابن مريم حَكماً عادلاً يكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلّا الإسلام»[2] .

ويُروى: «أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه ممصرتان[3]، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمام **فيقدّمه**

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (تفسير سورة الزخرف) : ٩/١٣٠-١٣١ وقال: « هذا حديث حسن صحيح، إنما نعرفه من حديث حجاج بن دينار، وحجاج ثقة مقارب الحديث، وأبو غالب اسمه حزَوَّر »، وابن ماجه في المقدمة، باب: اجتناب البدع والجدل برقم: (٤٨): ١/١٩، والإمام أحمد: ٥/٢٥٢-٢٥٦، والحاكم: ٢/٤٤٨ وقال: « حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة: ١/١١٤، وابن أبي عاصم في السنة: ١/٤٨، وحسَّن الألباني إسناده، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٨٥-٣٨٦ لعبد بن حميد وسعيد بن منصور وابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في شعب الإيمان .

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٦/٤٩٠-٤٩١ ومسلم في الإيمان، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برقم: (١٥٥) ١/١٣٥، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٨٠ .

(٣) تثنية ممصَّرة وهي الثياب التي فيها صفرة خفيفة .

وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦١ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ
٦٢ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ
ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ٦٣ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا
صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ٦٤ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ
عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ٦٥ هَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗ وَهُمۡ
لَا يَشۡعُرُونَ ٦٦

عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلّا من آمن به»(١) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا ابن بكير، حدثنا الليث ، عن يونس، عن ابن شهاب، عن نافع مولى أبي قتادة الأنصاري أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم وإمامُكم منكم»(٢)؟ .

وقال الحسن وجماعة: «وإنه» يعني وإن القرآن لعلم للساعة يعلمكم قيامها، ويخبركم بأحوالها وأهوالها، ﴿**فلا تَمْتَرُنَّ بها**﴾، فلا تشكنّ فيها، قال ابن عباس: لا تكذبوا بها، ﴿**واتبعونِ**﴾، على التوحيد، ﴿**هذا**﴾، الذي أنا عليه، ﴿**صراطٌ مستقيمٌ**﴾ .

﴿**ولا يَصُدَّنّكم**﴾، لا يصرفنكم، ﴿**الشيطانُ**﴾، عن دين الله، ﴿**إنه لكم عدوٌ مبينٌ**﴾ .

﴿**ولمّا جاءَ عيسى بالبيناتِ قالَ قد جئتُكم بالحكمةِ**﴾، بالنبوة، ﴿**ولأبيّنَ لكم بعضَ الذي تختلفون فيه**﴾، من أحكام التوراة، قال قتادة: يعني اختلاف الفرق الذين تحزبوا على أمر عيسى. قال الزجاج: الذي جاء به عيسى في الإنجيل إنما هو بعض الذي اختلفوا فيه، وبيّن لهم في غير الإنجيل ما احتاجوا إليه. ﴿**فاتقوا الله وأطيعون**﴾ .

﴿**إنّ الله هو ربي وربُكم فاعبدوه هذا صراطٌ مستقيمٌ * فاختلفَ الأحزابُ من بينهم فويلٌ للذين ظلموا من عذابِ يومٍ أليمٍ * هل ينظرون إلّا الساعةَ**﴾، يعني أنها تأتيهم لا محالة فكأنهم ينتظرونها، ﴿**أنْ تأتيَهُم بغتةً**﴾، فجأة، ﴿**وهم لا يشعرون**﴾ .

(١) انظر: أبو داود في الملاحم، باب: خروج الدجال: ٦/١٧٧، مسند الإمام أحمد: ٢/٤٠٦، ٤٣٧ .
(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب: نزول عيسى بن مريم عليهما السلام: ٦/٤٩١، ومسلم في الأنبياء، باب نزول عيسى ابن مريم حاكماً بشريعة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم برقم: (١٥٥): ١/١٣٦، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٨٢ .

﴿ٱلۡأَخِلَّآءُ يَوۡمَئِذِۭ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلۡمُتَّقِينَ ٦٧ يَٰعِبَادِ لَا خَوۡفٌ
عَلَيۡكُمُ ٱلۡيَوۡمَ وَلَآ أَنتُمۡ تَحۡزَنُونَ ٦٨ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُواْ مُسۡلِمِينَ
٦٩ ٱدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ أَنتُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ تُحۡبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيۡهِم بِصِحَافٖ مِّن
ذَهَبٖ وَأَكۡوَابٖۖ وَفِيهَا مَا تَشۡتَهِيهِ ٱلۡأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلۡأَعۡيُنُۖ وَأَنتُمۡ فِيهَا﴾

﴿الأخِلّاءُ﴾، على المعصية في الدنيا، **﴿يومئذٍ﴾**، يوم القيامة، **﴿بعضُهم لبعضٍ عدوٌّ إلّا المتقين﴾**، إلا المتحابين في الله عزّ وجلّ على طاعة الله عزّ وجلّ.

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرني عقيل بن محمد بن أحمد، أن أبا الفرج البغدادي القاضي أخبرهم عن محمد بن جرير، حدثنا ابن عبد الأعلى، عن قتادة، حدثنا أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي إسحاق أن علياً قال في هذه الآية: خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين فقال: يارب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر، ويخبرني أني ملاقيك، يارب فلا تضله بعدي واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جُمع بينهما، فيقول: ليثنِ أحدكما على صاحبه، فيقول: نِعْمَ الأخ، ونعم الخليل، ونعم الصاحب، قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يارب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر وينهاني عن الخير، ويخبرني أني غير ملاقيك، فيقول بئس الأخ/، وبئس الخليل، وبئس الصاحب[1]. ١١٩/ب

﴿يا عبادِ﴾، أي فيقال لهم: يا عبادي، **﴿لا خوفٌ عليكم اليومَ ولا أنتم تَحْزنون﴾**، ورُوي عن المعتمر بن سليمان عن أبيه قال: سمعت أن الناس حين يبعثون ليس منهم أحد إلا فزع، فينادي منادٍ: **«يا عبادِ لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون» فيرجوها الناس كلهم فيتبعها**[2]: **﴿الذين آمنوا بآياتِنا وكانوا مسلمين﴾، فييأسُ الناسُ منها غير المسلمين فيقال لهم: ﴿ادخلوا الجنةَ أنتم وأزواجُكم تُحبَرون﴾**، تسرون وتنعمون.

﴿يطافُ عليهم بصِحَافٍ﴾، جمع صحفة وهي القصعة الواسعة، **﴿من ذهبٍ وأكوابٍ﴾**، جمع كوب وهو إناء مستدير مدور الرأس لا عرى لها، **﴿وفيها﴾**، أي في الجنة، **﴿ما تشتهي الأنفسُ﴾**، قرأ أهل المدينة والشام وحفص: (تشتهيه)، وكذلك في مصاحفهم، وقرأ الآخرون بحذف الهاء. **﴿وتلذُّ الأعينُ وأنتم فيها خالدون﴾**.

(١) أخرجه الطبري: ٢٥/٩٤، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/١٩٩-٢٠٠، وزاد السيوطي في الدر: ٧/٣٨٩ نسبته لعبد بن حميد وحميد بن زنجويه، وابن أبي حاتم وابن مردويه، والبيهقي في شعب الإيمان.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٩٥، وانظر: السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٨٩-٣٩٠.

خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ
فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾
لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾
وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن علقمة بن مرثد، عن عبد الرحمن بن سابط قال: قال رجل: يا رسول الله أفي الجنة خيل؟ فإني أحب الخيل، فقال: «إن يدخلك الله الجنة لا تشاء أن تركب فرساً من ياقوتة حمراء فتطير بك في أي الجنة شئت، إلّا فعلتَ»، فقال أعرابي: يا رسول الله أفي الجنة إبل؟ فقال: «يا أعرابي إن يدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك»[(١)].

﴿وتلكَ الجنةُ التي أُورثتموها بما كنتم تعملون * لكم فيها فاكهةٌ كثيرةٌ منها تأكلون﴾ وفي الحديث: «لا ينزع رجل من الجنة من ثمرة إلا نبت مكانها مثلاها»[(٢)].

﴿إنّ المجرمين﴾، المشركين، **﴿في عذابِ جهنمَ خالدون * لا يُفتَّرُ عنهم وهم فيه مُبلسون * وما ظلمناهم ولكنْ كانوا همُ الظالمين * ونادَوْا يا مالكُ﴾**، يدعون خازن النار، **﴿ليقضِ علينا ربُّك﴾**، ليمتنا ربك فنستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة، **﴿قال إنّكم ماكثون﴾**، مقيمون في العذاب.

أخبرنا محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن المبارك، عن سعيد بن أبي عَرُوبة، عن قتادة يذكره عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال [النبي ﷺ][(٣)]: إنّ أهل النار يدعون مالكاً فلا يجيبهم أربعين عاماً، ثم يردّ عليهم إنكم ماكثون، قال: هانت - والله - دعوتهم على مالك

---

(١) أخرجه الترمذي في الجنة، باب: ماجاء في صفة خيل الجنة: ٧/٢٥٠-٢٥٢ والإمام أحمد: ٥/٣٥٢ عن علقمة عن سليمان ابن بريدة عن أبيه، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢٢٢ وقد علق الشيخ الأرناؤوط بقوله: «رجاله ثقات، إلا أنه مرسل. عبد الرحمن بن سابط تابعي ثقة».
قال الهيثمي في المجمع: ١٠/٤١٣ «رواه الطبراني ورجاله ثقات».

(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٩٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٣٩٢ أيضاً لعبد بن حميد.
قال الهيثمي في المجمع: ١٠/٤١٤ «رواه الطبراني والبزار، ورجال الطبراني وأحد إسنادي البزار ثقات».

(٣) ما بين القوسين ساقط من «ب».

لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾
أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾ قُلْ إِن كَانَ
لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ
عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾

وعلى رب مالك، ثم يدعون ربهم فيقولون: ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنّا قوماً ضالين ربنا أخرجنا منها فإن عدنا فإنّا ظالمون، قال: فيسكت عنهم قدر الدنيا مرتين، ثم يرد عليهم: اخسؤوا فيها ولا تكلمون، قال: فوالله ما نبس القوم بعدها بكلمة، وما هو إلا الزفير والشهيق في نار جهنم، فشبه أصواتهم بأصوات الحمير، أولها زفير وآخرها شهيق[1].

﴿لقد جئناكم بالحقِّ﴾، يقول أرسلنا إليكم يا معشر قريش رسولنا بالحق، **﴿ولكنَّ أكثرَكم للحقِّ كارهون﴾**.

﴿أمْ أبرمُوا﴾، أم أحكموا **﴿أمراً﴾**، في المكر برسول الله ﷺ، **﴿فإنا مُبْرِمُون﴾**، محكمون أمراً في مجازاتهم، قال مجاهد: إن كادُوا شراً كدتهم مثله.

﴿أم يَحْسَبُون أنّا لا نسمعُ سِرَّهم ونَجْواهم﴾، ما يسرونه من غيرهم ويتناجون به بينهم، **﴿بلى﴾**، نسمع ذلك ونعلم، **﴿ورسُلنا﴾**، أيضاً من الملائكة يعني الحفظة، **﴿لديهم يكتبون﴾**.

﴿قلْ إنْ كان للرحمنِ ولدٌ فأنا أولُ العابدين﴾، يعني إن كان للرحمن ولد في قولكم وعلى زعمكم، فأنا أول من عبده فإنه واحد لا شريك له ولا ولد. وروي عن ابن عباس: **﴿إنْ كان﴾** أي ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين الشاهدين له بذلك، جعل: «إنْ» بمعنى الجحد.

وقال السدي: معناه لو كان للرحمن ولد فأنا أول من عبده بذلك، ولكن لا ولد له.

وقيل: «العابدين» بمعنى الآنفين، أي: أنا أول الجاحدين والمنكرين لما قلتم.
ويقال: معناه: أنا أول من غضب للرحمن أن يقال له ولد، يقال: عبد يعبد إذا أنف وغضب.
وقال قوم: قلّ ما يُقال: **عَبَدَ فهو عابد**، إنما يقال: **فهو عَبْدٌ**.

ثم نزه نفسه فقال: **﴿سبحانَ ربِّ السمواتِ والأرضِ ربِّ العرشِ عمّا يَصِفُون﴾** عما يقولون من الكذب.

﴿فذرْهُم يخوضوا﴾، في باطلهم، **﴿ويلعبُوا﴾**، في دنياهم، **﴿حتى يلاقوا يومَهمُ الذي يُوعدون﴾**، يعني يوم القيامة.

(١) أورده الهيثمي في المجمع: ١٠/٣٩٦ ثم قال: «رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح».

وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى
لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾
وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ
﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ
هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

﴿**وهو الذي في السماءِ إلهٌ وفي الأرضِ إلهٌ**﴾، [قال قتادة: يُعبد في السماء وفي الأرض لا إله إلا هو](1)، ﴿**وهو الحكيمُ**﴾، في تدبير خلقه، ﴿**العَليمُ**﴾، بمصالحهم.

﴿**وتبارك الذي له مُلْكُ السمواتِ والأرضِ وما بينَهما وعندَهُ علمُ الساعةِ وإليه تُرْجعون**﴾، قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي «يرجعون» بالياء، والآخرون بالتاء.

﴿**ولا يَملِكُ الذين يَدْعُون من دونِه الشفاعةَ إلّا مَنْ شَهِدَ بالحقِّ**﴾، وهم عيسى وعزير والملائكة فإنهم عُبدوا من دون الله، ولهم الشفاعة، وعلى هذا يكون «من» في محل الرفع، وقيل: «من» في محل الخفض، وأراد بالذين يدعون عيسى وعزير والملائكة، يعني أنهم لا يملكون الشفاعة إلا من شهد بالحق، والأول أصح، وأراد بشهادة الحق قول لا إله إلا الله كلمة التوحيد، ﴿**وهم يعلمون**﴾، بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم.

﴿**ولئن سألتهم مَنْ خلقهم ليقولُنَّ الله فأنّى يُؤفكون**﴾، يصرفون عن عبادته.

﴿**وقيلِهِ يارِبِّ**﴾، يعني قول محمد ﷺ شاكياً إلى ربه: يارب، ﴿**إنّ هؤلاء قومٌ لا**
يؤمنون﴾ /، قرأ عاصم وحمزة «وقيله» بجر اللام والهاء، على معنى: وعنده علم الساعة وعلم قيله يارب، وقرأ الآخرون بالنصب، وله وجهان: أحدهما معناه: أم يحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم وقيله يارب، والثاني: وقال قيله. ١٢٠/أ

﴿**فاصفحْ عنهم**﴾، أعرض عنهم، ﴿**وقلْ سلامٌ**﴾، معناه: المتاركة، كقوله تعالى: «سلام عليكم لا نبتغي الجاهلين» (القصص – ٥٥)، ﴿**فسوف يعلمون**﴾، قرأ أهل المدينة والشام بالتاء، والباقون بالياء، قال مقاتل: نسختها آية السيف(2).

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) انظر: تعليق رقم: (١) ٣٢/٣ عن النسخ بآية السيف.

سُورَةُ الدُّخَانِ

سُورَةُ الدُّخَانِ

مكية(1)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾

﴿**حمٓ * والكتابِ المبين * إنّا أنزلناهُ في لَيلةٍ مُباركةٍ**﴾، قال قتادة وابن زيد: هي ليلة القدر أنزل الله القرآن في ليلة القدر من أم الكتاب إلى السماء الدنيا، ثم نزل به جبريل عن النبي ﷺ نجوماً في عشرين سنة(2). وقال آخرون هي ليلة النصف من شعبان(3).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا الأصبغ بن الفرج، أخبرني ابن وهب، أخبرني عمرو بن الحارث أن عبد الملك بن عبد الملك حدثه أن ابن أبي ذئب واسمه مصعب حدثه عن القاسم بن محمد عن أبيه أو عمه عن جده عن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله جل ثناؤه ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا فيغفر لكل نفس إلا إنساناً في قلبه شحناء أو مشركاً بالله»(4)، ﴿**إنا كنا منذِرِين**﴾

﴿**فيها**﴾، أي في الليلة المباركة، ﴿**يُفرَقُ**﴾، يفصل، ﴿**كُلُّ أمرٍ حكيمٍ**﴾، محكم، وقال ابن عباس: يكتب من أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر والأرزاق والآجال

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٧/٧ لابن مردويه عن ابن عباس قال: «نزلت بمكة سورة (حم) الدخان، ولابن مردويه عن عبد الله بن الزبير قال: «نزلت بمكة سورة الدخان».

(2) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٣٩٩/٧ أيضاً لعبد الرزاق وعبد بن حميد.

(3) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٥ ثم رجّح قائلاً: «وأولى القولين في ذلك بالصواب قول من قال: ذلك ليلة القدر لما تقدم من بياننا عن أن المعنيّ بقوله:(إنا أنزلناه في ليلة مباركة) ليلة القدر، والهاء في قوله (فيها) من ذكر الليلة المباركة. وعنى بقوله: (فيها يفرق كل أمر حكيم) في هذه الليلة المباركة يقضى ويفصل كل أمر أحكمه الله تعالى في تلك السنة إلى مثلها من السنة الأخرى».

(4) ذكره الهيثمي في المجمع: ٦٥/٨، وابن أبي عاصم في السنة: ٢٢٢/١ كلاهما عن أبي بكر، وقال البخاري: عبد الملك بن =

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾
رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ
وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾

حتى الحجاج، يقال: يحج فلان [ويحج فلان][1]، قال الحسن ومجاهد وقتادة: يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل أجل وعمل وخلق ورزق، وما يكون في تلك السنة.

وقال عكرمة: هي ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتنسخ الأحياء من الأموات فلا يزاد فيهم أحد ولا ينقص منهم أحد[2].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، حدثنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا عبد الله بن صالح، حدثني الليث، حدثني عقيل، عن ابن شهاب، أخبرني عثمان بن محمد بن المغيرة بن الأخنس أن رسول الله ﷺ قال: «تقطع الآجال من شعبان إلى شعبان، حتى إن الرجل لينكح ويولد له ولقد أُخرج اسمه في الموتى»[3].

وروى أبو الضحى عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الله يقضي الأقضية في ليلة النصف من شعبان، ويسلمها إلى أربابها في ليلة القدر.

﴿**أمراً**﴾، أي أنزلنا أمراً، ﴿**من عندِنا**﴾، قال الفراء: نُصب على معنى فيها يفرق كل أمر فرقاً وأمراً، أي نأمر ببيان ذلك أمراً ﴿**إنا كنّا مرسلين**﴾، محمداً ﷺ ومن قبله من الأنبياء.

﴿**رحمةً من ربّك**﴾، قال ابن عباس: رأفة مني بخلقي ونعمتي عليهم بما بعثنا إليهم من الرسل. وقال الزجاج: أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة، ﴿**إنهُ هو السميعُ العليمُ، ربِّ السمواتِ والأرضِ وما بينهما**﴾، قرأ أهل الكوفة: «رب» جراً، ردّاً على قوله: «من ربك»، ورفعه الآخرون رداً على قوله: «هو السميع العليم»، وقيل: على الابتداء، ﴿**إنْ كنتم موقنين**﴾، أن الله رب السموات والأرض.

﴿**لا إلهَ إلا هو يُحيي ويميتُ ربُّكم وربُّ آبائِكمُ الأولين * بلْ هم في شكٍّ**﴾، من هذا القرآن، ﴿**يلعبون**﴾ يهزؤون به لاهُونَ عنه.

= عبد الملك بن أبي ذئب عن القاسم: فيه نظر، قال أبو حاتم: عبد الملك بن مصعب بن أبي ذئب يروي عن القاسم عن أبيه: منكر الحديث (عن شرح السنة: ١٢٧/٤) وأخرجه ابن حبان في الموارد برقم: (٤٦٨)، وأبو نعيم في الحلية: ١٩١/٥ والمصنف في شرح السنة: ١٢٧/٤.

(١) زيادة من «ب». والأثر ذكره القرطبي: ١٢٧/١٦.

(٢) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٥، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٠١/٧ أيضا لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) أخرجه الطبري: ١٠٩/٢٥ وقال الحافظ ابن كثير في التفسير: ١٣٨/٤ «هو حديث مرسل ومثله لا تعارض به النصوص». وانظر: الدر المنثور: ٤٠١/٧، فتح القدير للشوكاني: ٥٧٢/٤.

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾

﴿فارتقبْ يومَ تأتي السماءُ بدخان مبين﴾ اختلفوا في هذا الدخان:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن كثير، عن سفيان، حدثنا منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن [كهيئة][1] الزكام، ففزعنا فأتيت ابنَ مسعود وكان متكئاً فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه ﷺ: «قل ما أسئلكم عليه من أجرٍ ومَا أنا من المتكلفين» (ص – ٨٦)، وإنّ قريشاً أبطؤوا عن الإسلام فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «اللهم أعنّي عليهم بسبع كسبع يوسف» فأخذتهم سَنَةٌ حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة والعظام، ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاء أبو سفيان فقال: يا محمد جئتَ تأمر بصلة الرحم، وإن قومك قد هلكوا فادْعُ الله لهم، فقرأ: « فارتقبْ يوم تأتي السماء بدخان مبين » إلى قوله: « إنكم عائدون »، أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء؟ ثم عادوا إلى كفرهم، فذلك قوله : ﴿ يوم نبطش البطشة الكبرى ﴾ ، يوم بدر و(لزاماً) يوم بدر، «آلم غُلبتِ الرومُ»، إلى «سيغلبون» (الروم – ٣)، والروم قد مضى[2] .

ورواه محمد بن إسماعيل عن يحيى عن وكيع عن الأعمش، قال: قالوا: ﴿ربَّنا اكشْف عنّا العذابَ إنّا مؤمنون﴾، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا إلى كفرهم، فدعا ربه فكشف عنهم فعادوا فانتقم الله منهم يوم بدر، فذلك قوله: «فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين »، إلى قوله: «إنا منتقمون»[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبد الله قال: خمس قد مضين اللّزامُ والرومُ والبطشةُ والقمرُ والدخانُ[4] .

وقال قوم: هو دخان يجيء قبل قيام الساعة ولم يأت بعد، فيدخل في أسماع الكفار والمنافقين حتى يكون كالرأس الحنيذ، ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه النار، وهو قول ابن عباس وابن عمر والحسن[5] .

(١) زيادة من «ب».
(٢) أخرجه البخاري في التفسير–تفسير سورة الروم: ٨ / ٥١١ .
(٣) أخرجه البخاري في تفسير سورة الدخان: ٥٧٣/٨ .
(٤) أخرجه البخاري في التفسير (تفسير سورة الفرقان) ٤٩٦/٨ .
(٥) انظر: الطبري: ١١٣/٢٥، الدر المنثور: ٤٠٧/٧–٤٠٨ .

أَنَّىٰ لَهُمُ الذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا
كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ
﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوا
إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ ۖ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا عقيل بن محمد الجرجاني، حدثنا أبو الفرج المعافى بن زكريا البغدادي، حدثنا محمد بن جرير الطبري، حدثني عصام بن رواد بن الجراح، حدثنا أبي، أخبرنا أبو سفيان بن سعيد، حدثنا منصور بن المعتمر عن ربعي بن خراش
قال: سمعت حذيفة بن اليمان / يقول: قال رسول الله ﷺ: «أول الآيات الدخان، ونزول عيسى ١٢٠/ب
ابن مريم، ونار تخرج من قعر عدن أبين، تسوق الناس إلى المحشر تقيل معهم إذا قالوا»، قال حذيفة: يا رسول الله وما الدخان؟ فتلا هذه الآية: «يوم تأتي السماء بدخان مبين»، يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة، أما المؤمن فيصيبه منه كهيئة الزكام، وأما الكافر فكمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره[1].

﴿أنى لهم الذِّكرى﴾، من أين لهم التذكرة والاتعاظ؟ يقول: كيف يتذكرون ويتعظون؟ ﴿وقد جاءهم رسولٌ مبينٌ﴾، ظاهر الصدق يعني محمداً ﷺ.

﴿ثمّ تولَّوْا عنه﴾، أعرضوا عنه، ﴿وقالوا مُعَلَّمٌ﴾، أي يعلمه بشر، ﴿مجنون﴾.

قال الله تعالى: ﴿إنّا كاشفوا العذابِ﴾، أي عذاب الجوع، ﴿قليلاً﴾، أي زماناً يسيراً، قال مقاتل: إلى يوم بدر. ﴿إنكم عائدون﴾، إلى كفركم.

﴿يوم نَبْطشُ البطشةَ الكبرى﴾، وهو يوم بدر، ﴿إنّا مُنتقمون﴾، وهذا قول ابن مسعود وأكثر العلماء، وقال الحسن: يوم القيامة، وروى عكرمة ذلك عن ابن عباس.

﴿ولقد فتنّا﴾، بلونا، ﴿قبلَهم﴾، قبل هؤلاء، ﴿قومَ فِرعونَ وجاءهم رسولٌ كريم﴾، على الله وهو موسى بن عمران.

﴿أنْ أدُّوا إليّ عبادَ الله﴾، يعني بني إسرائيل أطلقهم ولا تعذبهم، ﴿إني لكم رسولٌ أمين﴾، على الوحي.

(١) أخرجه الطبري: ٢٥/١١٤ بذكر كلمة (الدجال) بدل الدخان وكذلك عند ابن كثير ثم قال الطبري: «ولم أشهد له بالصحة، لأن محمد بن خلف العسقلاني حدثني أنه سأل روّاداً عن هذا الحديث، هل سمعه من سفيان؟ فقال له: لا، فقلت له: فقرأته عليه؟، فقال: لا، فقلت له: فقُرىء عليه وأنت حاضر فأقرّ به؟ فقال: لا، فقلت: فمن أين جئت به؟ قال: جاءني به قوم فعرضوه عليّ وقالوا لي: اسمعه منا فقرؤوه علي، ثم ذهبوا، فحدثوا به عني، أو كما قال».

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ
﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِي
لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا
مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾

﴿وأنْ لا تعْلُوا على الله﴾، لا تتجبروا عليه بترك طاعته، ﴿إني آتيكم بسلطانٍ مبين﴾، ببرهان بيّن على صدق قولي، فلما قال ذلك توعدوه **بالقتل، فقال:**

﴿ وإني عُذْتُ بربي وربّكم أن ترْجُمُون ﴾ ، أي : تَقْتُلوني ، وقال ابن عباس : تشتموني وتقولوا هو ساحر. وقال قتادة: ترجموني بالحجارة .

﴿وإن لم تُؤمنوا لي فاعتزلون﴾، فاتركوني **لا معي ولا عليّ.** وقال ابن عباس: فاعتزلوا أذايَ باليد واللسان، فلم يؤمنوا .

﴿فدعا ربَّه أنّ هؤلاء قومٌ مجرمون﴾، مشركون، فأجابه الله وأمره أن يسري، فقال:

﴿ فأسرِ بعبادي ليلاً ﴾ ، أي ببني إسرائيل ، ﴿إنكم متَّبعون ﴾ ، يتبعكم فرعون وقومه.

﴿واتركِ البحرَ﴾، إذا قطعته أنت وأصحابك، **﴿رَهْواً﴾**، ساكناً على حالته وهيئته، بعد أن ضربته ودخلته، معناه: لا تأمره أن يرجع، اتركه حتى يدخله آل فرعون، وأصل «الرهو»: السكون. وقال مقاتل: معناه: اترك البحر رهواً [راهيا][1] أي: ساكناً، فسمي بالمصدر، أي ذَا رَهْوٍ. وقال كعب: اتركه طريقاً. قال قتادة: طريقاً يابساً. قال قتادة: لما قطع موسى البحر عطف ليضرب البحر بعصاه ليلتئم وخاف أن يتبعه فرعون [وجنوده][1]، **فقيل له: اترك البحر رهواً** كما هو، **﴿إنهم جُنْد مُغْرَقُون﴾**، أخبر موسى أنه يغرقهم ليطمئن قلبه في تركه البحر كما جاوزه، ثم ذكر ما تركوا بمصر .

فقال: **﴿كم تركوا﴾**، [يعني بعد الغرق][1]، **﴿من جناتٍ وعيونٍ * وزُروعٍ ومَقامٍ كريمٍ﴾**، مجلس شريف، قال قتادة: الكريم الحسن .

﴿ونَعْمَةٍ﴾، ومتعة وعيش لين، **﴿كانوا فيها فاكهين﴾**، ناعمين **وفكهين:** أشرين بطرين .

---

(١) زيادة من «ب» .

﴿كَذَٰلِكَ ۖ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾﴾

﴿**كذلك**﴾، قال الكلبي: كذلك أفعل بمن عصاني، ﴿**وأورثناها قوماً آخرين**﴾، يعني بني إسرائيل.

﴿**فما بكتْ عليهمُ السماءُ والأرضُ**﴾، وذلك أن المؤمن إذا مات تبكي عليه السماء والأرض أربعين صباحاً، وهؤلاء لم يكن يصعد لهم عمل صالح فتبكي السماء على فقده، ولا لهم على الأرض عمل صالح فتبكي الأرض عليه.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله الفنجوي، حدثنا أبو علي المقري، حدثنا أبو يعلى الموصلي، حدثنا أحمد بن إسحاق البصري، حدثنا مكي بن إبراهيم، حدثنا موسى بن عبيدة الرَّبذي، أخبرني يزيد الرقاشي، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ أنه قال: «مَا مِنْ عبدٍ إلا له في السماء بابان باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل فيه عمله، فإذا مات فقداه **وبكيا عليه**»، وتلا: «**فما بكت عليهم السماء والأرض**»[1].

قال عطاء: بكاء السماء حمرة أطرافها.

قال السدي: لما قتل الحسين بن علي بكت عليه السماء، وبكاؤها: حمرتها[2].

﴿**وما كانوا مُنْظَرِين**﴾، لم يُنظروا حين أخذهم العذاب لتوبة ولا لغيرها.

﴿**ولقد نجّينا بني إسرائيلَ من العذابِ المُهين**﴾، قتل الأبناء واستحياء النساء والتعب في العمل.

﴿**من فرعونَ إنه كان عالياً من المُسرفين • ولقد اخترناهم**﴾، يعني مؤمني بني إسرائيل، ﴿**على علمٍ**﴾، بهم، ﴿**على العالمين**﴾، على عالمي زمانهم.

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (تفسير سورة الدخان) ٩/١٣٦-١٣٧ وقال: «هذا حديث غريب لانعرفه مرفوعاً إلا من هذا الوجه، وموسى بن عبيدة ويزيد بن أبان الرُّقاشي يُضعفان في الحديث»، وأبو يعلى في مسنده: ١٥٧/٤ والخطيب في تاريخ بغداد: ٣٢٧/٨.

قال الهيثمي في المجمع: ١٠٥/٧: «رواه أبو يعلى وفيه موسى بن عبيدة الربذي وهو ضعيف»، وعزاه ابن حجر في المطالب العالية: ٣٧٠/٣ لأبي يعلى بإسناد ضعيف. وقال البوصيري: رواه أبو يعلى بسند ضعيف لضعف يزيد الرقاشي وموسى بن عبيدة الربذي، ورواه الترمذي مختصراً.

وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤١١/٧ لابن أبي الدنيا، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية.

(٢) انظر: القرطبي: ١٤١/١٦.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌاْ مُّبِينٌ ۝٣٣ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ۝٣٤ إِنْ هِىَ
إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥ فَأْتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٣٦ أَهُمْ
خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَٰهُمْ إِنَّهُمْ كَانُواْ مُجْرِمِينَ ۝٣٧﴾

﴿**وآتيناهم من الآياتِ ما فيه بلاءٌ مُبين**﴾، قال قتادة: نعمة بينة من فلق البحر، وتظليل الغمام، وإنزال المن والسلوى، والنعم التي أنعمها عليهم. وقال ابن زيد: ابتلاهم بالرخاء والشدة، وقرأ: «ونبلوكم بالشر والخير فتنة» (الأنبياء - ٣٥).

﴿**إنَّ هؤلاءِ**﴾، يعني مشركي مكة ﴿**ليقولون ۞ إنْ هيَ إلا موتتُنا الأُولى**﴾، أي لا موتة إلا هذه التي نموتها في الدنيا، ثم لا بعث بعدها. وهو قوله: ﴿**وما نحن بمُنشَرين**﴾، بمبعوثين بعد موتتنا.

﴿**فأتوا بآبائِنا**﴾، [الذين ماتوا][1]، ﴿**إنْ كنتم صادقين**﴾ أنا نبعث أحياءً بعد الموت، ثم خوّفهم مثل عذاب الأمم الخالية فقال: ﴿**أهم خيرٌ أمْ قومُ تُبّعٍ**﴾، أي ليسوا خيراً منهم، يعني أقوى وأشد وأكثر من قوم تبع. قال قتادة: هو تُبَّع الحميري، وكان سارَ بالجيوش حتى حيّر الحيرة، وبنى سمرقند وكان من ملوك اليمن، سُمي تبّعا لكثرة أتباعه، وكل واحد منهم يسمى: «تبعاً» لأنه يتبع صاحبه، وكان هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم حِمْيَر، فكذبوه وكان من خبره ما ذكره محمد بن إسحاق وغيره[2].

وذكر عكرمة عن ابن عباس قالوا: كان تُبّع الآخر وهو أسعد أبو كرب بن مُلَيك [جاء بكرب][1] حين أقبل من المشرق وجعل طريقه على المدينة، وقد كان حين مرّ بها خلف بين أظهرهم ابناً له فقتل غيلة، فَقَدِمَها وهو مُجْمِعٌ لإخرابها واستئصال أهلها، فجمع له هذا الحي من الأنصار حين سمعوا ذلك من أمره، فخرجوا لقتاله وكان الأنصار يقاتلونه بالنهار ويقرونه بالليل، فأعجبه ذلك وقال: إن هؤلاء لكرام، إذ جاءه حَبْرَان اسمهما: كعب وأسد من أحبار بني قريظة، عالمان
١٢١/أ وكانا ابني عم، حين سَمِعَا ما يُريد من إهلاك / المدينة وأهلها، فقالا له: أيها الملك لا تفعل فإنك إن أبيت إلا ما تريد حيل بينك وبينها، ولم نأمن عليك عاجل العقوبة. فإنها مهاجَر نبي يخرج من هذا الحي من قريش اسمه محمد، مولده مكة، وهذه دار هجرته ومنزلك الذي أنت به يكون به من القتل والجراح أمر كبير في أصحابه، وفي عدوهم. قال تبّع: من يقاتله وهو نبي؟ قالا: يسير إليه قومه فيقتتلون ها هنا، فتناهى لقولهما عمّا كان يريد بالمدينة، ثم إنهما دعواه إلى دينهما فأجابهما واتبعهما على دينهما وأكرمهما وانصرف عن المدينة، وخرج بهما ونفر من اليهود عامدين إلى اليمن،

(١) ساقط من «أ».
(٢) انظر: الطبري: ١٢٨/٢٥، سيرة ابن إسحاق ص (٢٩-٣٣) تحقيق محمد حميد الله.

فأتاه في الطريق نفر من هذيل وقالوا: إنا ندلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبرجد وفضة، قال: أيُّ بيت؟ قالوا: بيت بمكة، وإنما تريد هذيل هلاكه لأنهم عرفوا أنه لم يُرِدْهُ أحد قط بسوء إلا هلك، فذكر ذلك للأحبار، فقالوا: ما نعلم لله في الأرض بيت غير هذا البيت، فاتخذه مسجداً وانسك عنده وانحر واحلق رأسك، وما أراد القوم إلا هلاكك لأنه ما ناوأهم أحدٌ قط إلا هلك، فأكرِمْهُ واصنع عنده ما يصنع أهله، فلما قالوا له ذلك أخذ النفر من هذيل فقطع أيديهم وأرجلهم وسمل أعينهم ثم صلبهم، فلما قدم مكة نزل الشعب شعب البطائح، وكسا البيت الوصائل، وهو أول من كسا البيت، ونحر بالشعب ستة آلاف بدنة، وأقام به ستة أيام وطاف به وحلق وانصرف، فلما دنا من اليمن ليدخلها حالت حمير بين ذلك وبينه، قالوا: لا تدخل علينا وقد فارقت ديننا، فدعاهم إلى دينه وقال إنه دين خير من دينكم، قالوا: فحاكِمْنَا إلى النار، وكانت باليمن نار في أسفل جبل يتحاكمون إليها فيما يختلفون فيه، فتأكل الظالم ولا تضر المظلوم، فقال تبع: أنصفتم، فخرج القوم بأوثانهم وما يتقربون به في دينهم وخرج الحبران بمصاحفهما في أعناقهما حتى قعدُوا للنار عند مخرجها الذي تخرج منه، فخرجت النار فأقبلت حتى غشيتهم، فأكلت الأوثان وما قربوا معها، ومن حمل ذلك من رجال حمير، وخرج الحبران بمصاحفهما فى أعناقهما، يتلوان التوراة تعرق جباههما لم تضرهما، ونكصت النار حتى رجعت إلى مخرجها الذي خرجت منه فأصفقت عند ذلك حمير على دينهما، فمن هنالك كان أصل اليهودية في اليمن[1].

وذكر أبو حاتم عن الرقاشي قال: كان أبو كرب أسعد الحميري من التبابعة، آمن بالنبي محمد ﷺ قبل أن يبعث بسبعمائة سنة.

وذكر لنا أن كعباً كان يقول: ذم الله قومه ولم يذمه[2].

وكانت عائشة تقول: لا تسبوا تبعاً فإنه كان رجلاً صالحاً[3].

وقال سعيد بن جبير: هو الذي كسا البيت[4].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي، حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثنا أبي، حدثنا حسن بن موسى، حدثنا ابن لهيعة، حدثنا أبو زرعة بن عمرو بن جرير عن سهل بن سعد قال: سمعتُ النبي ﷺ يقول: «لا تسبوا تُبّعا فإنه كان قد أسلم»[5].

---

(١) انظر: سيرة ابن إسحاق، المرجع السابق، البداية والنهاية لابن كثير: ١٦٣/٢-١٦٧.

(٢) انظر: الطبري: ١٢٩/٢٥، القرطبي: ١٤٦/١٦.

(٣) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٥، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤١٥/٧ عزوه لعبد بن حميد.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢٩/٢٥، وعزاه السيوطي في الدر: ٤١٥/٧ أيضاً لابن المنذر وابن عساكر.

(٥) أخرجه الإمام أحمد: ٣٤٠/٥، وعزاه السيوطي في الدر: ٤١٥/٧ للطبراني، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ
وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ
لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ
ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن أبي شيبة، حدثنا محمد بن علي بن سالم الهمداني، حدثنا أبو الأزهر أحمد بن الأزهر النيسابوري، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر عن ابن أبي ذئب، عن المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أدري تبع نبياً كان أو غير نبي»[1]. ﴿ **والذين من قبلهم** ﴾، من الأمم الكافرة. ﴿ **أهلكناهم إنهم كانوا مجرمين** ﴾.

﴿ **وما خلقنا السموات والأرضَ وما بينهما لاعبين * ما خلقناهما إلا بالحقِّ** ﴾، قيل: يعني للحق وهو الثواب على الطاعة والعقاب على المعصية. ﴿ **ولكنَّ أكثرَهم لا يعلمون** ﴾.

﴿ **إن يوْم الفصلِ** ﴾، يوم يفصل الرحمن بين العباد، ﴿ **ميقاتُهم أجمعين** ﴾، يوافي يوم القيامة الأولون والآخرون.

﴿ **يوم لا يُغني مولىً عن مولىً شيئاً** ﴾، لا ينفع قريب قريبه ولا يدفع عنه شيئاً، ﴿ **ولا هم يُنصرون** ﴾، لا يُمنعون من عذاب الله.

﴿ **إلّا مَنْ رَحِمَ الله** ﴾، يريد المؤمنين فإنه يشفع بعضهم لبعض، ﴿ **إنّه هو العزيز** ﴾، في انتقامه من أعدائه، ﴿ **الرحيم** ﴾، بالمؤمنين.

﴿ **إنّ شجرة الزّقُّوم * طعامُ الأثيم** ﴾ [أي ذي الإثم][2]، وهو أبو جهل.

= قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٨): «وفيه ابن لهيعة عن عمرو بن جابر وهما ضعيفان».
وقال الهيثمي في «المجمع» (٨/٧٦): «رواه الطبراني في الكبير والأوسط وفيه عمرو بن جابر وهو كذاب».
والذي في السند عند الإمام أحمد وعند المصنف: (أبوزرعة بن عمرو بن جرير) وليس (عمرو بن جابر)، والأول: أبوزرعة ابن عمرو بن جرير بن عبد الله البجلي، الكوفي، قيل: اسمه هَرِم، وقيل: عمرو، وقيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، وقيل: جرير، ثقة، من الثالثة (التقريب).
والثاني: عمرو بن جابر الحضرمي، أبوزرعة المصري، ضعيف شيعي، من الرابعة، مات بعد العشرين ومائة، (التقريب).

(١) أخرجه الحاكم: ١/٣٦، والبيهقي في السنن: ٨/٣٢٩، وعزاه الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف ص (١٤٨) للثعلبي من طريق عبد الرزاق عن معمر عن ابن أبي ذئب عن المقبري. وانظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة: ٥/٢٥١-٢٥٣.

(٢) مابين القوسين زيادة من «ب».

﴿كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾

﴿كالمُهلِ﴾، هو درديُّ الزيت الأسود، ﴿يغلي في البطون﴾، قرأ ابن كثير وحفص «يغلي» بالياء، جعَلوا الفعل للمهل، وقرأ الآخرون بالتاء لتأنيث الشجرة، «في البطون» أي بطون الكفار، ﴿كغلي الحميم﴾، كالماء الحار إذا اشتدّ غليانه.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو بكر العبدوسي، أخبرنا أبو بكر محمد بن حمدون بن خالد بن يزيد، حدثنا سليمان بن يوسف، حدثنا وهب بن جرير، حدثنا شعبة عن الأعمش، عن مجاهد، عن عبد الله بن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس اتقوا الله حقَّ تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرَّتْ على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن تكون طعامه وليس لهم طعام غيره»(١).

قوله تعالى: ﴿خُذُوه﴾، أي يقال للزبانية: خذوه، يعني الأثيم، ﴿فَاعْتِلُوه﴾، قرأ أهل الكوفة، وأبو جعفر، وأبو عمرو: بكسر التاء، وقرأ الباقون بضمها، وهما لغتان، أي ادفعوه وسوقوه، يقال: عتلَه يعتِله عَتْلاً، إذا ساقه بالعنف والدفع والجذب، ﴿إلى سَوَاء الجحيم﴾، وسطه.

﴿ثم صبُّوا فوقَ رأسِهِ من عذابِ الحميم﴾، قال مقاتل، إن خازن النار يضربه على رأسه فينقب رأسه عن دماغه، ثم يصب فيه ماءً حميماً قد انتهى حره(٢).

ثم يقال له: ﴿ذُقْ﴾، هذا العذاب، ﴿إنك﴾، قرأ الكسائي «أنك» بفتح الألف، أي لأنك كنت تقول: أنا العزيز، وقرأ الآخرون بكسرها على الابتداء، ﴿إنك أنتَ العزيزُ الكريمُ﴾، عند قومكَ بزعمك، وذلك أن أبا جهل كان يقول: أنا أعز أهل الوادي وأكرمهم، فيقول له هذا خزنةُ النار، على طريق الاستحقار والتوبيخ.

﴿إنَّ هذا ما كنتم به تَمْتَرون﴾، تشكُّون فيه ولا تؤمنون به ثم ذكر مستقر المتقين، فقال:.

﴿إنّ المتقين في مَقامٍ أمينٍ﴾، قرأ أهل المدينة والشام: «في مُقام» بضم الميم على المصدر،

(١) أخرجه الترمذي في صفة جهنم، باب: ماجاء في صفة شراب أهل النار: ٧/٣٠٧-٣٠٨ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الزهد، باب صفة النار برقم: (٤٣٢٥): ٢/١٤٤٦، والإمام أحمد: ١/٣٠١، وابن حبان في موارد الظمآن، كتاب البعث، باب: في صفة جهنم برقم: (٢٦١١): ص ٦٤٩، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢٤٦.

(٢) انظر: القرطبي: ١٦/١٥٠.

﴿فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٥٢ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝٥٣ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ۝٥٥ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ۝٥٦ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۝٥٧ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ۝٥٨ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾

أي في إقامة، وقرأ الآخرون بفتح الميم، أي في مجلس أمين، أمنوا فيه من الغير، أي من الموت ومن الخروج منه .

١٢١/ب **﴿في جناتٍ وعيون ۞ يلبَسون من سُندسٍ وإستبرقٍ/متقابلين ۞ كذلك وزوَّجناهم﴾، أي** كما أكرمناهم بما وصفنا من الجنات والعيون واللباس كذلك أكرمناهم بأن زوجناهم، **﴿بحورٍ عينٍ﴾**، **أي قرناهم بهن، ليس منَ عقد التزويج، لأنه لا يقال: زوجته بامرأة، قال أبو عبيدة: جعلناهم أزواجاً** لهن كما **يزوّج البعل بالبعل**، أي جعلناهم اثنين اثنين، و«الحور»: هن النساء النقيات البياض. قال مجاهد: يحار فيهن الطرف من بياضهن وصفاء لونهن. وقال أبو عبيدة: «الحور»: هُنّ شديدات بياض الأعين الشديدات سوادها، واحدها أحور، والمرأة حوراء، و«العِينْ» جمع العيناء، وهي عظيمة العينين .

﴿يَدْعُون فيها بكلّ فاكهةٍ﴾، اشتهوها، **﴿آمنين﴾**، من نفادها ومن مضرتها. وقال قتادة: آمنين من الموت والأوصاب والشياطين .

﴿لا يذوقونَ فيها الموتَ إلّا الموتةَ الأولى﴾، أي سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا، وبعدها وضع: «إلّا» موضع سوى وبعد، وهذا كقوله تعالى: «ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء إلّا ما قد سلف» (النساء – ٢٢)، أي سوى ما قد سلف، وبعد ما قد سلف، وقيل: إنما استثنى الموتة الأولى وهي في الدنيا من موتٍ في الجنة لأن السعداء حين يموتون يصيرون بلطف الله إلى أسباب الجنة، يلقون الروح والريحان ويرون منازلهم في الجنة، فكان موتهم في الدنيا كأنهم في الجنة لاتصالهم بأسبابها ومشاهدتهم إيّاها . **﴿ووقاهم عذابَ الجحيم﴾** .

﴿فضلاً من ربِّك﴾، أي فعل ذلك بهم فضلاً منه، **﴿ذلكَ هو الفوزُ العظيم﴾** .

﴿فإنّما يسرناهُ﴾، سهلنا القرآن، كناية عن غير مذكور، **﴿بلسانِك﴾**، أي على لسانك، **﴿لعلّهم يَتَذَكرون﴾**، يتعظون .

﴿فارتقبْ﴾، فانتظر النصر من ربك. وقيل: فانتظر لهم العذاب. **﴿إنّهم مرتقِبُون﴾**،

منتظرون قهرك بزعمهم .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن فنجويه، حدثنا يحيى بن محمد بن يحيى، حدثنا أبو عيسى موسى بن علي الختلي، حدثنا أبو هاشم الرفاعي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عمر بن عبد الله بن أبي خثعم، عن يحيى بن كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ حـمٓ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك»[1] .

---

(١) أخرجه الترمذي في فضائل القرآن، باب: ماجاء في حم الدخان: ١٩٨/٨ وقال: «هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وعمر بن أبي خثعم يضعف. قال محمد: هو منكر الحديث» وأخرجه البيهقي في «شعب الإيمان»: ٥/٤١١-٤١٢، وقال: «وكذلك رواه عمر بن يونس عن عمر بن عبد الله بن أبي خثعم، وعمر بن عبد الله منكر الحديث» . وأخرجه ابن عدي في «الكامل»: ٥/١٧٢٠، وقال الألباني في «ضعيف الجامع الصغير وزيادته»: موضوع . وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٤٨-١٤٩)

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سورة الجاثية

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ
ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
۝٥ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَىِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ۝٦ وَيْلٌ
لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ۝٧

﴿حمٓ * تنزيلُ الكتابِ من الله العزيزِ الحكيم * إنّ في السموات والأرض لآيات للمؤمنين * وفي خلقِكُم وما يبثُّ من دابّةٍ آياتٌ﴾، قرأ حمزة، والكسائي، ويعقوب: «آياتٍ» «وتصريف الرياح آيات» بكسر التاء فيهما ردّاً على قوله: «لآيات» وهو في موضع النصب، وقرأ الآخرون برفعهما على الاستئناف، على أن العرب تقول: إن لي عليك مالاً وعلى أخيك مال، ينصبون الثاني ويرفعونه، ﴿لقومٍ يُوقنون﴾، أنه لا إله غيره.

﴿واختلافِ الليلِ والنهارِ وما أنزلَ الله من السماء من رزقٍ﴾، يعني الغيث الذي هو سبب أرزاق العباد، ﴿فأحيا به الأرضَ بعدَ موتِها وتصريفِ الرياحِ آياتٌ لقومٍ يعقلون﴾.

﴿تلكَ آياتُ اللهِ نتلوها عليك بالحقِّ﴾، يريد هذا الذي قصصنا عليك من آيات الله نقصها عليك بالحق، ﴿فبأيِّ حديثٍ بعدَ اللهِ﴾، بعد كتاب الله، ﴿وآياتِهِ يؤمنون﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي وأبو بكر ويعقوب: «تؤمنون» بالتاء، على معنى قل لهم يا محمد: فبأي حديث تؤمنون، وقرأ الآخرون بالياء.

﴿ويلٌ لكلِّ أفّاكٍ أثيمٍ﴾، كذاب صاحب إثم، يعني: النضر بن الحارث.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٤٢٢ لابن مردويه عن ابن عباس-رضي الله عنهما-قال: نزلت بمكة سورة (حم) الجاثية.

يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا
عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ
وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾
هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ
لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم
مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾
قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟

﴿يسمعُ آياتِ اللهِ تُتلى عليه ثم يُصِرّ مُستكبِراً كأنْ لم يسمعْها فبشِّرْهُ بعذابٍ أليمٍ * وإذا علِمَ من آياتنا﴾، قال مقاتل: من القرآن، **﴿شيئاً اتَّخذَها هُزُواً أولئك لهم عذابٌ مهينٌ﴾**، وذكر بلفظ الجمع ردّاً إلى **«كل»** في قوله: **«لكل أفاك أثيم»**.

﴿منْ ورائهم﴾، أمامهم، **﴿جهنَّمُ﴾**، يعني أنهم في الدنيا [ممتعون بأموالهم][(١)] ولهم في الآخرة النار يدخلونها، **﴿ولا يُغني عنهم ما كَسَبُوا﴾**، من الأموال، **﴿شيئاً ولا ما اتَّخذُوا من دونِ الله أولياءَ﴾**، ولا ما عبدوا من دون الله من الآلهة، **﴿ولهم عذابٌ عظيمٌ﴾**.

﴿هذا﴾، يعني هذا القرآن، **﴿هدىً﴾**، بيان من الضلالة، **﴿والذين كفروا بآياتِ ربِّهم لهم عذابٌ من رجزٍ أليمٌ﴾**.

﴿اللهُ الذي سَخّرَ لكمُ البحرَ لتجريَ الفُلْكُ فيه بأمرِهِ ولِتبتغُوا من فضلِهِ ولعلَّكم تَشْكُرُون * وسَخّرَ لكمْ ما في السمواتِ وما في الأرضِ﴾، ومعنى تسخيرها أنه خلقها لمنافعنا فهو مسخر لنا من حيث إنا ننتفع به، **﴿جميعاً منه﴾**، فلا تجعلوا لله أنداداً، قال ابن عباس: جميعاً منه كل ذلك رحمة منه. قال الزجاج: كل ذلك تفضل منه وإحسان. **﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرون﴾**.

﴿قلْ للذين آمنوا يَغفروا للذين لا يَرْجُون أيّامَ الله﴾، أي لا يخافون وقائع الله ولا يبالون نقمته، قال ابن عباس ومقاتل: نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه، وذلك أن رجلاً من بني غفار شتمه بمكة فهمَّ عمر - رضي الله تعالى عنه - أن يبطش به، فأنزل الله هذه الآية،

---

(١) مابين القوسين غير موجود في النسختين لكن المعنى يقتضيه وهو في المطبوع.

يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ
تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ
ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟
إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ
فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا
وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾

وأمره أن يعفو عنه(١) .

وقال القرظي والسدي: نزلت في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل مكة كانوا في أذىً شديد من المشركين، من قبل أن يؤمروا بالقتال، فشكَوْا ذلك إلى رسول الله ﷺ ، فأنزل الله هذه الآية(٢) ثم نسختها آية القتال(٣). ﴿ليجزيَ قوماً﴾، قرأ ابن عامر وحمزة والكسائي «لنجزي» بالنون، وقرأ الآخرون بالياء، أي ليجزي الله، وقرأ أبو جعفر «لِيُجزى» بضم الياء الأولى وسكون الثانية وفتح الزاي، قال أبو عمرو: وهو لحن، قال الكسائي: معناه ليجزي الجزاء قوماً، ﴿بما كانوا يَكسِبون﴾ .

﴿مَنْ عمِلَ صالحاً فلنفسِهِ ومَنْ أساءَ فعليها ثمَّ إلى ربِّكم تُرجعون * ولقد آتينا بني إسرائيلَ الكتابَ﴾، التوراة، ﴿والحكمَ والنبوَّةَ ورزقناهم من الطَّيباتِ﴾. الحلالات، يعني/المنَّ والسلوى، ١٢٢/أ
﴿وفضلناهم على العالَمين﴾، أي عالمي زمانهم، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم .

﴿وآتيناهم بيِّناتٍ من الأمرِ﴾، يعني العلم بمبعث محمد ﷺ وما بيّن لهم من أمره، ﴿فما اختلفوا إلّا من بعدِ ما جاءَهُمُ العلمُ بغياً بينهم إنّ ربَّك يقضي بينهم يومَ القيامةِ فيما كانوا فيه يختلفون﴾ .

﴿ثمَّ جعلناك﴾، [يا محمد](٤) ﴿على شريعةٍ﴾، سنة وطريقة بعد موسى، ﴿من الأمرِ﴾، من الدين، ﴿فاتَّبعها ولا تتبعْ أهواءَ الذين لا يعلمون﴾، يعني مراد الكافرين، وذلك أنهم كانوا

(١) انظر: زاد المسير: ٧/٣٥٨ .
(٢) انظر: زاد المسير: ٧/٣٥٨ وقد عزاه مع سابقه للبغوي .
(٣) انظر فيما سبق ٣/٣٢.
(٤) زيادة من «ب» .

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَائِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

يقولون له: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك، فقال جلّ ذكره:

﴿إنّهم لَنْ يُغنوا عنكَ من الله شيئاً﴾، [لن يدفعوا عنك من عذاب الله شيئاً][1] إن اتبعت أهواءهم، **﴿وإنَّ الظالمين بعضُهم أولياءُ بعضٍ واللهُ وليُّ المتقين﴾** .

﴿هذا﴾، يعني القرآن، **﴿بصائرُ للناس﴾**، [معالم للناس][2] في الحدود والأحكام يبصرون بها، **﴿وهدىً ورحمةٌ لقومٍ يُوقنون﴾** .

﴿أم حَسِبَ﴾، [بل حسب][3]، **﴿الذين اجْتَرَحُوا السيئاتِ﴾**، اكتسبوا المعاصي والكفر **﴿أنْ نجعلَهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ﴾**، نزلت في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: لئن كان ما تقولون حقاً لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا[4]. **﴿سواءً محياهم﴾** قرأ حمزة والكسائي وحفص ويعقوب: «سواء» بالنصب، أي: نجعلهم سواء، يعني: أحسبوا أن حياة الكافرين **﴿ومماتهم﴾** كحياة المؤمنين وموتهم سواءً كلا، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء والخبر أي محياهم ومماتهم سواء فالضمير فيهما يرجع إلى المؤمنين والكافرين جميعاً، معناه: المؤمن مؤمن محياه ومماته أي في الدنيا والآخرة، والكافر كافر في الدنيا والآخرة، **﴿ساءَ ما يحكمون﴾**، بئس ما يقضون، قال مسروق: قال لي رجل من أهل مكة: هذا مقام أخيك تميم الداري، لقد رأيته ذات ليلة حتى أصبح أو كاد أن يصبح يقرأ آيةً من كتاب الله يركع بها ويسجد ويبكي[5]. «أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات» الآية .

﴿وخلقَ اللهُ السمواتِ والأرضَ بالحقِّ ولِتُجزى كلُّ نفسٍ بما كسَبَتْ وهم لا يُظلمون﴾ .

---

(١) مابين القوسين ساقط من «ا» .

(٢) زيادة من «ب» .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) انظر: القرطبي: ١٦٥/١٦، زاد المسير: ٣٦١/٧ .

(٥) انظر: القرطبي: ١٦٦/١٦ .

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾

﴿أفرأيتَ من اتخذَ إلهَهُ هواهُ﴾، قال ابن عباس والحسن وقتادة: ذلك الكافر اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوَى شيئاً إلا ركبه لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يحرم ما حرم الله. وقال آخرون: معناه اتخذ معبوده هواه فيعبد ما تهواه نفسه.

قال سعيد بن جبير: كانت العرب يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئاً أحسن من الأول رموه أو كسروه، وعبدوا الآخر[1].

قال الشعبي: إنما سُمي الهوى لأنه يَهوي بصاحبه في النار[2].

﴿وأضلَّه اللهُ على علمٍ﴾، منه بعاقبة أمره، وقيل على ما سبق في علمه أنه ضال قبل أن يخلقه، ﴿وختمَ﴾ طبع، ﴿على سمعِه﴾ فلم يسمع الهدى، ﴿وقلبِه﴾، فلم يعقل الهدى، ﴿وجعلَ على بصرِهِ غِشاوةً﴾، قرأ حمزة والكسائي «غَشْوة» بفتح الغين وسكون الشين، والباقون «غشاوة» ظلمة فهو لا يبصر الهدى، ﴿فمنَ يُهديهِ من بعدِ الله﴾، [أي فمن يهديه][3] بعد أن أضله الله، ﴿أفلا تذكُّرون﴾.

﴿وقالوا﴾، يعني منكري البعث، ﴿ما هي إلّا حياتُنا الدنيا﴾، أي ما الحياة إلّا حياتنا الدنيا، ﴿نموتُ ونحيا﴾، أي يموت الآباء ويحيا الأبناء، وقال الزجاج: يعني نموت ونحيا، فالواو للاجتماع، ﴿وما يُهلِكُنا إلّا الدهرُ﴾، أي وما يفنينا إلّا مرُّ الزمان وطول العمر واختلاف الليل والنهار. ﴿وما لهم بذلك﴾، الذي قالوه، ﴿من علمٍ﴾، أي لم يقولوه عن علم [علموه][3]، ﴿إنْ هم إلّا يَظنون﴾.

أخبرنا أبو علي حسان بن سعيد المنيعي، أخبرنا أبو طاهر محمد بن محمد محمش الزيادي، أخبرنا أبو بكر محمد بن الحسين القطان، حدثنا أبو الحسن أحمد بن يوسف السلمي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن همام بن منبه، حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تعالى: لا يقلِ ابنِ آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر، أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما»[4].

---

(١) ذكره القرطبي: ١٦٧/١٦.

(٢) انظر: القرطبي: ١٦٧/١٦.

(٣) مابين القوسين زيادة من «ب».

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٥، وعبد الرزاق في كتاب الجامع للإمام معمر، المصنف: ٣٤٦/١١.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ
(٢٥) قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ
لَا يَعْلَمُونَ (٢٦) وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ
(٢٧) وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ (٢٨)﴾

أخبرنا أبو سعيد عبد الله بن أحمد الطاهري، حدثنا جدي عبد الصمد بن عبد الرحمن البزاز، أخبرنا محمد بن زكريا العذافري، أخبرنا إسحاق بن إبراهيم الدبري، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر، عن أيوب عن ابن سيرين، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدكم الدهر [فإن الله هو الدهرُ][(١)]، ولا يقولن للعنب الكرم، فإن الكرم هو الرجل المسلم»[(٢)].

ومعنى الحديث: أن العرب كان من شأنهم ذم الدهر، وسبُّه عند النوازل، لأنهم كانوا ينسبون إليه ما يصيبهم من المصائب والمكاره، فيقولون: أصابتهم قوارع الدهر، وأبادهم الدهر، كما أخبر الله تعالىٰ عنهم: «وما يهلكنا إلا الدهر» فإذا أضافوا إلى الدهر ما نالهم من الشدائد سبوا فاعلها، فكان مرجع سبهم إلى الله عزّ وجلّ، إذْ هو الفاعل في الحقيقة للأمور التي يضيفونها إلى الدهر، [فنهوا عن سبّ الدهر][(٣)].

﴿وإذا تُتلى عليهم آياتُنا بيِّناتٍ ما كان حُجَّتَهُمْ إلّا أنْ قالوا ائتوا بآبائنا إنْ كنتم صادقين * قلِ اللهُ يُحييكم ثم يُميتكم ثم يجمعُكم إلى يوم القيامةِ﴾، [أي ليوم القيامة][(١)]، ﴿لا ريْبَ فيه ولكنَّ أكثَرَ الناسِ لا يعلمون * ولله مُلكُ السموات والأرض ويومَ تقومُ الساعة يومئذٍ يخسرُ المُبطلون﴾، يعني الكافرين الذين هم أصحاب الأباطيل، يظهر في ذلك اليوم خسرانهم بأن يصيروا إلى النار.

﴿وترى كلَّ أمةٍ جاثيةً﴾، باركة على الركب، وهي جلسة المخاصم بين يدي الحاكم ينتظر القضاء.

قال سلمان الفارسي: إن في القيامة ساعة هي عشر سنين، يخر الناس فيها جثاة على ركبهم

= وأخرجه البخاري من طريق معمر عن أبي هريرة في الأدب، باب: لا تسبوا الدهر: ١٠/٥٦٤، ومسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب كراهة تسمية العنب كرماً برقم: (٢٢٤٧): ٤/١٧٦٣، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٥٥.

(١) مابين القوسين ساقط من «ا».

(٢) أخرجه مسلم في الألفاظ من الأدب وغيرها، باب: كراهة تسمية العنب كرماً برقم: (٢٢٤٧): ٤/١٧٦٣، والمصنف في شرح السنة: ١٢/٣٥٨.

(٣) مابين القوسين زيادة من «ب».

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٢٩ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠
وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ٣١ وَإِذَا
قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا
وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ٣٢﴾

حتى إبراهيم عليه السلام ينادي ربه: لا أسألك إلا نفسي[1] .

﴿**كلُّ أمةٍ تُدعى إلى كتابها**﴾، الذي فيه أعمالها، وقرأ يعقوب «كلَّ أمة» نصب، ويقال لهم: ﴿**اليومَ تُجزَوْن ما كنتم تعملون**﴾ .

﴿**هذا كتابُنا**﴾، يعني ديوان الحفظة، ﴿**ينطِقُ عليكمْ بالحقِّ**﴾، يشهد عليكم ببيان شاف، فكأنه ينطق/. وقيل: المراد بالكتاب اللوح المحفوظ. ﴿**إنّا كنّا نستنسِخُ ما كنتم تعملون**﴾، أي نأمر الملائكة بنسخ أعمالكم أي بكتبها وإثباتها عليكم . ١٢٢/ب

وقيل: «نستنسخ» أي نأخذ نسخته، وذلك أن الملكين يرفعان عمل الإنسان، فيثبت الله منه ما كان له فيه ثواب أو عقاب، ويطرح منه اللغو نحو قولهم: هلم واذهب .

وقيل: الاستنساخ من اللوح المحفوظ تنسخ الملائكة كل عام ما يكون من أعمال بني آدم، والاستنساخ لا يكون إلا من أصل، فيُنسخ كتابٌ من كتاب .

وقال الضحاك: نستنسخ أي نثبت. وقال السدي: نكتب. وقال الحسن: نحفظ .

﴿**فأمّا الذين آمنوا وعملُوا الصالحاتِ فيُدخِلُهم ربُّهم في رحمتِهِ ذلك هو الفوزُ المبين**﴾، [الظفر][2] الظاهر .

﴿**وأمّا الذين كفروا**﴾، يقال لهم، ﴿**أفلمْ تكنْ آياتي تُتلى عليكم فاستكبرتُم وكنتم قوماً مجرمين**﴾، متكبرين كافرين .

﴿**وإذا قيلَ إنّ وعْدَ الله حقٌّ والساعةُ لا ريبَ فيها**﴾، قرأ حمزة: «والساعة» نصب عطفها على الوعد، وقرأ الآخرون بالرفع على الابتداء، ﴿**قُلتم ما ندري ما الساعةُ إنْ نظنُّ إلّا ظناً**﴾، أي ما نعلم ذلك إلا حدساً وتوهمًا. ﴿**وما نحنُ بمستيقنين**﴾، أنها كائنة .

---

(١) انظر: القرطبي: ١٦/١٧٤ .
(٢) زيادة من «ب» .

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ كَمَا
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَلِكُم بِأَنَّكُمُ اتَّخَذْتُمْ ءَايَاتِ
اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ
الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

﴿وبدا لهم﴾ [في الآخرة][1]، ﴿سيئاتُ ما عمِلُوا﴾، في الدنيا أي جزاؤها ﴿وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزئون﴾.

﴿وقيلَ اليومَ ننساكم﴾، نترككم في النار، ﴿كما نسيتم لقاءَ يومِكم هذا﴾، تركتم الإيمان والعمل للقاء هذا اليوم، ﴿ومأواكمُ النارُ وما لكم من ناصرين * ذلكمْ بأنكم اتَّخذتُم آياتِ الله هُزُواً وغرَّتْكُمُ الحياةُ الدنيا﴾، حتى قلتم: لا بعث ولا حساب، ﴿فاليومَ لا يُخرَجون منها﴾، قرأ حمزة والكسائي بفتح الياء وضم الراء، وقرأ الآخرون بضم الياء وفتح الراء، ﴿ولا هم يُستعتبون﴾، لا يطلب منهم أن يرجعوا إلى طاعة الله، لأنه لا يقبل ذلك اليوم عذراً ولا توبةً.

﴿فللّهِ الحمدُ ربِّ السموات وربِّ الأرضِ ربِّ العالمين * وله الكبرياءُ﴾، العظمة، ﴿في السمواتِ والأرضِ وهو العزيزُ الحكيم﴾.

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، حدثنا السيد أبو الحسن محمد بن الحسين العلوي، أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن الحسن الشرقي، حدثنا أحمد بن حفص وعبد الله بن محمد الفراء وقطن بن إبراهيم قالوا، أخبرنا حفص بن عبد الله، حدثني إبراهيم بن طهمان، عن عطاء ابن السائب، عن الأغر أبي مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول الله عزّ وجلّ: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما أدخلته النار»[2].

---

(١) زيادة من «ب».

(٢) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب: تحريم الكبر برقم: (٢٦٢٠): ٢٠٢٣/٤، بلفظ: (العز إزاره، الكبرياء رداؤه...) وفي الكلام محذوف تقديره يقول الله:...
والمصنف في شرح السنة: ١٦٩/١٣.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

سُورَةُ الأَحْقَافِ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ۖ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ﴿٥﴾

﴿حمٓ * تنزيلُ الكتابِ من اللهِ العزيزِ الحكيمِ * ما خلَقْنا السمواتِ والأرضَ وما بينَهما إلّا بالحقِّ وأجلٍ مُسمىً﴾، يعني يوم القيامة، وهو الأجل الذي تنتهي إليه السموات والأرض، وهو إشارة إلى فنائهما، **﴿والذين كفروا عمّا أُنذروا﴾**، خُوِّفوا به في القرآن من البعث والحساب، **﴿معرضون﴾** .

﴿قلْ أرأيتُم ما تَدْعُون من دونِ الله أروني ماذا خلقوا من الأرضِ أمْ لهم شِرْكٌ في السمواتِ ائتوني بكتابٍ من قبل هذا﴾، أي بكتاب جاءكم من الله قبل القرآن فيه بيان ما تقولون، **﴿أو أثارةٍ من عِلم﴾**، قال الكلبي: أي بقية من علم يؤثر عن الأولين، أي يسند إليهم. قال مجاهد وعكرمة ومقاتل: رواية عن الأنبياء. وقال قتادة: خاصة من علم. وأصل الكلمة من الأثر وهو الرواية، يقال: أثرت الحديث أثراً وأثارة، ومنه قيل للخبر: أثر. **﴿إنْ كنتم صادقين﴾** .

﴿ومَنْ أضلُّ ممَنْ يدعوا من دونِ اللهِ من لا يَستجيبُ له﴾، يعني الأصنام لا تجيب عابديها

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٤٣٣ لابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة (حم)الأحقاف .

وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا
بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ
ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى
وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى
وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾

إلى شيء يسألونها، ﴿**إلى يومِ القيامةِ**﴾، أبداً ما دامت الدنيا، ﴿**وهم عن دعائِهم غافلون**﴾، لأنها جماد لا تسمع ولا تفهم.

﴿**وإذا حُشِرَ الناسُ كانوا لهم أعداءً وكانوا بعبادتِهم كافرين**﴾، جاحدين، بيانه قوله: «تبرأنا إليك ما كانوا إيّانا يعبدون» (القصص – ٦٣).

﴿**وإذا تُتلى عليهم آياتُنا بيناتٍ قال الذين كفروا للحقِّ لمَّا جاءَهم هذا سحرٌ مبينٌ**﴾، يسمون القرآن سحراً.

﴿**أم يقولون افتراهُ**﴾، محمد من قِبَل نفسه، فقال الله عزّ وجلّ: ﴿**قلْ إنِ افتريتُه فلا تَملِكُون لي من الله شيئاً**﴾، لا تقدرون أن تردوا عني عذابه إن عذّبني على افترائي، فكيف أفتري على الله من أجلكم، ﴿**هو أعلمُ بما تُفيضُون فيه**﴾، تخوضون فيه من التكذيب بالقرآن والقول فيه إنه سحر. ﴿**كفى به شهيداً بيني وبينَكم**﴾، أن القرآن جاء من عنده، ﴿**وهو الغفورُ الرحيمُ**﴾، في تأخير العذاب عنكم، قال الزجاج: هذا دعاء لهم إلى التوبة، معناه: إن الله عزّ وجلّ غفور لمن تاب منكم رحيم به.

﴿**قلْ ما كنت بِدعاً من الرسلِ**﴾، أي بديعاً، مثل: نصف ونصيف، وجمع البِدْع أبداع، لست بأول مرسل، قد بُعث قبلي كثير من الأنبياء، فكيف تنكرون نبوتي. ﴿**وما أدري ما يُفعَلُ بي ولا بكم**﴾، اختلف العلماء في معنى هذه الآية:

فقال بعضهم: معناه ما أدري ما يفعل بي ولا بكم يوم القيامة، فلما نزلت هذه الآية فرح المشركون، فقالوا: واللات والعزى ما أمْرُنا وأمر محمد عند الله إلا واحد، وما له علينا من مزية وفضل، ولولا أنه ابتدع ما يقوله من ذات نفسه لأخبره الذي بعثه بما يُفعل به، فأنزل الله: «ليغفرَ لك اللهُ ما تقدّمَ من ذنبك وما تأخر»، (الفتح–٢) فقالت الصحابة: هنيئاً لك يا نبي الله قد علمنا ما يُفعل

بك، فماذا يُفعل بنا؟ فأنزل الله تعالى: «لِيُدْخلَ المؤمنين والمؤمنات جنّات»الآية، (الفتح - ٥)وأنزل: «وبشر المؤمنين بأنّ لهم من الله فضلًا كبيراً» (الأحزاب - ٤٧)، فبين الله تعالى ما يفعل به وبهم. وهذا قول أنس وقتادة والحسن وعكرمة، قالوا: إنما قال هذا قبل أن يخبر/بغفران ذنبه [وإنما أخبر بغفران ذنبه][1] عام الحديبية، فنسخ ذلك[2] . ١٢٣/أ

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن عبد الله بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن الزهري، عن خارجة بن زيد قال: كانت أم العلاء الأنصارية تقول: لما قدم المهاجرون المدينة اقترعت الأنصار على سكنتهم، قالت [فطار لنا][3] عثمان بن مظعون في السكنى، فمرض فمرّضناه، ثم توفي فجاء رسول الله ﷺ، فدخل فقلت: رحمة الله عليك أبا السائب فشهادتي قد أكرمك الله، فقال النبي ﷺ: «وما يُدريك أن الله قد أكرمه»؟ فقلت: لا والله لا أدري، فقال النبي ﷺ: «أما هو فقد أتاه اليقين من ربه وإني لأرجو له الخير والله ما أدري وأنا رسول الله ما يفعل بي ولا بكم» قالت: فوالله لا أزكي بعده أحداً أبداً، قالت: ثم رأيت لعثمان بعد في النوم عيناً تجري فقصصتها على رسول الله ﷺ، فقال: «ذاك عمله»[4] .

وقال جماعة: قوله «وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم» في الدنيا، أمّا في الآخرة فقد علم أنه في الجنة، وأن من كذبه فهو في النار، ثم اختلفوا فيه: .

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما اشتدّ البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى رسول الله ﷺ فيما يرى النائم وهو بمكة أرضاً ذات سباخ ونخل رفعت له، يهاجر إليها، فقال له أصحابه متى تهاجر إلى الأرض التي أُريتَ؟ فسكت، فأنزل الله تعالى هذه الآية: «وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم»، أأترك في مكاني أم أخرج وإياكم إلى الأرض التي رفعت لي[5]؟

وقال بعضهم: «وما أدري ما يفعل بي ولا بكم» إلى ماذا يصير أمري وأمركم في الدنيا، إما أن أخرج كما أخرجت الأنبياء من قبلي، أم أقتل كما قتل من قبلي من الأنبياء، وأنتم أيها المُصدِّقون لا ادري

---

(١) مابين القوسين زيادة من «ب» .
(٢) انظر: الطبري: ٧/٢٦، تفسير ابن كثير: ١٥٦/٤، القرطبي: ١٨٥/١٦ .
(٣) في «أ» (فشاركنا) وفي «المصنف»: فصار لنا .
(٤) أخرجه عبد الرزاق في الجامع للإمام معمر، المصنف: ٢٣٧/١١، والبخاري في التعبير، باب العين الجارية في المنام: ٤١٠/١٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٣/١٢-٢٤٤ .
(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي: ص ٤٣٩، القرطبي: ١٨٦/١٦-١٨٧ .

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾

تخرجون معي أم تُتركون، أم ماذا يفعل بكم، [وأنتم][1] أيها المكذبون، أتُرمون بالحجارة من السماء أم يُخسَف بكم، أم أي شيء يفعل بكم، مما فعل بالأمم المكذبة؟.

ثم أخبر الله عزّ وجل أنه يظهر دينه على الأديان، فقال: «هو الذي أرسلَ رسولَه بالهُدى ودينِ الحقِّ لِيظهرَهُ على الدينِ كلِّه»، (الصف – ٩) وقال في أمته: «وما كان اللهُ لِيُعذِّبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون» (الأنفال – ٣٣)، فأخبر الله ما يصنع به وبأمته، هذا قول السدي.

﴿إنْ أتبعُ إلّا ما يُوحَى إليَّ﴾، أي ما أتبع إلا القرآن، ولا أبتدع من عندي شيئاً، ﴿وما أنا إلّا نذيرٌ مبينٌ﴾.

﴿قلْ أرأيتمْ﴾، معناه: أخبروني ماذا تقولون، ﴿إنْ كان﴾، يعني القرآن، ﴿من عندِ اللهِ وكفرتُم به﴾، أيها المشركون، ﴿وشهِدَ شاهدٌ من بني إسرائيلَ على مثلِهِ﴾، المثل: صلة، يعني: عليه، أي على أنه من عند الله، ﴿فآمنَ﴾، يعني الشاهد، ﴿واستكبرتُم﴾، عن الإيمان به، وجواب قوله: «إنْ كان من عند الله» محذوف، على تقدير: أليس قد ظلمتم؟ يدل على هذا المحذوف قوله: ﴿إنّ الله لا يهدي القومَ الظالمين﴾، وقال الحسن: جوابه: فمَنْ أضل منكم، كما قال في سورة السجدة.

واختلفوا في هذا الشاهد، قال قتادة والضحاك: هو عبد الله بن سلام، شهد على نبوة المصطفى ﷺ وآمن به، واستكبر اليهود فلم يؤمنوا.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن منير سمع عبد الله بن بكير، حدثنا حميد، عن أنس قال: «سمع عبد الله بن سلام بمقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: أخبرني بهن جبريل آنفاً، قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: «قلْ من كان عدواً لجبريل فإنه نزله على قلبك بإذن الله» (البقرة – ٩٧)، فأما أول أشراط الساعة فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأمّا أول طعام يأكله أهل الجنة

(١) ساقط من «ب».

فزيادة كبد حوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نَزَعَتْ، قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، [يا رسول الله][1] إن اليهودَ قومٌ بُهتٌ، وإنهم إن يعلموا بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود، فقال: أي رجل عبد الله فيكم؟ قالوا خَيْرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا، قال: أرأيتم إن أسلم عبد الله بن سلام؟ قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبد الله، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فقالوا: شرُّنا وابن شرنا، فانتقصوه، قال: هذا الذي كنت أخاف يا رسول الله »[2] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف قال: سمعت مالكاً يحدث عن أبي النضر مولى عمر ابن عبيد الله، عن عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: ما سمعت النبي ﷺ يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلّا لعبد الله بن سلام، وفيه نزلت هذه الآية: «وشهدَ شاهدٌ من بني إسرائيل على مثله». قال: لا أدري قال مالك الآية أو في الحديث[3] .

وقال الآخرون الشاهد هو موسى بن عمران[4] .

وقال الشعبي قال مسروق في هذه الآية: والله ما نزلت في عبد الله بن سلام لأن ال حمٓ نزلت بمكة، وإنما أسلم عبد الله بن سلام بالمدينة، ونزلت هذه الآية في محاجة كانت من رسول الله ﷺ لقومه، ومثل القرآن التوراة فشهد موسى على التوراة ومحمد ﷺ على الفرقان، وكل/واحد يصدق الآخر[5] .

وقيل: هو نبي من بني إسرائيل فآمن واستكبرتم فلم تؤمنوا ﴿إن اللهَ لا يهدي القومَ الظالمين﴾.

---

(١) مابين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (تفسير سورة البقرة) باب: (من كان عدواً لجبريل) ١٦٥/٨، والمصنف في شرح السنة: ٣٧٢/١٣-٣٧٣ .

(٣) أخرجه البخاري في مناقب الصحابة، باب: مناقب عبد الله بن سلام-رضي الله عنه- ١٢٨/٧، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: فضائل عبد الله بن سلام-رضي الله عنه- برقم: (٢٤٨٣) ١٩٣٠/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٨٩/١٤-١٩٠ .

(٤) انظر: البحر المحيط: ٥٧/٨-٥٨ .

(٥) أخرجه الطبري: ٩/٢٦-١٠ وقال مرجحاً في : (١٠/٢٦): «والصواب من القول في ذلك عندنا أن الذي قاله مسروق في تأويل ذلك أشبه بظاهر التنزيل» لأن قوله (قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله)في سياق توبيخ الله تعالى ذكره مشركي قريش، واحتجاجاً عليهم لنبيه صلى الله عليه وسلم، وهذه الآية نظير سائر الآيات قبلها، ولم يجر لأهل الكتاب ولا لليهود قبل ذلك ذكر، فتوجه هذه الآية إلى أنها فيهم نزلت، ولا دل على انصراف الكلام عن قصص الذين تقدم الخبر عنهم معنى، غير أن الأخبار قد وردت عن جماعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بأنّ ذلكَ عني به عبد الله بن سلام وعليه أكثر أهل التأويل، وهم كانوا أعلم بمعانى القرآن، والسبب الذي فيه نزل، وماأريد به، فتأويل الكلام إذ كان ذلك كذلك، وشهد عبد الله بن سلام، وهو الشاهد من بني إسرائيل على مثله، يعني على مثل القرآن، وهو التوراة، وذلك شهادته أن محمداً مكتوب في التوراة أنه نبي تجده اليهود مكتوباً عندهم في التوراة، كما هو مكتوب في القرآن أنه نبي» .

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ
فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً ۚ وَهَٰذَا
كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ
ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾

﴿**وقال الذين كفروا**﴾، من اليهود، ﴿**للذين آمنوا لو كان**﴾، [دين محمد ﷺ][1]، ﴿**خيراً ما سبقونا إليه**﴾، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه .

وقال قتادة: نزلت في مشركي مكة، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان[2] .

وقال الكلبي: الذين كفروا: أسد وغطفان، قالوا للذين آمنوا يعني: جهينة ومزينة: لو كان ما جاء به محمد خيراً ما سبقنا إليه رعاء البهم[3] .

قال الله تعالى: ﴿**وإذ لم يهتدوا به**﴾، يعني بالقرآن كما اهتدى به أهل الإيمان ﴿**فسيقولون هذا إفك قديم**﴾، كما قالوا أساطير الأولين .

١٢٣/ب ﴿**ومنْ قبلِهِ**﴾ أي ومن قبل القرآن، ﴿**كتابُ موسى**﴾، يعني التوراة، ﴿**إماماً**﴾، يقتدى به، ﴿**ورحمةً**﴾، من الله لمن آمن به، ونُصِبَا على الحال عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار، أي جعلناه إماماً ورحمة، وفي الكلام محذوف، تقديره: وتقدمه كتاب موسى إماماً و لم يهتدوا به، كما قال في الآية الأولى: «وإذ لم يهتدوا به» .

﴿**وهذا كتابٌ مصدقٌ**﴾، أي القرآن مصدق للكتب التي قبله، ﴿**لساناً عربياً**﴾، نصب على الحال، وقيل بلسان عربي، ﴿**لِيُنذرَ الذين ظلموا**﴾، يعني مشركي مكة، قرأ أهل الحجاز والشام ويعقوب: «لتنذر» بالتاء على خطاب النبي ﷺ، وقرأ الآخرون بالياء يعني الكتاب، ﴿**وبشرى للمحسنين**﴾، «وبشرى» في محل الرفع، أي هذا كتاب مصدق وبشرى .

﴿**إنّ الذين قالوا ربُّنا اللّهُ ثم استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون * أولئك أصحاب**

(١) زيادة من «ب» .
(٢) انظر: الطبري: ١٣/٢٦، البحر المحيط: ٥٩/٨، الدر المنثور: ٤٤٠/٧ .
(٣) انظر: البحر المحيط: ٥٩/٨ .

﴿أُولَـٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي﴾

الجنة خالدين فيها جزاءً بما كانوا يعملون﴾ .

قوله عزّ وجلّ: **﴿ووصينا الإنسانَ بوالديه حُسْناً﴾**. قرأ أهل الكوفة: «إحساناً» [كقوله تعالى: «وبالوالدين إحساناً» (البقرة – ٨٣)][(١)] **﴿حملته أمُّهُ كُرْهاً ووضعتْهُ كُرهاً﴾**، يريد شدة الطلق. قرأ أهل الحجاز وأبو عمرو «كَرْهاً» بفتح الكاف فيهما، وقرأ الآخرون بضمهما. **﴿وحمله وفِصالُه﴾**، فطامه، وقرأ يعقوب: «وفصله» بغير ألف، **﴿ثلاثون شهراً﴾**، يريد أقل مدة الحمل، وهي ستة أشهر، وأكثر مدة الرضاع أربعة وعشرون شهراً .

وروى عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه قال: إذا حملت المرأة تسعة أشهر أرضعت إحدى وعشرين شهراً، وإذا حملت ستة أشهر أرضعت أربعة وعشرين شهراً[(٢)]: **﴿حتى إذا بلغ أشُدَّهُ﴾**، نهاية قوته، وغاية شبابه واستوائه، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى أربعين سنة، فذلك قوله: **﴿وبلغ أربعين سنةً﴾** .

وقال السدي والضحاك: نزلت في سعد بن أبي وقاص، وقد مضت القصة[(٣)] .

وقال الآخرون: نزلت في أبي بكر الصديق وأبيه أبي قحافة عثمان بن عمرو، وأمه أم الخير بنت صخر بن عمرو .

قال علي بن أبي طالب: الآية نزلت في أبي بكر، أسلم أبواه جميعاً، ولم يجتمع لأحد من المهاجرين أبواه غيره، أوصاه الله بهما، ولزم ذلك من بعده[(٤)] .

وكان أبو بكر صحب النبي ﷺ وهو ابن ثماني عشرة سنةً، والنبي ﷺ ابن عشرين سنة، في تجارة إلى الشام، فلما بلغ أربعين سنة ونُبِّيء النبي ﷺ آمن به ودعا ربه[(٥)] **فـ﴿قال ربِّ**

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٢) ذكره ابن كثير في التفسير: ١٥٨/٤، القرطبي: ١٩٣/١٦ .

(٣) انظر فيما سبق: ٢٣٣/٦–٢٣٤.

(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص ٤٣٩–٤٤٠. وانظر: زاد المسير: ٣٧٨/٧ .

(٥) انظر: القرطبي: ١٩٤/١٦ .

أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي ۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَا أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ وَيْلَكَ آمِنْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾

أوزعني﴾، ألهمني، **﴿أنْ أشكرَ نعمتَك التي أنعمتَ عليَّ وعلى والديَّ﴾**، بالهداية والإيمان، **﴿وأنْ أعملَ صالحاً ترضاهُ﴾**، قال ابن عباس: وأجابه الله عزّ وجلّ، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله ولم يرد شيئاً من الخير إلّا أعانه الله عليه، ودعا أيضاً فقال: **﴿وأصلحْ لي في ذريتي﴾**، فأجابه الله، فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً، فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً، فأدرك أبو قحافة النبي ﷺ، وابنه أبو بكر وابنه عبد الرحمن بن أبي بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبي ﷺ، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة[1]. قوله: **﴿إني تبت إليك وإني من المسلمين﴾** .

﴿أولئك الذين نتقبلُ عنهم أحسنَ ما عملوا﴾، يعني أعمالهم الصالحة التي عملوها في الدنيا، وكلها حسن، و«الأحسن» بمعنى الحسن، فيثيبهم عليها، **﴿ونتجاوزُ عن سيئاتِهم﴾**، فلا نعاقبهم عليها، قرأ حمزة والكسائي وحفص «نتقبل» «ونتجاوز» بالنون، «أحسنَ» نصب، وقرأ الآخرون بالياء، وضمها، «أحسنُ» رفعٌ. **﴿في أصحاب الجنة﴾**، مع أصحاب الجنة، **﴿وَعْدَ الصدق الذي كانوا يُوعدون﴾**، وهو قوله عزّ وجلّ: «وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار» (التوبة - ٧٢) .

﴿والذي قالَ لوالديه﴾، إذْ دعواه إلى الإيمان بالله والإقرار بالبعث، **﴿أفٍ لكما﴾**، وهي كلمة كراهية، **﴿أتعِدَانِني أن أُخرجَ﴾**، من قبري حيّاً، **﴿وقد خلت القرون من قبلي﴾**، فلم يبعث منهم أحد، **﴿وهما يستغيثانِ الله﴾**، يستصرخان ويستغيثان الله عليه، ويقولان له: **﴿ويلكَ آمنْ إنّ وعْدَ اللهِ حقٌ فيقولُ ما هذا﴾**، ما هذا الذي تدعواني إليه، **﴿إلّا أساطيرُ الأولين﴾**، قال ابن عباس، والسدي، ومجاهد: نزلت في عبد الله[2] .

(١) انظر: زاد المسير: ٧/٣٧٨ .

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٤/١٦٠، القرطبي: ١٦/١٩٧ .

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِم مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ١٨ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٩﴾

وقيل: في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، كان أبواه يدعوانه إلى الإسلام وهو يأبى، ويقول: أحيُوا لي عبد الله بن جدعان وعامر بن كعب ومشايخ قريش حتى أسألهم عمّا تقولون[(١)] .

وأنكرت عائشة رضي الله عنها أن يكون هذا في عبد الرحمن بن أبي بكر[(٢)] .

والصحيح أنها نزلت في كافر عاقٍّ لوالديه، قاله الحسن وقتادة .

وقال الزجاج: قول من قال إنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر قبل إسلامه، يبطله قوله: **﴿أولئك الذين حقَّ عليهم القولُ﴾**، الآية ، أعلم الله تعالى أن هؤلاء قد حقت عليهم كلمة العذاب، وعبد الرحمن مؤمن من أفاضل المسلمين فلا يكون ممن حقت عليه كلمة العذاب .

ومعنى «أولئك الذين حق عليهم القول»: وجب عليهم العذاب، **﴿في أمم﴾**، [مع أمم][(٣)]، **﴿قد خلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين﴾** .

﴿ولكلٍ درجاتٌ مما عملوا﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يريد من سبق إلى الإسلام، فهو أفضل ممن تخلف عنه/ولو بساعة. وقال مقاتل: ولكل فضائل أعمالهم فيوفيهم الله جزاء أعمالهم . ١٢٤/أ

وقيل: «ولكل»: يعني ولكل واحد من الفريقين المؤمنين والكافرين «درجات» منازل ومراتب عند الله يوم القيامة بأعمالهم، فيجازيهم عليها .

قال ابن زيد في هذه الآية: درج أهل النار تذهب سفلاً، ودرج أهل الجنة تذهب علواً[(٤)] .

﴿وليوفيهم﴾، قرأ ابن كثير، وأهل البصرة، وعاصم: بالياء، وقرأ الباقون بالنون. **﴿أعمالهم وهم لا يظلمون﴾** .

---

(١) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٤/١٥٩-١٦٠: «ومن زعم أنها نزلت في عبد الرحمن بن أبي بكر-رضي الله عنهما-فقوله ضعيف لأن عبد الرحمن بن أبي بكر-رضي الله عنهما-أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان من خيار أهل زمانه» . وانظر: البحر المحيط: ٨/٦١ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١٩، وانظر: تفسير ابن كثير: ٤/١٦٠، الدر المنثور: ٧/٤٤٤-٤٤٥ .

(٣) زيادة من «ب» .

(٤) انظر: القرطبي: ١٦/١٩٨ .

﴿وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ (٢٠)﴾

﴿ويومَ يُعْرَضُ الذين كفروا على النارِ﴾، فيقال لهم: ﴿أذهبتُم طيباتِكم في حياتِكُمُ الدنيا﴾ قرأ ابن كثير، وابن عامر، وأبو جعفر، ويعقوب: «آأذهبتم»، بالاستفهام، ويهمز ابن عامر همزتين، والآخرون بلا استفهام على الخبر، وكلاهما فصيحان، لأن العرب تستفهم بالتوبيخ، وترك الاستفهام فتقول أذهبت ففعلت كذا؟ وذهبت ففعلت كذا؟ ﴿واستمتعتم بها﴾، يقول: أذهبتم طيباتكم يعني اللذات وتمتعتم بها؟ ﴿فاليومَ تُجزَوْن عذابَ الهُوْنِ﴾، أي العذاب الذي فيه ذل وخزي، ﴿بما كنتم تَستكبرون﴾، [تتكبرون][1]، ﴿في الأرض بغيرِ الحقِّ وبما كنتم تَفْسُقون﴾، فلما وبّخ الله الكافرين بالتمتع بالطيبات في الدنيا آثر النبي ﷺ وأصحابه والصالحون اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة .

وروينا عن عمر قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فإذا هو مضطجع على رمال حصير قد أثر الرمال بجنبه، فقلت: يا رسول الله ادعُ اللّهَ فليوسع على أمتك، فإن فارس والروم قد وسّع عليهم وهم لا يعبدون الله، فقال: «أولئك قومٌ عجّلوا طيباتهم في الحياة الدنيا»[2] .

أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم علي بن أحمد الخزاعي،أخبرنا أبو سعيد الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، ثنا محمد بن المثنى ومحمد ابن بشار قالا حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة عن أبي إسحاق قال سمعت عبد الرحمن بن يزيد يحدث، عن الأسود بن يزيد عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما شبع آل محمد ﷺ من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ[3] .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن المنصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، حدثنا معمر، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: لقد كان يأتي علينا الشهر ما نُوقد فيه ناراً وما هو

---

(١) زيادة من «ب» .

(٢) قطعة من حديث طويل أخرجه البخاري في النكاح، باب موعظة الرجل ابنته لحال زوجها: ٩/٢٧٨-٢٧٩، وكذلك عند مسلم في الطلاق، باب: في الإيلاء واعتزال النساء وتخييرهن ... برقم: (١٤٧٩): ٢/١١٠٥-١١٠٨، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٧٠-٢٧١ .

(٣) أخرجه الترمذي في الشمائل ص (٩٢) ومسلم في الزهد برقم: (٢٩٧٠): ٤/٢٢٨١، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٧٣.

إلّا الماء والتمر، غير أن جزى الله نساءً من الأنصار خيراً، كنّ ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن(١) .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا عبد الله بن معاوية الجمحي، حدثنا ثابت بن يزيد، عن هلال ابن خباب عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله ﷺ يبيت الليالي المتتابعة طاوياً، وأهله لا يجدون عشاءً، وكان أكثر خبزهم خبز الشعير(٢) .

أخبرنا عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني، أخبرنا أبو القاسم الخزاعي، أخبرنا الهيثم بن كليب، حدثنا أبو عيسى، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن، حدثنا روح بن أسلم، حدثنا أبو حاتم البصري، حدثنا حماد بن سلمة، أخبرنا ثابت، عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخفت في الله وما يُخاف أحد، ولقد أوذيت في الله وما يُؤذى أحد ولقد أَتت عليَّ ثلاثون من بين ليلة ويوم ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبد إلا شيء يواريه إبط بلال »(٣) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، [حدثنا محمد بن إسماعيل](٤) حدثنا يوسف بن عيسى، حدثنا ابن فضيل، عن أبيه، عن أبي حازم، عن أبي هريرة أنه قال: لقد رأيتُ سبعين من **أصحاب الصُّفَّة** ما منهم رجل عليه رِدَاء، إمّا إزار وإمّا كساء، قد ربطوا في أعناقهم، فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها ما يبلغ الكعبين فيجمعه بيده كراهية أن تُرى عورته(٥) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة الكشميهني، حدثنا أبو طاهر محمد بن الحارث، حدثنا أبو الحسن محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، حدثنا عبد الله بن مبارك، عن شعبة بن الحجاج، عن سعد بن إبراهيم، [عن أبيه إبراهيم](٤) أن عبد الرحمن بن عوف أُتي بطعام وكان صائماً، فقال: قتل مصعب بن عمير وهو خير منّي فكفن

---

(١) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتخليهم عن الدنيا: ٢٨٣/١١، ومسلم في الزهد والرقاق برقم: (٢٩٧٢) ٢٢٨٣/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٣/١٤ .

(٢) أخرجه الترمذي في الزهد، باب: ماجاء في معيشة النبي صلى الله عليه وسلم وأهله: ٢٥/٧ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، وابن ماجه في الأطعمة، باب: خبز الشعير برقم: (٣٣٤٧) ١١١١/٢، والإمام أحمد: ٢٥٥/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٤/١٤-٢٧٥ .

(٣) أخرجه الترمذي في القيامة: ١٧٠/٧-١٧١ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» وابن ماجه في المقدمة، باب: في فضائل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم برقم: (١٥١): ٥٤/١، والإمام أحمد: ١٢٠/٣، وابن حبان في الزهد باب فضل الفقراء برقم: (٢٥٢٨) ص(٦٢٦)، والمصنف في شرح السنة:٢٧٦/١٤ .

(٤) ساقط من «أ» .

(٥) أخرجه البخاري في الصلاة، باب نوم الرجال في المسجد: ٥٣٦/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٧/١٤ .

﴿وَاذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ النُّذُرُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ آلِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

في بردة إن غُطّي بها رأسه بدت رجلاه، وإن غُطّي بها رجلاه بَدَا رأسُه، قال: وأراه قال: وقُتل حمزةُ وهو خير منّي، فلم يُوجد ما يُكفّن فيه إلا بردة، ثم بسط لنا من الدنيا ما بسط، أو قال أُعطينا من الدنيا ما أُعطينا وقد خشينا أن تكون حسناتنا عُجّلَتْ لنا، ثم جعل يبكي حتى ترك الطعام[1] .

وقال جابر بن عبد الله: رأى عمر بن الخطاب لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيتُ لحماً فاشتريته، فقال عمر : أَوَكلما اشتهيت شيئاً يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية: «أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا»[2] .

قوله عزّ وجل: ﴿واذكرْ أخا عادٍ﴾، يعني هوداً عليه السلام، ﴿إذ أنذرَ قومَهُ بالأحقافِ﴾، قال ابن عباس «الأحقاف»: وادٍ بين عُمان ومَهْرَة .

وقال مقاتل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت بموضع يقال له: «مَهْرَة» وإليها تنسب الإبل المهرية، وكانوا أهل عمد سيارة في الربيع فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرَم .

قال قتادة: ذكر لنا أن عاداً كانوا أحياء باليمن، وكانوا أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: «الشِّحْر». و«الأحقاف» جمع حقف، وهي المستطيل المعوج من الرمال. قال ابن زيد هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل و لم يبلغ أن يكون/جبلاً، قال الكسائي: هي ما استدار من الرمل، . ١٢٤/ب

﴿وقد خلَتْ النُّذُرُ﴾، مضت الرسل، ﴿من بين يديهِ﴾، أي من قبل هود، ﴿ومِنْ خلفِهِ﴾، إلى قومهم، ﴿ألّا تعبُدوا إلّا الله إني أخافُ عليكم عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾ .

﴿قالوا أجئتَنا لِتأفِكَنا﴾، [لتصرفنا][3]، ﴿عن آلهتِنا﴾، أي عن عبادتها، ﴿فأْتِنا بما تَعِدُنا﴾، [من العذاب][3]، ﴿إن كنتَ من الصادقين﴾، أن العذاب نازل بنا .

(١) أخرجه البخاري في الجنائز، باب: إذا لم يوجد إلاثوب واحد: ١٤٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٧٨/١٤-٢٧٩ .
(٢) أخرجه الحاكم: ٤٥٥/٢ وفيه القاسم بن عبد الله العمري، قال الذهبي: «القاسم واهٍ» .
(٣) زيادة من «ب» .

قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾
فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ
رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ

﴿قال﴾، هود، ﴿إنما العلمُ عندَ الله﴾، وهو يعلم متى يأتيكم العذاب ﴿وأُبلّغكم ما أُرسلتُ به﴾، من الوحي، ﴿ولكني أراكم قوماً تَجْهلون﴾ .

﴿فلما رأَوْه﴾، يعني ما يُوعَدُون به من العذاب، ﴿عارضاً﴾، سحاباً يعرض أي يبدو في ناحية من السماء ثم يطبق السماء، ﴿مستقبلَ أوديتِهم﴾، فخرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم يقال له: «المغيث» وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها استبشروا، ﴿قالوا هذا عارضٌ مُمْطِرُنا﴾، يقول الله تعالى: ﴿بل هو ما استعجلتم به ريحٌ فيها عذابٌ أليم﴾، فجعلت الريح تحمل الفسطاط وتحمل الظعينة حتى ترى كأنها جرادة .

﴿تُدمِّرُ كلَّ شيءٍ﴾، مرت به من رجال عاد وأموالها، [﴿بأمرِ ربِّها﴾][1]، فأول ما عرفوا أنها عذاب رأوا ما كان خارجاً من ديارهم من الرجال والمواشي تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم فجاءت الريح فقلعت أبوابهم وصرعتهم، وأمر الله الريح فأمالت عليهم الرمال، وكانوا تحت الرمل سبع ليال وثمانية أيام، لهم أنينٌ، ثم أمر الله الريح فكشفت عنهم الرمال فاحتملتهم فرمت بهم في البحر .

أخبرنا الإمام أبو علي الحسين بن محمد القاضي، أخبرنا أبو نعيم عبد الملك بن الحسن الأسفرايني، أخبرنا أبو عوانة يعقوب بن إسحاق الحافظ، أخبرنا يونس، أخبرنا ابن وهب، أخبرنا عمرو بن الحارث، أخبرنا النضر. حدثه عن سليمان بن يسار، عن عائشة أنها قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ مستجمعاً ضاحكاً حتى أرى منه بياض لهواته، وكان إذا رأى غيماً أو ريحاً عُرف ذلك في وجهه، فقلت: يا رسول الله إن النّاس إذا رأوا الغيم فرحوا، رجاء أن يكون فيه المطر، وإذا رأيته عُرف في وجهك الكراهية، فقال: «يا عائشة ما يؤمنني أن يكون فيه عذاب، قد عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: «هذا عارض ممطرنا»، الآية[2] .

﴿فأصبحوا لا يُرى إلّا مساكنُهم﴾، قرأ عاصم، وحمزة، ويعقوب: «يُرى» بضم الياء «مساكنُهم» برفع النون، يعني: لا يرى شيء إلّا مساكنهم، وقرأ الآخرون بالتاء وفتحها، «مساكنَهم»

(١) ساقط من «أ» .
(٢) أخرجه مسلم في الاستسقاء، باب التعوذ عند رؤية الريح والغيم، والفرح بالمطر برقم: (٨٩٩): ٢/٦١٦-٦١٧ .

كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا
لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم
مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٢٦﴾
وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ الْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا
نَصَرَهُمُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً ۖ بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ
وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾

نصبٌ يعني لا ترى أنت يا محمد إلّا مساكنهم لأن السكان والأنعام بادت بالريح، فلم يبق إلا هود ومن آمن معه. ﴿كذلك نجزي القومَ المجرمين﴾ .

﴿ولقد مكنّاهم فيما إنْ مكنّاكُم فيه﴾، يعني فيما لم نمكنكم فيه من قوة الأبدان وطول العمر وكثرة المال .

قال المبرد: «ما» في قوله «فيما» بمنزلة الذي، و«إن» بمنزلة ما، وتقديره: ولقد مكنّاهم في الذي ما مكنّاكم فيه .

﴿وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدةً فما أغنى عنهم سمعُهم ولا أبصارُهم ولا أفئدتُهم من شيءٍ إذ كانوا يجحدون بآياتِ اللهِ وحاقَ بهم ما كانوا به يستهزؤون﴾ .

﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾، يا أهل مكة، ﴿من القرى﴾، كحجر ثمود وأرض سدوم ونحوهما، ﴿وصرّفنا الآياتِ﴾ الحجج والبينات، ﴿لعلّهم يرْجعون﴾، عن كفرهم فلم يرجعوا، فأهلكناهم، يخوّف مشركي مكة .

﴿فلولا﴾، فهلا ﴿نصرَهم الذين اتّخذوا من دونِ اللهِ قُرباناً آلهةً﴾، يعني الأوثان، اتخذوها آلهة يتقربون بها إلى الله عز وجلّ، «القربان»: كل ما يتقرب به إلى الله عزّ وجلّ، وجمعه: «قرابين»، كالرهبان والرهابين .

﴿بل ضلّوا عنهم﴾، قال مقاتل: بل ضلت الآلهة عنهم فلم تنفعهم عند نزول العذاب بهم، ﴿وذلك إفكُهم﴾، أي كذبهم الذي كانوا يقولون إنها تقربهم إلى الله عزّ وجلّ وتشفع لهم، ﴿وماكانوا يفترون﴾، يكذبون أنها آلهة .

﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإذْ صرَفْنا إليك نفراً من الجنّ يستمعون القرآنَ﴾ الآية، قال المفسرون: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ وحده إلى الطائف يلتمس من ثقيف النصر والمنعة له من قومه، فروى محمد بن إسحاق عن يزيد بن زياد، عن محمد بن كعب القرظي قال: لما انتهى رسول الله ﷺ إلى الطائف إلى نفر من ثقيف، وهم يومئذ سادة ثقيف وأشرافهم، وهم إخوة ثلاثة: عبد ياليل، ومسعود، وحَبيب بنو [عمرو بن][1] عمير، وعند أحدهم امرأة من قريش من بني جمح، فجلس إليهم فدعاهم إلى الله وكلمهم بما جاءهم له من نصرته على الإسلام، والقيام معه على من خالفه من قومه.

فقال له أحدهم: هو يمرط ثياب الكعبة، إن كان الله أرسلك، وقال الآخر: ما وجد الله أحداً يرسله غيرك؟ وقال الثالث: والله ما أكلمك كلمة أبداً، لئن كنت رسولاً من الله كما تقول لأنت أعظم خطراً من أن أردّ عليك الكلام، ولئن كنت تكذب على الله فما ينبغي لي أن أكلمك.

فقام رسول الله ﷺ من عندهم، وقد يئس من خير ثقيف، وقال لهم: إذ فعلتم ما فعلتم فاكتموا عليَّ [سري][2]، وكره رسول الله ﷺ أن يبلغ قومه فيزيدهم عليه ذلك، فلم يفعلوا، وأغروا به سفهاءهم وعبيدهم يسبونه ويصيحون به حتى اجتمع عليه الناس، وألجأوه إلى حائط لعتبةَ وشيبة ابني ربيعة، وهما فيه فرجع عنه سفهاء ثقيف ومن كان تبعه، فعمد إلى ظل حبلة من عنب، فجلس فيه، وابنا ربيعة ينظران إليه، ويريان ما لقي من سفهاء ثقيف، ولقد لقي رسول الله/ﷺ تلك المرأة التي من بني جمح، فقال لها: ماذا لقينا من أحمائك؟. ١٢٥/أ

فلما اطمأن رسول الله ﷺ قال: «اللهم إني أشكو إليك ضعف قوتي، وقلة حيلتي، وهواني على الناس، أنت أرحم الراحمين، أنت رب المستضعفين، وأنت ربي، إلى من تكلني؟ إلى بعيد يتجهمني أو إلى عدو ملكته أمري؟، إن لم يكن بك عليَّ غضب فلا أبالي، ولكن عافيتك هي أوسع لي، أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة من أن ينزل بي غضبك أو يحل عليَّ سخطك، لك العُتبى حتى ترضى، ولا حول ولا قوة إلا بك».

فلما رأى ابنا ربيعة ما لقي تحركت له رحمهما فدعوا غلاماً لهما نصرانياً يقال له: عدّاس، فقالا له: خذ قطفاً من العنب وضعه فى ذلك الطبق ثم اذهب به إلى ذلك الرجل، فقل له يأكل

(١) ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «ب».

منه، ففعل ذلك عداس، ثم أقبل به حتى وضعه بين يدي رسول الله ﷺ، فلما وضع رسول الله ﷺ يده قال: بسم الله، ثم أكل، فنظر عداس إلى وجهه ثم قال: والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلدة، فقال له رسول الله ﷺ: من أي البلاد أنت يا عداس؟ وما دينك؟ قال: أنا نصراني، وأنا رجل من أهل نينوى، فقال له رسول الله ﷺ: أمِنْ قرية الرجل الصالح يونس بن متى؟ قال له: وما يدريك ما يونس بن متى؟ فقال له رسول الله ﷺ: ذاك أخي كان نبياً وأنا نبي، فأكبَّ عداس على رسول الله ﷺ فقبل رأسه ويديه وقدميه.

قال: فيقول ابنا ربيعة أحدهما لصاحبه: أما غلامك فقد أفسده عليك، فلما جاءهم عداس قالا له: ويلك يا عداس مالك تُقبّل رأس هذا الرجل ويديه وقدميه؟ قال: يا سيدي ما في الأرض خير من هذا الرجل، لقد أخبرني بأمر ما يعلمه إلا نبي، فقالا: ويحك يا عداس لا يصرفك عن دينك فإن دينك خير من دينه.

ثم إن رسول الله ﷺ انصرف من الطائف راجعاً إلى مكة حين يئس من خير ثقيف، حتى إذا كان بنخلة قام من جوف الليل يصلي فمرّ به نفر من جن أهل نصيبين اليمن، فاستمعوا له، فلما فرغ من صلاته ولّوا إلى قومهم منذرين، قد آمنوا وأجابوا لما سمعوا، فقص الله خبرهم عليه، فقال: «وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق النبي ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عكاظ، وقد حِيلَ بين الشياطين وبين خبر السماء، فأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين إلى قومهم، فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، قالوا: ما حال بينكم وبين خبر السماء إلّا شيء حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها، فانظروا ما هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فانصرف أولئك الذين توجهوا نحو تهامة إلى النبي ﷺ وهو بنخلة، عامدين إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن استمعوا له، فقالوا: هذا والله الذي حال بينكم وبين خبر السماء، فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا «إنا سمعنا قرآناً عجباً * يهدي إلى الرشد

(١) ذكره ابن هشام في السيرة: ١/٤١٩-٤٢٢، الطبري في التاريخ: ٢/٣٤٤-٣٤٧، وأخرج الطبراني قطعة منه وهي: اللهم إليك أشكو...، قال الهيثمي في المجمع: ٦/٣٥ «فيه ابن إسحاق وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات».
وانظر: فقه السيرة للغزالى بتخريج الألباني ص(١٣٧)، وراجع ماكتبه العلامة اللكنوى في توثيق ابن إسحاق وقبول روايته في كتابه: «إمام الكلام فيما يتعلق بالقراءة خلف الإمام» ص٢٨٠-٢٩١ بتحقيق عثمان جمعة ضميرية.

فآمنّا به ولن نشرك بربنا أحداً» (الجن - ٢)، فأنزل الله على نبيه: «قل أوحي إليّ أنه استمع نفرٌ من الجن» (الجن - ١) وإنما أوحي إليه قول الجن[1].

ورُوي: أنهم لما رجموا بالشهب بعث إبليس سراياه لتعرف الخبر، وكان أول بعثٍ بعثَ ركباً من أهل نصيبين، وهم أشراف الجن وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة.

وقال أبو حمزة [الثمالي][2]: بلغنا أنهم من الشيصبان وهم أكثر الجن عدداً، وهم عامة جنود إبليس، فلما رجعوا قالوا: «إنّا سمعنا قرآناً عجباً».

وقال جماعة: بل أُمر رسول الله ﷺ أن ينذر الجن ويدعوهم إلى الله تعالى ويقرأ عليهم القرآن، فصرف إليه نفراً من الجن من نينوى، وجمعهم له، فقال رسول الله ﷺ: إني أُمرتُ أن أقرأ على الجن الليلة، فأيّكم يتبعني؟ فأطرقوا ثم استتبعهم فأطرقوا، ثم استتبعهم الثالثة فأطرقوا، فاتّبعه عبد الله بن مسعود، قال عبد الله: ولم يحضر معه أحد غيري، فانطلقنا حتى إذا كنّا على مكة دخل نبي الله ﷺ شعباً يقال له: شعب الحجون، وخطّ لي خطاً ثم أمرني أن أجلس فيه، وقال: لا تخرج منه حتى أعود إليك، ثم انطلق حتى قام فافتتح القرآن، فجعلت أرى أمثال النسور تهوي، وسمعت لغطاً شديداً حتى خفت على نبي الله ﷺ، وغشيته أسودة كثيرة حالت بيني وبينه، حتى ما أسمع صوته، ثم طفقوا يتقطعون مثل قطع السحاب ذاهبين، ففرغ رسول الله ﷺ مع الفجر، فانطلق إليّ وقال: أنمتَ؟ فقلت: لا والله يا رسول الله، وقد هممت مراراً أن أستغيث بالناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك، تقول: اجلسوا، قال: لو خرجت لم آمن عليك أن يتخطفك بعضهم، ثم قال: هل رأيت شيئاً؟ قلت نعم يا رسول الله رأيتُ رجالاً سوداً مستثفري ثياب بيض، قال: أولئك جن نصيبين سألوني المتاع - والمتاع الزاد - فمتعتهم بكل عظم حائل وروثة وبعرة.

قال: فقالوا: يا رسول الله تقذرها الناس، فنهى النبي ﷺ أن يستنج بالعظم والروث.

قال: فقلت: يا رسول الله وما يغني ذلك عنهم؟ قال: إنهم لا يجدون عظماً إلا وجدوا عليه لحمه يوم أُكل، ولا روثة إلا وجدوا فيها حبها يوم أكلت، قال فقلت: يا رسول الله/سمعتُ لغطاً ١٢٥/ب
شديداً؟ فقال: إن الجن تدارأت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ فقضيت بينهم بالحق، قال: ثم تبرز رسول الله ﷺ ثم أتاني، فقال: هل معك ماء؟ قلت: يا رسول الله معي إداوة فيها شيء من نبيذ التمر، فاستدعاه فصببتُ على يده فتوضأ وقال: «تمرةٌ طيبةٌ وماءٌ طَهورٌ»[3].

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب الجهر بقراءة صلاة الفجر: ٢/٢٥٣، والتفسير: ٨/٦٦٩.
(٢) في «أ» اليماني، والصحيح ما أثبتناه.
(٣) أخرجه أبو داود في الطهارة، باب: الوضوء بالنبيذ: ١/٨٢، والترمذي في الطهارة، باب: ما جاء في الوضوء بالنبيذ: ١/٢٩٢ =

قال قتادة: ذُكر لنا أن ابن مسعود لمّا قدم الكوفة رأى شيوخاً شمطاً من الزُّطّ فأفزعوه حين رآهم، فقال: اظهروا، فقيل له: إن هؤلاء قوم من الزط، فقال: ما أشبههم بالنفر الذين صُرفوا إلى رسول الله ﷺ[1]، يريد الجن.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغفار بن محمد، حدثنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الأعلى، حدثنا داود وهو ابن أبي هند، عن عامر قال: سألت علقمة هل كان ابن مسعود شهد مع رسول الله ليلة الجن؟ قال فقال علقمة: أنا سألتُ ابن مسعود فقلتُ: هل شهد أحدٌ منكم مع رسول الله ﷺ ليلة الجن؟ قال: لا، ولكنّا كنّا مع رسول الله ﷺ ذات ليلة، ففقدناه فالتمسناه في الأودية والشعاب، فقلنا: استطير أو اغتيل، قال فبتنا بشر ليلة بات بها قوم، فلما أصبحنا إذا هو جاء من قبل حراء، قال فقلنا: يا رسول الله فقدناك فطلبناك فلم نجدك، فبتْنا بشرّ ليلة بات بها قوم فقال: أتاني داعي الجن فذهبت معه فقرأتُ عليهم القرآن.

قال: فانطلق بنا فأرانا آثارهم وآثار نيرانهم.

قال: وسألوه الزاد، فقال: لكم كل عظم ذكر اسم الله عليه يقع في أيديكم أوفر ما يكون لحماً وكل بعرة علف لدوابكم، فقال رسول الله ﷺ: «فلا تستنجوا بهما فإنهما طعام إخوانكم من الجن»[2].

ورواه مسلم عن علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن داود بهذا الإسناد إلى قوله: «وآثار نيرانهم»[3].

قال الشعبي: وسألوه الزاد وكانوا من جن الجزيرة إلى آخر الحديث من قول الشعبي مفصلاً من حديث عبد الله[4].

قوله عزّ وجلّ: «وإذْ صرفنا إليك نفراً من الجن يستمعون القرآن»، اختلفوا في عدد ذلك

= قال أبو عيسى «وإنما روي هذا الحديث عن أبي زيد عن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم، وأبو زيد رجل مجهول عند أهل الحديث، لا تعرف له رواية غير هذا الحديث، وقد رأى بعض أهل العلم الوضوء بالنبيذ، منهم سفيان الثوري وغيره» وابن ماجه في الطهارة، باب الوضوء بالنبيذ برقم:(٣٨٤) ١/ ١٣٥ وقال: مدار الحديث على أبي زيد وهو مجهول عند أهل الحديث» والإمام أحمد:١/ ٤٥٠، وعبد الرزاق: ١/ ٢٣٨، وابن المنذر في الأوسط: ١/ ٢٥٦، وانظر: نصب الراية للزيلعي: ١/ ١٣٧-١٣٨، الأوسط لابن المنذر: ١/ ٢٥٣-٢٥٧.

(١) أخرجه الإمام أحمد: ١/ ٤٥٥،والطبري: ٢٦/ ٣٢.

(٢) أخرجه مسلم في الصلاة، باب الجهر بالقراءة في الصبح، والقراءة على الجن برقم: (٤٥٠): ١/ ٣٣٢.

(٣،٤) أخرجه مسلم في الموضع السابق.

﴿فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ (٢٩) قَالُوا يَٰقَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِيٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ (٣٠) يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (٣١)﴾

النفر، فقال ابن عباس: كانوا سبعة من جن نصيبين، فجعلهم رسول الله ﷺ رسلاً إلى قومهم. وقال آخرون: كانوا تسعة[1]. وروى عاصم عن زر بن حبيش: كان زوبعة من التسعة الذين استمعوا القرآن. ﴿فلما حضروه قالوا أنصتوا﴾، قالوا: صه[2].

وروي في الحديث: «أن الجن ثلاثة أصناف: صنف لهم أجنحة يطيرون بها في الهواء، وصنف حيّات وكلاب، وصنف يحلون ويظعنون»[3].

فلما حضروه قال بعضُهم لبعض: أنصتوا واسكتوا لنستمع إلى قراءته، فلا يحول بيننا وبين الاستماع شيء، فأنصتوا واستمعوا القرآن حتى كاد يقع بعضهم على بعض من شدة حرصهم.

﴿فلمّا قُضي﴾، فرغ من تلاوته، ﴿ولّوْا إلى قومهم﴾، انصرفوا إليهم، ﴿مُنذرين﴾، مخوفين داعين بأمر رسول الله ﷺ.

﴿قالوا يا قومَنا إنّا سمِعْنا كتاباً أُنزِلَ من بعدِ موسى مصدِّقاً لِما بينَ يديه يهدي إلى الحقِّ وإلى طريقٍ مستقيم﴾، قال عطاء: كان دينهم اليهودية، لذلك قالوا: إنا سمعنا كتاباً أُنزل من بعد موسى[4].

﴿يا قومنا أجيبُوا داعيَ اللّهِ﴾، يعني محمداً ﷺ، ﴿وآمنوا به يغفرْ لكم من ذنوبِكم﴾، «من» صلة أي ذنوبكم، ﴿ويُجِرْكم من عذابٍ أليم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: فاستجاب

---

(١) انظر: الطبري: ٢٦/٣٠-٣١.
وذكر الهيثمي في المجمع عدة روايات عن ابن عباس لكنها ضعيفة، انظر المجمع: ٧/١٠٦.
(٢) قال الهيثمي في المجمع: ٧/١٠٦ رواه البزار ورجاله ثقات، لكن بلفظ (سبعة) بدلاً من (تسعة).
(٣) صححه الحاكم: ٢/٤٥٦ على شرط الشيخين، وابن حبان برقم: (٢٠٠٧) ص(٤٩٢) من موارد الظمآن، وأخرجه البيهقي في الأسماء والصفات: ٢/١٣٠، والطحاوي في مشكل الآثار: ٤/٩٥-٩٦. قال الهيثمي في المجمع: ٨/٣٦ «رواه الطبراني، ورجاله وثقوا وفي بعضهم خلاف».
وعزاه ابن حجر في المطالب العالية: ٣/٢١٨ لأبي يعلى، وصححه الألباني في «صحيح الجامع الصغير» ٣/٨٥.
(٤) انظر: القرطبي: ١٦/٢١٧، زاد المسير: ٧/٣٩٠.

﴿وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾

لهم من قومهم نحو من سبعين رجلاً من الجن، فرجعوا إلى رسول الله ﷺ فوافقوه في البطحاء، فقرأ عليهم القرآن وأمرهم ونهاهم[1]، وفيه دليل على أنه ﷺ كان مبعوثاً إلى الجن والإنس جميعاً .

قال مقاتل: لم يبعث قبله نبي إلى الإنس والجن جميعاً[2] .

واختلف العلماء في حكم مؤمني الجن[3]، فقال قوم: ليس لهم ثواب إلا نجاتهم من النار، وتأوّلوا قوله: «يغفر لكم من ذنوبكم ويجركم من عذاب أليم»، وإليه ذهب أبو حنيفة رضي الله تعالى عنه .

وحكى سفيان عن ليث قال: الجن ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً، وهذا مثل البهائم .

وعن أبي الزناد قال: إذا قضي بين الناس قيل لمؤمني الجن: عودوا تراباً، فيعودون تراباً، فعند ذلك يقول الكافر: «يا ليتني كنتُ تراباً» (النبأ - ٤٠) .

وقال الآخرون: يكون لهم الثواب في الإحسان كما يكون عليهم العقاب في الإساءة كالإنس، وإليه ذهب مالك وابن أبي ليلى .

وقال جرير عن الضحاك: الجن يدخلون الجنة ويأكلون ويشربون .

وذكر النقاش في «تفسيره» حديث أنهم يدخلون الجنة. فقيل: هل يصيبون من نعيمها؟ قال: يلهمهم الله تسبيحه وذكره، فيصيبون من لذته ما يصيبه بنو آدم من نعيم الجنة. وقال أرطاة بن المنذر: سألت ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ قال: نعم، وقرأ: «لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان» (الرحمن - ٧٤)، قال فالإنسيات للإنس والجنيات للجن .

وقال عمر بن عبد العزيز: إن مؤمني الجن حول الجنة، في ربض ورحاب، وليسوا فيها .

﴿ومَنْ لا يجبْ داعيَ اللهِ فليسَ بمعجزٍ في الأرضِ﴾، لا يعجز الله فيفوته، **﴿وليسَ له من دونِهِ أولياءُ﴾**، أنصار يمنعونه من الله، **﴿أولئك في ضلالٍ مبين﴾** .

(١-٢) انظر القرطبي: ٢١٧/١٦ .

(٣) انظر: القرطبي: ٢١٧/١٦-٢١٨، طريق الهجرتين لابن القيم ص٣٢٣-٣٢٤، لوامع الأنوار البهية للسفاريني: ٢٢٢/٢-٢٢٣، وللشبلي النعماني كتاب استوفى فيه أحكام الجان اسمه (آكام المرجان في أحكام الجان) .

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٣٣) وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ (٣٤) فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ ۚ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ﴾

﴿أو لم يَرَوْا أن الله الذي خلقَ السمواتِ والأرضَ ولم يَعْيَ بخلقهن﴾، لم يعجز عن إبداعهن، ﴿بقادر﴾، هكذا قراءة العامة، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقالَ أبو عبيدة والأخفش: الباء زائدة للتأكيد، كقوله: «تنبت بالدهن».

وقال الكسائيُ، والفراء: العرب تدخل الباء في الاستفهام مع الجحد، فتقول: ما أظنك بقائم.

وقرأ يعقوب: «يقدر» بالياء على الفعل، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لأنها في قراءة عبد الله قادر بغير باء.

﴿على أن يحيَيَ الموتى بلى إنّه على كلّ شيءٍ قدير﴾.

﴿ويومَ يُعرضُ الذين كفروا على النّارِ﴾، فيقال لهم، ﴿أليسَ هذا بالحقِّ قالوا بلى وربّنا قال﴾، أي فيقال لهم: ﴿فذوقوا العذابَ بما كنتم تكفرون﴾.

﴿فاصبْر كما صبرَ أولوا العزمِ من الرسل﴾، قال ابن عباس: ذوو الحزم. وقال/الضحاك: ذوو الجد والصبر. ١٢٦/أ

واختلفوا فيهم، فقال ابن زيد: كل الرسل كانوا أولي عزم، لم يبعث الله نبياً إلا كان ذا عزم وحزم، ورأي وكمال عقل، وإنما أُدخلت «من» للتجنيس لا للتبعيض، كما يقال: اشتريت أكسية من الخز وأردية من البز.

وقال بعضهم: الأنبياء كلهم أولو عزم إلا يونس بن متى، لعجلةٍ كانت منه، ألا ترى أنه قيل للنبي ﷺ: «ولا تكنْ كصاحب الحوت»؟

وقال قوم: هم نُجباء الرسل المذكورون في سورة الأنعام، وهم ثمانية عشر، لقوله تعالى بعد ذكرهم: «أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده» (الأنعام – ٩٠).

وقال الكلبي: هم الذين أمروا بالجهاد وأظهروا المكاشفة مع أعداء الدين.

وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، عليهم السلام، وهم المذكورون على النسق في سورة الأعراف والشعراء .

وقال مقاتل: هم ستة: نوح، صبر على أذى قومه، وإبراهيم، صبر على النار، وإسحاق، صبر على الذبح، ويعقوب، صبر على فقد ولده وذهاب بصره، ويوسف، صبر على البئر والسجن، وأيوب، صبر على الضر .

وقال ابن عباس وقتادة: هم نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، أصحاب الشرائع، فهم مع محمد ﷺ خمسة .

قلت: ذكرهم الله على التخصيص في قوله: «وإذْ أخذنا من النبيين ميثاقَهم ومنك ومن نوح وإبراهيمَ وموسى وعيسى ابن مريم» (الأحزاب - ٧)، وفي قوله تعالى: «شرع لكم من الدين ما وصى به نوحاً» (الشورى - ١٣) .

أخبرنا أبو طاهر المطهر بن علي بن عبيد الله الفارسي، حدثنا أبو ذر محمد بن إبراهيم سبط الصالحاني، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن محمد بن جعفر بن حيان المعروف بأبي الشيخ الحافظ، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي حاتم، أخبرنا محمد بن الحجاج، أخبرنا السري بن حيان، أخبرنا عباد بن عباد، حدثنا مجالد بن سعيد، عن الشعبي، عن مسروق قال: قالت عائشة قال لي رسول الله ﷺ: «يا عائشة إن الدنيا لا تنبغي لمحمد ولا لآل محمد، يا عائشة إن الله لم يرض من أولي العزم إلّا بالصبر على مكروهها، والصبر على مجهودها، ولم يرض إلّا أن كلفني ما كلفهم، وقال: «فاصبرْ كما صبر أولوا العزم من الرسل» وإني والله لا بدّ لي من طاعته، والله لأصبرنّ كما صبروا، وأجهدنّ كما جهدوا، ولا قوة إلا بالله»[1] .

قوله تعالى: ﴿ولا تستعجلْ لهم﴾، أي ولا تستعجل العذاب لهم، فإنه نازل بهم لا محالة، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأُمر بالصبر وترك الاستعجال .

ثم أخبر عن قرب العذاب فقال: .

(١) أخرجه ابن أبي حاتم كما في ابن كثير: ١٧٣/٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٤/٧ للديلمي في مسند الفردوس، وفيه مجالد بن سعيد وهو ضعيف، والمصنف في شرح السنة: ٢٤٨/١٤ وقد عزاه الأرناؤوط لأبي الشيخ في «أخلاق النبي» ص(٢٩٣) وقال: «نقله من كتاب التفسير لشيخه ابن أبي حاتم، وإسناده ضعيف، لجهالة السري بن حيان وضعف مجالد ابن سعيد» .

مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍۭ ۚ بَلَٰغٌ ۚ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾

﴿**كأنهم يومَ يَرَوْن ما يوعدون**﴾، من العذاب في الآخرة، ﴿**لم يلبثوا**﴾، [في الدنيا][1]، ﴿**إلا ساعةً من نهار**﴾، أي إذا عاينوا العذاب صار طول لبثهم في الدنيا والبرزخ كأنه ساعة من نهار، لأن ما مضى وإن كان طويلاً كأن لم يكن.

ثم قال: ﴿**بلاغ**﴾، أي هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ من الله إليكم، والبلاغ بمعنى التبليغ، ﴿**فهل يُهلَك**﴾، بالعذاب إذا نزل ﴿**إلّا القومُ الفاسقون**﴾، الخارجون من أمر الله.

قال الزجاج: تأويله: لا يهلك مع رحمة الله وفضله إلا القوم الفاسقون، ولهذا قال قوم: ما في الرجاء لرحمة الله آيةٌ أقوى من هذه الآية.

(١) زيادة من «ب».

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سُورَةُ مُحَمَّد

مدنية(١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ۝١ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ۝٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ﴾

﴿الذين كفروا وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ أضلَّ أعمالَهم﴾، أبطلها فلم يقبلها [وأراد بالأعمال ما فعلوا من إطعام الطعام وصلة الأرحام](٢)، قال الضحاك: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي ﷺ، وجعل الدائرة عليهم(٣).

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ وآمنوا بما نُزِّلَ على محمدٍ﴾، قال سفيان الثوري: يعني لم يخالفوه في شيء، **﴿وهو الحقُّ من ربِّهم﴾**، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «الذين كفروا وصدوا»: مشركو مكة، «والذين آمنوا وعملوا الصالحات»: الأنصار. **﴿كفَّر عنهم سيئاتِهم وأصلحَ بالَهم﴾**، حالهم، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: عصمهم أيام حياتهم، يعني أن هذا الإصلاح يعود إلى إصلاح أعمالهم حتى لا يعصوا.

﴿ذلك بأنَّ الذين كفروا اتَّبعوا الباطلَ﴾، الشيطان، **﴿وأنَّ الذين آمنوا اتَّبعُوا الحقَّ من ربِّهم﴾**، يعني القرآن **﴿كذلك يضربُ اللّهُ للناسِ أمثالَهم﴾**، أشكالهم، قال الزجاج: كذلك يبين الله أمثال حسنات المؤمنين، وإضلال أعمال الكافرين.

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٤٥٦/٧ لابن الضريس، والنحاس، وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس.
(٢) مابين القوسين ساقط من «أ».
(٣) انظر: القرطبي: ٢٢٣/١٦.

يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ

﴿**فإذا لقيتمُ الذين كفروا فضرْبَ الرقاب**﴾، نصبٌ على الإغراء، أي فاضربوا رقابهم يعني أعناقهم. ﴿**حتى إذا أثخنتمُوهم**﴾، بالغتم في القتل وقهرتموهم، ﴿**فشدُّوا الوَثاق**﴾، يعني في الأسر حتى لا يفلتوا منكم، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل، كما قال: «ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الأرض» (الأنفال – ٦٧)، ﴿**فإمّا منّاً بعدُ وإمّا فداءً**﴾، يعني: بعد أن تأسروهم فإمّا أن تمنّوا عليهم منّاً بإطلاقهم من غير عوض، وإمّا أن تفادوهم فداء .

واختلف العلماء في حكم هذه الآية، فقال قوم: هي منسوخة بقوله: «فإمّا تثقفنهم في الحرب فشردْ بهم من خلفهم» (الأنفال – ٥٧)، وبقوله: «اقتلوا المشركين حيث وجدتموهم» (التوبة – ٥). وإلى هذا القول ذهب قتادة والضحاك والسدي وابن جريج، وهو قول الأوزاعي وأصحاب الرأي، قالوا: لا يجوز المنّ على من وقع في الأسر من الكفار ولا الفداء .

وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة، والإمام بالخيار في الرجال العاقلين من الكفار إذا وقعوا في الأسر بين أن يقتلهم أو **يسترقّهم** أو يمن عليهم، فيطلقهم بلا عوض أو يفاديهم بالمال، أو بأسارى المسلمين/، وإليه ذهب ابن عمر، وبه قال الحسن، وعطاء، وأكثر الصحابة والعلماء، وهو قول ١٢٦/ب
الثوري، والشافعي، وأحمد وإسحاق .

قال ابن عباس: لما كثر المسلمون واشتد سلطانهم أنزل الله عزّ وجلّ في الأسارى «فإمّا منّاً بَعْدُ وإمّا فداء» .

وهذا هو الأصح والاختيار، لأنه عمل به رسول الله ﷺ والخلفاء بعده: .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، حدثنا محمد بن يوسف، [حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن يوسف][1] حدثنا الليث، حدثنا سعيد بن أبي سعيد سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلاً قِبَلَ نجدٍ، فجاءت برجلٍ من بني حنيفة يقال له: ثمامة **ابن أثال**، فربطوه بسارية [من سواري][2] المسجد، فخرج إليه رسول الله ﷺ فقال: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي خير يا محمد إن تقتل تقتل ذَا دمٍ، وإن تُنعم تنعم على شاكر، وإن كنت

(١) مابين القوسين ساقط من «أ» .
(٢) زيادة من «ب» .

تريد المال فسل منه ما شئتْ، حتى كان الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك إن تُنعم تنعم على شاكر، [إن تقتل تقتل ذا دم، وإن كنت تريد المال سل تعط][1] فتركه حتى كان بعد الغد، فقال له: ما عندك يا ثمامة؟ فقال: عندي ما قلت لك، فقال: «أطلقوا ثمامة»، فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل، ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، يا محمد والله ما كان على وجه الأرض وجه **أبغض إليّ** من وجهك، فقد أصبح وجهك أحبّ **الوجوه إليّ**، والله ما كان من دين **أبغض إليّ** من دينك، فأصبح دينك أحبّ **الدين إليّ**، والله ما كان من بلد **أبغض إليّ** من بلدك فأصبح بلدك أحبّ **البلاد إليّ**، وإن خيلك أخذتني وأنا أزيد العمرة، فماذا ترى؟ فبشره رسول الله ﷺ وأمره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: أَصَبَوْتَ؟ فقال: لا، ولكن أسلمتُ مع رسول الله ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ[2].

أخبرنا عبد الوهاب بن محمد الخطيب، أخبرنا عبد العزيز بن أحمد الخلال، حدثنا أبو العباس الأصم، أخبرنا الربيع، أخبرنا الشافعي، أخبرنا عبد الوهاب بن عبد المجيد الثقفي، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن أبي المهلب، عن عمران بن حصين قال: أسر أصحاب رسول الله ﷺ رجلاً من بني عقيل فأوثقوه، وكانت ثقيف قد أسرت رجلين من أصحاب النبي ﷺ، ففداه رسول الله ﷺ بالرجلين اللذين أسرتهما ثقيف[3].

قوله عز وجل: ﴿حتى تضعَ الحربُ أوزارَها﴾، أي أثقالها وأحمالها، يعني حتى تضع أهل الحرب السلاح، فيمسكوا عن الحرب.

وأصل «الوزر»: ما يحتملُ الإنسانُ، فسمى الأسلحة أوزاراً لأنها تحمل.

وقيل: «الحرب» هم المحاربون، كالشرب والركب.

وقيل: «الأوزار» الآثام، ومعناه حتى يضع المحاربون آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم فيؤمنوا بالله ورسوله.

وقيل: حتى تضع حربكم وقتالكم أوزار المشركين وقبائح أعمالهم بأن يسلموا، ومعنى الآية: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر حتى يدخل أهل الملل كلها في الإسلام، ويكون الدين كله لله فلا

(١) مابين القوسين ساقط من «ب».

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب: وفد بني حنيفة: ٨٧/٨، ومسلم في الجهاد والسير، باب: ربط الأسير وحبسه وجواز المن عليه برقم: (١٧٦٤): ١٣٨٦/٣، والمصنف في شرح السنة: ٨٠/١-٨٢.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في النذر، باب: لاوفاء في معصية الله ولا فيما لا يملك العبد برقم: (١٦٤١): ١٢٦٢/٣-١٢٦٣ والمصنف في شرح السنة: ٨٣/١١-٨٥.

﴿مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾﴾

يكون بعده جهاد ولا قتال، وذلك عند نزول عيسى بن مريم عليهما السلام، وجاء في الحديث عن النبي ﷺ: «الجهاد ماضٍ منذ بعثني الله إلى أن يقاتل آخر أمتي الدجال»[1].

وقال الكلبي: حتى يسلموا أو يسالموا.

وقال الفراء: حتى لا يبقى إلا مسلم أو مسالِم.

﴿ذلك﴾، الذي ذكرت وبينت من حكم الكفار، ﴿ولو يشاءُ اللّهُ لانتصرَ منهم﴾، فأهلكهم وكفاكم أمرهم بغير قتال، ﴿ولكن﴾، أمركم بالقتال، ﴿ليبلوَ بعضَكم ببعضٍ﴾، فيصير من قتل من المؤمنين إلى الثواب ومن قتل من الكافرين إلى العذاب، ﴿والذين قُتلوا في سبيلِ اللّهِ﴾، قرأ أهل البصرة وحفص: «قُتلوا» بضم القاف وكسر التاء خفيف، يعني الشهداء، وقرأ الآخرون: «قاتلوا» بالألف من المقاتلة، وهم المجاهدون، ﴿فلن يُضِلَّ أعمالَهم﴾، قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أُحد، وقد فشت في المسلمين الجراحات والقتل[2].

﴿سيَهديْهِم﴾، أيام حياتهم في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الدرجات، ﴿ويُصلحُ بالهم﴾، يرضي خصماءَهم ويقبل أعمالهم.

﴿ويدخلُهم الجنّةَ عرَّفَها لهم﴾، أي بيّن لهم منازلهم في الجنة حتى يهتدوا إلى مساكنهم لا يخطؤون ولا يستدلون عليها أحداً كأنهم سكانها منذ خلقوا، فيكون المؤمن أهدى إلى درجته، وزوجته وخدمه منه إلى منزله وأهله في الدنيا، هذا قول أكثر المفسرين.

وروى عطاء عن ابن عباس: «عرفها لهم» أي طيبها لهم، من العَرْف، وهو الريح الطيبة، وطعام

---

(١) قطعة من حديث أخرجه أبو داود في الجهاد، باب الغزو مع أئمة الجور: ٣٨٠/٣، وسعيد بن منصور في السنن برقم (٢٣٦٧) ١٤٣/٢ عن أنس بن مالك.
قال المنذري: «والراوي عن أنس: يزيد بن أبي نُشْبَة، وهو في معنى المجهول. قال ابن حجر في التقريب: نشبة-بضم النون وسكون المعجمة-السُّلمي، مجهول من الخامسة.
وانظر: نصب الراية للزيلعي: ٣٧٧/٣، مجمع الزوائد: ١٠٦/١.

(٢) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٦، وعبد الرزاق في التفسير: ٢٢١/٢، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٤٦١/٧ عزوه لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعۡسًا لَّهُمۡ وَأَضَلَّ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴿٩﴾ أَفَلَمۡ يَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۖ وَلِلۡكَٰفِرِينَ أَمۡثَٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلۡكَٰفِرِينَ لَا مَوۡلَىٰ لَهُمۡ ﴿١١﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يُدۡخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأۡكُلُونَ كَمَا تَأۡكُلُ ٱلۡأَنۡعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثۡوٗى لَّهُمۡ ﴿١٢﴾﴾

معرَّف أي: مطيَّب[1] .

﴿**يا أيها الذين آمنوا إنْ تنصُروا اللّهَ**﴾، أي دينه ورسوله، ﴿**ينصرْكم**﴾، على عدوكم، ﴿**ويثبِّتْ أقدامَكم**﴾، عند القتال .

﴿**والذين كفروا فَتَعْساً لهم**﴾، قال ابن عباس: بُعْداً لهم. وقال أبو العالية: سقوطاً لهم. وقال الضحاك: خيبةً لهم. وقال ابن زيد: شقاءً لهم. قال الفراء: هو نصبٌ على المصدر، على سبيل الدعاء. وقيل: في الدنيا العثرة، وفي الآخرة التردي في النار. ويقال للعاثر: تعساً إذا لم يريدوا قيامه، وضده **لعاً إذا أرادوا قيامه**[2]، ﴿**وأضلّ أعمالهم**﴾، **لأنها كانت في طاعة الشيطان** .

﴿**ذلك**﴾ التعس والإضلال، ﴿**بأنّهم كرهوا ما أنزلَ اللهُ فأحبطَ أعمالَهم**﴾.

ثم خوّف الكفار فقال: ﴿أفلمْ يسيروا في الأرض فينظروا كيفَ كانَ عاقبةُ الذين من قبلهم دمّرَ الله عليهم﴾، أي أهلكهم، ﴿وللكافرين أمثالُها﴾، إن لم يؤمنوا، يتوعد مشركي مكة .

﴿**ذلك**﴾، الذي ذكرت، ﴿**بأن اللّهَ مولى الذين آمنوا**﴾، وليهم وناصرهم، ﴿**وأن الكافرين** ١٢٧/أ
لا مولى لهم﴾/، لا ناصر لهم. ثم ذكر مآل الفريقين فقال: .

﴿**إنّ اللهَ يُدخِلُ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ والذين كفروا يتمتعون**﴾، في الدنيا، ﴿**ويأكلون كما تأكُل الأنعام**﴾، ليس لهم همة إلّا بطونهم وفروجهم، وهم لاهـون ساهون عمّا في غد، قيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع، ﴿**والنارُ مثوىً لهم**﴾ .

(١) انظر: القرطبي: ١٦/٢٣١ .
(٢) انظر: لسان العرب ، مادة «تعس»: ٦/٣٢ .

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾
أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى
وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ
لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ

﴿**وكأيِّن من قريةٍ هي أشدُّ قوةً من قريتك التي أخرجتْك**﴾، أي أخرجك أهلها، قال ابن عباس: كم رجال هم أشد من أهل مكة؟ يدل عليه قوله: ﴿**أهلكناهم**﴾، ولم يقل: أهلكناها، ﴿**فلا ناصرَ لهم**﴾، قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ من مكة إلى الغار التفت إلى مكة وقال: «أنت أحبّ بلاد الله إلى الله وأحبّ بلاد الله إليّ ولو أن المشركين لم يخرجوني لم أخرج منك» فأنزل الله هذه الآية[1].

﴿**أفمَنْ كان على بيّنةٍ من ربِّهِ**﴾، يقين من دينه، محمدٌ والمؤمنون، ﴿**كمَنْ زُيّن له سوءُ عملِهِ واتّبعوا أهواءَهم**﴾، يعني عبادة الأوثان، وهم أبو جهل والمشركون.

﴿**مَثَلُ الجنةِ التي وُعدَ المتقون**﴾، أي صفتها، ﴿**فيها أنهارٌ من ماءٍ غيرِ آسِنٍ**﴾، آجن متغير منتن، قرأ ابن كثير «أسِن» بالقصر، والآخرون بالمد، وهما لغتان يقال: أسن الماء يأسن أسناً، وأجن يأجن، أسوناً وأجوناً، إذا تغير، ﴿**وأنهارٌ من لبنٍ لم يتغيّر طعمُه وأنهارٌ من خمرٍ لذةٍ**﴾، [لذيذة][2]، ﴿**للشاربين**﴾، لم تدنسها الأرجل ولم تدنسها الأيدي، ﴿**وأنهارٌ من عسلٍ مصفًّى**﴾.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، أخبرنا أبو أسامة وعبد الله بن نمير وعلي بن مسهر، عن عبيد الله بن عمر، عن خُبيب بن عبد الرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيحان وجيحان والنيل والفرات كلٌّ من أنهار الجنة»[3].

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة، ونهر الفرات نهر لبنهم، ونهر مصر نهر

(١) أخرجه الطبري: ٢٦/٤٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٤٦٣ أيضاً لعبد بن حميد، وأبي يعلى، وابن أبي حاتم وابن مردويه. وانظر: علل الحديث لابن أبي حاتم: ١/٢٨٠.
(٢) زيادة من «ب».
(٣) أخرجه مسلم في الجنة، باب ما في الدنيا من أنهار الجنة برقم (٢٨٣٩) ٤/٢٦٨٣.

هُوَ خَٰلِدٞ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمٗا فَقَطَّعَ أَمۡعَآءَهُمۡ ﴿١٥﴾ وَمِنۡهُم مَّن يَسۡتَمِعُ إِلَيۡكَ حَتَّىٰٓ إِذَا
خَرَجُواْ مِنۡ عِندِكَ قَالُواْ لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ
قُلُوبِهِمۡ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهۡوَآءَهُمۡ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ﴿١٧﴾
فَهَلۡ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأۡتِيَهُم بَغۡتَةٗۖ فَقَدۡ جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ فَأَنَّىٰ لَهُمۡ إِذَا جَآءَتۡهُمۡ
ذِكۡرَىٰهُمۡ ﴿١٨﴾

خمرهم، ونهر سيحان نهر عسلهم، وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر[1].

﴿**وهم فيها من كلِّ الثمراتِ ومغفرةٌ من ربِّهم كمَنْ هو خالدٌ في النار**﴾، أي من كان في هذا النعيم كمن هو خالد في النار، ﴿**وسُقوا ماءً حميماً**﴾، شديد الحر تسعر عليهم جهنم منذ خلقت إذا أُدني منهم شوى وجوههم ووقعت فروة رؤوسهم فإذا شربوه، ﴿**فقطَّعَ أمعاءَهم**﴾، فخرجت من أدبارهم، والأمعاء جميع ما في البطن من الحوايا واحدها معي.

﴿**ومنهم**﴾، يعني من هؤلاء الكفار، ﴿**مَنْ يستمعُ إليك**﴾، وهم المنافقون، يستمعون قولك فلا يعونه ولا يفهمونه، تهاوناً به وتغافلاً، ﴿**حتى إذا خرجوا من عندِك**﴾، يعني فإذا خرجوا من عندك، ﴿**قالوا للذين أُوتوا العلم**﴾، من الصحابة: ﴿**ماذا قال**﴾، محمد، ﴿**آنِفاً**﴾؟ يعني الآن، هو من الائتناف ويقال: ائتنفت الأمر أي ابتدأته وأنف الشيء أوله.

قال مقاتل: وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب ويعيب المنافقين، فإذا خرجوا من المسجد سألوا عبد الله بن مسعود استهزاءً: ماذا قال رسول الله ﷺ؟

قال ابن عباس: وقد سئلت فيمن سئل[2].

﴿**أولئك الذين طبعَ اللّهُ على قلوبِهم**﴾، فلم يؤمنوا، ﴿**واتَّبعوا أهواءهم**﴾، في الكفر والنفاق.

﴿**والذين اهتدَوْا**﴾، يعني المؤمنين، ﴿**زادهم**﴾، ما قال الرسول ﷺ، ﴿**هدىً وآتاهم تقواهم**﴾، وفقهم للعمل بما أمرهم به، وهو التقوى، قال سعيد بن جبير: وآتاهم ثواب تقواهم.

﴿**فهل ينظرون إلّا الساعةَ أن تأتِيَهم بغتةً**﴾.

---

(١) انظر: القرطبي: ١٦/٢٣٧.
(٢) انظر: القرطبي: ١٦/٢٣٨.

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت، حدثنا أبو إسحاق الهاشمي، حدثنا الحسين بن الحسن، حدثنا ابن المبارك، أخبرنا معمر ابن راشد، عمن سمع المقبري يحدث عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ أنه قال: «ما ينتظر أحدكم من الدنيا **إلّا غنىً** مطغياً، أو فقراً مُنسياً، أو مرضاً مُفسداً، أو **هرماً مُفَنِّداً**، أو موتاً مجهزاً، أو الدجال فالدجال شر غائب ينتظر، أو الساعة والساعة أدهى **وأمرُّ**»(١).

قوله عزّ وجل: ﴿**فقد جاءَ أشراطُها**﴾، أي أماراتها وعلاماتها، واحدها: شرط، وكان النبي ﷺ من أشراط الساعة.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضل بن سليمان، حدثنا أبو حازم، حدثنا سهل ابن سعد قال: رأيتُ النبي ﷺ قال بأصبعيه هكذا، بالوسطى والتي تلي الإبهام: «بُعثتُ أنا والساعة كهاتين»(٢).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمر الحوضي، حدثنا هشام، عن قتادة، عن أنس قال: لأحدثنّكم بحديث سمعته من رسول الله ﷺ لا يحدثنكم به أحد غيري، سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن من أشراط الساعة أن يرفع العلم، ويكثر الجهل، ويكثر الزنا، ويكثر شرب الخمر، ويقلّ الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد»(٣).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن سنان، حدثنا فليح، حدثني هلال بن علي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما النبي ﷺ في مجلس يحدث القوم إذْ جاءه أعرابي فقال: متى الساعة؟ فمضى رسول الله ﷺ يحدث، فقال بعض/القوم: سمع ما قال فكره ما قال: وقال ١٢٧/ب
بعضهم: بل لم يسمع حتى إذا قضى حديثه، قال: أين السائل عن الساعة؟ قال: ها أنا يا رسول

---

(١) أخرجه الحاكم: ٤/٣٢٠-٣٢١ وقال: إن كان معمر بن راشد سمع من المقبري فالحديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٢٤-٢٢٥ وقال مخرجه: «إسناده ضعيف لجهالة الواسطة بين معمر بن راشد وسعيد المقبري».

(٢) أخرجه البخاري في التفسير (تفسير سورة النازعات) ٨/٦٩١، ومسلم في الفتن، باب قرب الساعة برقم: (٢٩٥٠): ٤/٢٢٦٨، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٩٨.

(٣) أخرجه البخاري في العلم، باب رفع العلم وظهور الجهل: ١/١٧٨، ومسلم في العلم، باب رفع العلم وقبضه برقم: (٢٦٧١): ٤/٢٠٥٦، والمصنف في شرح السنة: ١/٣١٥.

﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾﴾

الله، قال: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة». قال: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وُسِدَ الأمرُ إلى غير أهله فانتظر الساعة»[١].

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فأنّى لهم إذا جاءتْهم ذكراهم**﴾، فمن أين لهم التذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ نظيره: «يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى» (الفجر - ٢٣).

قوله عز وجل: ﴿**فاعْلم أنه لا إلهَ إلّا الله**﴾، قيل: الخطاب مع النبي ﷺ والمراد به غيره، وقيل: معناه فاثبتْ عليه. وقال الحسين بن الفضل: فازددْ علماً على علمك. وقال أبو العالية وابن عيينة: هو متصل بما قبله معناه: إذا جاءتهم الساعة فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيامها إلّا إلى الله. وقيل: فاعْلمْ أنه لا إله إلا الله، أن الممالك تبطل عند قيامها، فلا ملك ولا حكم لأحد إلا لله، ﴿**واستغفرْ لذنبك**﴾، أمر بالاستغفار مع أنه مغفور له لتستنَّ به أمته.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور السمعاني، أخبرنا أبو جعفر الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أبي بردة، عن الأغر المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه ليغان على قلبي، وإنّي لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة»[٢].

قوله عز وجل: ﴿**وللمؤمنين والمؤمنات**﴾، هذا إكرام من الله تعالى لهذه الأمة حيث أمر نبيهم ﷺ أن يستغفر لذنوبهم وهو الشفيع المجاب فيهم، ﴿**والله يعلمُ متقلَّبَكُم ومثواكُم**﴾، قال ابن عباس والضحاك: «متقلبكم» متصرفكم [ومنتشركم في أعمالكم في الدنيا، «ومثواكم» مصيركم في الآخرة إلى الجنة أو إلى النار.

وقال مقاتل وابن جرير: «متقلبكم» منصرفكم][٣] لأشغالكم بالنهار، «ومثواكم» مأواكم إلى مضاجعكم بالليل.

---

(١) أخرجه البخاري في العلم، باب: من سُئل علماً وهو مشتغل في حديثه فأتم الحديث ثم أجاب السائل: ١/١٤١-١٤٢.

(٢) أخرجه مسلم في الذكر والدعاء والتوبة، باب الاستغفار واستحباب الاستغفار والاستكثار منه برقم: (٢٧٠٢): ٤/٢٠٧٥، والمصنف في شرح السنة ٥/٧٠.

(٣) ما بين القوسين ساقط من «أ».

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾

وقال عكرمة: «متقلبكم» من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات. **«ومثواكم» مقامكم في** الأرض.

وقال ابن كيسان: «متقلبكم» من ظهر إلى بطن، «ومثواكم» مقامكم في القبور.

والمعنى: أنه عالم بجميع أحوالكم فلا يخفى عليه شيء منها.

﴿ويقول الذين آمنوا﴾، حرصاً منهم على الجهاد: **﴿لولا نُزِّلَتْ سورةٌ﴾**، تأمرنا بالجهاد، **﴿فإذا أُنزلتْ سورةٌ محكَمةٌ وذُكِرَ فيها القتالُ﴾**، قال قتادة: كل سورة ذُكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي أشد القرآن على المنافقين، **﴿رأيتَ الذين في قلوبهم مرضٌ﴾**، يعني المنافقين، **﴿ينظرون إليكَ﴾**، شزراً بتحديق شديد، كراهية منهم للجهاد وجبناً عن لقاء العدو، **﴿نظرَ المغشيِّ عليه من الموتِ﴾**، كما ينظر الشاخص بصره عند الموت، **﴿فأَوْلَى لهم﴾**، وعيد وتهديد، ومعنى قولهم في التهديد: «أولى لك» أي: وَلِيَك وقاربك ما تكره.

ثم قال: **﴿طاعةٌ وقولٌ معروفٌ﴾**، وهذا ابتداء محذوف الخبر، تقديره: طاعة، وقول معروف أمثل، أي لو أطاعوا وقالوا قولاً معروفاً كان أمثل وأحسن.

وقيل: مجازه: يقول هؤلاء المنافقون قبل نزول السورة المحكمة: طاعةٌ، رفع على الحكاية أي أمرنا طاعة أو **منّا طاعة**، «وقول معروف»: حسن.

وقيل: هو متصل بما قبله، واللام في قوله: «لهم» بمعنى الباء، مجازه: فأولى بهم طاعة الله ورسوله، وقول معروف بالإجابة، أي لو أطاعوا كانت الطاعة والإجابة أولى بهم، وهذا معنى قول ابن عباس في رواية عطاء.

﴿فإذا عزمَ الأمرُ﴾، أي جدَّ الأمر ولزم فرض القتال وصار الأمر معزوماً، **﴿فلو صَدَقُوا اللهَ﴾**، في إظهار الإيمان والطاعة، **﴿لكانَ خيراً لهم﴾**، وقيل: **جواب «إذا»** محذوف تقديره فإذا عزم الأمر نكلوا وكذبوا فيما وعدوا ولو صدقوا الله لكان خيراً لهم.

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ﴾

﴿**فهل عسَيْتم**﴾، فلعلكم، ﴿**إِنْ تولَّيتُم**﴾، أعرضتم عن القرآن وفارقتم أحكامه، ﴿**أَنْ تُفسدوا في الأرض**﴾، تعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية فتفسدوا في الأرض بالمعصية والبغي وسفك الدماء، وترجعوا إلى الفرقة بعد ما جمعكم الله بالإسلام. ﴿**وتُقطّعوا أرحامَكم**﴾، قرأ يعقوب: «**وتَقْطَعُوا**» بفتح التاء خفيف، والآخرون بالتشديد و«**تقطّعوا**» من **التقطيع**، على **التكثير**، لأجل الأرحام، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن كتاب الله ألم يسفكوا الدم الحرام، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ **وقال بعضهم**: هو من الولاية. وقال المسيب بن شريك والفراء: يقول فهل عسيتُم إنْ وُليتم أمر الناس أن تفسدوا في الأرض بالظلم، نزلت في بني أمية وبني هاشم[1]، يدل عليه قراءة علي بن أبي طالب «تُوُلِيتم» بضم التاء والواو وكسر اللام، يقول: إن وليتكم **ولاة جائرة** خرجتم معهم في الفتنة **وعاونتموهم**.

﴿**أولئكَ الـذين لَعَنَهمُ اللّهُ فأصمَّهم وأعمى أبصارَهم**﴾، عن الحق.

﴿**أفلا يتدبرون القرآن أمْ على قلوبٍ أقفالُها**﴾، فلا تفهم مواعظ القرآن وأحكامه، و«أم» بمعنى «بل».

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أنبأني عقيل بن محمد، أخبرنا المعافَى بن زكريا، أخبرنا محمد بن جرير، حدثنا بشر، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا هشام بن عروة عن أبيه قال: تلا رسول الله ﷺ: «أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها» فقال **شابٌّ** من أهل اليمن: بل على قلوب أقفالها حتى يكون الله يفتحها أو يفرجها، فما زال الشابُّ في نفس عمر حتى وُلّي فاستعان به[2].

﴿**إنّ الذين ارتدُّوا على أدبارِهم**﴾، رجعوا كفاراً، ﴿**من بعدِ ما تبيّنَ لهمُ الهدى**﴾، قال قتادة: هم كفار أهل الكتاب كفروا/بمحمد ﷺ بعد ما عرفوه ووجدوا نعته في كتابهم. ١٢٨/أ

---

(١) انظر: البحر المحيط: ٨٢/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٦.

ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ
كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ
﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ
أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ
﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ وَٱللَّهُ

وقال ابن عباس، والضحاك، والسدي: هم المنافقون[1] .

﴿الشيطانُ سَوَّلَ لهم﴾، زين لهم القبيح، ﴿وأملي لهم﴾، قرأ أهل البصرة بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء على ما لم يسمَّ فاعله، وقرأ مجاهد بإرسال[2] الياء على وجه الخبر من الله عزّ وجلّ عن نفسه أنه يفعل ذلك، وتروى هذه القراءة عن يعقوب، وقرأ الآخرون: ﴿وأملَىٰ لهم﴾ بفتح الألف، أي: وأملى الشيطان لهم، مدّ لهم في الأمل .

﴿ذلك بأنهم﴾، يعني المنافقين أو اليهود، ﴿قالوا للذين كرِهُوا ما نزّلَ اللّهُ﴾، وهم المشركون، ﴿سنُطيعُكم في بعضِ الأمرِ﴾، في التعاون عل عداوة محمد ﷺ والقعود عن الجهاد، وكانوا يقولونه سراً فأخبر الله تعالى عنهم، ﴿واللّهُ يعلمُ إسرارَهم﴾، قرأ أهل الكوفة غير أبي بكر: بكسر الهمزة، على المصدر، والباقون بفتحها على جمع السر .

﴿فكيف إذا توفّتْهم الملائكةُ يضربون وجوهَهم وأدبارَهم * ذلك﴾، الضرب، ﴿بأنّهم اتّبعُوا ما أسخطَ اللّهَ﴾، قال ابن عباس: بما كتموا من التوراة وكفروا بمحمد ﷺ، ﴿وكرهوا رضوانَهُ﴾، كرهوا ما فيه رضوان الله، وهو الطاعة والإيمان. ﴿فأحبطَ أعمالَهم﴾ .

﴿أم حسِبَ الذين في قلوبِهم مرضٌ﴾، يعني المنافقين، ﴿أن لنْ يُخرجَ اللّهُ أضغانَهم﴾، لن يظهر أحقادهم على المؤمنين فيبديها حتى يعرفوا نفاقهم، واحدها: «ضغن»، قال ابن عباس: حسدهم .

﴿ولو نشاءُ لأريناكَهم﴾، أي لأعلمناكهم وعرَّفناكهم، ﴿فلَعَرفتَهم بسيماهم﴾، بعلامتهم،

(١) انظر: القرطبي: ٢٤٩/١٦ .

(٢) في الأصل «بسكون» وصححت في الهامش (بإرسال) .

يَعۡلَمُ أَعۡمَٰلَكُمۡ ﴿٣٠﴾ وَلَنَبۡلُوَنَّكُمۡ حَتَّىٰ نَعۡلَمَ ٱلۡمُجَٰهِدِينَ مِنكُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبۡلُوَاْ
أَخۡبَارَكُمۡ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ

قال الزجاج: المعنى: لو نشاء لجعلنا على المنافقين علامة تعرفهم بها.

قال أنس: ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين، كان يعرفهم بسيماهم[1].

﴿ولتعرفنّهم في لَحْنِ القولِ﴾، في معناه ومقصده.

«واللحن»: وجهان صواب وخطأ، فالفعل من الصواب: لَحِنَ يَلْحَنُ لَحْناً فهو لَحِنٌ إذا فطن للشيء، ومنه قول النبي ﷺ: «ولعلّ بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض»[2].
والفعل من الخطأ لَحَنَ يَلْحَنُ لَحْناً **فهو لاَحِنٌ.** والأصل فيه: إزالة الكلام عن جهته.

والمعنى: إنك تعرفهم فيما يعرضون به من تهجين أمرك وأمر المسلمين والاستهزاء بهم، فكان بعد هذا لا يتكلم منافق عند النبي ﷺ إلا عرفه بقوله، ويستدل بفحوى كلامه على فساد دخيلته.

﴿واللهُ يعلمُ أعمالَكم﴾.

﴿ولَنبلُونّكم﴾، ولنعاملنكم معاملة المختبر بأن نأمركم بالجهاد والقتال، **﴿حتى نعلمَ المجاهدين منكم والصابرين﴾**، أي: علم الوجود، يريد: حتى يتبين المجاهد والصابر على دينه من غيره، **﴿ونبلوَ أخبارَكم﴾**، أي نظهرها ونكشفها بإباء من يأبى القتال، ولا يصبر على الجهاد.

وقرأ أبو بكر عن عاصم: «وليبلونكم حتى يعلم»، ويبلو بالياء فيهن، لقوله تعالى: [«والله يعلم أعمالكم»، وقرأ الآخرون بالنون فيهن، لقوله تعالى][3] «ولو نشاءُ لأريناكهم»، وقرأ يعقوب: «ونبلوا» ساكنة الواو، رداً على قوله: «ولنبلونكم» وقرأ الآخرون بالفتح رداً على قوله: «حتى نعلم».

﴿إنّ الذين كفروا وصدُّوا عن سبيلِ اللهِ وشاقُّوا الرسولَ من بعدِ ما تبينَ لهمُ الهدى لن يضرُّوا اللهَ شيئاً﴾، إنما يضرون أنفسهم، **﴿وسيُحبِطُ أعمالَهم﴾**، فلا يرون لها ثواباً في الآخرة،

---

(١) انظر: القرطبي: ٢٥٢/١٦.
(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الشهادات، باب من أقام البينة بعد اليمين. ٢٨٨/٥، ومسلم في الأقضية، باب: الحكم بالظاهر واللحن بالحجة برقم: (١٧١٣): ١٣٣٧/٣.
(٣) مابين القوسين ساقط من «أ».

مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا
عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ
وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هم المطعمون يوم بدر، نظيرها قوله عزّ وجلّ: «إنّ الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن سبيل الله» (الأنفال - ٣٦) الآية .

﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا اللّهَ وأطيعوا الرسولَ ولا تُبطلُوا أعمالَكم﴾، قال عطاء: بالشك والنفاق، وقال الكلبي: بالرياء والسمعة. وقال الحسن: بالمعاصي والكبائر .

وقال أبو العالية: كان أصحاب رسول الله ﷺ يرون أنه لا يضر مع الإخلاص ذنب كما لا ينفع مع الشرك عمل، فنزلت هذه الآية فخافوا الكبائر بعده أن تحبط الأعمال(١) .

وقال مقاتل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطلوا أعمالكم، نزلت في بني أسد، وسنذكره في سورة الحجرات إن شاء الله تعالى .

﴿إن الذين كفروا وصدوا عن سبيلِ اللّهِ ثم ماتوا وهم كفارٌ فلنْ يغفرَ اللّهُ لهم﴾، قيل: هم أصحاب القليب. وحكمها عام .

﴿فلا تَهِنُوا﴾، لا تضعفوا ﴿وتدعوا إلى السَّلْمِ﴾، أي لا تدعوا إلى الصلح ابتداء، منع الله المسلمين أن يدعوا الكفار إلى الصلح، وأمرهم بحربهم حتى يسلموا، ﴿وأنتم الأَعْلَوْن﴾، الغالبون، قال الكلبي: آخر الأمر لكم وإن غلبوكم في بعض الأوقات، ﴿واللّهُ معكم﴾، بالعون والنصرة، ﴿ولن يَتِرَكم أعمالكم﴾، لن ينقصكم شيئاً من ثواب أعمالكم، يقال: وتره يتره وتراً وتِرَةً: إذا نقص حقه، قال ابن عباس، وقتادة، ومقاتل والضحاك: لن يظلمكم أعمالكم الصالحة بل يؤتيكم أجورها . ثم حضَّ على طلب الآخرة فقال: .

﴿إنّما الحياةُ الدنيا لعبٌ ولهوٌ﴾، باطل وغرور، ﴿وإن تؤمنوا وتتقوا﴾، الفواحش، ﴿يؤتِكم

(١) أخرجه محمد بن نصرالمروزي في تعظيم قدر الصلاة: ٢/٦٤٦، وإسناده ضعيف، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٠٤-٥٠٥ لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم عن أبي العالية .

وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن
يَسْأَلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَا أَنتُمْ هَٰؤُلَاءِ
تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا
يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا
غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُم ﴿٣٨﴾

﴿أجورَكم﴾، جزاء أعمالكم في الآخرة، **﴿ولا يسألْكم﴾**، ربكم، **﴿أموالَكم﴾**، لإيتاء الأجر بل يأمركم بالإيمان والطاعة ليثيبكم عليها الجنة، نظيره قوله: «ما أريد منهم من رزق» (الذاريات – ٥٧)، وقيل: لا يسألكم محمدٌ أموالكم، نظيره: «قلْ ما أسألكم عليه من أجر» (الفرقان – ٥٧) .

وقيل: معنى الآية: لا يسألكم الله ورسوله أموالكم كلها في الصدقات، إنما يسألانكم غيضاً من فيض، ربع العشر فطيبوا بها نفساً. وإلى هذا القول ذهب ابن عُيينة، يدل عليه/سياق الآية: **﴿إنْ يسألْكُموها فيُحْفِكم﴾**، أي يجهدكم ويلحف عليكم بمسألةِ جميعها، يقال: أحفى فلان فلاناً إذا جهده، وألحف عليه بالمسألة . ١٢٨/ب

﴿تبخلوا﴾، بها فلا تعطوها .

﴿ويُخرجْ أضغانَكم﴾، بغضكم وعداوتكم، قال قتادة: علم الله أن في مسألة الأموال خروج الأضغان .

﴿ها أنتم هؤلاء تُدْعَوْن لِتُنفقوا في سبيلِ اللّهِ﴾، يعني إخراج ما فرض الله عليكم، **﴿فمنكم من يبخلُ﴾**، بما فرض عليه من الزكاة، **﴿ومَنْ يبخلْ فإنما يبخلُ عن نفسِهِ واللّهُ الغني﴾**، عن صدقاتكم وطاعتكم، **﴿وأنتمُ الفقراءُ﴾**، إليه وإلى ما عنده من الخير . **﴿وإنْ تتولَّوْا يستبدِلْ قوماً غيرَكم ثم لا يكونوا أمثالَكم﴾**، بل يكونوا أمثل منكم وأطوع لله منكم .

قال الكلبي: هم كندة والنخعُ، وقال الحسن: هم العجم. وقال عكرمة: فارس والروم .

أخبرنا أبو بكر أحمد بن أبي نصر الكوفاني، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عمر، حدثنا إسحاق النجيبي المصري المعروف بابن النحاس، أخبرنا أبو الطيب الحسن بن محمد الرياش، حدثنا يونس بن عبد الأعلى، حدثنا ابن وهب، حدثنا مسلم بن خالد، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن

أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ تلا هذه الآية: «وإن تتولوا يستبدل قوماً غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم»، قالوا: يا رسول الله من هؤلاء الذين إن تولينا استبدلوا بنا ثم لا يكونوا أمثالنا؟ فضرب على فخذ سلمان الفارسي ثم قال: «هذا وقومه، ولو كان الدين عند الثريا لتناوله رجال من الفرس»[1].

(1) أخرجه الترمذي في التفسير (تفسير سورة محمد) ٩/١٤٥ وقال: «هذا حديث غريب، وفي إسناده مقال، وقد روى عبد الله ابن جعفر أيضاً هذا الحديث عن العلاء بن عبد الرحمن»، والطبري: ٢٦/٦٦-٦٧، والحاكم: ٢/٤٥٨ وصححه، وعبد الرزاق في المصنف: ١١/٦٦، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٢٠٠.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٠٦ لعبد بن حميد وابن أبي حاتم، والطبراني في الأوسط، والبيهقي في الدلائل.

سُورَةُ الفَتْحِ

سورة الفتح

مدنية[1]

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا أبو علي زاهر بن أحمد السرخسي، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان يسير مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره فسأله عمر عن شيء فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر: ثكلتك أمك يا عمر نَزَّرتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات، كل ذلك لا يجيبك، قال عمر فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس، وخشيت أن ينزل فيّ قرآن، فما لبثت أن سمعت صارخاً يصرخ بي، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد أُنزلت علي الليلة سورة لهي أحبّ إليّ مما طلعتْ عليه الشمس، ثم قرأ: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لكَ اللَّهُ ما تقدّم من ذنبك وما تأخر»[2].

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو عمر بكر بن محمد المزني، حدثنا أبو بكر محمد ابن عبد الله حفيد العباس بن حمزة، حدثنا الحسين بن الفضل البجلي، حدثنا عفان، حدثنا همام، حدثنا قتادة، حدثنا أنس قال: نزلت على النبي ﷺ: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً» إلى آخر الآية، مَرْجِعَه من الحديبية وأصحابه مخالطهم الحزن والكآبة، فقال: «نزلت علي آية هي أحب إلي من الدنيا جميعاً»، فلما تلاها نبي الله ﷺ قال رجل من القوم: هنيئاً مريئاً قد بيّن الله لك ما يفعل بك، فماذا يفعل بنا؟ فأنزل الله الآية التي بعدها: «ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الأنهار»، حتى ختم الآية[3].

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٠٧/٧ لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية...: ٤٥٢/٧ ومعنى « نزَّرت »: الحَثّ.

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية...: ٧/٤٥٠-٤٥١، ومسلم في الجهاد، باب صلح الحديبية برقم: (١٧٨٦): ١٤١٣/٣، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٢/١٤.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾

بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿إنا فتحْنا لك فتْحاً مُبيناً﴾، اختلفوا في هذا الفتح: روي عن أبي جعفر الرازي عن قتادة عن أنس: **أنه فتح مكة، وقال مجاهد: فتح خيبر**[1].

والأكثرون على أنه صلح **الحديبية**[2].

ومعنى الفتح فتح المنغلق، والصلح مع المشركين بالحديبية كان متعذراً حتى فتحه الله عزّ وجلّ. ورواه شعبة عن قتادة عن أنس: «إنّا فتحنا لك فتحاً مبيناً»، قال: الحديبية.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبيد الله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: تعدون أنتم الفتح فتح مكة، وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعد الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية كنّا مع النبي ﷺ أربع عشرة مائة، والحديبية بئر، فنزحناها فلم نترك فيها قطرة، فبلغ ذلك النبي ﷺ فأتاها فجلس على شفيرها، ثم دعا بإناء من ماء فتوضأ ثم تمضمض ودعا ثم صبّه فيها فتركناها غير بعيد، ثم إنها أصدرتنا ما شئنا نحن **وركابنا**[3].

وقال الشعبي في قوله: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»، قال: فتح الحديبية، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وأُطعموا نخل خيبر، وبلغ الهدي محله، وظهرت الروم على فارس، ففرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على **المجوس**[4].

قال الزهري: لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، أسلم في ثلاث سنين خلق كثير، وكثر بهم سواد **الإسلام**[4].

قوله عزّ وجلّ: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»، أي قضينا لك قضاءً بيناً. وقال الضحاك: إنا

---

(١) في الدر المنثور: ٥٠٨/٧ عن أنس.
(٢) انظر: البحر المحيط: ٨٩/٨.
(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية...: ٤٤١/٧.
(٤) انظر: البحر المحيط: ٨٩/٨، الدر المنثور: ٥١٠/٧.

﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا﴾

فتحنا لك فتحاً مبيناً بغير قتال، وكان الصلح من الفتح.

قيل: اللام في قوله: «ليغفر» لام كي، معناه: إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً لكي يجتمع لك مع المغفرة تمام النعمة في الفتح.

وقال الحسين بن الفضل: هو مردود إلى قوله: «واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات» (محمد - ١٩) «ليغفرَ لكَ اللَّهُ ما تقدّم من ذنبك وما تأخّر»، و«ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات» الآية.

وقال محمد بن جرير: هو راجع إلى قوله: «إذا جاء نصر الله والفتح * ورأيت الناس يدخلون
١٢٩/أ في دين الله أفواجاً* فسبحْ بحمد ربِّك واستغفرهُ»(النصر: ١ -٣) ليغفر لك/الله ما تقدم من ذنبك في الجاهلية قبل الرسالة، وما تأخر إلى وقت نزولِ هذه السورة[١].

وقيل: «ما تأخر» مما يكون، وهذا على طريقة من يجوز الصغائر على الأنبياء[٢].

---

(١) انظر: الطبري: ٦٨/٢٦..

(٢) قال القرطبي: ٣٠٨/١-٣٠٩ «واختلف العلماء في هذا الباب هل وقع من الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين- صغائر من الذنوب يؤاخذون بها ويعاتبون عليها أم لا؟ بعد اتفاقهم على أنهم معصومون من الكبائر ومن كل رذيلة فيها شيْن ونقص إجماعاً عند القاضي أبي بكر، وعند الأستاذ أبي إسحاق أن ذلك مقتضى دليل المعجزة، وعند المعتزلة أن ذلك مقتضى دليل العقل على أصولهم، فقال الطبري وغيره من الفقهاء والمتكلمين والمحدِّثين: تقع الصغائر منهم. خلافاً للرافضة حيث قالوا: إنهم معصومون من جميع ذلك، واحتجوا بما وقع من ذلك في التنزيل وثبت من تنصلهم من ذلك في الحديث، وهذا ظاهر لاخفاء فيه.

وقال جمهور من الفقهاء من أصحاب مالك وأبي حنيفة والشافعي: إنهم معصومون من الصغائر كلها كعصمتهم من الكبائر أجمعها، لأنا أمرنا باتباعهم في أفعالهم وآثارهم وسيَرهم أمراً مطلقاً من غير التزام قرينة، فلو جوزنا عليهم الصغائر لم يمكن الاقتداء بهم، إذ ليس كل فعل من أفعالهم يتميز مقصده من القربة والإباحة أو الحظر أو المعصية، ولا يصح أن يؤمر المرء بامتثال أمر لعله معصية، لاسيما على من يرى تقديم الفعل على القول إذا تعارضا من الأصوليين.

قال الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني: واختلفوا في الصغائر، والذي عليه الأكثر أن ذلك غير جائز عليهم، وصار بعضهم إلى تجويزها، ولا أصل لهذه المقالة.

وقال بعض المتأخرين ممن ذهب إلى القول الأول: الذي ينبغي أن يقال: إن الله تعالى قد أخبر بوقوع ذنوب من بعضهم ونسبها إليهم وعاتبهم عليها، وأخبروا بها عن نفوسهم وتنصلوا منها وأشفقوا منها وتابوا، وكل ذلك ورد في مواضع كثيرة لايقبل التأويل جملتها وإن قبل ذلك آحادها، وكل ذلك مما لا يُزري بمناصبهم، وإنما تلك الأمور التي وقعت منهم على جهة الندور وعلى جهة الخطأ والنسيان، أو تأويل دعا إلى ذلك فهي بالنسبة إلى غيرهم حسنات وفي حقهم سيئات بالنسبة إلى مناصبهم وعلو أقدارهم إذ قد يؤاخذ الوزير بما يثاب عليه السائس، فأشفقوا من ذلك في موقف القيامة مع علمهم بالأمن والأمان والسلامة. قال: وهذا هو الحق. ولقد أحسن الجُنيد حيث قال: حسنات الأبرار سيئات المقربين. منهم- صلوات الله وسلامه عليهم-وإن كان قد شهدت النصوص بوقوع ذنوب منهم فلم يُخِلَّ ذلك بمناصبهم ولا قدح في رُتبهم، بل قد=

﴿مُّسْتَقِيمًا ۝٢ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَـٰنًا مَّعَ إِيمَـٰنِهِمْ ۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ﴾

وقال سفيان الثوري: «ما تقدم» ممّا عملت في الجاهلية، «وما تأخر»: كل شيء لم تعمله، ويذكر مثل ذلك على طريق التأكيد، كما يقال أعطى من رآه ومن لم يره، وضرب من لقيه ومن لم يلقه.

وقال عطاء الخراساني: «ما تقدم من ذنبك»: يعني ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك، «وما تأخر» ذنوب أمتك بدعوتك[1].

﴿ويتمَّ نعمَته عليك﴾، بالنبوة والحكمة، **﴿ويهديَك صراطاً مستقيماً﴾**، أي يثبتك عليه، والمعنى ليجتمع لك مع الفتح تمام النعمة بالمغفرة والهداية إلى الصراط المستقيم وهو الإسلام. وقيل: ويهديك أي يهدي بك.

﴿وينصُرَك الله نصْراً عزيزاً﴾ غالباً. وقيل: معزاً.

﴿هو الذي أنزَل السكينةَ﴾، الطمأنينة والوقار، **﴿في قلوبِ المؤمنين﴾**، لئلا تنزعج نفوسهم لما يرد عليهم. قال ابن عباس: كل سكينة في القرآن فهي طمأنينة إلا التي في سورة البقرة، **﴿ليزدادوا إيماناً مع إيمانِهم﴾**.

قال ابن عباس: بعث الله رسوله بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدَّقوه زادهم الصلاة ثم الزكاة ثم الصيام ثم الحج ثم الجهاد، حتى أكمل لهم دينهم[2]، فكلما أمروا بشيء فصدقوه ازدادوا تصديقاً إلى تصديقهم.

وقال الضحاك: يقيناً مع يقينهم.

قال الكلبي: هذا في أمر الحديبية ﷺ صدق الله رسوله الرؤيا بالحق.

﴿ولِلّهِ جنودُ السمواتِ والأرضِ وكان الله عَليماً حكيماً﴾.

= تلافاهم واجتباهم وهداهم ومدحهم وزكاهم واختارهم واصطفاهم، صلوات الله عليهم وسلامه».

(١) انظر: القرطبي: ٢٦٣/١٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٦، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥١٤/٧ عزوه لابن المنذر والطبراني وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.

عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا
وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبَ
ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ
عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ
مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ
أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ
وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا
يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ

﴿لِيُدخلَ المؤمنين والمؤمناتِ جناتٍ تجري من تحتِها الأنهارُ خالدين فيها ويُكَفِّرَ عنهم سيئاتِهم وكان ذلك عند الله فوزاً عظيماً﴾، وقد ذكرنا عن أنس أن الصحابة قالوا لما نزل: «ليغفر لك الله»: هنيئاً مريئاً فما يفعل بنا فنزل: «لِيُدخلَ المؤمنين والمؤمنات جنات» الآية .

﴿ويُعذِّبَ المنافقين والمنافقاتِ والمشركين والمشركات﴾، أهل النفاق بالمدينة وأهل الشرك بمكة، ﴿الظَّانين باللهِ ظَنَّ السَّوْءِ﴾، أن لن ينصر محمداً والمؤمنين، ﴿عليهم دائرةُ السَّوْءِ﴾، بالعذاب والهلاك، ﴿وغضبَ اللَّهُ عليهم ولعنهم وأعدَّ لهم جهنَّمَ وساءتْ مصيراً﴾ .

﴿ولِلّهِ جنودُ السمواتِ والأرضِ وكان اللّهُ عزيزاً حكيماً * إنا أرسلناك شاهداً ومُبشراً ونذيراً * لِتؤمنوا باللهِ ورسولِهِ وتعزِّروه﴾، أي تعينوه وتنصروه، ﴿وتُوَقِّروه﴾، تعظموه وتفخموه هذه الكنايات راجعة إلى النبي ﷺ وها هنا وقف، ﴿وتُسبِّحوه﴾، أي تسبحوا الله يريد تصلوا له، ﴿بُكرة وأصيلاً﴾، بالغداة والعشي، قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «وليؤمنوا، ويعزروه، ويوقروه، ويسبحوه» بالياء فيهن لقوله: «في قلوبِ المؤمنين»، وقرأ الآخرون بالتاء فيهن .

﴿إنَّ الذين يُبايعونك﴾، يا محمد بالحديبية على أن لا يفروا، ﴿إنّما يُبايعونَ اللّهَ﴾، لأنهم باعوا أنفسهم من الله بالجنة .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا حاتم بن إسماعيل، عن يزيد بن أبي عبيد قال: قلت

﴿بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ۝١٠ سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ﴾

لسلمة بن الأكوع: على أي شيء بايعتم رسول الله ﷺ يوم الحديبية؟ قال: على الموت[1].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن يحيى، حدثنا يزيد بن زريع، عن خالد، عن الحكم بن عبد الله بن الأعرج، عن معقل بن يسار، قال لقد رأيتني يوم الشجرة والنبي ﷺ يبايع الناس، وأنا رافع غصناً من أغصانها عن رأسه، ونحن أربع عشرة مائة، قال: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أن لا نفر[2].

قال أبو عيسى: معنى الحديثين صحيح بايعه جماعة على الموت، أي لا نزال نقاتل بين يديك ما لم نقتل، وبايعه آخرون، وقالوا: لا نفر[3].

﴿يدُ اللهِ فوقَ أيديهم﴾، قال ابن عباس رضي الله عنهما: يد الله بالوفاء بما وعدهم من الخير فوق أيديهم.

وقال السدي: كانوا يأخذون بيد رسول الله ﷺ ويبايعونه، ويد الله فوق أيديهم في المبايعة.

قال الكلبي: نعمة الله عليهم في الهداية فوق ما صنعوا من البيعة[4].

﴿فمن نكثَ﴾، نقض البيعة، ﴿فإنما ينكُثُ على نفسِه﴾، عليه وباله، ﴿ومن أوْفَى بما عاهَد عليهُ اللهَ﴾، ثبت على البيعة، ﴿فسيؤتِيه﴾، قرأ أهل العراق «فسيؤتيه» بالياء، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿أجراً عظيماً﴾، وهو الجنة.

﴿سيقولُ لك المخلَّفون من الأعرابِ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد: يعني أعراب غفار ومزينة وجهينة، وأشجع وأسلم، وذلك أن رسول الله ﷺ حين أراد المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً استنفر من حول المدينة من الأعراب وأهل البوادي ليخرجوا معه حذراً من قريش أن يعرضوا له بحرب، أو يصدوه عن البيت، فأحرم بالعمرة وساق معه الهدي ليعلم الناس أنه لا يريد حرباً،

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: ٤٤٩/٧ .
(٢) أخرجه مسلم في الإمارة ، باب استحباب مبايعة الإمام لجيشه عند إرادة القتال، وبيان بيعة الرضوان تحت الشجرة برقم: (١٨٥٦): ١٤٨٣/٣ .
(٣) الترمذي: ٢١٨/٥ .
(٤) انظر: القرطبي: ٢٦٧/٢٦ .

ﭐلۡأَعۡرَابِ شَغَلَتۡنَآ أَمۡوَٰلُنَا وَأَهۡلُونَا فَٱسۡتَغۡفِرۡ لَنَاۚ يَقُولُونَ بِأَلۡسِنَتِهِم مَّا لَيۡسَ فِي
قُلُوبِهِمۡۚ قُلۡ فَمَن يَمۡلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا إِنۡ أَرَادَ بِكُمۡ ضَرًّا أَوۡ أَرَادَ بِكُمۡ نَفۡعَۢاۚ بَلۡ
كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرَۢا ﴿١١﴾ بَلۡ ظَنَنتُمۡ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِلَىٰٓ
أَهۡلِيهِمۡ أَبَدٗا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِي قُلُوبِكُمۡ وَظَنَنتُمۡ ظَنَّ ٱلسَّوۡءِ وَكُنتُمۡ قَوۡمَۢا بُورٗا
﴿١٢﴾ وَمَن لَّمۡ يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ سَعِيرٗا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ

فتثاقل عنه كثير من الأعراب وتخلفوا واعتلوا بالشغل، فأنزل الله تعالى فيهم[1]: «سيقول لك المخلفون من الأعراب» يعني الذين خلفهم الله عزّ وجلّ عن صحبتك، إذا انصرفت إليهم فعاتبهم على التخلف .

﴿**شَغَلَتْنا أموالُنا وأهلُونا**﴾، يعني النساء والذراري، أي لم يكن لنا من يخلفنا فيهم ﴿**فاستغفر لنا**﴾، **تخلّفنا عنك، فكذّبهم الله** عزّ وجلّ فى اعتذارهم، فقال:

﴿**يقولونَ بألسنتِهم ما ليسَ في قلوبِهم**﴾، من أمر الاستغفار، فإنهم لا يبالون استغفر لهم النبي ﷺ أو لا .

﴿**قلْ فمَنْ يملكُ لكم من اللهِ شيئاً إن أرادَ بكم ضراً**﴾، [سوءًا][2]، ﴿**أو أرادَ بكم نفعاً**﴾، قرأ حمزة والكسائي: «ضراً» بضم الضاد، وقرأ الآخرون بفتحها لأنه قابله بالنفع والنفع ضد الضر/، ١٢٩/ب
وذلك أنهم ظنوا أن تخلفهم عن النبي ﷺ يدفع عنهم الضر، ويعجل لهم النفع بالسلامة في أنفسهم وأموالهم، فأخبرهم أنه: إن أراد بهم شيئاً من ذلك لم يقدر أحدٌ على دفعه. ﴿**بل كان اللهُ بما تعملون خبيراً**﴾ .

﴿**بلْ ظننتمُ أن لنْ ينقلبَ الرسولُ والمؤمنون إلى أهليهم أبداً**﴾، أي ظننتم أن العدو يستأصلهم فلا يرجعون، ﴿**وزُيِّنَ ذلك في قلوبكم**﴾، زين الشيطان ذلك الظن في قلوبكم، ﴿**وظننتم ظنَّ السَّوءِ**﴾، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً وأصحابه **أكلة رأس**، فلا يرجعون، فأين تذهبون معه، انتظروا ما يكون من أمرهم. ﴿**وكنتم قوماً بوراً**﴾، هلكى لا تصلحون لخير .

﴿**ومَنْ لم يؤمنْ باللّهِ ورسولِهِ فإنا أعتدْنا للكافرين سعيراً * ولِلّهِ ملكُ السمواتِ والأرضِ**

---

(١) انظر: القرطبي: ٢٦٨/١٦ .
(٢) زيادة من «ب» .

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ يَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلۡمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقۡتُمۡ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأۡخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعۡكُمۡۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُواْ كَلَٰمَ ٱللَّهِۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمۡ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبۡلُۖ فَسَيَقُولُونَ بَلۡ تَحۡسُدُونَنَاۚ بَلۡ كَانُواْ لَا يَفۡقَهُونَ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿١٥﴾ قُل لِّلۡمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلۡأَعۡرَابِ سَتُدۡعَوۡنَ إِلَىٰ قَوۡمٍ أُوْلِي بَأۡسٖ شَدِيدٖ تُقَٰتِلُونَهُمۡ أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ

يغفرُ لمَنْ يشاءُ ويعذِّبُ مَنْ يشاءُ وكان اللّهُ غفوراً رحيماً﴾ .

﴿سيقولُ المخلفون﴾، يعني هؤلاء الذين تخلفوا عن الحديبية، **﴿إذا انطلقتم﴾**، سرتم وذهبتم [أيها المؤمنون][(1)]، **﴿إلى مغانمَ لِتأخذُوها﴾**، يعني غنائم خيبر، **﴿ذرونا نَتَّبِعْكُمْ﴾**، إلى خيبر لنشهد معكم قتال أهلها، وذلك أنهم لما انصرفوا من الحديبية وعدهم الله فتح خيبر وجعل غنائمها لمن شهد الحديبية خاصة عوضاً عن غنائم أهل مكة إذا انصرفوا عنهم على صلح و لم يصيبوا منهم شيئاً .

قال الله تعالى: **﴿يُريدون أن يُبدِّلوا كلامَ اللهِ﴾**، قرأ حمزة والكسائي: «كلم الله» بغير ألف جمع كلمة، وقرأ الآخرون: «كلام الله»، يريدون أن يغيروا مواعيد الله تعالى لأهل الحديبية بغنيمة خيبر خاصة .

وقال مقاتل: يعني أمر الله نبيه ﷺ أن لا يسير منهم أحد .

وقال ابن زيد: هو قول الله عزّ وجلّ: «فاستأذنوك للخروج فقل لن تخرجوا **معيَ أبداً**» (التوبة – ٨٣)، والأول أصوب، وعليه عامة أهل التأويل .

﴿قلْ لنْ تتبعونا﴾، إلى خيبر، **﴿كذلكم قالَ اللّهُ من قبلُ﴾**، أي من قبل مرجعنا إليكم أن غنيمة خيبر لمن شهد الحديبية ليس لغيرهم فيها نصيب، **﴿فسيقولون بل تَحْسُدُوننا﴾**، أي يمنعكم الحسد من أن نصيب معكم الغنائم، **﴿بل كانوا لا يفقهون﴾**، لا يعلمون عن الله ما لهم وعليهم من الدين، **﴿إلّا قليلاً﴾**، منهم وهو من صدَّقَ اللّهَ والرسول .

﴿قلْ للمخلَّفين من الأعراب ستُدْعَوْن إلى قومٍ أولي بأسٍ شديدٍ﴾، قال ابن عباس، ومجاهد،

---

(١) زيادة من «ب» .

فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا ۖ وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ

[وعطاء][(١)]: هم أهل فارس[(٢)]. وقال كعب: هم الروم[(٣)]، وقال الحسن: فارس والروم[(٤)]. وقال سعيد بن جبير: هوازن وثقيف[(٥)]. وقال قتادة: هوازن وغطفان يوم حنين[(٦)]. وقال الزهري، ومقاتل، وجماعة: هم بنو حنيفة أهل اليمامة أصحاب مسيلمة الكذاب[(٧)].

قال رافع بن خديج: كنّا نقرأ هذه الآية ولا نعلم من هم حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم[(٨)].

وقال ابن جريج: دعاهم عمر رضي الله عنه إلى قتال فارس.

وقال أبو هريرة: لم تأتِ هذه الآية بعد[(٩)].

﴿**تقاتلونهم أو يُسلمون فإن تُطيعوا يؤتكُم اللّهُ أجراً حسناً**﴾، يعني الجنة، ﴿**وإنْ تتولّوا**﴾، [تعرضوا][(١٠)] ﴿**كما توليتم من قبل**﴾، عام الحديبية، ﴿**يعذّبكُمْ عذاباً أليماً**﴾، وهو النار، فلما نزلت هذه الآية قال أهل الزمانة: كيف بنا يا رسول الله؟.

فأنزل الله تعالى[(١١)]: ﴿**ليس على الأعمى حرج**﴾، [يعني في التخلف عن الجهاد][(١٠)]، ﴿**ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج ومن يطع الله ورسوله يدخله جنات تجرى من تحتها**

---

(١) ساقط من «أ».
(٢) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٦، ابن كثير: ١٩١/٤، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥١٩/٧ عزوه لابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٦، وانظر: ابن كثير: ١٩١/٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٦، ابن كثير: ١٩١/٤، وعزاه السيوطي أيضاً في الدرالمنثـور: ٥١٩/٧ لسعيد بن منصور وابن المنذر.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٦، وانظر الدر المنثور: ٥١٩/٧.
(٦) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٦، ابن كثير: ١٩١/٤، عبد الرزاق في التفسير: ٢٢٦/٢.
(٧) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٦، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥١٩/٧ عزوه لابن المنذر والطبراني.
(٨) انظر: القرطبي: ٢٧٢/١٦.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٦ وقال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرعن هؤلاء المخلّفين من الأعراب أنهم سيدعون إلى قتال قوم أولي بأس في القتال، ونجدة في الحروب، ولم يوضح لنا الدليل من خبر ولا عقل أن المعنيّ بذلك هوازن، ولا بنو حنيفة ولا فارس ولا الروم، ولا أعيان بأعيانهم، وجائز أن يكون عنى بذلك بعض هذه الأجناس، وجائز أن يكون عُني بهم غيرهم، ولا قول فيه أصح من أن يقال كما قال الله جل ثناؤه: إنهم سيدعون إلى قوم أولي بأس شديد».
(١٠) زيادة من «ب».
(١١) انظر: الدر المنثور: ٥٢١/٧.

﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ

الأنهار ومن يتولَّ يعذِّبه عذاباً أليماً﴾، قرأ أهل المدينة والشام «ندخله» و«نعذبه» بالنون فيهما، وقرأ الآخرون بالياء لقوله: **﴿ومن يطع الله﴾** .

﴿لقد رضيَ اللّهُ عن المؤمنين إذْ يبايِعونك﴾، بالحديبية على أن يناجزوا قريشاً ولا يفروا، **﴿تحت الشجرةِ﴾**، وكانت سمرة(*)، **قال سعيد بن المسيب: حدثني أبي أنه كان فيمن بايع رسول الله** ﷺ تحت الشجرة، قال: فلما خرجنا من العام المقبل نسيناها فلم نقدر عليها[1] .

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مرّ بذلك المكان بعد أن ذهبت الشجرة، فقال: **أين كانت؟ فجعل بعضهم يقول: ها هنا وبعضهم: ها هنا، فلما كثر اختلافهم قال: سيروا، قد ذهبت** الشجرة[2] .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، **حدثنا علي بن عبد الله**، حدثنا سفيان قال عمرو: سمعت جابر بن عبد الله قال: قال لنا رسول الله ﷺ يوم الحديبية: «أنتم خير أهل الأرض»، وكنا ألفاً وأربع مائة، ولو كنت أبصر اليوم لأريتكم مكان الشجرة[3] .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، عن مسلم بن الحجاج، حدثنا محمد بن حاتم، حدثنا حجاج، عن ابن جريج أخبرني أبو الزبير أنه سمع جابراً يسأل: كم كانوا يوم الحديبية؟ قال: كنّا أربع عشرة مائة فبايعناه، وعمر آخذ بيده تحت الشجرة، وهي سمرة، فبايعناه غير جد بن قيس الأنصاري اختبأ تحت بطن بعيره[4] .

وروى سالم عن جابر قال: كنا خمس عشرة مائة[5] .

(*) السَّمُرة - بضم الميم - من شجر الطلح، وهو شجر عظيم من شجر العضاة .

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: ٤٤٧/٧ .

(٢) انظر: الطبري: ٨٧/٢٦ .

(٣) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: ٤٤٣/٧ ومسلم في الإمارة، باب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم: (١٨٥٦): ١٤٨٤/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٩٥/١٤ .

(٤) أخرجه مسلم في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم: (١٨٥٦): ١٤٨٣/٣ .

(٥) قطعة من حديث أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: ٤٤١/٧ .

وقال عبد الله بن أبي أوفى: كان أصحاب الشجرة ألفاً وثلثمائة، وكانت أسلم ثُمْنَ المهاجرين[(١)] .

وكان سبب هذه البيعة- على ما ذكره محمد بن إسحاق عن أهل العلم- أن رسول الله ﷺ دعا خراش بن أبي أمية الخزاعي حين نزل الحديبية، فبعثه إلى قريش بمكة وحمله على جمل له، يقال له الثعلب ليبلغ أشرافهم عنه ما جاء له، فعقروا به جمل رسول الله ﷺ وأرادوا قتله فمنعته الأحابيش، **فخلّوا سبيله** حتى أتى رسول الله ﷺ، فدعا رسول الله ﷺ عمر بن الخطاب ليبعثه إلى مكة، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من يني عدي/بن كعب أحدٌ يمنعني، ١٣٠/أ
وقد عرفت قريش عداوتي إيّاها وغلظتي عليها، ولكن أدلك على رجل هو أعزّ بها منّي: عثمان بن عفان، فدعا رسول الله ﷺ عثمان، فبعثه إلى أبي سفيان وأشراف قريش يخبرهم أنه لم يأت لِحرب، وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظماً لحرمته، فخرج عثمان إلى مكة، فلقيه أبان بن سعيد بن العاص حين دخل مكة، أو قبل أن يدخلها، فنزل عن دابته وحمله بين يديه، ثم أردفه وأجاره **حتى بلّغ** رسالة رسول الله ﷺ، فقال عظماء قريش لعثمان حين فرغ من رسالة رسول الله ﷺ: إنْ شئتَ أنْ تطوفَ بالبيت فطفْ به، قال: ما كنت لأفعل حتى يطوف به رسول الله ﷺ، **فاحتبسته قريش** عندها، **فبلغ رسولَ الله** ﷺ والمسلمين أن عثمان قد قتل، فقال رسول الله ﷺ: «لا نبرح حتى نناجز القوم»، ودعا الناس إلى البيعة، فكانت بيعة الرضوان تحت الشجرة .

وكان الناس يقولون: بايعهم رسول الله ﷺ على الموت، قال بكر بن الأشج: بايعوه على الموت، فقال رسول الله ﷺ: بل على ما استطعتم .

وقال جابر بن عبد الله ومعقل بن يسار: لم نبايعه على الموت ولكن بايعناه على أنْ لا نفر، فكان أول من بايع بيعة الرضوان من بني أسد يقال له أبو سنان بن وهب، ولم يتخلف عنه أحد من المسلمين حضرها إلّا جد بن قيس أخو بني سلمة، قال جابر: لكأني أنظر إليه لَاصقاً بإبط ناقته مستتراً بها من الناس، ثم أتى رسول الله ﷺ أن الذي ذكر من أمر عثمان باطل[(٢)] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن فنجويه، حدثنا علي بن أحمد بن نضرويه، حدثنا أبو عمرَان موسى بن سهل بن عبد الحميد الجوني، حدثنا

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة الحديبية: ٤٤٣/٧، ومسلم في الإمارة، باب استحباب مبايعة الإمام الجيش عند إرادة القتال برقم: (١٨٥٧) ١٤٨٥/٣ .

(٢) أخرجه ابن إسحاق: ٣١٤/٢-٣١٦ .
وانظر: تعليق الألباني على فقه السيرة للغزالي ص(٣٤٢) .

ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾
وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَكُمُ ٱللَّهُ مَغَانِمَ
كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِۦ وَكَفَّ أَيْدِىَ ٱلنَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ ءَايَةً
لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾

محمد بن رمح، حدثنا الليث بن سعد، عن أبي الزبير، عن جابر، عن رسول الله ﷺ قال: «لا يدخل النار أحد ممن بايع تحت الشجرة»(1).

قوله عزّ وجلّ: ﴿**فعلِمَ ما في قلوبِهم**﴾، من الصدق والوفاء، ﴿**فأنزلَ السكينةَ**﴾، الطمأنينة والرضا، ﴿**عليهم وأثابَهم فتحاً قريباً**﴾، يعني فتح خيبر.

﴿**ومغانمَ كثيرةً يأخذُونَها**﴾، من أموال يهود خيبر، وكانت خيبر ذات عقار وأموال، فاقتسمها رسول الله ﷺ بينهم ﴿**وكانَ اللّهُ عزيزاً حكيماً**﴾.

﴿**وعدَكم اللّهُ مغانمَ كثيرةً تأخذونها**﴾، وهي الفتوح التي تفتح لهم إلى يوم القيامة، ﴿**فعَجَّلَ لكم هذه**﴾، يعني خيبر، ﴿**وكفَّ أيديَ الناسِ عنكم**﴾، وذلك أن النبي ﷺ لما قصد خيبر وحاصر أهلها همّتْ قبائل من أسد وغطفان أن يُغيروا على عيال المسلمين وذراريهم بالمدينة، فكفّ الله أيديهم بإلقاء الرعب في قلوبهم، وقيل: كفّ أيديَ الناس عنكم يعني أهل مكة بالصلح، ﴿**ولتكونَ**﴾، كفهم وسلامتكم، ﴿**آيةً للمؤمنين**﴾، على صدقك ويعلموا أن الله هو المتولي حياطَتهم وحراستهم في مشهدهم ومغيبهم، ﴿**ويَهديَكم صراطاً مستقيماً**﴾، يثبتكم على الإسلام ويزيدكم بصيرة ويقيناً بصلح الحديبية، وفتح خيبر وذلك أن رسول الله ﷺ لما رجع من الحديبية أقام بالمدينة بقية ذي الحجة وبعض المحرم ثم خرج في بقية المحرم سنة سبع إلى خيبر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن حميد، عن أنس بن مالك

---

(1) أخرجه أبوداود في السنة، باب: في الخلفاء: ٣١/٧، والترمذي في المناقب باب: ماجاء في فضل من بايع تحت الشجرة: ٣٦٢/١٠ وقال: «هذا حديث حسن صحيح» والنسائي في التفسير: ٣١٠/٢، والإمام أحمد: ٣٥٠/٣.
وأخرجه مسلم من حديث جابر، عن أم مُبَشِّر أنها سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول عند حفصة: «لا يدخل النار، إن شاء الله، من أصحاب الشجرة أحد، الذين بايعوا تحتها»... وذكر قصة حفصة بنت عمر رضي الله عنها. انظر: صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب: من فضائل أصحاب الشجرة برقم: (٢٤٩٦): ١٩٤٢/٤.

أن النبي ﷺ: كان إذا غزَا بِنَا قوماً لم يكن يغير بنَا حتى يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كفَّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم قال: فخرجنا إلى خيبر فانتهينا إليهم ليلاً فلما أصبح ولم يسمع أذاناً ركب وركبت خلف أبي طلحة وإن قدمي لتمسُّ قدم النبي ﷺ: قال: فخرجوا إلينا بمكاتلهم ومساحيهم، فلما رأوا النبي ﷺ قالوا: محمد - والله - محمد والخميس، فلما رآهم رسول الله ﷺ قال: «الله أكبر، الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»(١).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبد الله بن عبد الرحمن الدارمي، أخبرنا أبو علي الحنفيُّ عبيدُ الله بن عبد المجيد، حدثنا عكرمة بن عمار، حدثنا إياس بن سلمة، حدثني أبي قال: ... خرجنا إلى خيبر مع رسول الله ﷺ، قال فجعل عمي عامر يرتجز بالقوم:

تاللَّهِ لولا اللهُ ما اهتدينـــا ولا تصدّقنـــا ولا صلّينـــا
ونحنُ عن فَضْلِكَ ما آستَغْنَيْنَا فثبّـتِ الأقـدامَ إنْ لاقينـــا
[وأنزلَنْ سكينــةً علينـــا](٢)

فقال رسول الله ﷺ: من هذا؟ فقال: أنا عامر، غفر لك ربك، قال: وما استغفر رسول الله ﷺ لإنسان يخصه إلا استشهد، قال: فنادى عمر بن الخطاب وهو على جمل له: يا نَبيَّ الله لولا متعتنا بعامر، قال: فلما قدمنا خيبر خرج مِلِكُهم مرحب يخطر بسيفه يقول:

قد علمتْ [خيبرُ](٣) أنّي مرحبُ شاكي السلاح بطلٌ مجـرِّبُ
إذا الحروب أقبلت تلهّـــب

قال: وبرز له عمي عامر، فقال:

قد علمت خيبرُ أنّي عامـرُ شـاكي السـلاح بطلٌ مغامِـرُ

قال فاختلفا ضربتين، فوقع سيف مرحب في ترس عامر وذهب عامر يسفل له، فرجع سيفه [على نفسه](٣) فقطع أكحله، وكانت فيها نفسه. قال سلمة: فخرجت فإذا نفر من أصحاب النبي/ﷺ يقولون: بطَلَ عملُ عامر قَتَلَ نفسَه، قال: فأتيت النبي ﷺ وأنا أبكي، فقلت: يا رسول ١٣٠/ب

(١) أخرجه البخاري في الأذان، باب: ما يُحقن بالأذان من الدماء: ٢/٨٩-٩٠، ومسلم في الجهاد والسير، باب غزوة خيبر برقم: (١٣٦٥): ٣/١٤٢٦-١٤٢٧، والمصنف في شرح السنة: ١١/٥٨-٥٩ .
(٢) مابين القوسين زيادة من «ب» .
(٣) ساقط من «أ» .

الله بَطلَ عملُ عامر قتل نفسه، قال رسول الله ﷺ: «من قال ذلك»؟ قلت: ناس من أصحابك، قال: «كذب من قال ذلك، بل له أجره مرتين»، ثم أرسلني إلى علي رضي الله عنه -وهو أرمد- فقال: لأعطين الراية رجلًا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، قال: فأتيتُ علياً رضي الله عنه فجئت به أقوده وهو أرمد، حتى أتيت به رسول الله ﷺ فبصق في عينيه فبرأ، وأعطاه الراية، وخرج مرحب فقال:

قد عَلِمَتْ خيبرُ أني مَرْحَبُ شاكي السلاحِ بطَلٌ مجرّب
إذا الحروب أقبلت تلهّبُ

فقال علي رضي الله عنه:

أنا الذي سَمّتني أُمّي حَيْدَرَهْ كليثِ غاباتٍ [كريهِ المَنْظَرَهْ][1]
أُوفِيهم بالصّاع كَيْلَ السَّنْدَرَهْ

قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه[2].

وروى حديث خيبر جماعة: سهل بن سعد، وأنس، وأبو هريرة، يزيدون وينقّصون، وفيه: أن رسول الله ﷺ كان قد أخذته الشقيقة فلم يخرج إلى الناس، فأخذ أبو بكر رضي الله عنه رَاية رسول الله ﷺ، ثم نهض فقاتل قتالاً شديداً، ثم رجع فأخذها عمر رضي الله عنه فقاتل قتالاً شديداً، هو أشد من القتال الأول، ثم رجع، فأخبر رسول الله ﷺ بذلك فقال: «**لأعطينّ الراية** غداً رجلاً يحبُّ الله ورسولَهُ ويحبه الله **ورسولُه يفتح** الله على يديه، فدعا **عليّ بن** أبي طالب فأعطاه إياها وقال: امشِ ولا تلتفت حتى يفتح الله عليك، فأتى مدينة خيبر، فخرج مرحب، صاحب الحصن، وعليه مغفر وحجر قد ثقبه مثل البيضة على رأسه، وهو يرتجز، فبرز إليه علي فضربه فقدَّ الحجر والمغفر وفلق رأسه حتى أخذ السيف في الأضراس، ثم خرج بعد مرحب أخوه ياسر، يرتجز فخرج إليه الزبير بن العوام، فقالت أمه صفية بنت عبد المطلب: أيقتل ابني يا رسول الله؟ قال: بل ابنك يقتله إن شاء الله، ثم التقيا فقتله الزبير، ثم لم يزل رسول الله يفتح الحصون، ويقتل المقاتلة ويسبي الذرية، ويحوز الأموال.

قال محمد بن إسحاق: وكان أول حصونهم افتتح حصن ناعم، وعنده قتل محمود بن سلمة،

---

(١) في «ب» شديد قسورة.
(٢) أخرجه مسلم مطولاً في الجهاد والسير، باب غزوة ذي قَرَد، برقم: (١٨٠٧): ٣/١٤٣٣-١٤٤١، والمصنف في شرح السنة: ١٤/١٩-٢٢.

ألقت عليه اليهود حجراً فقتله، ثم فتح العموص، حصن ابن أبي الحقيق، فأصاب منه سبايا، منهم صفية بنت حيي بن أخطب، جاء بلال بها وبأخرى معها، فمرّ بهما على قتلي من قتلى يهود، فلما رأتهم التي مع صفية صاحت وصكت وجهها وحثت التراب على رأسها، فلما رآها رسول الله ﷺ قال: أعزبوا عني هذه الشيطانة، وأمر بصفية فحيزت خلفه، وألقى عليها رداءه فعرف المسلمون أن رسول الله ﷺ اصطفاها لنفسه، وقال رسول الله لبلال، لما رأى من تلك اليهودية ما رأى: أنزعت منك الرحمة يا بلال حيث تمرّ بامرأتين على قتلى رجالهما، وكانت صفية قد رأت في المنام وهي عروس بكنانة بن الربيع بن أبي الحقيق أن قمراً وقع فى حجرها، فعرضت رؤياها على زوجها، فقال: ما هذا إلا أنك تتمنين مَلِكَ الحجاز محمداً، فلطم وجهها لطمة اخضرت عينها منها، فأتي رسول الله ﷺ بها وبها أثر منها فسألها ما هو؟ فأخبرته هذا الخبر، وأتي رسول الله ﷺ بزوجها كنانة بن الربيع، وكان عنده كنز بني النضير فسأله، فجحده أن يكون يعلم مكانه، فأتي رسول الله ﷺ برجل من اليهود فقال لرسول الله ﷺ: إني قَدْ رأيتُ كنانة يطوف بهذه الخربة كل غداة، فقال رسول الله ﷺ لكنانة: أرأيت إن وجدناه عندك أنقتلك؟ قال: نعم؟ فأمر رسول الله ﷺ بالخربة فحفرت، فأخرج منها بعض كنزهم، ثم سأله ما بقي فأبى أن يؤديه، فأمر رسول الله ﷺ الزبير بن العوام فقال: عذبه حتى تستأصل ما عنده، فكان الزبير يقدح بزند فى صدره حتى أشرف على نفسه، ثم دفعه رسول الله ﷺ إلى محمد بن مسلمة فضرب عنقه بأخيه محمود بن مسلمة[١].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يعقوب بن إبراهيم حدثنا ابن علية، حدثنا عبد العزيز بن صهيب، عن أنس أن رسول الله ﷺ غزا خيبر، فصلينا عندها صلاة الغداة بغَلَس، فركب نبي الله ﷺ، وركب أبو طلحة، وأنا رديف أبي طلحة، فأجرى نبي الله ﷺ في زقاق خيبر وإن ركبتي لتمسّ فخذ نبي الله ﷺ، ثم حسر الإزار عن فخذه حتى إني لأنظر إلى بياض فخذ نبي الله ﷺ، فلما دخل القرية قال: «الله أكبر خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذَرين»، قالها ثلاثاً، وخرج القوم إلى أعمالهم، فقالوا: محمد، قال عبد العزيز، وقال بعض أصحابنا: والخميس يعني: الجيش، قال: فأصبناها عنوة، فجمع السبي فجاء دحية فقال: يانبي الله [أعطني جارية من السبي، قال: اذهب فخذ جارية فأخذ صفية بنت حيي، فجاء رجل إلى نبي الله ﷺ فقال: يا نبيّ الله][٢] أعطيتَ دحية صفية بنت حيي سيدة قريظة والنضير، لا تصلح إلّا لك، قال: ادعوه بها، فجاء بها، فلما نظر إليها النبي ﷺ قال: خذ جارية من السبي غيرها، قال: فأعتقها النبي ﷺ وتزوجها،

---

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢/٣٣٦ وما بعدها في غزوة خيبر.
(٢) مابين القوسين ساقط من «أ».

فقال له ثابت: يا أبا حمزة ما أصدقها؟ قال: **نفسَها، أعتقها وتزوجها**، حتى إذا كان بالطريق جهزتها له أم سليم، فأهدتها له من الليل، فأصبح النبي ﷺ عروساً، فقال: من كان عنده شيء فليجيء به، وبسط نطعاً فجعل الرجل يجيء بالتمر وجعل الآخر يجيء بالسمن، قال/: وأحسبه قد ذكر السويق، ١٣١/أ
قال: فحاسوا حيساً فكانت وليمة رسول الله ﷺ(١).

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا موسى بن إسماعيل، حدثنا عبد الواحد الشيباني قال: سمعت ابن أبي أوفى يقول: أصابتنا مجاعة ليالي خيبر، فلما كان يوم خيبر وقعنا **في الحُمُر الأهلية** فانتحرناها، فلما غلت القدور نادَى منادي رسول الله ﷺ أكفئوا القدور ولا تطعموا من لحوم الحمر شيئاً، قال عبد الله: فقلنا إنما نهى النبي ﷺ لأنها لم تخمس، وقال آخرون: حرمها البتة، وسألت سعيد ابن جبير فقال: حرمها البتة(٢).

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا يحيى بن حبيب الحارثي، أخبرنا خالد بن الحارث، حدثنا شعبة، عن هشام بن زيد، عن أنس أن امرأة يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك، فقالت: أردت لأقتلك، قال: ما كان الله ليسلطك على ذلك، أو **قال عليّ**، قال: قالوا ألَا نقتلها؟ قال: لا، قال: فما زلت أعرفها **في لهوات** رسول الله ﷺ(٣).

وقال محمد بن إسماعيل: قال يونس، عن الزهري قال عروة، قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: «يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوانٌ وجدتُ انقطاع أبهري من ذلك السم»(٤).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمد بن بشار، أخبرنا حرمي، أخبرنا شعبة قال أخبرني عمارة، عن عكرمة،

---

(١) أخرجه البخاري في الصلاة، باب: مايذكر في الفخذ: ١/٤٧٩-٤٨٠، ومسلم في النكاح، باب: فضيلة إعتاقه أمته ثم يتزوجها برقم (١٣٦٥): ٢/١٠٤٣-١٠٤٤ .

(٢) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر: ٧/٤٨١ .

(٣) أخرجه البخاري في الهبة، باب قبول الهدية من المشركين: ٥/٢٣٠، ومسلم في السلام، باب السم برقم (٢١٩٠): ٤/١٧٢١ .

(٤) أخرجه البخاري في المغازي، باب مرض النبي صلى الله عليه وسلم ووفاته: ٨/١٣١ .

عن عائشة قالت: لما فتحت خيبر قلنا: الآن نشبع من التمر[(١)] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أحمد بن المقدام، حدثنا فضيل بن سليمان، حدثنا موسى بن عقبة، أخبرني نافع، عن ابن عمر أن عمر بن الخطاب أجلى اليهود والنصارى من أرض الحجاز، وكان رسول الله ﷺ لما ظهر على أهل خيبر أراد أن يخرج اليهود منها، وكانت الأرض حين ظهر عليها لله ولرسوله وللمسلمين، فسأل اليهود رسول الله ﷺ أن يتركهم على أن يكفوا العمل ولهم نصف الثمر، فقال رسول الله ﷺ: **نقرُّكم على ذلك ماشئنا. فأُقروا** حتى أجلاهم عمر في إمارته إلى تيماء وأريحاء[(٢)] .

قال محمد بن إسحاق: **فلما سمع أهل فدك بما صنع رسول الله ﷺ بخيبر بعثوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه أن يسيرهم ويحقن لهم دماءهم، ويخلوا له الأموال، ففعل. ثم إن أهل خيبر سألوا** رسول الله ﷺ أن يعاملهم الأموال على النصف، ففعل على أنا إذا شئنا أخرجناكم، فصالحه أهل فدك على مثل ذلك، فكانت خيبر للمسلمين وكانت فدك خالصة لرسول الله ﷺ، لأنهم لم يجلبوا عليها بخيل ولا ركاب .

فلما اطمأن رسول الله ﷺ أهدت له زينب بنت الحارث امرأة سلام بن مشكم **شاة مصليَّة،** وقد سألت أيّ عضو من الشاة أحب إلى رسول الله ﷺ؟ فقيل لها: الذراع، فأكثرت فيها السم، وسمّمت سائر الشاة، ثم جاءت بها فلما وضعتها بين يدي رسول الله ﷺ، تناول الذراع فأخذها فلاك منها مضغة فلم يسغها، ومعه بشر بن البراء بن معرور، وقد أخذ منها كما أخذ رسول الله ﷺ، فأما بشر فأساغها، وأما رسول الله ﷺ فلفظها، ثم قال: إن هذا العظم ليخبرني أنه مسموم، ثم دعا بها فاعترفت، فقال: ما حملك على ذلك؟ قالت: بلغت من قومي ما **لم يَخْفَ عليك،** فقلت: إن كان ملكاً استرحت منه، وإن كان نبياً فسيخبر، فتجاوز عنها رسول الله ﷺ، ومات بشر ابن البراء من أكلته التي أكل .

قال: ودخلت أم بشر بن البراء على رسول الله ﷺ تعوده في مرضه الذي توفي فيه، فقال:

---

(١) أخرجه البخاري في المغازي، باب غزوة خيبر: ٧/٤٩٥ .

(٢) أخرجه البخاري في فرض الخمس، باب: ما كان النبي صلى الله عليه وسلم يعطي المؤلفة قلوبهم وغيرهم من الخمس ونحوه: ٦/٢٥٢، ومسلم في المساقاة، باب المساقاة والمعاملة بجزء من الثمر والزرع برقم: (١٥٥١): ٣/١١٨٧-١١٨٨، والمصنف في شرح السنة: ١١/١٨٣-١٨٤ .

وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوُا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
اللَّهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ الَّذِي كَفَّ
أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا

«يا أم بشر ما زالت أكلة خيبر التي أكلت بخيبر مع ابنك تعاودني فهذا أوان انقطاع أبهري»[1]، وكان المسلمون يرون أن رسول الله ﷺ مات شهيداً مع ما أكرمه الله من النبوة.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وأخرى لم تَقْدِروا عليها﴾**، أي وعدكم الله فتح بلدة أخرى لم تقدروا عليها، **﴿قد أحاطَ اللَّهُ بها﴾**، حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ومنعها من غيركم حتى تأخذوها، قال ابن عباس: علم الله أنه يفتحها لكم.

واختلفوا فيها، فقال ابن عباس، والحسن، ومقاتل: هي فارس والروم، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم، بل كانوا خولاً لهم حتى قدروا عليها بالإسلام.

وقال الضحاك وابن زيد: هي خيبر، وعَدَها الله نبيه ﷺ قبل أن يصيبها، ولم يكونوا يرجونها.

وقال قتادة: هي مكة. وقال عكرمة: حنين. وقال مجاهد: ما فتحوا حتى اليوم.

﴿وكان اللَّهُ على كلّ شيءٍ قديراً﴾.

﴿ولو قاتلكم الذين كفروا﴾، يعني: أسد، وغطفان، وأهل خيبر، **﴿لَوَلّوْا الأدبارَ﴾**، [لانهزموا][2]، **﴿ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً﴾**.

﴿سنةَ اللَّهِ التي قد خلت من قبلُ﴾، أي كسنة الله في نصر أوليائه وقهر أعدائه، **﴿ولن تجدَ لسنةِ اللَّهِ تبديلاً﴾**.

قوله عزّ وجلّ: **﴿وهو الذي كفَّ أيديَهم عنكم وأيديَكم عنهم ببطنِ مكةَ من بعدِ أنْ أظفركم عليهم وكان اللَّهُ بما تعملون بصيراً﴾**، قرأ أبو عمرو بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء، واختلفوا في هؤلاء:

---

(١) سيرة ابن هشام: ٢/٣٣٧-٣٣٨.
(٢) زيادة من «أ».

﴿تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٢٤ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ﴾

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر/أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا /١٣١
إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عمرو بن محمد الناقد، حدثنا يزيد ابن هارون، أخبرنا حماد بن سلمة، عن ثابت، عن أنس بن مالك رضي الله عنهم: أن ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا على رسول الله ﷺ من جبل التنعيم متسلحين يريدون غدر النبي ﷺ وأصحابه، فأخذهم سلماً فاستحياهم، فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية: «وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم»[(١)] .

قال عبد الله بن مغفل المزني: كنّا مع النبي ﷺ بالحديبية في أصل الشجرة التي قال الله تعالى في القرآن، وعلى ظهره غصن من أغصان تلك الشجرة فرفعته عن ظهره، وعلي بن أبي طالب بين يديه يكتب كتاب الصلح، فخرج علينا ثلاثون شاباً عليهم السلاح فثاروا في وجوهنا، فدعا عليهم نبي الله ﷺ فأخذ الله بأبصارهم فقمنا إليهم فأخذناهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: جئتم في عهد؟ أو هل جعل لكم أحدٌ أماناً؟ فقالوا: اللهم لا، فخلى سبيلهم[(٢)]، [فأنزل الله عزّ وجلّ هذه الآية][(٣)] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿هُمُ الذين كفروا وصدُّوكم عن المسجدِ الحرام﴾، الآية. روى الزهري، عن عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم قالا: خرج رسول الله ﷺ من المدينة عام الحديبية في بضع عشرة مائة من أصحابه، يريدون زيارة البيت، لا يريد قتالاً، وساق معه سبعين بدنةً، والناس سبعمائة رجل، وكانت كل بدنة عن عشرة نفر، فلما أتى ذا الحُلَيفة قلّد الهدي وأشعره وأحرم منها بعمرة، وبعث عيناً له من خزاعة يخبره عن قريش، وسار النبي ﷺ حتى كان بغدير الأشطاط قريباً من عُسْفان، أتاه عينه الخزاعي وقال: إن قريشاً قد جمعوا لك جموعاً، وقد جمعوا لك الأحابيش، وهم مقاتلوك وصادُّوك عن البيت، فقال النبي ﷺ: أشيروا عليّ أيها الناس، أترون

---

(١) أخرجه مسلم في الجهاد، باب قول الله تعالى«وهو الذي كف أيديهم عنكم» الآية برقم: (١٨٠٨): ١٤٤٢/٣ .

(٢) أخرجه النسائي في التفسير: ٣١٢/٢-٣١٣، والطبري: ٩٣/٢٦-٩٤، وصححه الحاكم: ٤٦٠/٢ على شرط الشيخين ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن: ٣١٩/٦ .
قال الهيثمي في المجمع: (١٤٥/٦): «رواه أحمد ورجاله رجال الصحيح»، وصححه ابن حجر في الفتح: ٣٥١/٥، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٣٢/٧ عزوه لأبي نعيم في الدلائل، ولابن مردويه .

(٣) مابين القوسين ساقط من «ب» .

أن أميل على ذراري هؤلاء الذين عاونوهم فنصيبهم؟ فإن قعدوا قعدوا موتورين، وإن نجوا تكن عُنقاً **قطعها الله؟أو ترون أن نؤم البيت فمن صدَّنا عنه قاتلناه؟**

فقال أبو بكر: يا رسول الله إنما خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتال أحد ولا حرباً، فتوجّهْ له **فمن صدَّنا** عنه قاتلناه .

فقال: امضوا على اسم الله، فنفروا، قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد **بالغَمِيم في** خيل لقريش طليعة، فخذوا ذات اليمين، فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش فانطلق يركض نذيراً لقريش، وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ، فألحت، فقالوا: خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل، ثم قال: والذي نفسي بيده لا تدعوني قريش اليوم إلى **خطة يعظّمون** فيها حرمات الله وفيها صلة الرحم إلا أعطيتهم **إيّاه،** ثم زجرها فوثبت .

قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه الناس تبرضاً، فلم يلبث الناس أن نزحوه، وشكا الناس إلى النبي ﷺ العطش، فنزع سهماً من كنانته وأعطاه رجلاً من أصحابه يقال له ناجية بن عمير، وهو سائق **بُدْن** النبي ﷺ، فنزل فى البئر فغرزه فى جوفه، فوالله ما زال يجيش **لهم بالري حتى** صدروا عنه، فبينما هم كذلك إذ جاءه بديل بن ورقاء الخزاعي في نفر من قومه وكانت خزاعة عيبة نصح رسول الله ﷺ من أهل تهامة، فقال:إني تركت كعب ابن لؤي نزلوا أعداد مياه الحديبية معهم العوذ المطافيل، وهم مقاتلوك **وصادُّوك** عن البيت .

فقال النبي ﷺ: إنا لم نجيء لقتال أحد، ولكنّا جئنا معتمرين، وإن قريشاً قد نهكتهم الحرب وأضرّت بهم، فإن شاؤوا ماددتهم مدة ويخلّوا بيني وبين الناس، فإن أظهر فإن شاؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جمُّوا وإنْ همْ أبوْا فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، أو لينفذنّ الله أمره .

فقال بديل: سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشاً، قال: إنا قد جئناكم من عند هذا الرجل، وسمعناه يقول قولاً، فإن شئتم أن نعرضه عليكم فعلنا، قال: فقال سفهاؤهم: لا حاجة لنا أن تخبرنا عنه بشيء، وقال ذو الرأي منهم: هاتِ ما سمعته يقول .

قال: سمعته يقول كذا وكذا، فحدّثهم بما قال النبي ﷺ. فقام عروة بن مسعود الثقفي فقال: أي قومِ ألستُم بالوالد؟ قالوا: بلى، قال: أولستُ بالولد؟ قالوا: بلى، قال: فهل تتهموني؟ قالوا:

لا، قال: ألستم تعلمون أني استنفرتُ أهل عكاظ، فلما بلَّحُوا[1] عليَّ جئتكم بأهلي وولدي ومن أطاعني؟ قالوا: بلى، قال: فإن هذا قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها ودعوني آته، قالوا: ائته. فأتاه فجعل يكلم النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ نحواً من قوله لبديل. فقال عروة عند ذلك: يا محمد أرأيتَ إن استأصلتَ قومك فهل سمعت بأحد منَ العرب اجتاح أصله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فإني والله لأرى وجوهاً وأشواباً من الناس خليقاً أن يفروا **ويدَعوك** .

فقال له أبو بكر الصديق: امصصْ بظْرَ اللات[2]، أنحن نفرّ عنه وندعه؟ .

فقال: من ذا؟ قالوا: أبو بكر، فقال: أمَا والذي نفسي بيده لولا يد كانت لك عندي لم أجزك بها لأجبتُك .

١٣٢/أ قال: وجعل يكلم النبي ﷺ، فكلما كلمه/أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة قائم على رأس النبي ﷺ ومعه السيف وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة بيده إلى لحيةِ النبي ﷺ ضرب يده بنعل السيف، وقال أخّرْ يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه فقال: من هذا؟ قالوا: المغيرة بن شعبة، فقال: أيْ غُدَرُ ألست أسعى في غدرتك .

وكان المغيرة صحب قوماً في الجاهلية فقتلهم وأخذ أموالهم ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ: أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلستُ منه في شيء .

ثم إنّ عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ، قال: فوالله-ما تنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون **على وَضوئه**، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وماَ يحدّون إليه النظر تعظيماً له، فرجع عروة إلى أصحابه، فقال: أيْ قومِ والله لقد وفدت على الملوك ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إنْ رأيتُ ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحابُ محمدٍ محمداً، والله إنْ تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فَدَلَكَ بها وجهه وجلَده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدّون إليه النظرة تعظيماً له، وإنه قد عرض عليكم خطة رشد فاقبلوها .

فقال رجل من بني كنانة: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف على النبي ﷺ وأصحابه،

---

(١) امتنعوا .

(٢) البَظْر: بفتح الموحدة وسكون المعجمة، قطعة تبقى بعد الختان في فرج المرأة، واللات: اسم أحد الأصنام التى كانت قريش وثقيف يعبدونها، وكانت عادة العرب الشتم بذلك لكن بلفظ الأم .

قال رسول الله ﷺ: هذا فلان وهومن قوم يعظمون البُدْن، فابعثوها له، فبعثت له واستقبله الناس يلبُّون، فلما رأى ذلك قال: سبحان الله ما ينبغي لهؤلاء أن يُصدّوا عن البيت؟

فلما رجع إلى أصحابه قال: رأيتُ البُدْنَ قد قُلِّدتْ وأُشْعِرَتْ، فما أرى أن يُصَدُّوا عن البيت .

ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة وكان يومئذ سيد الأحابيش، فلما رآه رسول الله ﷺ قال: إن هذا من قوم يتألهون فابعثوا بالهدي فى وجهه حتى يراه، فلما رأى الهدي يسيل عليه من عرض الوادي في قلائده قد أكل أوباره من طول الحبس، رجع إلى قريش ولم يصل إلى رسول الله ﷺ إعظاماً لما رأى، فقال: يا معشر قريش إني قد رأيت ما لا يحل صدّ الهدي في قلائده ، وقد أكل أوباره من طول الحبس عن محله، فقالوا له: اجلس إنما أنت رجل أعرابي لا علم لك، فغضبَ الحليس عند ذلك، فقال: يا معشر قريش والله ما على هذا حالفناكم، ولا على هذا عاقدناكم، أن تصدوا عن بيت الله من جاءه معظماً له، والذي نفس الحليس بيده لتخلنّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنّ بالأحابيش نفرة رجل واحد، فقالوا له: مه، كفّ عنّا يا حليس حتى نأخذ لأنفسنا بما نرضى به .

فقام رجل منهم يقال له مكرز بن حفص، فقال: دعوني آته، فقالوا: ائته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ هذا مكرز وهو رجل فاجر، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاء سهيل ابن عمرو، وقال عكرمة: فلما رآه النبي ﷺ قال: قد سهل لكم من أمركم .

قال الزهري في حديثه: فجاء سهيل بن عمرو، فقال: هات نكتب بيننا وبينكم كتاباً، فدعا رسول الله ﷺ **عليَّ** بن أبي طالب رضي الله عنه فقال له: اكتبْ بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال سهيل: أمّا الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتبْ باسمك **اللهم**، كما كنت تكتب .

فقال المسلمون: والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم .

فقال النبي ﷺ لعلي: اكتبْ باسمك اللهم، ثم قال: اكتب هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله ﷺ .

فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب: محمد بن عبد الله .

فقال رسول الله ﷺ: والله إني لرسول الله وإن كذبتموني، اكتب يا علي محمدُ بن عبد الله .

قال الزهري: وذلك لقوله: لا يسألون خطة يعظمون فيها حرمات الله إلّا أعطيتهم إيّاها، فكتب: هذا **ما قاضى عليه** محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو، واصطلحا على وضع الحرب عن الناس عشر سنين، يأمن فيه الناس ويكف بعضهم عن بعض، فقال له النبي ﷺ: وعلى أن تخلوا بيننا وبين البيت، فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب **إنا** أُخذنا ضغطة ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل، وعلى أن لا يأتيك منّا رجل - وإن كان على دينك - إلّا رددته إلينا، فقال المسلمون: سبحان الله كيف يُردُّ إلى المشركين وقد جاء مسلماً؟ .

وروى أبو إسحاق عن البراء قصة الصلح وفيه قالوا: لو نعلم أنك رسول الله ما منعناك شيئاً ولكن أنت محمد بن عبد الله، قال: أنا رسول الله وأنا محمد بن عبد الله، ثم قال لعلي رضي الله عنه: امحُ رسول الله، قال: لا والله لا أمحوك أبداً، قال: فأرنيه، فأراه إيّاه، فمحاه النبي ﷺ بيده، وفي روايته: فأخذ رسول الله ﷺ الكتاب وليس يحسن أن يكتب، فكتب هذا ما قاضى محمد ابن عبد الله .

قال البراء: صالح على ثلاثة أشياء: على أن من أتاه من المشركين ردّه إليهم، ومن أتاهم من المسلمين لم يردوه، وعلى أن يدخلها من قابل، ويقيم بها ثلاثة أيام، ولا يدخلها إلا بجُلُبّانِ السلاح السيف والقوس ونحوه .

١٣٢/ب وروى ثابت عن أنس: أن قريشاً صالحوا/النبي ﷺ فاشترطوا: أن من جاءنا منكم لم نرده عليكم، ومن جاءكم منّا رددتموه علينا، فقالوا: يا رسول الله أنكتب هذا؟ قال: «نعم إنه من ذهب منّا إليهم فأبعده الله، ومن جاءنا منهم سيجعل الله له فرجاً ومخرجاً» .

رجعنا إلى حديث الزهري قال: فبينا هم كذلك إذ جاء أبو جندل بن سهيل بن عمرو، يرسف في قيوده قد انفلت وخرج من أسفل مكة، حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل: هذا يا محمد أول من أقاضيك عليه أن ترده **إليّ**، فقال النبي: إنا لم نقض الكتاب بعد، قال: فوالله إذاً لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: فأجِرْهُ لي، فقال: فما أنا بمجيره لك، قال: بلى فافعلْ، قال: ما أنا بفاعل، ثم جعل سهيل يجره ليرده إلى قريش، قال أبو جندل: أيْ معشر المسلمين أُردّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله .

وفي الحديث: أن رسول الله ﷺ قال: يا أبا جندل احتسبْ فإن الله جاعلٌ لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، إنا قد عقدنا بيننا وبين القوم عقداً وصلحاً، وإنّا لا نغدر، فوثب عمر يمشي إلى جنب أبي جندل، ويقول: اصبر فإنما هم المشركون ودم أحدهم كدم **كلب**، ويدني قائم السيف منه، قال عمر: رجوت أن يأخذ السيف فيضرب به أباه فضنَّ الرجل بأبيه .

وقد كان أصحاب رسول الله ﷺ خرجوا وهم لا يشكُّون في الفتح، لرؤيا رآها رسول الله ﷺ، فلما رأوا ذلك دخل الناسَ أمرٌ عظيم حتى كادوا يهلكون، وزادهم أمرُ أبي جندل شراً إلى ما بهم.

قال عمر: [والله][1] ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ.

قال الزهري في حديثه عن عروة عن [مروان][1] والمسور، ورواه أبو وائل عن سهل بن حنيف قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: فأتيتُ النبيَّ ﷺ، فقلت: ألستَ نبيَّ الله حقاً؟ قال: بلى، قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى، قلت: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فلِمَ نعطي الدنيّة في ديننا إذن؟ قال: إني رسول الله ولستُ أعصيه وهو ناصري، قلت: أوليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفأخبرتُكَ أنّا نأتيه العام؟ قلت: لا، قال: فإنك آتيه ومطوِّف به، قال: فأتيتُ أبا بكر، فقلت: يا أبا بكر أليس هذا نبي الله حقًّا؟ قال: بلى. قلتُ: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال: بلى. قلتُ: أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟ قال: بلى، قلت: فَلِمَ نعطي الدنية في ديننا إذن؟ قال: أيها الرجل إنه رسول الله ليس يعصي ربَّه وهو ناصره، فاستمسك بغرزه فوالله إنه على الحق، قلتُ: أليس كان يحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به؟ قال: بلى، أفَأخبركَ أنّك تأتيه العام؟ قلتُ: لا، قال: فإنك آتيه ومطوف به.
قال الزهري: قال عمر: فعملت لذلك أعمالاً.

قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ لأصحابه: قوموا فانحروا، ثم احلقوا، قال: فوالله ما قام رجل منهم، حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد، قام فدخل على أم سلمة، فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة: يا نبي الله أتحب ذلك؟ اخرجْ ثم لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنك وتدعو حالقك فيحلقك، فخرج فلم يكلم أحداً منهم حتى فعل ذلك، نحر بدنه ودعا حالقه فحلقه فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً حتى كاد بعضهم أن يقتل بعضاً غمّا.

قال ابن عمر وابن عباس: حلق رجال يوم الحديبية وقصَّر آخرون، فقال رسول الله ﷺ: يرحم الله المحلّقين، قالوا: والمقصرين؟ قال: يرحم الله المحلّقين، قالوا: يا رسول الله والمقصرين؟ قال:

(١) ساقط من «أ».

والمقصرين، قالوا: يا رسول الله فلِمَ ظاهرت الترحم للمحلقين دون المقصرين؟ قال: لأنهم لم يشكّوا. قال ابن عمر: وذلك لأنه تربص قوم وقالوا لعلنا نطوف بالبيت.

قال ابن عباس: وأهدى رسول الله ﷺ عام الحديبية في هداياه جملاً لأبي جهل في رأسه برة من فضة ليغيظ المشركين بذلك.

وقال الزهري في حديثه: ثم جاءه نسوة مؤمنات فأنزل الله تعالى «يا أيها الذين آمنوا إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات»، حتى بلغ «بِعِصَمِ الكَوَافِرِ» (الممتحنة - ١٠)، فطلق عمر رضي الله عنه يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية بن أبي سفيان، والأخرى صفوان بن أمية، قال: فنهاهم أن يردوا النساء وأمر بردّ الصداق.

قال: ثم رجع النبي ﷺ إلى المدينة، فجاءه أبو بصير عتبة بن أسيد، رجل من قريش وهو مسلم، وكان ممن حبس بمكة فكتب فيه أزهر بن عبد عوف والأخنس بن شريق الثقفي إلى رسول الله ﷺ وبعثا في طلبه رجلاً من بني عامر بن لؤي، ومعه مولى لهم، فقدِمَا على رسول الله ﷺ، وقالا: العهد الذي جعلت لنا، فقال رسول الله ﷺ: يا أبا بصير إنّا قد أعطينا هؤلاء القوم ما قد علمت، ولا يصلح في ديننا الغدر، وإن الله جاعل لك ولمن معك من المستضعفين فرجاً ومخرجاً، ثم دفعه إلى الرجلين فخرجا به حتى بلغا ذا الحُليفة، فنزلوا يأكلون من تمرٍ لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين: والله إني لأرى سيفك هذا جيداً، فاستلّه الآخر، فقال: أجل والله إنه لجيد لقد جربت به ثم جربت به، فقال أبو بصير: أرني أنظر إليه، فأخذوه وعلاه به فضربه حتى برد، وفرَّ الآخر حتى أتى المدينة فدخل المسجد يعدو، فقال رسول الله ﷺ حين رآه، لقد رأى هذا ذعراً،
١٣٣/أ فلما انتهى إلى النبي ﷺ، قال: ويلك مَالَكَ؟ قال: قتل والله صاحبي وإني لمقتول/، فوالله ما برح حتى طلع أبو بصير متوشحا السيف حتى وقف على رسول الله ﷺ، فقال: يا نبي الله أوفَى الله ذمتَك قد رددتني إليهم ثم أنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ: ويلَ أمه مِسْعَر حرب، لو كان معه أحد، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج حتى أتى سِيفَ البحر، وبلغ المسلمين الذين كانوا حُبسوا بمكة قولُ رسول الله ﷺ لأبي بصير: ويل أمه مسعر حرب لو كان معه أحد، فخرج عصابة منهم إليه، وانفلت أبو جندل بن سهيل فلحق بأبي بصير، حتى اجتمع إليه قريب من سبعين رجلاً، فوالله ما يسمعون بعير خرجت لقريش إلى الشام إلّا اعترضوا لها فقتلوهم وأخذوا أموالهم، فأرسلت قريش إلى النبي ﷺ تناشده الله والرحم لَما أرسل إليهم، فمن أتاه فهو آمن، فأرسل إليهم النبي ﷺ، فقدموا عليه المدينة، فأنزل الله تعالى: «وهو الذي كفّ أيديهم عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة من بعد أن أظفركم عليهم وكان الله بما تعملون بصيراً» حتى بلغ «حمية الجاهلية»،

مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾

وكانت حميتهم أنهم لم يقرُّوا أنه نبي الله ﷺ، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينه وبين البيت(١) .

قال الله عزّ وجلّ: ﴿**هم الذين كفروا**﴾، يعني كفار مكة، ﴿**وصدُّوكم عن المسجد الحرام**﴾، أن تطوفوا به، ﴿**والهديَ**﴾، أي: وصدوا الهدي، وهي البدن التي ساقها رسول الله ﷺ وكانت سبعين بدنة، ﴿**معكوفاً**﴾، محبوساً، يقال: عكفته عكفاً إذا حبستُه وعكوفاً للازم، كما يقال: رجع رجعاً ورجوعاً، ﴿**أنْ يبلغ مَحِلَّه**﴾، منحره وحيث يحل نحره يعني الحرم، ﴿**ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمناتٌ**﴾، يعني المستضعفين بمكة، ﴿**لم تعلموهم**﴾، لم تعرفوهم، ﴿**أنْ تطأوهم**﴾، بالقتل وتوقعوا بهم، ﴿**فتصيبَكم منهم معرّةٌ بغيرِ علم**﴾، قال ابن زيد:معرة إثم. وقال ابن إسحاق: غرم الدية .

وقيل: الكفارة لأن الله عز وجل أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يَعلم إيمانه الكفارة دون الدية، فقال: «فإن كان من قوم عدوٍ لكم وهو مؤمن فتحرير رقبة مؤمنة» (النساء – ٩٢) .

وقيل: هو أن المشركين يعيبونكم ويقولون قتلوا أهل دينهم، **والمعرة:** المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالًا مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلموهم فيلزمكم بهم كفارة أو يلحقكم سبة. وجواب لولا محذوف، تقديره: لأذن لكم في دخولها ولكنه حال بينكم وبين ذلك .

﴿**ليُدخلَ اللّهُ في رحمتِهِ من يشاء**﴾، فاللام في «ليدخل» متعلق بمحذوفٍ دلَّ عليه معنى الكلام، يعني: حال بينكم وبين ذلك ليدخل الله في رحمته في دين الإسلام من يشاء من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها، ﴿**لو تزيَّلوا**﴾، لو تميزوا يعني المؤمنين من الكفار، ﴿**لَعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً**﴾، بالسبي والقتل بأيديكم، .

(١) أخرجه البخاري في الشروط، باب ما يجوز من الشروط في الإسلام: ٣١٢/٥، وبطوله في باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط: ٣٢٩/٥–٣٣٣ .
وانظر فتح الباري: ٣٣٣/٥ ومابعدها .

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟

وقال بعضُ أهل العلم: «لعذبنا» جواب لكلامين أحدهما: «لولا رجال»، والثاني: لو تزيلوا»، ثم قال: ﴿لِيُدخِلَ الله في رحمتِهِ مَنْ يشاءُ﴾، يعني المؤمنين والمؤمنات.

وقوله:﴿في رحمته﴾، أي جنته. وقال قتادة في هذه الآية: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

﴿إذْ جعلَ الذين كفروا في قلوبهمُ الحميَّة﴾، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن البيت، ولم يقروا ببسم الله الرحمن الرحيم، وأنكروا محمداً رسول الله ﷺ، والحمية: الأنفة، يقال: فلان ذو حمية إذا كان ذا غضب وأنفة.

قال مقاتل: قال أهل مكة: قد قتلوا أبناءنا وإخواننا ثم يدخلون علينا، [فتتحدث العرب أنهم دخلوا علينا][1] على رغم أنفنا، واللات والعزى لا يدخلونها علينا، فهذه «حمية الجاهلية»، التي دخلت قلوبهم.

﴿فأنزلَ اللّهُ سكينتَه على رسولِهِ وعلى المؤمنين﴾، حتى لم يدخلهم ما دخلهم من الحمية فيعصوا الله في قتالهم، ﴿وألزمَهم كلمةَ التقوى﴾، قال ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وقتادة، وعكرمة، والسدي، وابن زيد، وأكثر المفسرين: كلمة التقوى «لا إله إلا الله»[2].

وروي عن أُبي بن كعب مرفوعاً.

وقال علي وابن عمر: «كلمة التقوى» لا إله إلا الله والله أكبر[3].

وقال عطاء بن أبي رباح: هي لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير[4].

---

(١) مابين القوسين ساقط من «أ».
(٢) انظر: الدر المنثور: ٥٣٦/٧-٥٣٧.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٦، وانظر: البحر المحيط: ٩٩/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٦، وانظر: البحر المحيط: ٩٩/٨.

أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ

وقال عطاء الخراساني: هي لا إله إلا الله محمد رسول الله[(١)].

وقال الزهري: هي بسم الله الرحمن الرحيم[(٢)].

﴿**وكانوا أحقَّ بها**﴾، من كفار مكة، ﴿**وأهلها**﴾، أي وكانوا أهلها في علم **الله**، لأن الله تعالى اختار لدينه وصحبة نبيه أهل الخير، ﴿**وكان اللَّهُ بكل شيءٍ عليماً**﴾.

﴿**لقد صَدَقَ اللَّهُ رسولَهُ الرؤيا بالحَقِّ لتدخُلنَّ المسجدَ الحرامَ إنْ شاءَ اللَّهُ آمِنين**﴾، وذلك أنّ النبي ﷺ أُري في المنام بالمدينة قبل أن يخرج إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام آمنين، ويحلقون رؤوسهم ويقصرون، فأخبر بذلك أصحابه، ففرحوا وحسبوا أنهم داخلو مكة عامهم ذلك، فلما انصرفوا ولم يدخلوا شقّ عليهم، فأنزل الله هذه الآية[(٣)].

وروي عن مجمع بن جارية الأنصاري: قال شهدنا الحديبية مع رسول الله ﷺ، [فلما انصرفنا عنها إذا الناس يهزون الأباعر، فقال بعضهم: ما بال الناس؟ فقالوا: أوحي إلى رسول الله ﷺ، قال فخرجنا نوجف، فوجدنا النبي ﷺ][(٤)] واقفاً على راحلته عند كراع الغميم، فلما اجتمع إليه الناس قرأ: «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً»، فقال عمر: أو فتح هو يا رسول الله؟ قال: «نعم والذي نفسي بيده»[(٥)].

ففيه دليل على أن المراد بالفتح صلح الحديبية، **وتحقُّق الرؤيا** كان في العام المقبل، فقال جلّ ذكره:

«لقد صَدَقَ اللَّهُ رسولَهُ الرؤيا بالحق»، أخبر أن الرؤية التي أراه إياها في مخرجه إلى الحديبية أنه يدخل هو وأصحابه المسجد الحرام صدقٌ وحقٌ.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٦/١٠٦.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١٠٦، وعبد الرزاق في التفسير: ٢/٢٢٩، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٣٧ أيضاً لابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: الطبري: ٢٦/١٠٧، الدر المنثور: ٧/٥٣٨.

(٤) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٥) أخرجه أبوداود في الجهاد، باب: من أسهم له سهماً: ٢/٥٢-٥٣، والإمام أحمد: ٣/٤٢٠، والحاكم: ٢/١٣١ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.

﴿وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ ۚ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا ۖ سِيمَاهُمْ فِي﴾

قوله: ﴿لتدخلُنَّ﴾ يعني وقال: لتدخلن. وقال ابن كيسان: «لتدخلن» من قول رسول الله ﷺ لأصحابه حكاية عن رؤياه، فأخبر الله عن رسوله أنه قال ذلك، وإنما استثنى/مع علمه بدخولها بإخبار الله تعالى، تأدباً بآداب الله، حيث قال له: «ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلّا أن يشاء الله» (الكهف - ٢٣) . ١٣٣/ب

وقال أبو عبيدة: «إن» بمعنى إذْ، مجازه: إذْ شاء الله، كقوله: «إن كنتم مؤمنين» .
وقال الحسين بن الفضل: يجوز أن يكون الاستثناء من الدخول، لأن بين الرؤيا وتصديقها سنة، ومات في تلك السنة ناس فمجاز الآية: لتدخلن المسجد الحرام كلكم إن شاء الله .

وقيل الاستثناء واقع على الأمن لا على الدخول، لأن الدخول لم يكن فيه شك، كقول النبي ﷺ عند دخول المقبرة: «وإنا إن شاء الله بكم لاحقون»[1]، فالاستثناء راجع إلى اللحوق لا إلى الموت .

﴿محلّقين رؤوسَكم﴾، كلها، ﴿ومقصّرين﴾، بأخذ بعض شعورها، ﴿لا تخافون فعلِمَ ما لم تعلموا﴾، أن الصلاح كان في الصلح وتأخير الدخول، وهو قوله تعالى: «ولولا رجالٌ مؤمنون ونساءٌ مؤمنات» الآية (الفتح - ٢٥). ﴿فجعل من دونِ ذلك﴾، أي من قبل دخولكم المسجد الحرام، ﴿فتحاً قريباً﴾، وهو صلح الحديبية عند الأكثرين، وقيل: فتح خيبر .

﴿هو الذي أرسلَ رسولَه بالهدى ودينِ الحقِّ لِيُظهرَهُ على الدينِ كلّه وكفى بالله شهيداً﴾، على أنك نبي صادق فيما تخبر .

﴿محمدٌ رسولُ الله﴾، تمّ الكلام ها هنا، قاله ابن عباس، شهد له بالرسالة، ثم قال مبتدئاً: ﴿والذين معه﴾، فالواو فيه للاستئناف، أي: والذين معه من المؤمنين، ﴿أشدّاءُ على الكفار﴾، غلاظ عليهم كالأسد على فريسته لا تأخذهم فيهم رأفة، ﴿رحماءُ بينهم﴾، متعاطفون متوادون بعضهم

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الجنائز، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها برقم: (٩٧٥): ٦٧١/٢ .

وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ

لبعض، كالولد مع الوالد، كما قال: «أذلة على المؤمنين أعزّة على الكافرين»: (المائدة - ٥٤): ﴿**تراهم رُكَّعاً سجَّداً**﴾، أخبر عن كثرة صلاتهم ومداومتهم عليها، ﴿**يبتغون فضلاً من اللهِ**﴾، أن يدخلهم الجنة، ﴿**ورضواناً**﴾، أن يرضى عنهم، ﴿**سيماهم**﴾، أي علامتهم، ﴿**في وجوههم من أثرِ السجود**﴾، اختلفوا في هذه السيما: فقال قوم: هو نورٌ وبياض في وجوههم يوم القيامة يُعرفون به أنهم سجدوا فى الدنيا، وهو رواية عطية العوفي عن ابن عباس، قال عطاء بن أبي رباح والربيع بن أنس: استنارت وجوههم من كثرة ما صلّوا. وقال شهر بن حوشب: تكون مواضع السجود من وجوههم كالقمر ليلة البدر .

وقال آخرون: هو السمت الحسن والخشوع والتواضع. وهو رواية الوالبي عن ابن عباس قال: ليس بالذي ترون ولكنه سيماء الإسلام وسجيته وسمته وخشوعه. وهو قول مجاهد، والمعنى: أن السجود أورثهم الخشوع والسمت الحسن الذي يُعرفون به .

وقال الضحاك: هو صفرة الوجه من السهر .

وقال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى .

قال عكرمة وسعيد بن جبير: هو أثر التراب على الجباه .

قال أبو العالية: إنهم يسجدون على التراب لا على الأثواب .

وقال عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من حافظ على الصلوات الخمس[1] .

﴿**ذلك**﴾، الذي ذكرت، ﴿**مَثَلُهم**﴾، صفتهم ﴿**في التوراةِ**﴾، ها هنا تم الكلام، ثم ذكر نعتهم في الإنجيل، فقال: ﴿**ومَثَلهم**﴾، صفتهم، ﴿**في الإنجيلِ كَزرعٍ أخرجَ شطْأه**﴾، قرأ ابن كثير، وابن عامر: «شَطَأه» بفتح الطاء، وقرأ الآخرون بسكونها، وهما لغتان كالنَّهَرِ والنَّهْر، وأراد أفراخه، يقال: أشطأ الزرع فهو مشطىء، إذا أفرخ، قال مقاتل: هو نبت واحد، فإذا خرج بعده فهو شطؤه.

(١) أورد هذه الأقوال الإمام الطبري: ٢٦/١١٠-١١٢ ثم قال مرجحاً: «وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبرنا أن سيما هؤلاء القوم الذين وصف صفتهم في وجوههم من أثر السجود، ولم يخصّ ذلك على وقت دون وقت. وإذ كان ذلك كذلك، فذلك على كل الأوقات، فكان سيماهم الذي كانوا يعرفون به في الدنيا أثر الإسلام، وذلك خشوعه وهديه وزهده وسمته، وآثار أداء فرائضه وتطوعه، وفي الآخرة ما أخبر أنهم يعرفون به، وذلك الغرة في الوجه والتحجيل في الأيدي والأرجل من أثر الوضوء، وبياض الوجوه من أثر السجود» .

﴿شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾

وقال السدي: هو أن يخرج معه الطاقة الأخرى.

قوله: ﴿فَآزَرَهُ﴾، قرأ ابن عامر: «فأزره» بالقصر والباقون بالمد، أي: قواه وأعانه وشدّ أزره، ﴿فاستغلظ﴾، غلظ ذلك الزرع، ﴿فاستوى﴾، أي تمّ وتلاحق نباته وقام، ﴿على سوقِهِ﴾، أصوله، ﴿يُعجِبُ الزُّرّاع﴾، أعجب ذلك زراعه.

هذا مثل ضربه الله عزّ وجلّ لأصحاب محمد ﷺ في الإنجيل [أنهم يكونون قليلاً، ثم يزدادون ويكثرون.

قال قتادة: مثل أصحاب رسول الله ﷺ في الإنجيل][(١)] مكتوب أنه سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهوْن عن المنكر[(٢)].

وقيل: «الزرع» محمد ﷺ، و«الشطء»: أصحابه والمؤمنون.

وروي عن مبارك بن فضالة عن الحسن قال: «محمد رسول الله والذين معه»: أبو بكر الصديق رضي الله عنه، «أشداء على الكفار» عمر بن الخطاب رضي الله عنه، «رحماء بينهم» عثمان بن عفان رضي الله عنه، «تراهم ركعاً سجداً» علي بن أبي طالب رضي الله عنه، «يبتغون فضلاً من الله» بقية العشرة المبشرين بالجنة.

وقيل: «كمثل زرع» محمد، «أخرج شطأه» أبو بكر «فآزره» عمر «فاستغلظ» عثمان، للإسلام «فاستوى على سوقه» علي بن أبي طالب استقام الإسلام بسيفه، «يعجب الزراع» قال: هم المؤمنون.

﴿ليغيظ بهم الكفار﴾، قول عمر لأهل مكة بعدما أسلم: لا تعبدوا اللَّهَ سراً بعد اليوم:

حدثنا أبو حامد أحمد بن محمد الشجاعي السرخسي إملاءً، أخبرنا أبو بكر عبد الله بن أحمد القفال، حدثنا أبو أحمد عبد الله بن محمد الفضل السمرقندي، حدثنا شيخي أبو عبد الله محمد ابن الفضل البلخي، حدثنا أبو رجاء قتيبة بن سعيد، حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردي، عن عبد الرحمن بن حميد، عن أبيه، عن عبد الرحمن بن عوف: أن النبي ﷺ، قال: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وطلحة في الجنة، **وعليّ في الجنة**، والزبير في الجنة، وعبد الرحمن

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١١٤.

ابن عوف في الجنة، وسعد بن أبي وقاص في الجنة، وسعيد بن زيد في الجنة وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة»(١) .

حدثنا أبو المظفر محمد بن أحمد التميمي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان بن قاسم، حدثنا خيثمة بن سليمان بن حيدرة الأطرابلسي، حدثنا أحمد بن هاشم الأنطاكي، حدثنا قطبة بن العلاء، حدثنا سفيان الثوري، عن خالد الحذاء، عن أبي قلابة، عن أنس بن مالك، عن النبي ﷺ قال: «أرحم أمتي أبو بكر، وأشدهم في أمر الله عمر، وأصدقهم حياءً عثمان، وأفرضهم زيد، وأقرؤهم أبيّ، وأعلمهم بالحلال والحرام معاذ بن جبل، ولكل أمة أمين، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»(٢) .

ورواه معمر عن قتادة مرسلاً وفيه: «وأقضاهم علي»(٣) .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا معلى بن أسد، حدثنا عبد العزيز المختار قال خالد الحذاء، حدثنا عن أبي
عثمان قال حدثني عمرو بن العاص/أن النبي ﷺ بعثه على جيش ذات السلاسل قال: فأتيته فقلتُ: ١٣٤/أ
أيُّ الناس أحب إليك؟ قال: عائشة، فقلت: من الرجال؟ فقال: أبوها، قلت: ثمَّ مَنْ؟ قال: عمر ابن الخطاب فعدّ رجالاً فسكت مخافة أن يجعلني في آخرهم(٤) .

أخبرنا أبو منصور عبد الملك وأبو الفتح نصر، ابنا علي بن أحمد بن منصور ومحمد ابن الحسين ابن شاذويه الطوسي بها قالا: حدثنا أبو الحسن محمد يعقوب، أخبرنا الحسن بن محمد ابن أحمد بن كيسان النحوي، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن شريك الأسدي، حدثنا إبراهيم بن إسماعيل هو ابن يحيى بن سلمة بن كهيل، حدثنا أبي عن أبيه عن سلمة عن أبي الزعراء عن ابن مسعود

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، مناقب عبد الرحمن بن عوف: ٢٤٩/١٠ من طريق عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن عبد الرحمن ابن عوف، ورواه أيضاً: ٢٤٩/١٠ من طريق عبد الرحمن بن حميد عن أبيه عن سعيد بن زيد، وقال: هذا أصح من الأول . والإمام أحمد في فضائل الصحابة: ٢٧٨/١ بإسناد حسن، والمصنف في شرح السنة: ١٢٨/١٤ .

(٢) أخرجه ابن ماجه في المقدمة، فضل خباب برقم: (١٥٤): ٥٥/١، وأشار إليه الترمذي بقوله: وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبى صلى الله علية وسلم نحوه. والإمام أحمد: ١٨٤/٣، وابن حبان في المناقب باب فضل جماعة من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم برقم (٢٢١٨) ص(٥٤٨)، والحاكم: ٤٢٢/٣، والمصنف في شرح السنة: ١٣١/١٤-١٣٢ .

(٣) أخرجه الترمذي في المناقب، باب مناقبّ معاذ بن جبل وزيد بن ثابت..: ٢٩٣/١٠-٢٩٤ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه من حديث قتادة إلا من هذا الوجه. وقد رواه أبو قلابة عن أنس عن النبى صلى الله عليه وسلم نحوه» .

(٤) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم، باب قول النبى صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً: ١٨/٧، ومسلم في فضائل الصحابة ، باب فضائل أبي بكر الصديق رضي الله عنه برقم: (٢٣٨٤): ١٨٥٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٧٩/١٤-٨٠ .

عن النبي ﷺ أنه قال: «اقتدوا باللذين من بعدي من أصحابي: أبي بكر وعمر، واهتدوا بهدي عمار، وتمسكوا بعهد عبد الله بن مسعود»(١).

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو الحسين علي بن محمد بن بشران، أخبرنا إسماعيل بن محمد الصفار، حدثنا أحمد بن منصور الرمادي، حدثنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن أبي حازم، عن سهل بن سعد أنَّ أُحداً ارتجّ وعليه النبي ﷺ وأبو بكر وعثمان، فقال النبي ﷺ: «اثبتْ أُحد ما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيد»(٢).

أخبرنا أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي، أخبرنا أبو الحسن أحمد بن محمد بن موسى ابن الصلت، حدثنا أبو إسحاق إبراهيم بن عبد الصمد الهاشمي، حدثنا أبو سعيد الأشج، أخبرنا وكيع، حدثنا الأعمش، عن عدي بن ثابت، عن زر بن حبيش، عن علي قال: عهد إليّ النبي ﷺ أنه لا يُحبُّك إلّا مؤمن، ولا يبغضك إلّا منافق(٣).

حدثنا أبو المظفر التميمي، أخبرنا عبد الرحمن بن عثمان، أخبرنا خيثمة بن سليمان، حدثنا محمد ابن عيسى بن حيان المدائني، حدثنا محمد بن الفضل بن عطية، عن عبد الله بن مسلم عن ابن بريدة عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «من مات من أصحابي بأرض كان نورهم وقائدهم يوم القيامة»(٤).

قوله عزّ وجلّ: ﴿لِيَغيظَ بهِمُ الكفارَ﴾، أي إنما كثرهم وقواهم ليكونوا غيظاً للكافرين.

---

(١) أخرجه الترمذي في المناقب، مناقب عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ٣٠٨/١٠ وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه، من حديث ابن مسعود لا نعرفه إلا من حديث يحيى بن سلمة بن كهيل، ويحيى بن سلمة يضعف في الحديث والحاكم: ٧٥/٣، والبيهقي في السنن: ١٥٣/٨ عن حذيفة، والإمام أحمد في المسند: ٣٨٢/٥ وفي فضائل الصحابة: ١٨٧/١، والمصنف في شرح السنة: ١٠٢/١٤. وللحديث طرق وشواهد يرتقي بها إلى درجة الحسن.

(٢) أخرجه الإمام أحمد: ٣٣١/٥، وعبد الرزاق في المصنف: ٢٢٩/١١، وابن أبي عاصم في السنة: ٦١٨/٢.
قال الهيثمي في المجمع: (٥٥/٩): «رواه أبو يعلى ورجاله رجال الصحيح» وأخرجه المصنف في شرح السنة: ١٠٧/١٤.
وذكره الحافظ ابن حجر في الفتح بهذا اللفظ عن أنس بن مالك: ٤٩/٧.

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب الدليل على أن حب الأنصار وعلي رضى الله عنه من الإيمان وعلاماته برقم: (٧٨): ٨٦/١، والمصنف في شرح السنة: ١١٣/١٤-١١٤.

(٤) أخرجه الترمذي في المناقب، باب: من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ٣٦٧/١٠ وقال: «هذا حديث غريب». وأخرجه ابن عساكر وأبو نعيم في المعرفة.
وفيه طيبة، عبد الله بن مسلم، قال أبو حاتم: «لا يحتج به»، وعثمان بن ناجية: مستور، والحديث أخرجه أيضاً الضياء في «المختارة».
انظر: كنز العمال: ٥٣٧/١١-٥٣٨، تحفة الأحوذي: ٣٦٧/١٠.
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٧٢/١٤.

قال مالك بن أنس: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية[1].

أخبرنا أبو الطيب طاهر بن محمد بن العلاء البغوي، حدثنا أبو معمر المفضل بن إسماعيل بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا جدي أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرني الهيثم بن خلف الدوري، حدثنا المفضل بن غسان بن المفضل العلائي، حدثنا يعقوب بن إبرهيم بن سعد، حدثنا عبيدة بن أبي رابطة عن عبد الرحمن بن زياد عن عبد الله بن مغفل المزني قال: قال رسول الله ﷺ: «اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، اللَّهَ اللَّهَ في أصحابي، لا تتخذوهم غرضاً بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله، ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه»[2].

حدثنا أبو المظفر بن محمد بن أحمد بن حامد التميمي، أخبرنا أبو محمد عبد الرحمن بن عثمان ابن القاسم، أخبرنا أبو الحسن خيثمة بن سليمان، حدثنا إبراهيم بن عبد الله العبسي القصار بالكوفة، أخبرنا وكيع بن الجراح، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أُحدٍ ذهباً ما أدرك مُدَّ أحدهم ولا نصيفه»[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الحسين الزعفراني، حدثنا أبو محمد عبد الله بن عروة، حدثنا محمد بن الحسين بن محمد بن إشكاب، حدثنا شبابة[4] بن سوَّار، حدثنا فضيل بن مرزوق عن أبي خباب عن أبي سليم الهمداني، عن أبيه، عن علي قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ سرك أن تكون من أهل الجنة فإن قوماً ينتحلون حبك يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم،

---

(١) انظر: القرطبي: ١٦/٢٩٦-٢٩٧ .

(٢) أخرجه الترمذي في المناقب، باب: من سب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم: ١٠/٣٦٥ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه، والإمام أحمد: ٤/٨٧، وفي فضائل الصحابة ١/٤٨،٤٩، وابن حبان في المناقب برقم (٢٢٨٤) ص(٥٦٨-٥٦٩)، والخطيب في تاريخ بغداد: ٩/١٢٣، وأبو نعيم في الحلية: ٧/٢٨٧، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٧٠ .

وفيه: عبد الرحمن بن زياد، قال الذهبي: لا يعرف. وفي الميزان: في الحديث اضطراب. انظر: فيض القدير: ٢/٩٨

(٣) أخرجه البخاري في فضائل أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم لو كنت متخذاً خليلاً: ٧/٢١، ومسلم في فضائل الصحابة، باب: تحريم سب الصحابة رضى الله عنهم برقم: (٢٥٤٠) ٤/١٩٦٧، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٦٩ .

(٤) في «أ» : بشارة .

﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾﴾

نبزهم الرافضة، فإن أدركتهم فجاهدهم فإنهم مشركون»[1]، في إسناد هذا الحديث نظر.

قول الله عزّ وجلّ: **﴿وعَدَ الله الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ منهم﴾**، قال ابن جرير: يعني من الشطء الذي أخرجه الزرع، وهم الداخلون في الإسلام بعد الزرع إلى يوم القيامة، وردَّ الهاء والميم على معنى الشطء لا على لفظه، ولذلك لم يقل: «منه»، **﴿مغفرة وأجراً عظيماً﴾**، يعني الجنة.

(١) عزاه صاحب الكنز: ٣٢٤/١١ لابن بشران والحاكم في الكنى.

سُورَةُ الحُجُرَاتِ

سورة الحجرات

مدنية(1)

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝١﴾

﴿يا أيها الذين آمنوا لا تُقدّموا بينَ يديِ اللّهِ ورسولِهِ﴾، قرأ يعقوب: «لا تَقَدَّموا» بفتح التاء والدال، من التقدم أي لا تتقدموا، وقرأ الآخرون بضم التاء وكسر الدال، من التقديم، وهو لازم بمعنى التقدم، [قال أبو عبيدة](2) تقول العرب: لا تقدم بين يدي الإمام وبين يدي الأب، أي لا تعجل بالأمر والنهي دونه، والمعنى: بين اليدين الأمام. والقدام: أي لا تقدموا بين يدي أمرهما ونهيهما. واختلفوا في معناه: روى الشعبي عن جابر أنه في الذبح يوم الأضحى، وهو قول الحسن، أي لا تذبحوا قبل أن يذبح النبي ﷺ، وذلك أن ناساً ذبحوا قبل صلاة النبي ﷺ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح(3).

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا محمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا شعبة، عن زيد، عن الشعبي، عن البراء قال خطبنا النبي ﷺ يوم النحر، قال: «إن أول ما نبدأ به في يومنا هذا أن نصلي، ثم نرجع فننحر، فمن فعل ذلك فقد أصاب سنتنا، ومن ذبح قبل أن نصلي فإنما هو لحم عجّله لأهله ليس من النسك

---

(1) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٦/٧، لابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الحجرات بالمدينة.

(2) ما بين القوسين زيادة من «ب».

(3) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٦، وعبد الرزاق في التفسير: ٢٣٠/٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٧/٧ أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر.
ويلاحظ أن هذا مخالف للروايات المسندة الصحيحة في سبب نزول الآية، فيكون كلام الحسن وجابر إنما هو داخل في عموم الآية لا أنه سبب لنزولها.

في شيء»[1].

وروى مسروق عن عائشة أنه في النهي عن صوم يوم الشك[2]، أي: لا تصوموا قبل أن صوم نبيكم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا
١٣٤/ب محمد بن إسماعيل، حدثنا إبراهيم بن موسى/، حدثنا هشام بن يوسف أن ابن جريج أخبرهم عن ابن أبي مليكة، أن عبد الله بن الزبير أخبرهم، أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمِّرِ القعقاع معبد بن زرارة، قال عمر: بل أمِّر الأقرع بن حابس، قال أبو بكر: ما أردتَ إلّا خلافي، قال عمر: ما أردتُ خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فنزلت في ذلك: «يا أيها الذين آمنوا لا تقدموا بين يدي الله ورسوله» حتى انقضت[3].

ورواه نافع عن ابن أبي مُليكة، قال فنزلت: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» إلى قوله: «أجر عظيم»، وزاد: قال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه، ولم يذكر عن أبيه، يعني أبا بكر[4].

وقال قتادة: نزلت الآية في ناس كانوا يقولون: لو أُنزل في كذا، أوصُنع في كذا وكذا، فكره الله ذلك[5].

وقال مجاهد: لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ بشيء حتى يقضيه الله على لسانه[6].

وقال الضحاك: يعني في القتال وشرائع الدين لا تقضوا أمراً دون الله ورسوله.

---

(١) أخرجه البخاري: في العيدين، باب الخطبة بعد العيد: ٤٥٣/٢.
(٢) انظر الكافي الشاف ص(١٥٥).
(٣) أخرجه البخاري في التفسير: باب (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون) ٥٩٢/٨، وفي المغازي، وفي الاعتصام بالكتاب والسنة.
(٤) أخرجه البخاري في التفسير، باب (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية؛ ٥٩٠/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٦، وعبد الرزاق في التفسير: ٢٣٠/٢.
وانظر: الكافي الشاف ص(١٥٥)، البحر المحيط: ١٠٥/٨، القرطبي: ٣٠١/١٦.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٦، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٧/٧ عزوه لعبد بن حميد وابن المنذر وابن مردويه والبيهقي في الشعب.
وانظر: البحر المحيط: ١٠٥/٨، القرطبي: ٣٠١/١٦.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾﴾

﴿واتقوا الله﴾، في تضييع حقه ومخالفة أمره، ﴿إنَّ الله سميعٌ﴾، لأقوالكم، ﴿عليم﴾، بأفعالكم .

﴿يا أيها الذين آمنوا **لا ترفَعُوا أصواتَكم فوقَ صوتِ النبيِّ ولا تجهَرُوا له بالقولِ كَجَهْرِ بعضِكم لبعضٍ**﴾، أمرهم أن يبجلوه ويفخموه ولا يرفعوا أصواتهم عنده، ولا ينادونه كما ينادي بعضهم بعضاً، ﴿**أنْ تحبَطَ أعمالُكم**﴾، لئلا تحبط حسناتكم. وقيل: مخافة أن تحبط حسناتكم، ﴿**وأنتم لا تشعرون**﴾ .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا الحسن ابن موسى، حدثنا حماد بن سلمة، عن ثابت البناني، عن أنس بن مالك قال: لما نزلت هذه الآية: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي» الآية، جلس ثابت بن قيس في بيته وقال: أنا من أهل النار واحتبس عن النبي ﷺ، فسأل النبي ﷺ سعد بن معاذ فقال: يا أبا عمرو ما شأن ثابت أشتكى؟ فقال سعد: إنه لجاري وما علمت له شكوى، قال: فأتاه سعد فذكر له قول رسول الله ﷺ، فقال ثابت: أنزلت هذه الآية، ولقد علمتم أني من أرفعكم صوتاً على رسول الله ﷺ، فأنا من أهل النار، فذكر ذلك سعدٌ للنبي ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «بل هو من أهل الجنة»[1] .

ورُوي أنه لما نزلت هذه الآية قعد ثابت في الطريق يبكي، فمرّ به عاصم بن عدي فقال: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: هذه الآية أتخوف أن تكون نزلت فيّ، وأنا رفيع الصوت أخاف أن يحبط عملي، وأن أكون من أهل النار، فمضى عاصم إلى رسول الله ﷺ، وغلب ثابتاً البكاء، فأتى امرأته جميلة بنت عبد الله بن أبي بن سلول، فقال لها: إذا دخلتُ بيت فرسي فشدي عليّ الضبّة بمسمار، وقال: لا أخرج حتى يتوفاني الله أو يرضى عنّي رسول الله ﷺ، فأتى عاصمٌ رسولَ الله ﷺ، فأخبره خبره فقال له: اذهب فادعه، فجاء عاصم إلى المكان الذي رآه فلم يجده، فجاء

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب: (لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي) الآية؛ ٥٩٠/٨ ومسلم في الإيمان، باب مخافة المؤمن أن يحبط عمله برقم: (١١٩): ١١٠/١ .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾

إلى أهله فوجده في بيت الفرس، فقال له: إن رسول الله ﷺ يدعوك، فقال: اكسرِ الضبة فكسرها، فأتيا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: ما يبكيك يا ثابت؟ فقال: أنا صيّتٌ وأتخوف أن تكون هذه الآية نزلت فيّ، فقال رسول الله ﷺ: أما ترضى أن تعيش حميداً وتقتل شهيداً وتدخل الجنة؟ فقال: رضيت ببشرى الله ورسوله، ولا أرفع صوتي أبداً على رسول الله ﷺ فأنزل الله: ﴿إن الذين يغضُّون أصواتهم عندَ رسولِ اللّهِ﴾ الآية[1].

قال أنس: فكنّا ننظر إلى رجل من أهل الجنة يمشي بين أيدينا، فلما كان يوم اليمامة في حرب مسيلمة الكذاب، رأى ثابت من المسلمين بعض الانكسار وانهزمت طائفة منهم، فقال: أفٍ لهؤلاء، ثم قال ثابت لسالم مولى أبي حذيفة: ما كنا نقاتل[2] أعداء الله مع رسول الله ﷺ مثل هذا، ثم ثبتا وقاتلا حتى قُتلا، واستشهد ثابت وعليه درع، فرآه رجل من الصحابة بعد موته في المنام وأنه قال له: اعلم أن فلاناً رجل من المسلمين نزع درعي فذهب بها وهي في ناحية من المعسكر عند فرس يسير في طِوَلِه، وقد وضع على درعي بُرمَة، فأْتِ خالد بن الوليد وأخبره حتى يسترد درعي، وأتِ أبا بكر خليفة رسول الله ﷺ وقل له: إن عليّ ديناً حتى يقضى، وفلان من رقيقي عتيق، فأخبر الرجل خالداً فوجد درعه والفرس على ما وصفه له، فاسترد الدرع، وأخبر خالدٌ أبا بكر بتلك الرؤيا فأجاز أبو بكر وصيته[3].

قال مالك بن أنس: لا أعلم وصيةً أُجيزتْ بعد موت صاحبها إلّا هذه.

قال أبو هريرة وابن عباس: لما نزلت هذه الآية كان أبو بكر لا يكلم رسول الله ﷺ إلّا كأخي السرار[4].

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٦، وابن مردويه من طريق زيد بن الحباب.
وأخرجه ابن سعد بإسناد صحيح، انظر: فتح الباري: ٦٢٠/٦-٦٢١.

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الإمام أحمد: ١٣٧/٣، وعبد بن حميد: ص٣٦٣-٣٦٤، وابن سعد والطبراني والحاكم، من رواية حماد بن أبي سلمة عن ثابت، وأخرج الحاكم قصة الدرع والوصية مطولة من وجه آخر عن ثابت بن قيس. انظر: فتح الباري: ٥٢/٦ وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ١٢٠/٤ ونسبه لأبي يعلى، وقال البوصيري وأصله في صحيح البخاري وسنن الترمذي من حديث أنس.
وانظر: ابن كثير: ٢٠٧/٤، وتفسير عبد الرزاق: ٢٣٠/٢.

(٤) أخرجه الحاكم: ٤٦٢/٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه» وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٤٨/٧ لعبد بن حميد والبيهقي في شعب الإيمان.
وانظر: فتح الباري: ٥٩١/٨، مجمع الزوائد: ١٠٨/٧.

﴿لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ۝٣ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٥﴾

وقال ابن الزبير: لما نزلت هذه الآية **ما حدَّث** عمر النبي ﷺ بعد ذلك فيسمع النبي ﷺ كلامه حتى يستفهمه مما يخفض صوته، فأنزل الله تعالى: «إن الذين يغضون أصواتهم»[(١)]، يخفضون ﴿**أصواتهم عند رسولِ الله**﴾ إجلالاً له، ﴿**أولئك الذين امتحنَ اللّهُ قلوبَهم للتقوى**﴾، اختبرها وأخلصها كما يمتحن الذهب بالنار فيخرج خالصه، ﴿**لهم مغفرةٌ وأجرٌ عظيم**﴾ .

﴿**إنّ الذين يُنادونَكَ من وراءِ الحُجُرات**﴾، قرأ العامة بضم الجيم، وقرأ أبو جعفر بفتح الجيم، وهما لغتان، وهي جمع الحُجَر، والحُجَرُ جمع الحُجْرَةِ فهي جمع الجمع .

قال ابن عباس: بعث رسول الله ﷺ سرية إلى بني العنبر وأمَّرَ عليهم عيينة بن حصن الفزاري، فلما علموا أنه توجه نحوهم هربوا وتركوا عيالهم، فسباهم عيينة بن حصن وقدم بهم على رسول الله ﷺ، **فجاء بعد ذلك رجالهم يفدون الذراري، فقدموا وقت الظهيرة، ووافقوا رسول الله ﷺ قائلاً في أهله، فلما رأتهم الذراري أجهشوا إلى آبائهم يبكون، وكان**/لكل امرأة من نساء ١٣٥/أ
رسول الله ﷺ [حجرة، فعجّلوا أن يخرج إليهم رسول الله ﷺ][(٢)]، فجعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، حتى أيقظوه من نومه، فخرج إليهم فقالوا: يا محمد **فادِنا عيالنا**، فنزل جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تجعل بينك وبينهم رجلاً، فقال لهم رسول الله ﷺ: أترضون أن يكون بيني **وبينكم سَبرة** بن عمرو، وهو على دينكم؟ فقالوا: نعم، فقال سبرة: أنا لا أحكم بينهم **إلّا** وعمي شاهد، وهو الأعور بن بشامة، فرضوا به، فقال الأعور: أرى أن تفادي نصفهم وتعتق نصفهم، فقال رسول الله ﷺ: قد رضيت، ففادى نصفهم وأعتق نصفهم، فأنزل الله تعالى: «إن الذين يُنادونَك من وراءِ الحجرات أكثرهم لا يعقلون»، وصفهم بالجهل وقلة العقل[(٣)] .

﴿**ولو أنّهم صبروا حتى تخرجَ إليهم لكانَ خيراً لهم**﴾، قال مقاتل: لكان خيراً لهم لأنك كنت تعتقهم جميعاً وتطلقهم بلا فداء، ﴿**واللّهُ غفورٌ رحيم**﴾ .

---

(١) أخرجه البخاري في التفسير، باب (لا ترفعوا أصواتكم...) ٥٩٠/٨ .
(٢) مابين القوسين ساقط من «أ» .
(٣) انظر: الكافي الشاف ص (١٥٦) .

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓاْ أَن تُصِيبُواْ قَوْمَۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُواْ

وقال قتادة: نزلت في ناس من أعراب بني تميم جاؤوا إلى النبي ﷺ فنادوا على الباب[(١)].

ويُروى ذلك عن جابر قال: جاءت بنو تميم فنادوا على الباب: اخرج إلينا يا محمد، فإنّ مَدْحَنا زين، وذمَّنا شين، فخرج النبي ﷺ وهو يقول: إنما ذلكم الله الذي مدحه زين وذمه شين، فقالوا: نحن ناس من بني تميم جئنا بشعرائنا وخطبائنا لنشاعرك ونفاخرك، فقال النبي ﷺ: «ما بالشعر بُعثتُ ولا بالفخار أُمرتُ، ولكن هاتوا»، فقام شاب منهم فذكر فضله وفضل قومه، فقال النبي ﷺ لثابت بن قيس بن شماس، وكان خطيب النبي ﷺ: «قم فأجبه»، فأجابه، وقام شاعرهم فذكر أبياتاً، فقال النبي ﷺ لحسان بن ثابت: أجبه فأجابه. فقام الأقرع بن حابس، فقال: إن محمداً لمُؤْتَىً له والله ما أدري هذا الأمر، تكلم خطيبنا فكان خطيبهم أحسن قولاً، وتكلم شاعرنا فكان شاعرهم أشعر وأحسن قولاً، ثم دنا من النبي ﷺ فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، فقال له النبي ﷺ: ما يضرك ما كان قبل هذا ثم أعطاهم رسول الله ﷺ وكساهم، وقد كان تخلف في ركابهم عمرو بن الأهتم لحداثة سنه، فأعطاه رسول الله ﷺ مثل ما أعطاهم، وأزرى به بعضهم وارتفعت الأصوات وكثر اللغط عند رسول الله ﷺ، فنزل فيهم: «يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم» الآيات الأربع إلى قوله: «غفور رحيم»[(٢)].

وقال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى النبي ﷺ فقال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل فإن يكن نبياً فنحن أسعد الناس به، وإن يكن ملكاً نعش في جنابه، فجاؤوا فجعلوا ينادونه، يا محمد يا محمد، فأنزل الله: «إن الذين يُنادونك من وراء الحجرات أكثرهم لا يعقلون * ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم لكان خيراً لهم والله غفور رحيم»[(٣)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءَكم فاسقٌ بنبأ فتبينوا﴾ الآية، نزلت في الوليد

---

(١) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٢/٢٣٠، وانظر: الطبري: ٢٦/١٢٢ سيرة ابن هشام: ٢/٥٦١.

(٢) أخرجه الواحدي بسنده في أسباب النزول ص (٤٤٧)، وقال الحافظ بن حجر في الكافي الشاف ص (١٥٦): «أورده الثعلبي من طريق يعلى بن عبد الرحمن عن عبد الحميد بن جعفر عن شمر بن الحكم عن جابر «جاءت بنو تميم فدخلوا ....» فذكره مطولاً.

وأخرج المقطع الأول منه الترمذي: ٩/١٥٢-١٥٣ عن البراء بن عازب وقال: «هذا حديث حسن غريب». وأخرجه الإمام أحمد: ٣/٤٨٨ عن الأقرع بن حابس، والهيثمي في المجمع: ٧/١٠٨ عن الأقرع بن حابس ثم قال: «رواه أحمد والطبراني وأحد إسنادي أحمد رجاله رجال الصحيح إن كان أبو سلمة سمع من الأقرع وإلا فهو مرسل كإسناد أحمد الآخر».

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦/١٢١.

وذكره ابن حجر في المطالب العالية: ٣/٣٧٥ ونسبه لمسدّد، وإسحاق وأبي يعلى وقال البوصيري: «رجاله ثقات».
وقال الهيثمي في المجمع: (٧/١٠٨): «رواه الطبراني وفيه داود بن راشد الطفاوي وثقه ابن حبان وضعفه ابن معين».
وانظر: الدر المنثور: ٧/٥٥٢-٥٥٣، القرطبي: ١٦/٣٠٩.

﴿عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ۝٦ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ۝٧﴾

ابن عقبة بن أبي مُعيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق بعد الوقعة مصدقاً، وكان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية، فلما سمع به القوم تلقوه تعظيماً لأمر رسول الله ﷺ، فحدثه الشيطان أنهم يريدون قتله فهابهم فرجع من الطريق إلى رسول الله ﷺ فقال: إن بني المصطلق قد منعوا صدقاتهم وأرادوا قتلي، فغضب رسول الله ﷺ وهمّ أن يغزوهم، فبلغ القومَ رجوعُه فأتوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا رسول الله سمعنا برسولك فخرجنا نتلقاه ونكرمه ونؤدي إليه ما قبلناه من حق الله عزّ وجلّ، فبدا له الرجوع، فخشينا أنه إنما رده من الطريق كتاب جاءه منك لغضب غضبته علينا، وإنّا نعوذ بالله من غضبه وغضب رسوله، فاتّهمهم رسول الله ﷺ، وبعث خالد بن الوليد إليهم خفية في عسكر وأمره أن يخفي عليهم قدومه، وقال له: انظر فإن رأيت منهم ما يدل على إيمانهم فخذ منهم زكاة أموالهم، وإن لم ترَ ذلك فاستعمل فيهم ما يستعمل في الكفار، ففعل ذلك خالد، ووافاهم فسمع منهم أذان صلاتي المغرب والعشاء، فأخذ منهم صدقاتهم، ولم يرَ منهم إلا الطاعة والخير، فانصرف إلى رسول الله ﷺ وأخبره الخبر، فأنزل الله تعالى: **﴿يا أيها الذين آمنوا إنْ جاءكم فاسق﴾** يعني الوليد بن عقبة[1]، **﴿بنبأ﴾**، بخبر، **﴿فتبينوا أنْ تصيبوا﴾**، كي لا تصيبوا بالقتل والقتال، **﴿قوماً﴾**، برآء، **﴿بجهالةٍ فتصبحوا على ما فعلتم نادمين﴾**، من إصابتكم بالخطأ.

﴿واعلموا أنّ فيكم رسولَ الله﴾، فاتقوا الله أن تقولوا باطلًا أو تكذبوه، فإن الله يخبره ويعرفه أحوالكم فتفتضحوا، **﴿لو يُطيعُكم﴾**، أي الرسول، **﴿في كثيرٍ من الأمرِ﴾**، مما تخبرونهَ به فيحكم برأيكم، **﴿لَعَنتُّم﴾**، لأثمتم وهلكتم، والعنَتُ: الإثم والهلاك. **﴿ولكنَّ الله حبّب إليكم الإيمانَ﴾**، فجعله أحب الأديان إليكم، **﴿وزيَّنه﴾**، حسنه، **﴿في قلوبكم﴾**، حتى اخترتموه، وتطيعون رسول الله ﷺ **﴿وكرّه إليكمُ الكفرَ والفسوقَ﴾**، قال ابن عباس: يريد الكذب، **﴿والعصيان﴾**، جميع معاصي الله. ثم عاد من الخطاب إلى الخبر، وقال: **﴿أولئك هم الراشدون﴾**، المهتدون.

---

(١) أخرجه الطبري: ١٢٣/٢٦، والإمام أحمد: ٢٧٩/٤، وعبد الرزاق في التفسير: ٢٣١/٢.
قال ابن كثير: ٢٠٩/٤-٢١٠ «ذكر كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط حين بعثه رسول الله صلى الله عليه وسلم على صدقات بني المصطلق، وقد روي ذلك من طرق، ومن أحسنها ماورواه الإمام أحمد في مسنده من رواية ملك بني المصطلق وهو الحارث بن أبي ضرار...ثم ساق الحديث وساق روايات أخرى...
وقال الهيثمي: ١١١/٧ «رواه الطبراني وفيه موسى بن عبيدة وهو ضعيف».

﴿فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا ۖ فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَىٰ فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيءَ إِلَىٰ﴾

﴿فضلاً﴾، أي كان هذا فضلاً، ﴿من اللهِ ونعمةً واللهُ عليمٌ حكيم﴾ .

قوله عزّ وجلّ: ﴿وإنْ طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما﴾ الآية .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف،
١٣٥/ب حدثنا محمد بن إسماعيل/حدثنا مسدد، حدثنا معتمر قال سمعت أبي يقول: إن أنساً قال: قيل للنبي ﷺ: لو أتيتَ عبد الله بن أُبي، فانطلق إليه النبي ﷺ وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرض سبخة، فلما أتاه النبي ﷺ فقال: إليك عني، والله لقد آذاني نتن حمارك، فقال رجل من الأنصار منهم: والله لحمار رسول الله أطيب ريحاً منك، فغضب لعبد الله رجلٌ من قومه فتشاتما، فغضب لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضرب بالجريد والأيدي والنعال، فبلغنا أنها نزلت: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما»[(١)] .

ويروى أنها لما نزلت قرأها رسول الله ﷺ، فاصطلحوا وكفّ بعضهم عن بعض .

وقال قتادة: نزلت في رجلين من الأنصار كانت بينهما مداراة في حقٍ بينهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذنّ حقي منك عنوة، لكثرة عشيرته، وإن الآخر دعاه ليحاكمه إلى نبي الله ﷺ فأبى أن يتبعه، فلم يزل الأمر بينهما حتى تدافعوا وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، ولم يكن قتال بالسيوف[(٢)] .

وقال سفيان عن السدي: كانت امرأة من الأنصار يقال لها أم زيد تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء فرقى بها إلى عُلّيّة وحبسها، فبلغ ذلك قومها فجاؤوا، وجاء قومه فاقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله عزّ وجلّ: «وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما» بالدعاء إلى حكم كتاب الله والرضا بما فيه لهما وعليهما[(٣)]، ﴿فإنْ بغَتْ إحداهُما﴾، تعدت إحداهما، ﴿على

(١) أخرجه البخاري في الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس...: ٥/٢٩٧، ومسلم في الجهاد والسير، باب في دعاء النبي صلى الله عليه وسلم، وصبره على أذى المنافقين برقم: (١٧٩٩): ٣/١٤٢٤ .

(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١٢٩، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٦٠ نسبته لعبد بن حميد وابن المنذر .

(٣) أخرجه الطبري: ٢٦/١٢٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٦٠-٥٦١ لابن أبي حاتم .

﴿أَمْرِ ٱللَّهِ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿**الأخرى**﴾، وأبت الإجابة إلى حكم كتاب الله، ﴿**فقاتلوا التي تبغي حتى تفيءَ**﴾، ترجع، ﴿**إلى أمرِ اللّهِ**﴾، في كتابه. ﴿**فإنْ فاءَتْ**﴾، رجعت إلى الحق، ﴿**فأصلحوا بينهما بالعدلِ**﴾، بحملهما على الإنصاف والرضا بحكم الله، ﴿**وأَقسِطُوا**﴾، اعدلوا، ﴿**إنَّ الله يحبُّ المُقسطين**﴾.

﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾، في الدين والولاية، ﴿**فأصلِحُوا بين أخويْكم**﴾، إذا اختلفا واقتتلا، قرأ يعقوب «بين إخْوتكم» بالتاء على الجمع، ﴿**واتقوا الله**﴾، فلا تعصوه ولا تخالفوا أمره، ﴿**لعلَّكم تُرحمون**﴾.

[أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي][1]، **أخبرنا أبو محمد الحسين** بن أحمد المخلدي، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السراج، حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا الليث، عن عقيل، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه أنّ رسول الله ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يشتمه، من كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته، ومن فرّج عن مسلم كُرْبةً فرّج الله بها عنه كربةً من كرب يوم القيامة، ومن ستر مسلماً ستره الله يوم القيامة»[2].

وفي هاتين الآيتين دليل على أن البغي لا يزيل اسم الإيمان، لأن الله تعالى سماهم إخوة مؤمنين مع كونهم باغين، يدل عليه ما روي عن الحارث الأعور أن علي بن أبي طالب رضي الله عنه سئل- وهو القدوة - في قتال أهل البغي، عن أهل الجمل وصفين: أمشركون هم؟ فقال: لا، مِنَ الشرك فرّوا، فقيل: أمنافقون هم؟ فقال: لا، إن المنافقين لا يذكرون الله إلا قليلاً، قيل: فما حالهم؟ قال: إخواننا بغَوْا علينا[3].

والباغي في الشرع هو الخارج على الإمام العدل، فإذا اجتمعت طائفة لهم قوة ومنعة فامتنعوا عن طاعة الإمام العدل بتأويل محتمل، ونصبوا إماماً فالحكم فيهم أن يبعث الإمام إليهم ويدعوهم

---

(١) مابين القوسين ساقط من «أ».

(٢) أخرجه البخاري في المظالم، باب لا يظلم المسلم المسلم ولا يسلمه: ٩٧/٥، ومسلم في البر والصلة باب تحريم الظلم برقم: (٢٥٨٠): ١٩٩٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ٩٨/١٣.

(٣) أخرج محمد بن نصر المروزي في كتابه «تعظيم قدر الصلاة»: ٥٤٣/٢-٥٤٤، آثاراً ثلاثة عن علي رضى الله عنه، رواها عنه: طارق بن شهاب، وأبو وائل، وحكيم بن جابر.
وانظر: منهاج السنة النبوية لابن تيمية: ٢٤٢/٥-٢٤٨، تفسير القرطبي: ٣٢٣/١٦-٣٢٤.

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُوا۟ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلَا نِسَآءٌ مِّن

إلى طاعته، فإن أظهروا مظلمة أزالها عنهم ، وإن لم يذكروا مظلمة، وأصروا على بغيهم، قاتلهم الإمام حتى يفيئوا إلى طاعته، ثم الحكم في قتالهم أن لا يتّبع مُدْبِرُهم ولا يقتل أسيرهم، ولا يذفف على جريحهم، نادى منادي علي رضي الله عنه يوم الجمل: ألا لا يُتّبع مدبر ولا يُذفّف على جريح[1]. وأتي علي رضي الله عنه يوم صفين بأسير فقال له: لا أقتلك صبراً إني أخاف الله رب العالمين . وما أتلفتْ إحدى الطائفتين على الأخرى في حال القتال من نفس أو مال فلا ضمان عليه .

قال ابن شهاب: كانت في تلك الفتنة دماء يعرف في بعضها القاتل والمقتول، وأتلف فيها أموال كثيرة، ثم صار الناس إلى أن سكنت الحرب بينهم، وجرى الحكم عليهم، فما علمتُه اقتصّ من أحد ولا أغرم مالاً أتلفه .

أما من لم يجتمع فيهم هذه الشرائط الثلاث بأن كانوا جماعة قليلين لا منعة لهم، أو لم يكن لهم تأويل، أو لم ينصبوا إماماً فلا يتعرض لهم إن لم ينصبوا قتالاً ولم يتعرضوا للمسلمين، فإن فعلوا فهم كقطاع الطريق .

رُوي أن علياً رضي الله عنه سمعَ رجلاً يقول في ناحية المسجد: لا حكم إلا لله تعالى، فقال علي: كلمة حق أُريدَ بها باطل، لكم علينا ثلاث: لا نمنعكم مساجد الله أن تذكروا فيها اسم الله، ولا نمنعكم الفيء ما دامت أيديكم مع أيدينا، ولا نبدؤكم بقتال[2] .

وقوله عزّ وجلّ: **﴿يا أيها الذين آمنوا لا يسخرْ قومٌ﴾** الآية، قال ابن عباس نزلت في ثابت ابن قيس بن شماس وذلك أنه كان في أذنه وقر، فكان إذا أتى رسول الله ﷺ وقد سبقوه بالمجلس أوسعوا له حتى يجلس إلى جنبه، فيسمع ما يقول، فأقبل ذات يوم وقد فاتته [ركعة من صلاة

(١) أخرجه البيهقي في السنن موقوفاً على علي: ٨/١٨١، وصححه الحاكم في المستدرك: ٢/١٥٥ ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي شيبة وعبد الرزاق وسعيد بن منصور، وصححه الحافظ ابن حجر في بلوغ المرام .
وأخرجه الحاكم والبيهقي والبزار عن ابن مسعود مرفوعاً بسند ضعيف، فيه كوثر بن حكيم وهو متروك .
انظر: نصب الراية: ٣/٤٦٣، تلخيص الحبير: ٤/٤٣، سبل السلام للصنعاني: ٣/٢٥٩، إرواء الغليل: ٨/١١٣ .

(٢) أخرجه البيهقي في السنن: ٨/١٨٤ موصولاً من طرق، ورواه عن الشافعي بلاغا قال: «قال الشافعي رحمه الله بلغنا أن علياً...» .
وقال ابن حجر في تلخيص الحبير: ٤/٤٥ «أخرجه الشافعي بلاغاً، وابن أبي شيبة والبيهقي موصولاً، وأصله في صحيح مسلم من حديث عبيد الله بن أبي رافع» .
وانظر: إرواء الغليل للألباني: ٨/١١٧ .

﴿نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ ۖ وَلَا تَلْمِزُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ﴾

الفجر][1]، فلما انصرف النبي ﷺ من الصلاة أخذ أصحابه مجالسهم، فضن كل رجل بمجلسه فلا يكاد يُوسّع أحدٌ لأحد، فكان الرجل إذا جاء فلم يجد مجلساً يجلس فيه قام قائماً كما هو، فلما فرغ ثابت من الصلاة أقبل نحو رسول الله ﷺ يتخطى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فجعلوا يتفسحون له حتى انتهى إلى رسول الله ﷺ وبينه وبينه رجل، فقال له: تفسح، فقال الرجل: قد أصبتَ مجلساً فاجلس، فجلس ثابت خلفه مغضباً، فلما انجلت الظلمة غمز ثابت الرجل، فقال: من هذا؟ قال: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، وذكر/أمًّا له كان يعير بها في الجاهلية، فنكَّسَ الرجل رأسه واستحيا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[2]. ١٣٦/أ

وقال الضحاك: نزلت في وفد بني تميم الذين ذكرناهم، كانوا يستهزؤون بفقراء أصحاب النبي ﷺ مثل عمار وخبّاب وبلال وصهيب وسلمان وسالم مولى أبي حذيفة، لما رأوا من رثاثة حالهم، فأنزل الله تعالى في الذين آمنوا منهم[3]: «يا أيها الذين آمنوا لا يسخرْ قومٌ من قوم» أي رجال من رجال. و«القوم»: اسم يجمع الرجال والنساء، وقد يختص بجمع الرجال، **﴿عسى أنْ يكونوا خيراً منهم ولا نساءٌ من نساءٍ عسى أنْ يكُنَّ خيراً منهن﴾**.

روي عن أنس أنها نزلت في نساء رسول الله ﷺ حين عيَّرنَ أم سلمة بالقصر[4].

وعن عكرمة عن ابن عباس: أنها نزلت في صفية بنت حيي بن أخطب، قال لها النساء: يهودية بنت يهوديين[5]. **﴿ولا تلمِزُوا أنفسَكم﴾**، أي لا يعب بعضكم بعضاً، ولا يطعن بعضكم على بعض، **﴿ولا تنابزوا بالألقابِ﴾**، التنابز: التفاعل من النبز، وهو اللقب، وهو أن يدعى الإنسان بغير ما سُمّي به.

قال عكرمة: هو قول الرجل للرجل: يا فاسق يا منافق يا كافر.

وقال الحسن: كان اليهودي والنصراني يسلم، فيقال له بعد إسلامه يا يهودي يا نصراني، فنُهوا عن ذلك[6].

---

(١) في «ب» (ركعتا الفجر).
(٢) ذكره الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٤٥٣).
(٣) أورده السيوطي في الدر: ٥٦٣/٧ عن مقاتل وعزاه لابن أبي حاتم.
(٤) ذكره الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٤٥٤).
(٥) ذكره الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٤٥٤)، القرطبي: ٣٢٦/١٦.
(٦) أخرج الطبري هذين القولين لعكرمة والحسن: ١٣٢/٢٦-١٣٣ ثم قال: «والذي هو أولى الأقوال في تأويل ذلك عندي =

ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ ۖ وَلَا تَجَسَّسُوا۟ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا ۚ

قال عطاء: هو أن تقول لأخيك: يا كلب يا حمار يا خنزير.

وروي عن ابن عباس قال: «التنابز بالألقاب»: أن يكون الرجل عمل السيئات ثم تاب عنها فنُهي أن يعير بما سلف من عمله[1].

﴿بئسَ الاسمُ الفسوقُ بعد الإيمانِ﴾، أي بئس الاسم أن يقول: يا يهودي أو يا فاسق بعد ما آمن وتاب، وقيل معناه: إن من فعل ما نُهي عنه من السخرية واللمز والنبز فهو فاسق، وبئس الاسم الفسوق بعد الإيمان، فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسوق، ﴿ومَنْ لم يتبْ﴾، من ذلك، ﴿فأُولئك هم الظالمون﴾.

﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظنّ﴾، قيل: نزلت الآية في رجلين اغتابا رفيقهما، وذلك أن رسول الله ﷺ كان إذا غزا أو سافر ضمّ الرجلَ المحتاجَ إلى رجلين موسرين يخدمهما، ويتقدم لهما إلى المنزل فيهيىء لهما ما يصلحهما من الطعام والشراب، فضمّ سلمان الفارسي إلى رجلين في بعض أسفاره، فتقدم سلمان إلى المنزل فغلبته عيناه فنام فلم يهيىء لهما شيئا، فلما قدما قالا له: ما صنعت شيئاً؟ قال: لا غلبتني عيناي، قالا له: انطلق إلى رسول الله ﷺ فاطلب لنا منه طعاماً، فجاء سلمان إلى رسول الله ﷺ وسأله طعاماً، فقال له رسول الله ﷺ: انطلق إلى أسامة بن زيد، وقلْ له: إن كان عنده فضل من طعام وإدام فليعطك، وكان أسامة خازن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعلى رحله، فأتاه فقال: ما عندي شيء، فرجع سلمان إليهما وأخبرهما، فقالا: كان عند أسامة طعامٌ ولكن بخل، فبعثا سلمان إلى طائفة من الصحابة فلم يجد عندهم شيئاً، فلما رجع قالا: لو بعثناك إلى بئر سميحة لغار ماؤها، ثم انطلقا يتجسسان، هل عند أسامة ما أمر لهما به رسول الله ﷺ؟ فلما جاءا إلى رسول الله ﷺ قال لهما: مالي أرى خضرة اللحم في أفواهكما، قالا: والله يا رسول الله ما تناولنا يومنا هذا لحماً، قال: بل ظللتم تأكلون لحم سلمان

= بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره نهى المؤمنين أن يتنابزوا بالألقاب، والتنابز بالألقاب: هو دعاء المرء صاحبه بما يكرهه من اسم أو صفة، وعمَّ الله بنهيه ذلك ولم يخصص به بعض الألقاب دون بعض، فغير جائز لأحد من المسلمين أن ينبز أخاه باسم يكرهه، أو صفة يكرهها، وإذا كان ذلك كذلك صحت الأقوال التي قالها أهل التأويل في ذلك التي ذكرناها كلها، ولم يكن بعض ذلك أولى بالصواب من بعض، لأن كل ذلك مما نهى الله المسلمين أن ينبز بعضهم بعضاً».

(١) أخرجه الطبري: ١٣٣/٢٦. وانظر: الدر المنثور: ٥٦٤/٧.

وأسامة، فأنزل الله عزّ وجلّ: «يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن»[١]، وأراد: أن يُظنَّ بأهل الخير سوءاً ﴿إنَّ بعض الظنّ إثمٌ﴾، قال سفيان الثوري: الظن ظنان: أحدهما إثم، وهو أن تظن وتتكلم به، والآخر ليس بإثم وهو أن تظن ولا تتكلم.

﴿ولا تجسّسُوا﴾، التجسس: هو البحث عن عيوب الناس، نهى الله تعالى عن البحث عن المستور من أمور الناس وتتبع عوراتهم حتى لا يظهر على ما ستره الله منها.

أخبرنا أبو الحسن محمد بن محمد السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن عبد الصمد الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم والظن فإن الظن أكذب الحديث، ولا تجسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا ولا تباغضوا، ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخواناً»[٢].

أخبرنا أبو بكر محمد بن محمد بن علي بن الحسن الطوسي بها، أخبرنا أبو إسحاق إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم الإسفراييني، أخبرنا أبو بكر أحمد بن إبراهيم الإسماعيلي، أخبرنا عبد الله بن ناجية، حدثنا يحيى بن أكثم، أخبرنا الفضل بن موسى الشيباني، عن الحسين بن واقد، عن أوفى ابن دلهم، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهم أن النبي ﷺ قال: «يا معشر من آمن بلسانه ولم يفضِ الإيمانُ إلى قلبه، لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورات المسلمين، يتتبع الله عورته، ومن يتتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف رحله».

قال ونظر ابن عمر يوماً إلى الكعبة فقال: ما أعظمك وأعظم حرمتك، والمؤمن أعظم عند الله حرمة منك[٣].

وقال زيد بن وهب: قيل لابن مسعود: هل لك في الوليد بن عقبة تقطر لحيته خمراً، فقال: إنا قد نُهينا عن التجسس، فإن يظهر لنا شيء نأخذهُ به[٤] ﴿ولا يغتبْ بعضُكم بعضاً﴾، يقول:

---

(١) ذكره القرطبي: ١٦/٣٣٠-٣٣١.

(٢) أخرجه البخاري في الأدب، باب (يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) الآية؛ ١٠/٤٨٤، ومسلم في البر والصلة، باب تحريم الظن برقم: (٢٥٦٣): ٤/١٩٨٥، والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٠٩-١١٠.

(٣) أخرجه الترمذي في البر والصلة، باب ماجاء في تعظيم المؤمن: ٦/١٨٠-١٨١ وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث الحسين بن واقد، وقد روى إسحاق بن إبراهيم السمرقندي عن حسين بن واقد نحوه، وقد روي عن أبي برزة الأسلمي عن النبي صلى الله عليه وسلم نحو هذا»، والإمام أحمد: ٤/٤٢١، والمصنف في شرح السنة ١٣/١٠٤. وأخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة: ٧/٢١٣-٢١٤ عن أبي برزة الأسلمي رضي الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في النهي عن التجسس: ٧/٢١٩، وعبد الرزاق في المصنف: ١٠/٢٣٢، ومن طريق البيهقي في السنن: ٨/٣٣٤.

﴿أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ﴾

لا يتناول بعضكم بعضاً بظهر الغيب بما يسوءه مما هو فيه .

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني، أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، حدثنا أحمد بن علي الكشميهني، حدثنا علي بن حجر، حدثنا إسماعيل بن جعفر، عن العلاء بن عبد الرحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما الغيبة؟ قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: ذكرُكَ أخاكَ بما يكره، **قيل: أفرأيت** إن كان في
١٣٦/ب أخي ما أقول؟ قال: إن كان فيه ما تقول فقدِ اغتبته/، وإن لم يكن فيه ما تقول فقد بهته»[(١)] .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو الطاهر الحارثي، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن المثنى بن الصباح، عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده أنهم ذكروا عند رسول الله ﷺ رجلا فقالوا: لا يأكل حتى يُطعم، ولا يرحل حتى يُرحّل، فقال النبي ﷺ: «اغتبتموه» فقالوا: إنما حدثنا بما فيه، قال: «حسبك إذا ذكرتَ أخاك بما فيه»[(٢)] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿**أيحبُّ أحدُكم أن يأكلَ لَحْمَ أخيه مَيْتاً فكرهتموه**﴾، قال مجاهد: لما قيل لهم «أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً» قالوا: لا، قيل: ﴿**فكرهتموه**﴾ أي فكما كرهتم هذا فاجتنبوا ذكره بالسوء غائباً .

قال الزجاج: تأويله: **إنَّ ذِكْرَكَ** من لم يحضرك بسوء بمنزلة أكل لحم أخيك، وهو ميت لا يحس بذلك .

أخبرنا أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، حدثنا ابن شيبة، حدثنا الفريابي، حدثنا محمد بن المصفى، حدثنا أبو المغيرة عبد القدوس بن الحجاج، حدثني صفوان بن عمرو، حدثنا راشد بن سعد وعبد الرحمن بن جبير، عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ قال: «لما عُرج بي مررتُ بقوم لهم أظفار من نحاس يخمشون بها وجوههم ولحومهم، فقلتُ: من هؤلاء يا جبريل؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون لحوم الناس ويقعون في أعراضهم»[(٣)] .

---

(١) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم الغيبة برقم (٢٥٨٩): ٢٠٠١/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣٨/١٣-١٣٩ .
(٢) قال المنذري في الترغيب والترهيب: ٥٠٦/٣: «رواه الأصبهاني بإسناد حسن» .
(٣) أخرجه أبو داود في الأدب، باب في الغيبة: ٢١٣/٧ وقال المنذري: «وذكر أن بعضهم رواه مرسلاً»، والإمام أحمد: ٢٢٤/٣ . قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٢١٥/٤ بعد أن ساق الحديث: «تفرد به أبو داود» .

رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ

قال ميمون بن سِياه[1]: بينا أنا نائم إذا أنا بجيفة زنجي وقائل يقول: كلْ، قلتُ: يا عبد الله ولِمَ آكل؟ قال: بما اغتبت عبد فلان، فقلت: والله ما ذكرت فيه خيراً ولا شراً، قال لكنك استمعت ورضيت به، فكان ميمون لا يغتاب أحداً ولا يدع أحداً يغتاب عنده أحدا[2].

﴿واتقوا اللَّهَ إنَّ اللَّهَ توابٌ رحيم﴾.

﴿يا أيها الناسُ إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ الآية. قال ابن عباس: نزلت في ثابت بن قيس، وقوله للرجل الذي لم يفسح له: ابن فلانة، يعيّره بأمه، قال النبي ﷺ: من الذاكر فلانة؟ فقال ثابت: أنا يارسول الله، فقال: انظر في وجوه القوم فنظر فقال: ما رأيتَ يا ثابت؟ قال: رأيت أبيض وأحمر وأسود، قال: فإنك لا تفضلهم إلا في الدين والتقوى، فنزلت في ثابت هذه الآية، وفي الذي لم يتفسح: «يا أيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا في المجالس فافسحوا»[3] (المجادلة – ١١).

وقال مقاتل: لما كان يوم فتح مكة أمر رسول الله ﷺ بلالاً حتى علا ظهر الكعبة وأذن، فقال عتاب بن أسيد بن أبي العيص: الحمد لله الذي قبض أبي حتى لم يرَ هذا اليوم، وقال الحارث بن هشام: أما وجد محمدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذناً، وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئاً يغيره. وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئاً أخاف أن يخبَرَ به ربُّ السماء، فأتى جبريل فأخبر رسول الله ﷺ بما قالوا، فدعاهم وسألهم عمّا قالوا فأقروا فأنزل الله تعالى هذه الآية[4]، وزجرهم عن التفاخر بالأنساب والتكاثر بالأموال والإزراء بالفقراء، فقال:

﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾ يعني آدم وحواء أي إنكم متساوون في النسب. ﴿وجعلناكم شعوباً﴾، جمع شَعْب بفتح الشين، وهي رؤوس القبائل مثل ربيعة ومضر والأوس والخزرج، سموا شُعوباً لتشعبهم واجتماعهم، كشعب أغصان الشجر، والشعب من الأضداد يقال: شَعَبَ، أي: جمع، وشعب أي: فرق. ﴿وقبائلَ﴾، وهي دون الشعوب، واحدتها قبيلة وهي كبكر من ربيعة وتميم من مضر، ودون القبائل العمائر، واحدتها عَمارة، بفتح العين، وهم كشيبان من بكر، ودارم من تميم، ودون العمائر البطون، واحدتها بطن، وهم كبني غالب ولؤي من قريش،

(١) في «أ»: شياه، وفي «ب»: سيار. والتصويب من «التهذيب» وغيره.
(٢) انظر حلية الأولياء: ١٠٧/٣ فقد ذكر القطعة الأخيرة عنه.
(٣) ذكره الواحدي في أسباب النزول ص(٤٥٥)، القرطبي: ٣٤١/١٦.
(٤) المرجع السابق.

﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾﴾

ودون البطون الأفخاذ واحدتها فخذ وهم كبني هاشم وأمية من بني لؤي، ثم الفصائل، والعشائر واحدتها فصيلة وعشيرة، وليس بعد العشيرة حي يُوصف به .

وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل .

وقال أبو روق: «الشعوب» الذين لا يعتزون إلى أحد، بل ينتسبون إلى المدائن والقرى، «والقبائل»: العرب الذين ينتسبون إلى آبائهم .

﴿لتعارفوا﴾، ليعرف بعضكم بعضاً في قرب النسب وبعده، لا ليتفاخروا. ثم أخبر أن أرفعهم منزلة عند الله أتقاهم فقال:

﴿إنَّ أكرَمَكم عندَ اللّهِ أتقاكم إنَّ اللّه عليمٌ خبير﴾، قال قتادة في هذه الآية: إن أكرم الكرم التقوى، وألأم اللؤم الفجور .

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم الترابي، أخبرنا أبو محمد عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم الشاشي، حدثنا عبد بن حميد، حدثنا يونس بن محمد، حدثنا سلام بن أبي مطيع، عن قتادة، عن الحسن، عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: **«الحسبُ المال، والكرم التقوى»**[1].

وقال ابن عباس: كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى .

أخبرنا أبو بكر بن أبي الهيثم، أنا عبد الله بن أحمد بن حمويه، أخبرنا إبراهيم بن خزيم، حدثنا عبد بن حميد، أخبرنا الضحاك بن مخلد، عن موسى بن عبيدة، عن عبد الله بن دينار، عن ابن عمر أن النبي ﷺ طاف يوم الفتح على راحلته يستلم الأركان بمحجنه، فلما خرج لم يجد مَناخاً، فنزل على أيدي الرجال، ثم قام فخطبهم فحمد الله وأثنى عليه، وقال: «الحمد لله الذي أذهب عنكم عبية الجاهلية وتكبرها [بآبائها][2]، الناس رجلان بَرٌّ تقي كريم على الله، وفاجرٌ شقي هين على الله،

(١) أخرجه الترمذي في التفسير (تفسير سورة الحجرات) ٩/١٥٦-١٥٧ وقال: «هذا حديث حسن غريب صحيح من حديث سمرة لا نعرفه إلا من حديث سلام بن أبي مطيع»، وابن ماجه في الزهد، باب الورع والتقوى، برقم (٤٢١٩): ٢/١٤١٠-١٤١١، والإمام أحمد: ٥/١٠، والحاكم: ٢/١٦٣ و٤/٣٢٥ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ووافقه الذهبي»، والبيهقي في السنن: ٧/١٣٦، والدارقطني في السنن: ٣/٣٠٢، وله شواهد عنده أيضاً عن أبي هريرة في الموضع نفسه.

وانظر: إروا الغليل: ٦/٢٧١ - ٢٧٢، فتح الباري: ٩/١٣٥ .

(٢) ساقط من «ب» .

قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي

ثم تلا «يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى»، ثم قال: أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم»[1].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد هو ابن سلام/حدثنا عبدة عن عبيد الله، عن سعيد بن أبي سعيد، ١٣٧/أ
عن أبي هريرة قال: سُئل رسول الله ﷺ أيّ الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله. قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال فعن معادن العرب تسألوني؟ قالوا: نعم، قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»[2].

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج حدثنا عمرو الناقد، حدثنا كثير بن هشام، حدثنا جعفر بن برقان، عن يزيد بن الأصم، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم»[3].

قوله عز وجل: ﴿قالتِ الأعرابُ آمنّا﴾ الآية، نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمة قدموا على رسول الله ﷺ في سنة جدبة فأظهروا الإسلام ولم يكونوا مؤمنين في السر، فأفسدوا طرق المدينة بالعذرات وأغلوا أسعارها وكانوا يغدون ويروحون إلى رسول الله ﷺ ويقولون: أتتك العرب بأنفسها على ظهور رواحلها، وجئناك بالأثقال والعيال والذراري، ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان وبنو فلان، يمنون على النبي ﷺ، ويريدون الصدقة، ويقولون: أعطِنا، فأنزل الله فيهم هذه الآية[4].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير: ٩/١٥٥-١٥٦ وقال: «هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن دينار عن ابن عمر إلا من هذا الوجه، وعبد الله بن جعفر يضعَّف، ضعفه يحي بن معين وغيره، وهو والد علي بن المديني»، وأخرجه عبد بن حميد في المنتخب من المسند ص (٢٥٣-٢٥٤) والمصنف في شرح السنة: ١٣/١٢٤ .
وقال: هذا حديث غريب .
وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٥٧٩ نسبته لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه .

(٢) أخرجه البخاري في الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً﴾ ٦/٣٨٧، ومسلم في الفضائل، باب من فضائل يوسف عليه السلام برقم: (٢٣٧٨): ٤/١٨٤٦- ١٨٤٧ .

(٣) أخرجه مسلم في البر والصلة، باب تحريم ظلم المسلم وخذله برقم (٢٥٦٤) ٤/١٩٨٦-١٩٨٧، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٤٠-٣٤١ .

(٤) انظر: تفسير عبد الرزاق: ٢/٢٣٥، البحر المحيط: ٨/١١٧، الدر المنثور: ٧/٥٨٥، القرطبي: ١٦/٣٤٨ .

﴿قُلُوبِكُمْ وَإِن تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم الله في سورة الفتح، وهم أعراب جهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، كانوا يقولون: آمنا ليأمنوا على أنفسهم وأموالهم، فلما استنفروا إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله عزّ وجل «قالتِ الأعراب آمنّا»[1] صدقنا.

﴿قل لم تؤمنوا ولكنْ قولوا أسلَمْنا﴾، انقدنا واستسلمنا مخافة القتل والسبي، **﴿ولمّا يدخلِ الإيمانُ في قلوبكم﴾**، فأخبر أن حقيقة الإيمان التصديق بالقلب، وأن الإقرار باللسان وإظهار شرائعه بالأبدان لا يكون إيماناً دون التصديق بالقلب والإخلاص.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد **بن غُرَيْر الزهري**، حدثنا يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه، عن صالح، عن ابن شهاب، أخبرني عامر بن سعد، عن أبيه قال أعطى رسول الله ﷺ رهطاً وأنا جالس فيهم، قال: فترك رسول الله ﷺ فيهم رجلاً لم يعطه وهو أعجبهم **إليّ**، فقمت إلى رسول الله ﷺ [فساررته][2]، فقلت: مالك عن فلان؟ **والله إني** لأراه مؤمناً، قال: أو مسلماً، قال: فسكت قليلاً ثم غلبني ما أعلم منه، فقلت: يا رسول الله مالك عن فلان فوالله إني لأراه مؤمناً؟ قال: أو مسلماً، قال: «إني لأعطي الرجلَ وغيرُه أحب **إليّ** منه خشية أن يُكبّ في النار على وجهه»[3].

فالإسلام هو الدخول في السلم وهو الانقياد والطاعة، يقال: أسلم الرجل إذا دخل في السلم كما يقال: أشتى الرجل إذا دخل في الشتاء، وأصاف إذا دخل في الصيف، وأربع إذا دخل في الربيع، فمن الإسلام ما هو طاعة على الحقيقة باللسان، والأبدان والجنان، كقوله عزّ وجلّ لإبراهيم عليه السلام: «أسلمْ قال أسلمتُ لرب العالمين» (البقرة - ١٣١)، ومنه ما هو انقياد باللسان دون القلب، وذلك قوله: **﴿ولكن قولوا أسلمنا ولمّا يدخلِ الإيمان في قلوبكم﴾**.

﴿وإنْ تطيعوا الله ورسولَهُ﴾، ظاهراً وباطناً سراً وعلانية. قال ابن عباس تخلصوا الإيمان، **﴿لا يَلِتْكُم﴾** قرأ أبو عمرو «يالتكم» بالألف لقوله تعالى: «وما ألتناهم» (الطور - ٢١) والآخرون بغير ألف، وهما لغتان، معناهما: لا ينقصكم، يقال: ألت يألِتُ ألتاً ولات يليت ليتاً إذا نقص، **﴿من**

(١) انظر: البحر المحيط: ١١٧/٨، القرطبي: ٣٤٨/١٦.
(٢) ساقط من «ب».
(٣) أخرجه البخاري في الزكاة، باب قول الله تعالى «لا يسألون الناس إلحافاً»: ٣٤٠/٣ وفي الإيمان ٧٩/١. ومسلم في المسافرين، باب تألف قلب من يُخاف على إيمانه لضعفه والنهي عن القطع بالإيمان من غير دليل قاطع برقم: (١٥٠): ١٣٢/١.

﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟
بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ
أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ
شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ ۖ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم ۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾

أعمالِكم شيئاً﴾، أي لا ينقص من ثواب أعمالكم شيئاً، **﴿إنَّ الله غفورٌ رحيم﴾**، ثم بين حقيقة الإيمان، فقال:

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا باللَّهِ ورسولِهِ ثم لم يرتابوا﴾، لم يشكوا في دينهم، **﴿وجاهدوا بأموالِهِم وأنفسِهم في سبيلِ اللَّهِ أولئك همُ الصادقون﴾** في إيمانهم .

فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب رسول الله ﷺ يحلفون بالله إنهم مؤمنون صادقون، وعرف الله غير ذلك منهم، فأنزل الله عز وجل:

﴿قلْ أتعلّمون الله بدينِكم﴾، والتعليم ها هنا بمعنى الإعلام، ولذلك قال: «بدينكم» وأدخل الباء فيه، يقول: أتخبرون الله بدينكم الذي أنتم عليه، **﴿واللَّهُ يعلمُ ما في السمواتِ وما في الأرضِ واللَّهُ بكلِّ شيءٍ عليم﴾**، لا يحتاج إلى إخباركم .

﴿يمنّون عليكَ أنْ أسلموا قلْ لا تَمُنُّوا عليّ إسلامَكم﴾، أي بإسلامكم، **﴿بلِ اللَّهُ يمُنُّ عليكم أنْ هداكم للإيمانِ﴾**، وفي مصحف عبد الله «إذْ هداكم للإيمان» **﴿إن كنتم صادقين﴾**، إنكم مؤمنون .

﴿إنّ اللَّهَ يعلمُ غيبَ السمواتِ والأرضِ واللَّهُ بصيرٌ بما تعملون﴾، قرأ ابن كثير «يعملون» بالياء، وقرأ الآخرون بالتاء .

سورة ق

سُورَةُ قٓ

مكية[١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ ﴿١﴾

﴿قٓ﴾ [قال ابن عباس: هو قسم، وقيل:][٢] هو اسم للسورة، وقيل: هو اسم من أسماء القرآن .

وقال القرظي[٣]: هو مفتاحُ اسمِه «القدير» ، و«القادر» و«القاهر» و«القريب» و«القابض» .

وقال عكرمة والضحاك: هو جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء، منه خضرة السماء والسماء مقبّبة عليه، وعليه كتفاها[٤]، ويقال هو وراء الحجاب الذي تغيب الشمس من/ورائه ١٣٧/ب
بمسيرة سنة[٥] .

وقيل: معناه قُضي الأمر، أو قُضي ما هو كائن، كما قالوا في حٓم .

﴿والقرآنِ المجيدِ﴾، الشريف الكريم على الله، الكثير الخير .

واختلفوا في جواب القسم، فقال أهل الكوفة: جوابه: «بل عجبوا»، وقيل: جوابه محذوف،

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس قال: نزلت سورة ق بمكة. انظر الدر المنثور: ٥٨٧/٧ .
(٢) ما بين القوسين **ساقط من «أ»** .
(٣) **في «أ»** القرطبي، والصحيح ما أثبتناه .
(٤) **في «أ»** أكنافها.
(٥) قال الحافظ ابن كثير في تفسيره: ٢٢٢/٤ «وقد روي عن بعض السلف أنهم قالوا: ق جبل محيط بجميع الارض، يقال له جبل قاف،وكأن هذا والله أعلم من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم مما لايصدق ولايكذب، وعندي أن هذا**وأمثاله** وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يلبسون به على الناس أمر دينهم ». وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير للشيخ محمد بن محمد أبو شهبة: (٣٠٢-٣٠٤) .

﴿بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَـٰفِرُونَ هَـٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ۝٢ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ۝٣ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَـٰبٌ حَفِيظٌۢ ۝٤ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ۝٥﴾

مجازه: والقرآن المجيد[1] لتبعثُنَّ. وقيل: جوابه قوله: «ما يلفظ من قول». وقيل: «قد علمنا»[2]، وجوابات القسم سبعة: «إنَّ» الشديدة كقوله: «والفجر – إنَّ ربَّك لبالمرصاد» (الفجر – ١٤)، و«ما» النفي كقوله: «والضحى – ما ودّعك ربك» (الضحى – ١ – ٣)، و«اللام» المفتوحة كقوله: «فوربك لنسألنهم أجمعين» (الحجر – ٩٢) و «إنْ» الخفيفة كقوله تعالى: «إنْ كنّا لفي ضلال مبين» (الشعراء – ٣٨)، و «لا» كقوله تعالى: «وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت» (النحل – ٣٨)،و «قد»كقوله تعالى: «والشمس وضحاها – قد أفلح من زكاها» (الشمس – ١–٩)، و«بل» كقوله: «والقرآن المجيد – بل عجبوا» .

﴿أن جاءهم منذرٌ﴾، مخوّف، ﴿منهم﴾، يعرفون نسبه وصدقه وأمانته، ﴿فقالَ الكافرون هذا شيءٌ عجيبٌ﴾، غريب .

﴿أئِذا مِتنا وكنّا تُراباً﴾، نبعث، ترك ذكر البعث لدلالة الكلام عليه، ﴿ذلك رَجْعٌ﴾، أي ردّ إلى الحياة ﴿بعيد﴾، وغير كائن، أي: يبعد أن نُبعث بعد الموت .

قال الله عزّ وجلّ: ﴿قد عَلِمْنا ما تنقصُ الأرضُ منهم﴾، أي تأكل من لحومهم ودمائهم وعظامهم لا يعزب عن علمه شيء. قال السدي: هو الموت، يقول: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، ﴿وعندَنا كتابٌ حفيظٌ﴾، [محفوظ من الشياطين ومن أن يدرس ويتغير وهو اللوح المحفوظ، وقيل: حفيظ][3] أي: حافظ لعدتهم وأسمائهم .

﴿بل كذَّبوا بالحقّ﴾، بالقرآن، ﴿لمّا جاءَهم فهم في أمرٍ مَريجٍ﴾ مختلط، قال سعيد بن جبير ومجاهد: ملتبس. قال قتادة في هذه الآية: مَنْ تركَ الحقَّ مرج عليه أمرُه والتبسَ عليه دينُه. وقال الحسن: ما ترك قوم الحق إلا مرج أمرُهم. وذكر الزجّاج معنى اختلاط أمرهم، فقال: هو أنهم يقولون للنبي ﷺ، مرة شاعر، ومرة ساحر، ومرة مُعَلَّم، ويقولون للقرآن مرة سحر، ومرة

---

(١) زيادة من «ب» .
(٢) انظر: البيان في غريب إعراب القرآن لابن الأنباري: ٣٨٤/٢ .
(٣) ما بين القوسين زيادة من «ب».

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾
وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً
وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ
وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا

رَجز، ومرة مفترى، فكان أمرهم مختلطاً ملتبساً عليهم. ثم دلهم على قدرته، فقال:

﴿**أَفَلَمْ ينظروا إلى السماءِ فوقَهم كيفَ بنيناها**﴾، بغير عمد، ﴿**وزيّناها**﴾، بالكواكب، ﴿**وما لها من فُروجٍ**﴾، شقوق وفتوق وصدوع، واحدها فرج.

﴿**والأرضَ مددناها**﴾، بسطناها على وجه الماء، ﴿**وألقينا فيها رواسيَ**﴾، جبالاً ثوابت، ﴿**وأنبتْنا فيها من كلِّ زوجٍ بهيجٍ**﴾، حسن كريم يُبهَجُ به، أي: يسر.

﴿**تبصرةً**﴾، [أي جعلنا ذلك تبصرة][1]، ﴿**وذكرى**﴾، أي تبصيراً وتذكيراً، ﴿**لكل عبدٍ مُنيب**﴾، أي: ليبصر ويذكر به.

﴿**ونزَّلنا من السماءِ ماءً مباركاً**﴾، كثير الخير وفيه حياة كل شيء، وهو المطر، ﴿**فأنبْتنا به جناتٍ وحبَّ الحصيد**﴾، يعني البُرَّ والشعير وسائر الحبوب التي تحصد، فأضاف الحب إلى الحصيد، وهما واحد لاختلاف اللفظين، كما يقال: مسجد الجامع وربيع الأول. وقيل: «وحبَّ الحصيد» أي: وحبَّ النبت [الحصيد][1].

﴿**والنَّخلَ باسقاتٍ**﴾، قال مجاهد وعكرمة وقتادة: طوالاً، يقال: بسقت [النخلة][2] بُسوقاً إذا طالت. وقال سعيد بن جبير: مستويات. ﴿**لها طَلْعٌ**﴾ ثمر وحمل، سمي بذلك لأنه يطلع، والطلع أول ما يظهر قبل أن ينشق[3]، ﴿**نضيدٌ**﴾، متراكب متراكم منضود بعضه على بعض في أكمامه، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

﴿**رزقاً للعباد**﴾، أي جعلناها رزقاً للعباد، ﴿**وأحيينا به**﴾، أي بالمطر، ﴿**بلدةً ميْتاً**﴾، أنبتنا فيها الكلأ، ﴿**كذلك الخروج**﴾، من القبور.

---

(١) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٢) ساقط من «أ».
(٣) في «ب» يتشقق.

بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾
وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ
﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ
وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ
ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾

قوله عزّ وجلّ: ﴿**كذّبتْ قبلهم قَومُ نوحٍ وأصحابُ الرَّسِّ وثمودُ * وعادٌ وفرعونُ وإخوانُ لوط * وأصحابُ الأيكة وقومُ تُبّعٍ**﴾، وهو تُبّع الحميري، واسمه أسعد أبو كرب، قال قتادة: ذم الله تعالى قوم تبع ولم يذمه، ذكرنا قصته في سورة الدخان.

﴿**كلٌّ كذَّبَ الرُّسلَ**﴾، أي: كل من هؤلاء المذكورين كذب الرسل، ﴿**فحَقَّ وعيدِ**﴾، وجب لهم عذابي. ثم أنزل جواباً لقولهم «ذلك رجع بعيد»:

﴿**أفعيينا بالخلقِ الأوّلِ**﴾، يعني: أعجزنا حين خلقناهم أولاً [فنعيا][1] بالإعادة. وهذا تقرير لهم لأنهم اعترفوا بالخلق الأول وأنكروا البعث، ويقال لكل من عجز عن شيء: عيي به. ﴿**بلْ هم في لَبْسٍ**﴾، أي: في شكٍ، ﴿**من خلْقٍ جديدٍ**﴾، وهو البعث.

﴿**ولقد خلقنا الإنسانَ ونعلمُ ما تُوسْوِسُ به نفْسُه**﴾، يحدث بِهِ قلبه ولا يخفى علينا سرائره وضمائره، ﴿**ونحنُ أقربُ إليه**﴾، أعلم به، ﴿**من حبلِ الوريد**﴾، لأن أبعاضه وأجزاءه يحجب بعضها بعضاً، ولا يحجب علمَ الله شيءٌ، و«حبل الوريد»: عرق العنق، وهو عرق بين الحلقوم والعلباوين، يتفرق في البدن، والحبل هو الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

﴿**إذ يتلقّى المتلقيان**﴾، أي: يتلقى ويأخذ الملكان الموكلان بالإنسان عمله ومنطقه يحفظانه ويكتبانه، ﴿**عن اليمينِ وعن الشمالِ**﴾، أي أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله، فالذي عن اليمين يكتب الحسنات، والذي عن الشمال يكتب السيئات. ﴿**قعيدٌ**﴾، أي: قاعد، ولم يقل: قعيدان، لأنه أراد: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، فاكتفى بأحدهما عن الآخر، هذا قول أهل البصرة. وقال أهل الكوفة: أراد: قعوداً، كالرسول فجعل للاثنين والجمع، كما قال الله تعالى في الاثنين: «فقولا

(١) في «أ» فعيينا.

﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨ وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ﴾

إنّا رسول ربِّ العالمين» (الشعراء – ١٦)، وقيل: أراد بالقعيد الملازم الذي لا يبرح، لا القاعد الذي هو ضد القائم. وقال مجاهد: القعيد الرصيد.

﴿**ما يلفظُ من قولٍ**﴾، ما يتكلم من كلام فيلفظه أي: يرميه من فيه، ﴿**إلّا لديه رقيبٌ**﴾، حافظ، ﴿**عتيدٌ**﴾، حاضر أينما كان. قال/الحسن: إن الملائكة يجتنبون الإنسان على حالين: عند غائطه، ١٣٨/أ
وعند جماعه.

وقال مجاهد يكتبان عليه حتى أنينه في مرضه[1]. وقال عكرمة: لا يكتبان إلا ما يؤجر عليه أو يؤزر فيه[2].

وقال الضحاك: مجلسهما تحت الضرس[3] على الحنك، ومثله عن الحسن، وكان الحسن يعجبه أن ينظف عنفقته.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد الدينوري، حدثنا أحمد بن جعفر بن حمدان، حدثنا الفضل بن العباس بن مهران، حدثنا طالوت حدثنا حماد ابن سلمة أخبرنا جعفر بن الزبير عن القاسم بن محمد عن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «كاتب الحسنات على يمين الرجل، وكاتب السيئات على يسار الرجل، وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً؛ وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر»[4].

﴿**وجاءتْ سكرةُ الموتِ**﴾، غمرته وشدته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ﴿**بالحقِّ**﴾، أي بحقيقة الموت، وقيل: بالحق من أمر الآخرة حتى يتبينه الإنسان ويراه بالعَيان. وقيل: بما يؤول

---

(١) ذكره صاحب البحر المحيط: ١٢٣/٨.

(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٥٩٣/٦ لابن المنذر.

(٣) في «ب» الشعر.

(٤) قال الهيثمي في «المجمع»: (٢٠٨/١٠) «رواه الطبراني، وفيه جعفر بن الزبير وهو كذاب».
ورواه عن أبي أمامة أيضاً من طريق أخرى بلفظ آخر: ابن راهويه في «مسنده»، والبيهقي في «شعب الإيمان»، وأبو نعيم في «الحلية»: (١٢٤/٦) وقال الهيثمي: «رواه الطبراني بأسانيد، ورجال أحدها وثقوا»، وحسنه الألباني في «الصحيحة»: (٢١٠/٣)، فهو شاهد حسن للرواية الأولى فهي توافقها وليس في الأولى شيء زائد غير أن الحسنة بعشر أمثالها، وقد دلّ القرآن والسنة على ذلك – كما قال الهيثمي.
وانظر: الكافي الشاف لابن حجر ص (١٥٩)، الفتح السماوي للمناوي: ١٠٠٧/٣.

مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ
وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾
وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾

إليه أمر الإنسان من السعادة والشقاوة. ويقال لمن جاءته سكرة الموت: ﴿**ذلك ما كنتَ منه تحيدُ**﴾، تميل، قال الحسن: تهرب. وقال ابن عباس: تكره، وأصل الحَيْد الميل، يقال: حدتُ عن الشيء أَحِيد حَيْداً ومَحِيداً: إذا ملتُ عنه .

﴿**ونُفِخَ في الصُّورِ**﴾، يعني نفخة البعث، ﴿**ذلكَ يومُ الوعيدِ**﴾، أي: ذلك اليوم يوم الوعيد الذي وعده الله للكفار أن يعذبهم فيه. قال مقاتل: يعني بالوعيد العذاب، أي: يوم وقوع الوعيد .

﴿**وجاءتْ**﴾، ذلك اليوم، ﴿**كلُّ نفْسٍ معها سائقٌ**﴾، يسوقها إلى المحشر، ﴿**وشهيدٌ**﴾، يشهد عليها بما عملت، قال الضحاك: السائق من الملائكة، والشاهد من أنفسهم الأيدي والأرجل، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[١]. وقال الآخرون: هما جميعاً من الملائكة، فيقول الله:

﴿**لقد كنتَ في غفلةٍ من هذا**﴾، اليوم في الدنيا، ﴿**فكشفْنا عنك غِطاءَك**﴾، الذي كان في الدنيا على قلبك وسمعك وبصرك، ﴿**فبصرُك اليومَ حديدٌ**﴾، نافذ تبصر ما كنت تنكر في الدنيا. وروي عن مجاهد قال: يعني نظرك إلى لسان ميزانك حين توزن حسناتك وسيئاتك .

﴿**وقالَ قرينُه**﴾، المَلَك الموكل به، ﴿**هذا ما لديَّ عتيدٌ**﴾، **مُعَدّ محضر**، وقيل: **«ما» بمعنى** (من)، قال مجاهد: يقول هذا الذي وكلتني به من ابن آدم حاضر عندي قد أحضرته وأحضرت ديوان أعماله، فيقول الله عز وجل لقرينه:

﴿**ألقِيَا في جهنَّمَ**﴾، هو خطاب للواحد بلفظ التثنية على عادة العرب، تقول: ويحك ويلك ارحلاها وازجراها وخذاها وأطلقاها، للواحد، قال الفرَّاء[٢]: وأصل ذلك أن أدنى أعوان الرجل في إبله وغنمه وسفره اثنان، فجرى كلام الواحد على صاحبيه، ومنه قولهم في الشعر للواحد: **خليليَّ**. وقال الزجَّاج: هذا أمر للسائق والشهيد، وقيل: للمتلقيين. ﴿**كلَّ كفَّارٍ عنيدٍ**﴾، **عاصٍ** معرض عن

(١) أخرجه الطبري: ٢٦/١٦٢ .
وانظر: القرطبي: ١٧/١٤، الدر المنثور: ٧/٥٩٩.
(٢) انظر: معاني القرآن للفراء: ٣/٧٨ ــ ٧٩ .

﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ
﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ
وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ﴾

الحق. قال عكرمة ومجاهد: مجانب للحق معاند لله .

﴿**منّاعٍ للخير**﴾، أي للزكاة المفروضة وكلِّ حقٍ وجب في ماله، ﴿**معتدٍ**﴾، ظالم لا يقر بتوحيد الله، ﴿**مُريبٍ**﴾، شاكٍّ في التوحيد، ومعناه: داخل في الرَّيب .

﴿**الذي جعلَ مع اللّهِ إلهاً آخرَ فألقياهُ في العذابِ الشديد**﴾، وهو النار .

﴿**قالَ قرينُهُ**﴾، يعني الشيطان الذي قُيِّضَ لهذا الكافر: ﴿**ربَّنا ما أطغيتُه**﴾، ما أضللته وما أغويته، ﴿**ولكنْ كان في ضَلَالٍ بعيدٍ**﴾، عن الحق فيتبرأ عنه شيطانه، قال ابن عباس وسعيد بن جبير ومقاتل: «قال قرينه» يعني: المَلَك، قال سعيد بن جبير: يقول الكافر يارب إن الملك زاد عليَّ في الكتابة، فيقول الملك: «ربنا ما أطغيتُه»، يعني ما زدتُ عليه وما كتبتُ إلّا ما قال وعمل[1]، ولكن كان في ضلال بعيد، طويل لا يرجع عنه إلى الحق .

﴿**قال**﴾، فيقول الله ﴿**لا تختصِمُوا لديَّ وقدْ قدَّمتُ إليكم بالوعيدِ**﴾، في القرآن وأنذرتكم وحذرتكم على لسان الرسول، وقضيت عليكم ما أنا قاضٍ .

﴿**ما يُبدّلُ القولُ لديَّ**﴾، لا تبديل لقولي، وهو قوله: «لأملأنّ جهنم من الجنة والناس أجمعين» (السجدة – ١٣)، وقال قوم: معنى قوله: «ما يبدل القول لدي» أي: لا يُكْذَبُ عندي، ولا يغير القول عن وجهه لأني أعلم الغيب. وهذا قول الكلبي، واختيار الفرَّاء[2]، لأنه قال: «ما يبدل القول لديّ» ولم يقل ما يبدل قولي .

﴿**وما أنا بظَلّامٍ للعبيدِ**﴾، فأعاقبهم بغير جرم .

﴿**يومَ نقولُ لجهنَّمَ**﴾، قرأ نافع وأبو بكر «يقول» بالياء، أي: يقول الله، لقوله: «قال لا تختصمُوا»، وقرأ الآخرون بالنون، ﴿**هلِ امتلأتِ**﴾، وذلك لِما سبق لها من وعده إيّاها أنه يملؤها

(١) ذكره القرطبي: ١٧/١٧ .
(٢) معاني القرآن: ٣/٧٩ .

﴿لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ۝٣٠ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ۝٣١ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ۝٣٢﴾

من الجنة والناس، وهذا السؤال من الله عزّ وجلّ لتصديق خبره وتحقيق وعده، ﴿وتقول﴾، جهنم، ﴿هل مِنْ مزيد﴾، قيل: معناه قد امتلأتُ ولم يبقَ فيَّ موضع لم يمتلىء، فهو استفهام إنكار، هذا قول عطاء ومجاهد ومقاتل بن سليمان. وقيل: هذا استفهام بمعنى الاستزادة، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح، وعلى هذا يكون السؤال بقوله: «هل امتلأتِ»، قبل دخول جميع أهلها فيها، وروي عن ابن عباس: أن الله تعالى سبقت كلمته «لأملأنّ جهنّم من الجنة والناس أجمعين» (السجدة – ١٣)، فلما سيق أعداء الله إليها لا يُلقى فيها فوج إلا ذهب فيها ولا يملؤها شيء، فتقول: ألستَ قد/أقسمتَ لتملأنّي؟ فيضع قدمه عليها، ثم يقول: هل امتلأتِ؟ فتقول: قطْ قطْ قد امتلأت فليس فيَّ مزيد[(١)] . ١٣٨/ب

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن محمد بن العباس الحميدي، أخبرنا [أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحافظ][(٢)] حدثنا أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن أيوب الطوسي، أخبرنا أبو حاتم محمد بن إدريس الرازي، حدثنا آدم بن أبي إياس العسقلاني، حدثنا شيبان بن عبد الرحمن، عن قتادة، عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال جهنّم تقول هل من مزيد، حتى يضع ربُّ العزّةِ فيها قدمه، فتقول قطْ قطْ وعزتك، ويُزوى بعضُها إلى بعض، ولا يزال في الجنة فضل حتى يُنشىء الله خلقاً فيسكنه فضول الجنة»[(٣)] .

﴿وأُزلفتِ الجنة﴾، قُرِّبت وأُدْنيت، ﴿للمتقين﴾، الشرك، ﴿غيرَ بعيدٍ﴾، ينظرون إليها قبل أن يدخلوها .

﴿هذا ما تُوعدون﴾، قرأ ابن كثير بالياء والآخرون بالتاء، يقال لهم: هذا الذي ترونه ما توعدون على ألسنة الأنبياء عليهم السلام، ﴿لكلّ أوّابٍ﴾، رجّاع إلى الطاعة عن المعاصي، قال سعيد ابن المسيب: هو الذي يُذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب. وقال الشعبي ومجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر منها. وقال الضحاك: هو التوّاب. وقال ابن عباس وعطاء: المسبِّح، من قوله:

---

(١) انظر: الطبرى: ١٦٩/٢٦، ابن كثير: ٢٢٨/٤ .
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .
(٣) أخرجه البخاري في الأيمان والنذور، باب الحلف بعزة الله: ٥٤٥/١١، ومسلم في الجنة، باب النار يدخلها الجبارون، برقم: (٢٨٤٨): ٢١٨٧/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢٥٥/١٥ ـــ ٢٥٦ .

﴿مَنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ۝٣٣ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ۝٣٤
لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ۝٣٥ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم
بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ۝٣٦ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ﴾

«يا جبال أوّبي معه» (سبأ - ١٠) وقال قتادة: المصلي. ﴿حفيظ﴾، قال ابن عباس: الحافظ لأمر الله، وعنه أيضاً: هو الذي يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها. قال قتادة: حفيظ لما استودعه الله من حقه. قال الضحاك: الحافظ على نفسه والمتعهد لها. قال الشعبي: المراقب. قال سهل بن عبد الله: المحافظ على الطاعات والأوامر.

﴿مَنْ خشيَ الرحمنَ بالغيب﴾، محل «مَنْ» جر[١] على نعت الأوّاب. ومعنى الآية: من خاف الرحمن وأطاعه بالغيب ولم يره. وقال الضحاك والسدي: يعني في الخلوة حيث لا يراه أحد. قال الحسن: إذا أرخى الستر وأغلق الباب. ﴿وجاء بقلبٍ منيب﴾، مخلص مقبل إلى طاعة الله.

﴿ادخلُوها﴾، [أي: يُقال لأهل هذه الصفة: ادخلوها][٢]، أي: ادخلوا الجنة. ﴿بسلام﴾، بسلامة من العذاب والهموم. وقيل: بسلام من الله وملائكته عليهم. وقيل: بسلامة من زوال النعم، ﴿ذلك يومُ الخلود﴾.

﴿لهم ما يشاؤون فيها﴾، وذلك أنهم يسألون الله تعالى حتى تنتهي مسألتهم فيعطَوْن ما شاؤوا، ثم يزيدهم الله من عنده ما لم يسألوه، وهو قوله: ﴿ولدينا مزيد﴾، يعني الزيادة لهم في النعيم ما لم يخطر ببالهم. وقال جابر وأنس هو النظر إلى وجه الله الكريم.

قوله عزّ وجلّ: ﴿وكم أهلكنا قبلَهم من قرنٍ هم أشدُّ منهم بطْشاً فنقَّبُوا في البلادِ﴾، ضربوا وساروا وتقلبوا وطافوا، وأصله من النقب، وهو الطريق كأنهم سلكوا كل طريق، ﴿هل من محيص﴾، فلم يجدوا محيصاً من أمر الله. وقيل: «هل من محيص» مفرّ من الموت؟ فلم يجدوا[منه مفرّاً، وهذا إنذار][٣] لأهل مكة وأنهم على مثل سبيلهم لا يجدون مفراً عن الموت يموتون، فيصيرون إلى عذاب الله.

﴿إنّ في ذلك﴾، فيما ذكرت من العبر وإهلاك القرى، ﴿لَذِكرى﴾، تذكرة وعظة، ﴿لِمَنْ

---

(١) في «أ» رفع.
(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».
(٣) في «أ»: فيه إنذاراً.

قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ
وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ
وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ
وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾

كان له قلبٌ﴾، قال ابن عباس: أي عقل. قال الفرّاء[1]: هذا جائز في العربية، تقول: **ما لكَ قلب**، وما قلبك معكَ، أي ما عقلك معك، وقيل: له قلب حاضر مع الله. **﴿أو ألقى السمعَ﴾**، استمع القرآن، واستمع ما يقال له، لا يحدث نفسه بغيره، تقول العرب: ألقِ **إليّ** سمعكَ، أي استمعْ، **﴿وهو شهيد﴾**، أي حاضر القلب ليس بغافل ولا ساه.

قوله عزّ وجلّ: **﴿ولقد خلقْنا السمواتِ والأرضَ وما بينَهما في ستةِ أيامٍ وما مسّنا مِن لُغوبٍ﴾**، إعياء وتعب.

نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد أخبرنا بما خلق الله من الخلق في هذه الأيام الستة؟ فقال: «خلق الله الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والمدائن والأنهار والأقوات يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات من يوم الجمعة، وخلق في أول الثلاث الساعات الآجال، وفي الثانية الآفة، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقتَ إن أتممت، قال: وما ذاك؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت، واستلقى على العرش، فأنزل الله تعالى هذه الآية ردّاً عليهم[2].

﴿فاصبرْ على ما يقولون﴾، من كذبهم فإن الله لهم بالمرصاد، وهذا قبل الأمر بقتالهم، **﴿وسبّحْ بحمدِ ربك﴾**، أي: صلِّ حمداً لله، **﴿قبلَ طلوعِ الشمسِ﴾**، يعني: صلاة الصبح، **﴿وقبلَ الغُروبِ﴾**، يعني: صلاة العصر. ورُوي عن ابن عباس قال: **«قبل الغروب»: الظهر والعصر**.

﴿ومِنَ الليلِ فسبّحْهُ﴾، يعني: صلاة المغرب والعشاء. وقال مجاهد: «ومن الليل» أي: صلاة الليل أيّ وقتٍ صلّى. **﴿وأدبارَ السجود﴾** قرأ أهل الحجاز وحمزة: «وإدبار السجود» بكسر الهمزة، مصدر أدبر إدباراً، وقرأ الآخرون بفتحها على جمع الدبر.

---

(١) معاني القرآن: ٣/٨٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١٧٨ ـــ ١٧٩، **والواحدي في أسباب النزول**.
وانظر: الدر المنثور: ٧/٦٠٩، ابن كثير: ٤/٢٣٠.

قال عمر بن الخطاب، وعلي بن أبي طالب، والحسن، والشعبي، والنخعي، والأوزاعي: «أدبار السجود» الركعتان بعد صلاة المغرب، وأدبار النجوم الركعتان قبل صلاة الفجر. وهي رواية العوفي عن ابن عباس[١]. وروي عنه مرفوعاً[٢]، هذا قول أكثر المفسرين.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن سمعان، أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الجبار الرياني، حدثنا حميد بن زنجويه، حدثنا أبو أيوب الدمشقي، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا ابن جريج عن عطاء عن عبيد بن عمير عن عائشة رضي الله عنها قالت: ما كان رسول الله ﷺ على شيء من النوافل أشدَّ مُعَاهدةً منه على الركعتين أمام الصبح[٣].

أخبرنا أبو عثمان سعيد بن إسماعيل الضبي، أخبرنا أبو محمد عبد الجبار بن محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس محمد بن أحمد المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا صالح بن عبد الله، حدثنا أبو عَوانة عن قتادة، عن زرارة بن أبي أوْفَى، عن سعيد بن/هشام عن عائشة رضي الله عنها ١٣٩/أ
قالت: قال رسول الله ﷺ: «ركعتا الفجر خيرٌ من الدنيا وما فيها»[٤].

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، أخبرنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا بَدل بن المحبَّر، حدثنا عبد الملك بن معدان عن عاصم بن بهدلة عن أبي وائل عن عبد الله بن مسعود أنه قال: ما أُحصي ما سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ في الركعتين بعد المغرب وفي الركعتين قبل [صلاة الفجر][٥]: بقلْ يا أيها الكافرون، وقلْ هو الله أحد[٦].

---

(١) عزاه صاحب كنز العمال: ٥١٠/٢ للطبراني في الصغير وابن أبي شيبة ومحمد بن نصر في قيام الليل،صفحة (٦٤) من مختصر المقريزي.
وانظر: القرطبي: ٢٥/١٧، الدر المنثور: ٦١٠/٧ ــ ٦١١.

(٢) عزاه الحافظ ابن حجر في المطالب العالية: ٣٧٧/٣ لمسدد عن علي مرفوعاً.

(٣) أخرجه البخاري في التهجد في الليل، باب تعاهد ركعتي الفجر: ٤٥/٣، ومسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر برقم:(٧٢٤):٥٠١/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٥٢/٣.

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في ركعتي الفجر من الفضل: ٤٦٩/٢ وقال: «حديث عائشة حديث حسن صحيح».
وأخرجه مسلم أيضاً من نفس الطريق في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي سنة الفجر برقم: (٧٢٥): ٥٠١/١، والمصنف في شرح السنة: ٤٥٣/٣.

(٥) في «ب» الصبح.

(٦) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما جاء في الركعتين بعد المغرب والقراءة فيهما: ٥٠٦/٢ ــ ٥٠٧ وقال: «حديث ابن مسعود حديث غريب، لانعرفه إلا من حديث عبد الملك بن معدان عن عاصم».
والحديث ضعيف لضعف عبد الملك بن الوليد بن مَعْدان الضُّبَعي (تقريب). =

﴿وَٱسۡتَمِعۡ يَوۡمَ يُنَادِ ٱلۡمُنَادِ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ٤١ يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ

قال مجاهد: «وأدبار السجود» هو التسبيحُ باللسانِ في أدبار الصلوات المكتوبات .

أخبرنا أبو الحسين طاهر بن الحسين الرُّوقي الطوسي بها، أخبرنا أبو الحسن محمد بن يعقوب، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن أيوب، أخبرنا مسدد، حدثنا خالد هو ابن عبد الله، حدثنا سهيل عن أبي عبيد عن عطاء بن يزيد عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من سبّحَ في دُبُرِ كلِّ صلاةٍ ثلاثاً وثلاثين، وكبّر الله ثلاثاً وثلاثين، وحَمِدَ الله ثلاثاً وثلاثين، فذلك تسعة وتسعون، ثم قال تمام المائة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، غُفرت خطاياهُ وإنْ كانتْ مثلَ زبد البحر»[1] .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا إسحاق، أخبرنا يزيد أخبرنا ورقاء عن سمي عن أبي صالح عن أبي هريرة قال: قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالدرجات والنعيم المقيم، قال: كيف ذاك؟ قالوا: صلّوا كما صلينا وجاهدوا كما جاهدنا، وأنفقوا من فضول أموالهم وليستْ لنا أموال، قال: «أفلا أخبركم بأمر تدركون من كان قبلكم وتسبقون من جاء بعدكم، ولا يأتي أحد بمثل ما جئتم به إلّا من جاء بمثله: تسبحون في دُبرِ كلِّ صلاةٍ عشراً، وتحمدون عشراً، وتكبرون عشراً»[2] .

قوله عزّ وجلّ: ﴿واستمعْ يومَ ينادِ المنادِ من مكانٍ قريب﴾، أي: واستمع يا محمد صيحة القيامة والنشور يوم ينادي المنادي، قال مقاتل: يعني إسرافيل ينادي بالحشر يا أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة، إن الله يأمركنّ أن تجتمعن لفصل القضاء **«من مكان قريب» من صخرة بيت المقدس، وهي وسط الأرض. قال الكلبي: هي أقرب الأرض إلى** السماء بثمانية عشر ميلاً .

﴿**يومَ يسمعون الصيحة بالحقِّ**﴾، وهي الصيحة الأخيرة، ﴿**ذلكَ يومُ الخروج**﴾، من القبور .

= ويشهد له ما أخرجه مسلم في صلاة المسافرين، باب استحباب ركعتي الفجر...برقم:(٧٢٦) ٥٠٢/١، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ في ركعتي الفجر: قل يا أيها الكافرون وقل هو الله أحد .
وأخرجه المصنف في شرح السنة: ٤٥٦/٣ .

(١) أخرجه مسلم في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة، برقم: (٥٩٧): ٤١٨/١، والمصنف في شرح السنة: ٢٢٨/٣ -٢٢٩ .

(٢) أخرجه البخاري في الدعوات، باب الدعاء بعد الصلاة: ١٣٢/١١ ـــ ١٣٣،وفي الصلاة، باب الذكر بعد الصلاة: ٣٢٥/٢، والمصنف في شرح السنة: ٢٣٠/٣ ـــ ٢٣١ .

ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ
سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ
بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾

﴿**إنّا نحن نحيي ونميتُ وإلينا المصير * يوم تَشقّقُ الأرضُ عنهم سِراعاً**﴾، جمع سريع، أي: يخرجون سراعاً، ﴿**ذلك حشرٌ علينا**﴾، جمع علينا ﴿**يسير**﴾.

﴿**نحنُ أعلمُ بما يقولون**﴾، يعني: كفارمكة في تكذيبك، ﴿**وما أنتَ عليهم بجبّار**﴾، بمسلط تجبرهم على الإسلام إنما بعثتَ مُذَكِّراً، ﴿**فذكِّرْ بالقرآنِ مَنْ يخافُ وعيد**﴾، أي: ما أوعدتُ مَنْ عصاني من العذاب.

قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا، فنزلت[1]: «**فذكّرْ بالقرآن من يخاف وعيد**».

---

(١) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٦.
وانظر: القرطبي: ٢٨/١٧، الدر المنثور: ٦١٣/٧.

سورة الذاريات

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ۝٤
إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧

﴿والذارياتِ ذَرْواً﴾، يعني: الرياح التي تذرو التراب ذرواً، يقال: ذَرَت الريحُ الترابَ وأذرت.

﴿فالحاملاتِ وِقْراً﴾، يعني: السحاب تحمل ثقلاً من الماء.

﴿فالجارياتِ يُسراً﴾، هي السفن تجري في الماء جرياً سهلاً.

﴿فالمُقَسِّماتِ أمراً﴾، هي الملائكة يقسمون الأمور بين الخلق على ما أمروا به، أقسم بهذه الأشياء لما فيها من الدلالة على صنعه وقدرته.

ثم ذكر المقسَم عليه فقال: ﴿إنّما تُوعدون﴾، من الثواب والعقاب، ﴿لَصادق﴾.

﴿وإنّ الدينَ﴾، [الحساب والجزاء][2]، ﴿لَواقع﴾، لكائن. ثم ابتدأ قَسَماً آخر فقال:

﴿والسماءِ ذاتِ الحُبُك﴾، قال ابن عباس وقتادة وعكرمة: ذات الخلق الحسن المستوي، يقال للنسَّاج إذا نسج الثوب فأجاد: ما أحسن حبكه! قال سعيد بن جبير: ذات الزينة. قال الحسن: حبكت بالنجوم. قال مجاهد: هي المتقنة البنيان. وقال مقاتل والكلبي والضحاك: ذات الطرائق

---

(١) أخرج ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الذاريات بمكة. انظر الدر المنثور: ٧/٦١٣.

(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ ﴿١٢﴾ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾﴾

كحبك الماء إذا ضربته الريح، وحبك الرمل والشعر الجعد، ولكنها لا ترى لبعدها من الناس، وهي جمع حباك وحبيكة، وجواب القسم قوله:

﴿إنّكم﴾، أي: يا أهل مكة، ﴿لَفي قولٍ مُختلِف﴾، في القرآن وفي محمد ﷺ، تقولون في القرآن: سحر وكهانة وأساطير الأولين، وفي محمد ﷺ: ساحر وشاعر ومجنون. وقيل: «لفي قول مختلف» أي: مُصدّق ومُكذّب.

﴿يُؤفَكُ عنه من أُفِكَ﴾، يصرف عن الإيمان به من صرف حتى يكذبه، يعني: من حرمه الله الإيمان بمحمد ﷺ وبالقرآن. وقيل «عن» بمعنى: من أجل، أي يصرف من أجل هذا القول المختلف أو بسببه عن الإيمان من صرف. وذلك أنهم كانوا يتلقون الرجل إذا أراد الإيمان فيقولون: إنه ساحر وكاهن ومجنون، فيصرفونه عن الإيمان، وهذا معنى قول مجاهد.

﴿قُتِلَ الخرّاصُون﴾، لُعِن الكذابون، يقال: تخرّص على فلان الباطل، وهم المقتسمون الذين اقتسموا عِقَاب مكة، واقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن دين الإسلام. وقال مجاهد: هم الكهنة.

﴿الذين هم في غَمْرةٍ﴾، غفلة وعمى وجهالة، ﴿ساهون﴾ لَاهُون غافلون عن أمر الآخرة، والسهو: الغفلة عن الشيء، وهو ذهاب القلب عنه.

﴿يسألون أيّانَ يومُ الدين﴾، يقولون: يا محمد متى يوم الجزاء، يعني: يوم القيامة تكذيباً واستهزاءً.

قال الله عزّ وجلّ: ﴿يومَ هم﴾، أي يكون هذا الجزاء في يوم هم، ﴿على النار يُفتَنون﴾، أي: يعذَّبون ويحرقون بها كما يفتن الذهب بالنار. وقيل: «على» بمعنى الباء أي بالنار، وتقول لهم خزنة النار:

﴿ذُوقوا فتنتَكم﴾، عذابكم، ﴿هذا الذي كنتم به تَستعجِلون﴾، في الدنيا تكذيباً به.

﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ١٥ آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ مُحْسِنِينَ ١٦ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ١٧ وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ١٨﴾

﴿إنّ المتقينَ في جناتٍ وعيونٍ * آخذين ما آتاهم﴾، أعطاهم، ﴿ربُّهم﴾، من الخير والكرامة،
﴿إنهم كانوا قبل ذلك﴾، قبل/دخولهم الجنة، ﴿محسنين﴾، في الدنيا . ١٣٩/ب

﴿كانوا قليلاً من الليلِ ما يَهْجَعون﴾، والهجوع النوم بالليل دون النهار، «وما» صلة، والمعنى: كانوا يهجعون قليلاً من الليل، أي يصلون أكثر الليل .

وقيل: معناه كان الليل الذي ينامون فيه كله قليلاً، وهذا معنى قول سعيد بن جبير عن ابن عباس، يعني: كانوا قلّ ليلة تمر بهم إلّا صلوا فيها شيئاً، إمّا من أولها أو من أوسطها. قال أنس ابن مالك: كانوا يصلون ما بين المغرب إلى العشاء[1]. وقال محمد بن علي: كانوا لا ينامون حتى يصلوا العتمة[2]. قال مطرف بن عبد الله بن الشخير: قلّ ليلة أتتْ عليهم هجعوها كلها[3]. قال مجاهد: كانوا لا ينامون كل الليل[4] .

ووقف بعضهم على قوله: «قليلاً» أي: كانوا من الناس قليلاً، ثم ابتدأ: «من الليل ما يهجعون»، وجعله جحداً أي: لا ينامون بالليل البتة، بل يقومون للصلاة والعبادة، وهو قول الضحاك ومقاتل .

﴿وبالأسحارِ هم يستغفرون﴾، قال الحسن: لا ينامون من الليل إلا أقله، وربما نشطوا فمدوا إلى السحر، ثم أخذوا بالأسحار في الاستغفار[5]. وقال الكلبي ومجاهد ومقاتل: وبالأسحار يصلون، وذلك أن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة .

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا أبو محمد الحسن بن أحمد بن محمد المَخلديُّ، أخبرنا أبو العباس محمد بن إسحاق السرَّاج، حدثنا قتيبة، حدثنا يعقوب بن عبد الرحمن، عن سهل ابن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «ينزل الله إلى السماء الدنيا كل

---

(١) أخرجه أبو داود: ٢/٩٥، الطبري: ٢٦/١٩٦، محمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص (٧١) من مختصر المقريزي . والبيهقي في السنن: ٣/١٩، وذكره ابن كثير في التفسير: ٤/٢٣٤ .
(٢) أخرجه الطبري: ٢٦/١٩٦، ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص (٢٥) من مختصر المقريزي وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦١٥ أيضاً لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في سننه .
(٣) أخرجه الطبري : ٢٦/١٩٧، ومحمد بن نصر في قيام الليل صفحة:(٢٥) من مختصر المقريزي، وابن كثير :٤/٢٣٤ .
(٤) أخرجه محمد بن نصر المروزي في قيام الليل صفحة(٢٤) من مختصر المقريزي .
(٥) أخرجه الطبري: ٢٦/١٩٨؛ ومحمد بن نصر المروزي في قيام الليل ص (٨١) من مختصر المقريزي .

﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ١٩﴾

ليلة حين يبقى ثلث الليل فيقول: أنا المَلِك، أنا الملك، مَن الذي يدعوني فأستجيبَ له؟ مَن الذي يسألني فأعطيَه؟ من الذي يستغفرني فأغفرَ له»[(١)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا علي بن عبد الله، حدثنا سفيان، حدثنا سليمان بن أبي مسلم عن طاووس سمع ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا قام من الليل يتهجد، قال: «اللهم لك الحمد أنتَ قيّمُ السموات والأرض ومن فيهن، [ولك الحمد أنتَ نورُ السموات والأرضِ ومن فيهن، ولك الحمد أنتَ ملك السمواتِ والأرض ومن فيهن][(٢)]، ولك الحمد أنتَ الحقّ ووعدك الحق، ولقاؤك حق، وقولك حق، والجنة حق والنار حق، والنبيّون حق، ومحمد صلى الله عليه وسلم حق، والساعة حق، اللهمّ لك أسلمتُ وبك آمنتُ وعليك توكلتُ، وإليك أنبْتُ وبك خاصمتُ وإليك حاكمت، فاغفر لي ما قدمتُ وما أخرتُ وماأسررتُ وما أعلنت، أنت المقدّم وأنت المؤخر، لا إله إلا أنت ولا إله غيرك». قال سفيان: وزاد عبد الكريم أبو أمية: «ولا حول ولا قوة إلا بالله»[(٣)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا صدقة، أخبرنا الوليد عن الأوزاعي، حدثني عمير بن هانىء، حدثني جنادة ابن أبي أمية، حدثني عبادة عن النبي ﷺ قال: «من تعارَّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وسبحان الله والحمد لله، ولا إله إلا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة إلّا بالله العلي العظيم، ثم قال: اللهم اغفرْ لي، أو دعا استُجيب له، فإن توضأ وصلّى قُبلَتْ صلاتُه»[(٤)].

قوله عزّ وجلّ: ﴿وفي أموالهم حقٌّ للسائلِ والمحروم﴾، السائل: الذي يسأل الناس، والمحروم: الذي ليس له في الغنائم سهم، ولا يجرى عليه من الفيء شيء، هذا قول ابن عباس وسعيد بن

---

(١) أخرجه الترمذي من طريق قتيبة، في الصلاة ،باب في نزول الرب تبارك وتعالى إلى السماء الدنيا كل ليلة:٢/٥٢٤ وقال: حديث صحيح، وقد روي هذا الحديث من أوجه كثيرة عن أبي هريرة...وهذه أصح الروايات .
وأخرجه البخاري في التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل: ٣/٢٩، ومسلم في صلاة المسافرين، باب الترغيب في الدعاء والذكر في آخر الليل والإجابة فيه برقم: (٧٥٨): ١/٥٢١، والمصنف في شرح السنة: ٤/٦٣ ــ ٦٤ .

(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ» .

(٣) أخرجه البخاري في التهجد، باب التهجد بالليل: ٣/٣، ومسلم في صلاة المسافرين باب الدعاء في صلاة الليل: برقم (٧٦٩): ١/٥٣٢ ــ ٥٣٣، والمصنف في شرح السنة: ٤/٦٨ .

(٤) أخرجه البخاري في التهجد، باب فضل من تعارَّ من الليل فصلى: ٣/٣٩، والمصنف في شرح السنة:٤/٧١ ــ ٧٢ .

﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٞ لِّلۡمُوقِنِينَ ٢٠ وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ٢١ وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا
تُوعَدُونَ ٢٢ فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِنَّهُۥ لَحَقّٞ مِّثۡلَ مَآ أَنَّكُمۡ تَنطِقُونَ ٢٣﴾

المسيب، قالا: [المحروم الذي][1] ليس له في الإسلام سهم، ومعناه في اللغة: الذي مُنع الخير والعطاء.

وقال قتادة والزهري: «المحروم» المتعفف الذي لا يسأل.

وقال زيد بن أسلم: هو المصاب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته. وهو قول محمد بن كعب القرظي، قال: المحروم صاحب الجائحة[2]، ثم قرأ: «إنا لَمُغْرَمُونَ بل نحن محرومون» (الواقعة - ٦٦-٦٧).

﴿وفي الأرض آياتٌ﴾، عِبَر، ﴿للموقنين﴾، إذا سَارُوا فيها من الجبال والبحار والأشجار والثمار وأنواع النبات. ﴿وفي أنْفسِكم﴾، آياتٌ، إذْ كانت نطفةً ثم علقةً ثم مضغةً ثم عظماً إلى أن نفخ فيها الروح.

قال عطاء عن ابن عباس: يريد اختلاف الألسنة والصور والألوان والطبائع.

وقال ابن الزبير: يريد سبيل الغائط والبول يأكل ويشرب من مدخل واحد ويخرج من سبيلين.

﴿أفلا تُبصِرُون﴾، [قال مقاتل][1]: أفلا تبصرون كيف خلقكم فتعرفوا قدرته على البعث.

﴿وفي السماءِ رزقُكم﴾، قال ابن عباس ومجاهد ومقاتل: يعني المطر الذي هو سبب الأرزاق، ﴿وما تُوعَدُون﴾، قال عطاء: من الثواب والعقاب. وقال مجاهد: من الخير والشر. وقال الضحاك: وما توعدون من الجنة والنار، ثم أقسم بنفسه فقال:

﴿فوربِّ السماءِ والأرضِ إنه لَحقٌّ﴾، أي: ما ذكرت من أمر الرزق لحقٌّ، ﴿مِثْلَ﴾، قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «مِثْلُ» برفع اللام بدلاً من «الحق»، وقرأ الآخرون بالنصب أي كمثل، ﴿ما أنكم تَنْطِقون﴾، فتقولون: لا إله إلا الله. وقيل: شبّه تحقق ما أخبر عنه بتحقق

---

(١) ساقط من «أ».

(٢) في «ب» الحاجة.

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰ أَهْلِهِ فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ فَأَقْبَلَتِ

نطق الآدمي، كما تقول: إنه لحق كما أنت ها هنا، وإنه لحق كما أنك تتكلم، والمعنى: إنه في صدقه ووجوده كالذي تعرفه ضرورة. قال بعض الحكماء: يعني: كما أن كل إنسان ينطق بلسان نفسه لا يمكنه أن ينطق بلسان غيره فكذلك كل إنسان يأكل رزق نفسه الذي قسم له، ولا يقدر أن يأكل رزق غيره.

قوله عزّ وجلّ: ﴿هل أتاكَ حديثُ ضيفِ إبراهيم﴾، ذكرنا عددهم في سورة هود، ﴿المكرمين﴾، [قيل: سماهم مكرمين](1) لأنهم كانوا ملائكة كراماً عند الله، وقد قال الله تعالى في وصفهم: «بل عبادٌ مكرمون» (الأنبياء - ٢٦)، وقيل: لأنهم كانوا ضيف إبراهيم وكان إبراهيم أكرم الخليقة، وضيف الكرام مكرمون.

١٤٠/أ وقيل: لأن إبراهيم عليه السلام أكرمهم/بتعجيل قِراهم، والقيام بنفسه عليهم بطلاقة الوجه.

وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد: خدمته إياهم بنفسه.

وروي عن ابن عباس: سماهم مكرمين لأنهم جاؤوا غير مدعوين. وروينا عن النبي ﷺ أنه قال: «من كان يُؤمنُ بالله واليوم الآخر فليكرمْ ضيفَه»(2).

﴿إذْ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قومٌ منكرون﴾، أي: غرباء لا نعرفكم، قال ابن عباس: قال في نفسه هؤلاء قوم لا نعرفهم. وقيل: إنما أنكر أمرهم لأنهم دخلوا عليه من غير استئذان. وقال أبو العالية: أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الأرض.

﴿فراغَ﴾، فعدل ومال، ﴿إلى أهلِه فجاءَ بعجلٍ سمينٍ﴾، مشوي.

﴿فقرّبه إليهم﴾، ليأكلوا فلم يأكلوا، ﴿قال ألَا تأكلون * فأوجسَ منهم خيفةً قالوا لا تخفْ وبشّروه بغلامٍ عليمٍ * فأقبلتِ امرأتُه في صرّةٍ﴾، أي: صيحة، قيل: لم يكن ذلك إقبالاً من مكان

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

(٢) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الرقاق، باب حفظ اللسان: ٣٠٨/١١، ومسلم في الإيمان، باب الحث علي إكرام الجار برقم :(٤٧): ٦٨/١ والمصنف في شرح السنة: ٣١٢/١٤.

ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ۞ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ
أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ
لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ
ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾

إلى مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني، بمعنى أخذ في شتمي، أي أخذت تُوَلْوِلُ كما قال: «قالت يا ويلتى»، (هود – ٧٢)، ﴿فصكّتْ وجهها﴾، قال ابن عباس: لطمت وجهها. وقال الآخرون: جمعت أصابعها فضربت جبينها تعجباً، كعادة النساء إذا أنكرن شيئاً، وأصل الصّكّ: ضرب الشيء بالشيء العريض.

﴿وقالتْ عجوزٌ عقيم﴾، مجازه: أتلدُ عجوز عقيم؟ وكانت سارة لم تلد قبل ذلك.

﴿قالوا كذلكِ قال ربُّكِ﴾، أي كما قلنا لك قال ربك إنك ستلدين غلاماً، ﴿إنه هو الحكيمُ العليمُ﴾.

﴿قال﴾ [يعني إبراهيم][1]، ﴿فما خطْبُكم أيُّها المرسلون * قالوا إنّا أُرسلنا إلى قومٍ مجرمين﴾، يعني: قوم لوط.

﴿لِنُرسلَ عليهم حجارةً من طين * مسوَّمةً﴾، معلّمة، ﴿عند ربِّكَ للمسرفين﴾، قال ابن عباس: للمشركين، والشرك أسرف الذنوب وأعظمها.

﴿فأخرجنا مَنْ كان فيها﴾، أي: في قرى قوم لوط، ﴿من المؤمنين﴾، وذلك قوله: «فأسرِ بأهلك بِقِطعٍ من الليل» (هود – ٨١).

﴿فما وجدنا فيها غيرَ بيتٍ﴾، أي غير أهل بيت، ﴿من المسلمين﴾، يعني لوطاً وابنتيه، وصفهم الله تعالى بالإيمان والإسلام جميعاً لأنه ما من مؤمن إلا وهو مسلم.

﴿وتركْنا فيها﴾، أي في مدينة قوم لوط، ﴿آيةً﴾، عبرة، ﴿للذين يخافون العذابَ الأليمَ﴾، أي: علامة للخائفين تدلهم على أن الله تعالى أهلكهم فيخافون مثل عذابهم.

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾

﴿وفي موسى﴾، أي: وتركنا في إرسال موسى آية وعبرة. وقيل: هو معطوف على قوله: «وفي الأرض آيات للموقنين»، [وفي موسى][1]، ﴿إذْ أرسلناه إلى فرعونَ بسلطانٍ مبين﴾، بحجة ظاهرة.

﴿فتولّى﴾، فأعرض وأدبر عن الإيمان، ﴿بركْنِه﴾، أي بجمعه وجنوده الذين كان يتقوى بهم، كالركن الذي يقوى به البنيان، نظيره: «أو آوي إلى ركن شديد» (هود - ٨٠)، ﴿وقال ساحرٌ أو مجنون﴾، قال أبو عبيدة: «أو» بمعنى الواو.

﴿فأخذناه وجنودَهُ فنبذناهم في اليَمّ﴾، أغرقناهم فيه، ﴿وهو مُليم﴾، أي: آت بما يلام عليه من دعوى الربوبية وتكذيب الرسول.

﴿وفي عاد﴾، أي: في إهلاك عاد أيضاً آية، ﴿إذْ أرسلنا عليهم الريحَ العقيمَ﴾، وهي التي لا خير فيها ولا بركة ولا تلقح شجراً ولا تحمل مطراً.

﴿ما تذَرُ من شيءٍ أتتْ عليه﴾، من أنفسهم وأنعامهم وأموالهم، ﴿إلّا جعلته كالرَّميم﴾، كالشيء الهالك البالي، وهو نبات الأرض إذا يبسَ ودِيسَ. قال مجاهد: كالتبن اليابس. قال قتادة: كرميم الشجر. قال أبو العالية: كالتراب المدقوق. وقيل: أصله من العظم البالي.

﴿وفي ثمودَ إذْ قيلَ لهم تمتعُوا حتى حين﴾، يعني وقت فناء آجالهم، وذلك أنهم لما عقروا الناقة قيل لهم: تمتعوا ثلاثة أيام.

﴿فعَتَوا عن أمرِ ربِّهم فأخذتْهُم الصاعقةُ﴾، بعد مضي الأيام الثلاثة، وهي الموت في قول ابن عباس، قال مقاتل: يعني العذاب، و«الصاعقة»: كل عذاب مهلك، وقرأ الكسائي: «الصعقة»، وهي الصوت الذي يكون من الصاعقة، ﴿وهم ينظرون﴾، يرون ذلك عياناً.

---

(١) زيادة من «ب».

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا
لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا
زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ
ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ ۖ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن

﴿**فما استطاعوا من قيام**﴾، فما قاموا بعد نزول العذاب بهم ولا قدروا على نهوض. قال قتادة: لم ينهضوا من تلك الصرعة، ﴿**وما كانوا منتصرين**﴾، ممتنعين منّا. قال قتادة: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله.

﴿**وقومَ نوح**﴾، قرأ أبو عمرو وحمزة والكسائي: «وقومِ» بجر الميم، أي: وفي قوم نوح، وقرأ الآخرون بنصبها بالحمل على المعنى، وهو أن قوله: «**فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم**»، معناه: أغرقناهم وأغرقنا قوم نوح. ﴿**من قبلُ**﴾، أي: من قبل هؤلاء، وهم عاد وثمود وقوم فرعون. ﴿**إنهم كانوا قوماً فاسقين**﴾.

﴿**والسماءَ بنيناها بأيدٍ**﴾، بقوة وقدرة، ﴿**وإنا لَمُوسِعُون**﴾، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: قادرون. وعنه أيضاً: لموسعون الرزق على خلقنا. وقيل: ذو سعة. قال الضحاك: أغنياء، دليله: **قوله عزّ وجلّ: «على المُوسِعِ قَدَرُه»، (البقرة - ٢٣٦)، قال الحسن: مطيقون**.

﴿**والأرضَ فَرَشناهَا**﴾، بسطناها ومهدناها لكم، ﴿**فنِعْمَ الماهدون**﴾، الباسطون نحن: قال ابن عباس: نعم ما وطّأتُ لعبادي.

﴿**ومن كلِّ شيءٍ خلقنا زوجين**﴾، صنفين ونوعين مختلفين كالسماء والأرض. والشمس والقمر، والليل والنهار، والبر والبحر، والسهل والجبل، والشتاء والصيف، والجن والإنس، والذكر والأنثى، والنور والظلمة، والإيمان والكفر، والسعادة والشقاوة، والحق والباطل، والحلو والمر. ﴿**لعلكم تذكَّرون**﴾، فتعلمون أن خالق الأزواج فرد.

﴿**ففِرُّوا إلى الله**﴾، فاهربوا من عذاب الله إلى ثوابه، بالإيمان والطاعة. قال ابن عباس: فروا منه إليه واعملوا بطاعته. وقال سهل بن عبد الله: فروا مما سوى الله إلى الله، ﴿**إني لكم منه نذيرٌ مبينٌ * ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخرَ إني لكم منه نذيرٌ مبين**﴾.

﴿**كذلك**﴾، أي: كما كذبك قومك وقالوا ساحر أو مجنون كذلك، ﴿**ما أتى الذين من**

رَسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾

١٤٠/ب **﴿قبلهم﴾**، من قبل كفار مكة، **﴿من رسولٍ إلّا قالوا/ ساحرٌ أو مجنون﴾** .

قال الله تعالى: **﴿أتواصَوْا بِهِ﴾**، أي: أوصى أولُهم آخرَهم وبعضُهم بعضاً بالتكذيب وتواطؤا عليه؟ والألف فيه للتوبيخ، **﴿بل هم قومٌ طاغون﴾**، قال ابن عباس: حملهم الطغيان فيما أعطيتهم ووسّعتُ عليهم على تكذيبك، **﴿فتولَّ عنهم﴾**، فأعرض عنهم، **﴿فما أنتَ بملومٍ﴾**، لا لوم عليك فقد أديتَ الرسالة وما قصرت فيما أُمرت به .

قال المفسرون: لما نزلت هذه الآية حزن رسول الله ﷺ واشتدّ ذلك على أصحابه، وظنوا أن الوحي قد انقطع، وأن العذاب قد حضر إذْ أُمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فأنزل الله تعالى: **﴿وذكِّرْ فإنَّ الذكرى تنفعُ المؤمنين﴾**، فطابت أنفسهم[(١)] .

قال مقاتل: معناه عِظْ بالقرآن كفار مكة، فإن الذكرى تنفع من [سبق][(٢)] في علم الله أن يؤمن منهم. وقال الكلبي: عِظْ بالقرآن من آمن من قومك فإن الذكرى تنفعهم .

﴿وما خلقتُ الجنَّ والإنسَ إلّا ليعبدونِ﴾، قال الكلبي والضحاك وسفيان: هذا خاص لأهل طاعته من الفريقين، يدل عليه قراءة ابن عباس: «وما خلقت الجنَّ والإنس - من المؤمنين - إلا ليعبدون»، ثم قال في أخرى: «ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجنّ والإنس»، (الأعراف - ٧٩) .

وقال بعضهم: وما خلقتِ السعداء من الجن والإنسِ إلا لعبادتي والأشقياء منهم إلا لمعصيتي، وهذا معنى قول زيد بن أسلم، قال: هو على ما جُبِلُوا عليه من الشقاوة والسعادة .

وقال علي بن أبي طالب «إلّا ليعبدون» أي إلّا لآمُرَهم أن يعبدوني وأدعوهم إلى عبادتي، يؤيده قوله عزّ وجلّ: «وما أمروا إلّا ليعبدوا إلهاً واحداً». (التوبة - ٣١) .

وقال مجاهد: إلّا ليعرفوني. وهذا أحسن لأنه لو لم يخلقهم لم يعرف وجوده وتوحيده، دليله: قوله

(١) أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده عن مجاهد، وسكت عنه البوصيري وقال: رواه أحمد بن منيع بسند رواته ثقات، وأخرجه الطبري عن قتادة .
انظر: المطالب العالية : ٣٧٨/٣ مع حاشية المحقق، تفسير الطبري: ١١/٢٧ .

(٢) ساقط من «أ» .

مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ
﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ
كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾

تعالى: «ولئن سألتهم من خلقهم ليقولنّ الله» (الزخرف - ٨٧) .

وقيل: معناه إلا ليخضعوا إليّ ويتذللوا، ومعنى العبادة في اللغة: التذلل والانقياد، فكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله، متذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عمّا خُلق عليه .

وقيل: «إلا ليعبدوني» إلّا ليوحدوني، فأما المؤمن فيوحده فى الشدة والرخاء، وأما الكافر فيوحده فى الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء، بيانه قوله عزّ وجلّ: «فإذا ركبوا في الفلك دعوا الله مخلصين له الدين». (العنكبوت - ٦٥) .

﴿ما أريدُ منهم من رزقٍ﴾، أي: أن يرزقوا أحداً من خلقي ولا أن يرزقوا أنفسهم، **﴿وما أريدُ أن يُطعمون﴾**، أي: أن يطعموا أحداً من خلقي، وإنما أسند الإطعام إلى نفسه، لأن الخلق عيال الله ومن أطعم عيال أحد فقد أطعمه. كما جاء في الحديث يقول الله تعالى: «استطعمتُك فلم تُطعمني»[1]، أي: لم تطعم عبدي، ثم بيّن أن الرازق هو لا غيره فقال:

﴿إنّ الله هو الرّزّاق﴾، يعني: لجميع خلقه، **﴿ذو القوة المتين﴾**، وهو القوى المقتدر المبالغ في القوة والقدرة .

﴿فإنّ للذين ظلموا﴾، كفروا من أهل مكة، **﴿ذَنُوباً﴾**، نصيباً من العذاب، **﴿مثلَ ذَنُوبِ أصحابِهم﴾**، مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من قوم نوح وعاد وثمود، وأصل «الذَّنُوب» في اللغة: الدلو العظيمة المملوءة ماء، ثم استعمل في الحظ والنصيب، **﴿فلا يستعجلونِ﴾**، بالعذاب يعني أنهم أُخِّروا إلى يوم القيامة .

يدل عليه قوله عزّ وجلّ: **﴿فويلٌ للذين كفروا من يومِهِمُ الذي يُوعَدون﴾**، يعني: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر .

---

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في البر والصلة والآداب، باب فضل عيادة المريض، برقم :(٢٥٦٩): ١٩٩٠/٤ .

سُورَةُ الطُّورِ

سُورَةُ الطُّورِ

مكية[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾

﴿والطورِ﴾، أراد به الجبل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام بالأرض المقدسة، أقسم الله تعالى به .

﴿وكتابٍ مسطورٍ﴾، مكتوب .

﴿في رَقٍّ مَنْشُورٍ﴾. «والرَّقّ»: ما يُكتب فيه، وهو أديم الصحف، و«المنشور»: المبسوط، واختلفوا في هذا الكتاب، قال الكلبي: هو ما كتب الله بيده لموسى من التوراة وموسى يسمع صرير القلم .

وقيل: هو اللوح المحفوظ. وقيل: دواوين الحفظة تخرج إليهم يوم القيامة منشورة، فآخذ بيمينه وآخذ بشماله. دليله قوله عزّ وجلّ: «ونُخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً»، (الإسراء – ١٣) .

﴿والبيتِ المعمورِ﴾، بكثرة الغاشية والأهل، وهو بيت في السماء حذاء العرش بحيال الكعبة يقال له: الضُّرَاح، حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض، يدخله كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة يطوفون به ويصلون فيه ثم لا يعودون إليه أبداً[2] .

﴿والسقفِ المرفوعِ﴾، يعني: السماء، نظيره قوله عزّ وجلّ: « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً ». (الأنبياء – ٣٢) .

(١) أخرج ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: نزلت سورة الطور بمكة . انظر: الدر المنثور:٧/٦٢٦ .

(٢) انظر:الطبري: ٢٧/١٦، وقال الهيثمي في «المجمع»(٧/١١٤): «رواه الطبراني – عن ابن عباس مرفوعاً – وفيه بشر أبو حذيفة وهو متروك» .

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨﴾

﴿والبحرِ المسجورِ﴾، قال محمد بن كعب القرظي والضحاك: يعني الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور، وهو قول ابن عباس، وذلك ما روي أن الله تعالى يجعل البحار كلها يوم القيامة ناراً فيزاد بها في نار جهنم، كما قال الله تعالى: «وإذا البحار سُجّرتْ»، (التكوير – ٦) وجاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يركبنّ رجلٌ بحراً إلّا غازياً أو معتمراً أو حاجاً، فإنّ تحت البحر ناراً وتحت النار بحراً»[(١)].

وقال مجاهد والكلبي: «المسجور»: المملوء، يقال: سجرت الإناء إذا ملأته.

وقال الحسن، وقتادة، وأبو العالية: هو اليابس الذي قد ذهب ماؤه ونضب.

وقال الربيع بن أنس: المختلط العذب بالمالح.

وروى الضحاك عن النزال بن سبرة عن علي أنه قال في البحر المسجور: هو بحر تحت العرش، غمره[(٢)] كما بين سبع سموات إلى سبع أرضين، فيه ماء غليظ يقال له: بحر الحيوان. يمطر العباد بعد النفخة الأولى منه أربعين صباحاً فينبتون في قبورهم[(٣)]. هذا قول مقاتل: أقسم الله بهذه الأشياء.

﴿إنّ عذابَ ربّك لواقعٌ﴾، نازل كائن.

﴿مالَهُ من دافعٍ﴾، مانع[(٤)]. قال جبير بن مطعم: قدمت المدينة لأكلّم رسول الله ﷺ في
١٤١/أ أسارى بدر فدفعت إليه وهو يصلي بأصحابه المغرب، وصوته يخرج من المسجد / فسمعته يقرأ «والطور» إلى قوله «إن عذاب ربك لواقع * ماله من دافع»، فكأنما صدع قلبي حين سمعته، ولم يكن أسلم يومئذ، قال: فأسلمت خوفاً من نزول العذاب، وما كنت أظن أني أقوم من مكاني حتى يقع بي العذاب[(٥)].

---

(١) أخرجه أبو داود في الجهاد، باب في ركوب البحر: ٣٥٩/٣ عن بشير بن مسلم عن عبد الله بن عمرو. وقال: «وفي هذا الحديث اضطراب، روي عن بشير هكذا، وروي عنه: أنه بلغه عن عبد الله بن عمرو، وروي عنه عن رجل عن عبد الله بن عمرو وقيل غير ذلك وذكره البخاري في تاريخه وذكر له هذا الحديث، وذكر اضطرابه وقال: لم يصح حديثه». وقال الخطابي: وقد ضعفوا إسناد هذا الحديث. وانظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني رقم (٤٧٨).

(٢) ساقط من «أ».

(٣) أخرجه الطبري: ٢٠/٢٧، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٢٩/٧ لابن أبي حاتم وعبد الرزاق وسعيد بن منصور.

(٤) زيادة من «ب».

(٥) أخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة الطور: ٦٠٣/٨.

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾
ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ هَٰذِهِ ٱلنَّارُ
ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٱصْلَوْهَا
فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ
فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ

ثم بيَّن أنه متى يقع فقال :

﴿يومَ تمورُ السماءُ مَوْراً﴾، أي: تدور كدوران الرحى وتتكفأ بأهلها تكفؤَ السفينة. قال قتادة: تتحرك. قال عطاء الخراساني: تختلف أجزاؤها بعضها في بعض. وقيل: تضطرب، و«المور» يجمع هذه المعاني، فهو فى اللغة: الذهاب والمجيء والتردد والدوران والاضطراب .

﴿وتسيرُ الجبالُ سَيْراً﴾، فتزول عن أماكنها وتصير هباءً منثوراً .

﴿فويلٌ﴾، فشدة عذاب، ﴿يومئذٍ للمكذبين * الذين هُمْ في خَوْضٍ يلعبون﴾، يخوضون[1] فى الباطل يلعبون غافلين لاهين .

﴿يومَ يُدَعُّون﴾ ، يدفعون، ﴿إلى نارِ جهنم دَعّاً﴾، دفعاً بعنف وجفوة، وذلك أن خزنة جهنم يغلون أيديَهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعون بهم إلى النار دفعاً على وجوههم، وزجًّا في أقفيتهم حتى يَرِدُوا النار، فإذا دنوا منها قال لهم خزنتها:

﴿هذه النارُ التي كنتم بها تكذِّبون﴾، في الدنيا ﴿أفَسحرٌ هذا﴾، وذلك أنهم كانوا ينسبون محمداً ﷺ إلى السحر، وإلى أنه يغطي على الأبصار بالسحر، فوُبِّخوا به، وقيل لهم: ﴿أفسحرٌ هذا أم أنتم لا تبصرون﴾، .

﴿اصلَوْها﴾، قاسوا شدتها، ﴿فاصبِرِوا أو لا تصبروا سواءٌ عليكم﴾، الصبر والجزع، ﴿إنما تُجْزَوْن ما كنتم تعملون﴾ .

﴿إن المتقين في جناتٍ ونعيمٍ * فاكهين﴾ معجبين بذلك ناعمين، ﴿بما آتاهمْ ربُّهم ووقاهم ربُّهم عذابَ الجحيمِ﴾، ويقال لهم:

---

(١) في «أ» يخرصون .

﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ١٩ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ٢٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾

﴿كُلوا واشْرَبُوا هنيئاً﴾، مأمون العاقبة من التخمة والسقم، ﴿بما كنتم تعملون﴾.

﴿متكئين على سُرُرٍ مصفوفةٍ﴾، موضوعة بعضها إلى جنب بعض، ﴿وزوَّجناهم بحورٍ عِينٍ﴾.

﴿والذين آمنوا واتّبعتْهم ذريَّتهم بإيمان﴾، قرأ أبو عمرو: «وأتبعناهم»، بقطع الألف على التعظيم، «ذرياتِهم»، بالألف وكسر التاء فيهما لقوله: «ألحقنا بهم» «وما ألتناهم»، ليكون الكلام على نسق واحد.

وقرأ الآخرون: «واتّبعتهم» بوصل الألف وتشديد التاء بعدها وسكون التاء الأخيرة.

ثم اختلفوا فى «ذريتهم»: قرأ أهل المدينة الأولى[1] بغير ألف وضم التاء، والثانية بالألف وكسر التاء، وقرأ أهل الشام ويعقوب كلاهما بالألف وكسر التاء في الثانية، وقرأ الآخرون بغير ألف فيهما ورفع التاء في الأولى ونصبها فى الثانية.

واختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: معناها والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان، يعنى: أولادهم الصغار والكبار، فالكبار بإيمانهم بأنفسهم، والصغار بإيمان آبائهم، فإن الولد الصغير يحكم بإسلامه تبعاً لأحد الأبوين ﴿ألحقنا بهم ذُرِّيَّتهم﴾، المؤمنين[فى الجنة بدرجاتهم وإن لم يبلغوا بأعمالهم درجات آبائهم][2] تكرمةً لآبائهم لتقرَّ بذلك أعينهم. وهي رواية سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم.

وقال آخرون: معناه والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم البالغون بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الإيمان بإيمان آبائهم. وهو قول الضحاك، ورواية العوفي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، أخبر الله عزَّ وجلّ أنه يجمع لعبده المؤمن دريته في الجنة كما كان يحبُّ في الدنيا أن يجتمعوا إليه، يدخلهم الجنة بفضله ويلحقهم بدرجته بعمل أبيه، من غير أن ينقص الآباء من أعمالهم شيئاً، فذلك قوله: ﴿وما ألتناهم﴾، قرأ ابن كثير بكسر اللام، والباقون بفتحها أي ما نقصناهم يعني الآباء ﴿مِن عَمَلِهِمْ من شيء﴾.

(١) زيادة من «ب».
(٢) ما بين القوسين ساقط من «أ».

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسين بن محمد بن عبد الله الحديثي، حدثنا سعيد بن محمد بن إسحاق الصيرفي، حدثنا محمد بن عثمان بن أبي شيبة حدثنا جبارة بن المغلس حدثنا قيس بن الربيع حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنّ الله يرفع ذرية المؤمن في درجته وإن كانوا دونه في العمل، لتقرَّ بهم عينه»، ثم قرأ: «والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم»، إلى آخر الآية[1] .

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا أبو عبد الله بن فنجويه الدينوري، حدثنا أبو بكر بن مالك القطيعي حدثنا عبد الله بن أحمد بن حنبل، حدثني عثمان بن أبي شيبة، حدثنا محمد بن فضيل عن محمد بن عثمان عن زاذان عن علي رضي الله عنه قال: سألت خديجة رضي الله تعالى عنها النبي ﷺ: عن ولدين ماتا لها في الجاهلية، فقال رسول الله ﷺ: «هما في النار»، فلما رأى الكراهة في وجهها، قال: «لو رأيتِ مكانهما لأبغضتِهما»، قالت: يارسول الله فولدي منك؟ قال: «في الجنة» ثم قال رسول الله ﷺ: «إن المؤمنين وأولادهم في الجنة، وإن المشركين وأولادهم في النار»، ثم قرأ رسول الله ﷺ «والذين آمنوا واتّبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم»[2] .

﴿كُلُّ امرىءٍ بما كسَبَ رهينٌ﴾، قال مقاتل: كل امرىء كافر بما عمل من الشرك مرتهن في النار، والمؤمن لا يكون مرتهناً، لقوله عزّ وجلّ: «كل نفس بما كسبت رهينةٌ * إلا أصحاب اليمين»، ثم ذكر ما يزيدهم من الخير والنعمة فقال:

---

(١) روي من طرق عدة، فأخرجه الطبري: ٢٧/٢٤-٢٥، والحاكم:٢/٤٦٨، والبزار: ٣/ ٧٠ (كشف الأستار)، والطحاوي في مشكل الآثار: ٢/١٤و١٥ وهناد في الزهد:١/٢٧٠، وابن عدي في الكامل : ٦/٢٠٦٦، وأبو نعيم في الحلية: ٤/٣٠٢.
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١١٤: «رواه البزار وفيه قيس بن الربيع، وثقه شعبة والثوري وفيه ضعف ». وقال في التقريب: «صدوق تغير لما كبر وأدخل عليه ابنه ما ليس من حديثه فحدث به » .
وأخرجه أيضاً: ابن مردويه وسعيد بن منصور وابن المنذر والبيهقي في سننه .
وانظر: الكافي الشاف ص (١٦٠)، الفتح السماوي للمناوي: ٣/١٠١٠ مع حاشية المحقق، الزهد لهناد: ١/٢٧٠-٢٧١، مع حاشية المحقق، الدرالمنثور:٧/٦٣٢ .

(٢) **أخرجه عبد الله بن الإمام** أحمد في زوائد المسند: ١/١٣٤، ١٣٥، وابن أبي عاصم في السنة: ١/٩٤ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢١٧ بعد عزوه لعبد الله: «فيه محمد بن عثمان، ولم أعرفه وبقية رجاله رجال الصحيح» .
وأنكره الذهبي في «الميزان»: ٣/٦٤٢ في ترجمة محمد بن عثمان وقال: «محمد بن عثمان لا يدرى من هو، فتشت عنه في أماكن وله خبر منكر » ثم ساق الحديث .
ورواه أبو يعلي في مسنده من طريق سهل بن زياد: ٦/٣١٠ عن عبد الله بن نوفل أو عن عبد الله بن بريدة -شك سهل عن خديجة، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/٢١٧-٢١٨«رواه الطبراني وأبو يعلى، ورجالهما ثقات إلا أن عبد الله بن الحارث بن نوفل وابن بريدة لم يدركا خديجة» .فهو منقطع .
وانظر: ظلال الجنة في تخريج السنة للألباني:٢/٩٤-٩٥ .

﴿وَأَمْدَدْنَاهُم بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ۝٢٢ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ
۝٢٣ ۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ۝٢٤ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
يَتَسَاءَلُونَ ۝٢٥ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ۝٢٦﴾

﴿وأمددناهم بفاكهةٍ﴾، زيادة على ما كان لهم، **﴿ولحمٍ مما يشتهون﴾**، من أنواع اللحمان.

﴿يتنازعون﴾، يتعاطون ويتناولون، **﴿فيها كأسا لا لغوٌ فيها﴾**، وهو الباطل، وروي ذلك عن قتادة، وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد بن المسيب: لا رفث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها. وقال القتيبي: لا تذهب عقولهم فيلغوا ويرفثوا، **﴿ولا تأْثِيمٌ﴾**، أي لا يكون منهم ما يؤثمهم. قال الزجّاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم كما يجري في الدنيا لشربة الخمر/ ١٤١/ب
وقيل: لا يأثمون في شربها.

﴿ويطوف عليهم﴾، بالخدمة، **﴿غِلْمان لهم كأنهم﴾**، في الحُسن والبياض والصفاء، **﴿لؤلؤٌ مكنون﴾**، مخزون مصون لم تمسه الأيدي. قال سعيد بن جبير: يعني في الصدف.

قال عبد الله بن عمر: وما من أحد من أهل الجنة إلا يسعى عليه ألف غلام، وكل غلام على عملٍ ما عليه صاحبه[1].

وروي عن الحسنِ أنه لما تلا هذه الآية قال: قالوا يا رسول الله: الخادم كاللؤلؤ المكنون، فكيف المخدوم[1]؟

وعن قتادة أيضاً قال: ذكر لنا أن رجلاً قال: يانبي الله هذا الخادم فكيف المخدوم؟ قال: «فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب»[2].

﴿وأقبلَ بعضُهم على بعضٍ يتساءلون﴾، يسأل بعضهم بعضاً في الجنة. قال ابن عباس: يتذاكرون ما كانوا فيه من التعب والخوف في الدنيا.

﴿قالوا إنّا كنّا قبلُ في أهلِنا﴾، في الدنيا، **﴿مُشفِقِينَ﴾**، خائفين من العذاب.

(١) انظر:القرطبي:١٧/٦٩.
(٢) أخرجه عبد الرزاق في التفسير: ٢/٢٤٨، والطبري:٢٧/٢٩.
وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٣٤ عزوه لابن المنذر.

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ
إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾
أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا۟ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ
ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾

﴿**فمنَّ اللهُ علينا**﴾، بالمغفرة، ﴿**ووقانا عذابَ السَّموم**﴾، قال الكلبي: عذاب النار. وقال الحسن: «السَّموم» اسم من أسماء جهنم.

﴿**إنّا كنّا من قبلُ**﴾، في الدنيا، ﴿**ندعوه**﴾، نخلص له العبادة، ﴿**إنّه**﴾، قرأ أهل المدينة [والكسائي][1]: «أنه» بفتح الألف، أي: لأنه أو بأنه، وقرأ الآخرون بالكسر على الاستئناف، ﴿**هو البَرُّ**﴾، قال ابن عباس: اللطيف. وقال الضحاك: الصادق فيما وعد ﴿**الرحيمُ**﴾.

﴿**فذكِّرْ**﴾، يا محمد بالقرآن أهل مكة، ﴿**فما أنتَ بنعمةِ ربِّك**﴾، برحمته وعصمته، ﴿**بكاهِنٍ**﴾، تبتدع القول وتخبر بما في غد من غير وحي، ﴿**ولا مجنون**﴾، نزلت في الذين اقتسموا عِقَابَ مكة يرمون رسول الله ﷺ بالكهانة والسحر والجنون والشعر.

﴿**أم يقولون**﴾، بل يقولون، يعني: هؤلاء المقتسمين الخراصين، ﴿**شاعر**﴾، أي: هو شاعر، ﴿**نتربَّصُ به ريْبَ المَنُون**﴾، حوادث الدهر وصروفه فيموت ويهلك كما هلك مَنْ قبله من الشعراء، ويتفرق أصحابه وإن أباه مات شاباً ونحن نرجو أن يكون موته كموت أبيه، و«المنون» يكون بمعنى الدهر، ويكون بمعنى الموت، سُمِّيا بذلك لأنهما يقطعان الأجل.

﴿**قلْ تربَّصُوا**﴾، انتظروا بي الموت، ﴿**فإني معكم من المتربصين**﴾، [من المنتظرين][2] حتى يأتي أمر الله فيكم، فعُذِّبوا يوم بدر السيف.

﴿**أمْ تأمُرُهم أحلامُهم**﴾، عقولهم، ﴿**بهذا**﴾، وذلك أن عظماء قريش كانوا يُوصَفُون بالأحلام والعقول، فأزرى الله بعقولهم حين لم تتميز لهم معرفة الحق من الباطل، ﴿**أم هم**﴾، بل هم ﴿**قومٌ طاغون**﴾.

---

(١) ساقط من «ب».
(٢) ساقط من «أ».

﴿أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ ۚ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ
خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل
لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾

﴿**أم يقولون تَقَوَّله**﴾، أي: يخلق القرآن من تلقاء نفسه، «**والتَّقَوُّل**»، **تكلّف** القول، ولا يستعمل إلّا في الكذب، ليس الأمر كما زعموا، ﴿**بل لا يؤمنون**﴾، بالقرآن استكباراً. ثم ألزمهم الحجة فقال:

﴿**فلْيأتُوا بحديثٍ مثلِه**﴾، أي: مثل القرآن ونظمه وحسن بيانه، ﴿**إنْ كانوا صادقين**﴾، **أنَّ** محمداً يقوله من **قِبَل نفسه**.

﴿**أم خُلِقُوا من غيرِ شيءٍ**﴾، قال ابن عباس: من غير ربٍّ، ومعناه: أخلقوا من غير شيءٍ خَلَقَهم فوُجِدُوا **بلا خالق**؟ وذلك مما لا يجوز أن يكون، لأن تعلق الخلق بالخالق من ضرورة الاسم، فإن أنكروا الخالق لم يجز أن يوجدوا بلا خالق، ﴿**أمْ هُمُ الخالقون**﴾، لأنفسهم وذلك في البطلان أشد، لأن ما لا وجود له كيف يخلق؟

فإذا بطل الوجهان قامت الحجة عليهم بأن لهم خالقاً **فلْيُؤمنوا** به، ذكر هذا المعنى أبو سليمان الخطابي.

وقال الزجّاج: معناه: أَخُلِقُوا باطلاً لا يحاسبون ولا يُؤمرون؟ وقال ابن كيسان: أَخُلقوا عبثاً وتُركوا سُدىً لا يُؤمرون ولا ينهون، فهو كقول القائل: فعلت كذا وكذا من غير شيء، أي: لغير شي، أم هم الخالقون لأنفسهم فلا يجب عليهم لله أمرٌ؟

﴿**أم خَلَقوا السمواتِ والأرضَ**﴾، فيكونوا هم الخالقين، ليس الأمر كذلك، ﴿**بل لا يوقنون**﴾.

﴿**أم عندهم خزائنُ ربِّك**﴾، قال عكرمة: يعني النبوة. قال مقاتل: أبأيديهم مفاتيح ربك بالرسالة فيضعونها حيث شاؤوا؟ قال الكلبي: خزائن المطر والرزق، ﴿**أمْ هُمُ المصيطرون**﴾، المسلطون الجبارون، قال عطاء: أرباب قاهرون فلا يكونوا تحت أمرٍ ونهيٍ، يفعلون ما شاؤوا. ويجوز بالسين والصاد جميعاً، وقرأ ابن عامر بالسين هاهنا وقوله: «بمسيطر»، وقرأ حمزة بإشمام الزاي فيهما، وقرأ ابن كثير هاهنا بالسين و «بمصيطر» بالصاد، وقرأ الآخرون بالصاد فيهما.

﴿أَمۡ لَهُمۡ سُلَّمٞ يَسۡتَمِعُونَ فِيهِۖ فَلۡيَأۡتِ مُسۡتَمِعُهُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٍ ٣٨ أَمۡ لَهُ ٱلۡبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلۡبَنُونَ
٣٩ أَمۡ تَسۡـَٔلُهُمۡ أَجۡرٗا فَهُم مِّن مَّغۡرَمٖ مُّثۡقَلُونَ ٤٠ أَمۡ عِندَهُمُ ٱلۡغَيۡبُ فَهُمۡ يَكۡتُبُونَ ٤١
أَمۡ يُرِيدُونَ كَيۡدٗاۖ فَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ هُمُ ٱلۡمَكِيدُونَ ٤٢﴾

﴿**أم لهم سُلّمٌ**﴾، مرقىً ومصعد إلى السماء، ﴿**يستمعون فيه**﴾، أي يستمعون عليه الوحي، كقوله: «ولأصلبنّكم في جُذوع النخل»(طه - ٧١) أي: **عليها، معناه:** ألهم سُلّم يرتقون به إلى السماء، فيستمعون الوحي ويعلمون أن ما هم عليه حق بالوحي، فهم مستمسكون به كذلك؟ ﴿**فليأتِ مُستمعُهم**﴾، إن ادعوا ذلك، ﴿**بسلطانٍ مبين**﴾، حجة بينة.

﴿**أم له البناتُ ولكم البَنون**﴾، هذا إنكار عليهم حين جعلوا لله ما يكرهون، كقوله: «فاستفتهم ألِرَبِّك البناتُ ولهم البنون»(الصافات - ١٤٩).

﴿**أمْ تسألُهم أجراً**﴾، جُعْلًا على ما جئتهم به ودعوتهم إليه من الدين، ﴿**فهم من مَغْرمٍ مُثقلون**﴾، أثقلهم ذلك المغرم الذي تسألهم، فمنعهم من ذلك عن الإسلام.

﴿**أم عندهم الغيبُ**﴾، أي: علم ما غاب عنهم، حتى علموا أن ما يخبرهم الرسول من أمر القيامة والبعث باطل.

وقال قتادة: هذا جواب لقولهم: «نتربص به ريب المنون»، يقول: أعندهم علم الغيب حتى علموا أن محمدا ﷺ يموت قبلهم؟ ﴿فهم يكتبون﴾ أي: يحكمون، والكتاب: الحكم، قال النبي ﷺ للرجلين اللذين تخاصما إليه: **«أقضي بينكما بكتاب الله»[١] أي بحكم الله.**

وقال ابن عباس: معناه أم عندهم اللوح المحفوظ فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس به؟

﴿**أم يريدون كيداً**﴾، مكراً بك ليهلكوك؟ ﴿**فالذين كفروا هم المَكِيْدُونَ**﴾، أي: هم المجزيون بكيدهم، يريد أن ضرر ذلك يعود عليهم، ويحيق مكرهم بهم، وذلك أنهم مكروا به في دار الندوة فقتلوا ببدر.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود: ٥/٣٠١، ومسلم في الحدود، باب من اعترف على نفسه بالزنا برقم (١٦٩٧-١٦٩٨) ٣/١٣٢٤-١٣٢٥؛ والمصنف في شرح السنة: ١٠/٢٧٤-٢٧٥.

﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟
سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ
كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ۖ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾

١٤٢/أ ﴿**أم لهم إلهٌ غيرُ / اللهِ**﴾، يرزقهم وينصرهم؟ ﴿**سبحانَ اللهِ عمّا يشركون**﴾، قال الخليل: ما في هذه السورة من ذكر «أم» كلّه استفهام وليس بعطف.

﴿**وإنْ يَرَوْا كِسْفاً**﴾، قطعة، ﴿**من السماء ساقطاً**﴾، هذا جواب لقولهم: «فأسقطْ علينا كِسَفاً من السماء»، يقول: لو عذبناهم بسقوط بعض من السماء عليهم لم ينتهوا عن كفرهم، ﴿**يقولوا**﴾، لمعاندتهم هذا، ﴿**سحابٌ مركوم**﴾، بعضه على بعض يسقينا.

﴿**فذرْهم حتى يلاقوا**﴾، يُعاينوا، ﴿**يومَهُـمُ الذي فيه يُصْعَقُونَ**﴾، أي: يموتون، حتى يعاينوا الموت، قرأ ابن عامر وعاصم يصعقون بضم الياء، أي: يُهْلكون.

﴿**يوم لا يُغني عنهم كيدُهم شيئاً ولا هم يُنصَرون**﴾، أي: لا ينفعهم كيدهم يوم الموت ولا يمنعهم من العذاب مانع.

﴿**وإنّ للذين ظلموا**﴾، [كفروا][(١)]، ﴿**عذاباً دونَ ذلك**﴾، أي: عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة. قال ابن عباس: يعني القتل يوم بدر، وقال الضحاك: هو الجوع والقحط سبع سنين. وقال البراء بن عازب: عذاب القبر. ﴿**ولكنّ أكثرَهم لا يعلمون**﴾، أن العذاب نازل بهم.

﴿**واصبرْ لحكمِ ربِّك**﴾، إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم، ﴿**فإنك بأَعْيُنِنَا**﴾، أي بمرأًى مِنّا، قال ابن عباس: نرى ما يُعْمَلُ بك. وقال الزجاج: إنك بحيث نراك ونحفظك فلا يصلون إلى مكروهك. ﴿**وَسبِّحْ بحمدِ ربِّك حينَ تقوم**﴾، قال سعيد بن جبير وعطاء: أي: قل حين تقوم من مجلسك: سبحانك اللهم وبحمدك، فإن كان المجلس خيراً ازددت فيه إحساناً، وإن كان غير ذلك كان كفارة له[(٢)].

---

(١) زيادة من «ب».
(٢) ذكره القرطبي: ٧٨/١٧، وابن الجوزي في زاد المسير: ٦٠/٨.

أخبرنا أبو عبد الله عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد القفال، أخبرنا أبو منصور أحمد بن الفضل البَرْوَنْجِرْدِي، أخبرنا أبو أحمد بكر بن محمد الصيرفي، حدثنا أحمد بن عبد الله القرشي، حدثنا حجاج بن محمد عن ابن جريج، عن موسى بن عقبة، عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من جلس مجلساً وكثر فيه لَغَطُهُ، فقال قبل أن يقوم: سبحانك اللهمَّ وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك، إلّا كان كفارةً لما بينهما»[(١)] .

وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: معناه صلِّ لله حين تقوم من مقامك[(٢)] .

وقال الضحاك والربيع: إذا قمت إلى الصلاة فقل: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك»[(٣)] .

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا الحسن بن عرفة ويحيى بن موسى قال حدثنا أبو معاوية عن حارثة بن أبي الرجال، عن عمرة عن عائشة قالت: كان النبي ﷺ إذا افتتح الصلاة قال: «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جَدُّك ولا إله غيرك»[(٤)] .

وقال الكلبي: هو ذكر الله باللسان حين تقوم من الفراش إلى أن تدخل في الصلاة .

أخبرنا أبو طاهر عمر بن عبد العزيز القاشاني، أخبرنا أبو عمر القاسم بن جعفر بن عبد الواحد الهاشمي، أخبرنا أبو علي محمد بن أحمد بن عمر اللؤلؤي، حدثنا أبو داود بن سليمان الأشعث، حدثنا

---

(١) أخرجه الترمذي في الدعوات، باب ما يقول إذا قام من مجلسه: ٩/٣٩٢-٣٩٤ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه، لانعرفه من حديث سهيل إلا من هذا الوجه» .وصححه ابن حبان برقم: (٢٣٦٦) ص (٥٨٨)، والحاكم: ١/٥٣٦-٥٣٧، والمصنف في شرح السنة: ٥/١٣٤ .
قال الحافظ ابن كثير: ٤/٢٦٤ «وأخرجه الحاكم في مستدركه وقال: إسناده على شرط مسلم إلا أن البخاري علله، قلت: علله الإمام أحمد والبخاري ومسلم وأبوحاتم وأبو زرعة والدار قطني وغيرهم، ونسبوا الوهم فيه إلى ابن جريج» وصححه الألباني في «صحيح الجامع» برقم (٦١٩٢) وفي تعليقه على المشكاة (٢٤٣٣) .

(٢) انظر: البحر المحيط: ٨/١٥٣، زاد المسير: ٨/٦٠ وكلها: «حين تقوم من منامك» .

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧/٣٨ .
وذكره ابن كثير: ٤/٢٤٦، أبو حيان في البحر المحيط: ٨/١٥٣، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٣٧ نسبته لسعيد ابن منصور وابن أبي شيبة وابن المنذر عن الضحاك .

(٤) أخرجه الترمذي في الصلاة، باب ما يقول عند افتتاح الصلاة: ٢/٥٠-٥١ وقال أبو عيسى: «هذا حديث لانعرفه إلا من هذا الوجه، وحارثة تُكُلِّم فيه من قبل حفظه»، وابن ماجه في الإقامة، باب افتتاح الصلاة برقم: (٨٠٦): ١/٢٦٥ . وأخرجه النسائي في الصلاة، باب الذكر والدعاء بين التكبير والقراءة: ٢/١٣٢، والإمام أحمد: ٣/٦٩ كلاهما عن أبي سعيد .

﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ۝٤٩﴾

محمد بن نافع حدثنا زيد بن حباب، أخبرني معاوية بن صالح، أخبرنا أزهر بن سعيد الحرازي عن عاصم بن حميد قال: سألت عائشة رضي الله تعالى عنها بأيّ شيء كان يفتتح رسول الله ﷺ قيام الليل؟ فقالت: كان إذا قام كبَّر الله عشراً، وحمدَ الله عشراً، وسبح الله عشراً، وهلّل عشراً، واستغفر عشراً، وقال: اللهم اغفر لي واهدني وارزقني وعافني، ويتعوذ من ضيق المقام يوم القيامة»[1].

﴿ومن الليلِ فسبِّحه﴾، أي: صلِّ له، قال مقاتل: يعني صلاة المغرب والعشاء. ﴿وإدْبارَ النجوم﴾، يعني: الركعتين قبل صلاة الفجر، وذلك حين تدبر النجوم أي تغيب بضوء الصبح، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: هي فريضة صلاة الصبح.

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب، عن مالك، عن ابن شهاب، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ قرأ في المغرب بالطّور[2].

---

(١) أخرجه أبو داود في الصلاة، باب ما يُستفتح به الصلاة من الدعاء: ١/٣٧٣، والنسائي في قيام الليل، باب ذكر ما يستفتح به القيام: ٣/٢٠٨ - ٢٠٩، وابن ماجه في الإقامة، باب ما جاء في الدعاء إذا قام الرجل من الليل برقم: (١٣٥٦): ١/٤٣١.

(٢) أخرجه مالك في الموطأ كتاب الصلاة،باب القراءة في المغرب والعشاء: ١/٧٨، والبخاري في الأذان، باب الجهر في المغرب ٢/٢٤٧، ومسلم في الصلاة، باب القراءة في الصبح برقم (٤٦٣): ١/٣٣٨.

سُورَة النَّجْم

سورة النجم

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ①﴾

﴿والنجم إذا هَوَىٰ﴾، قال ابن عباس في رواية الوالبي والعوفي: يعني الثريا إذا سقطت وغابت، وهُوِيُّهُ مَغِيبه، والعرب تسمي الثريا نجماً.

وجاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً: «ما طلَع النجم قطُّ وفي الأرض من العاهة شيء إلّا رُفع»[2]، وأراد بالنجم الثريا.

وقال مجاهد: هي نجوم السماء كلها حين تغرب، لفظه واحد ومعناه الجمع، سُمي الكوكب نجماً لطلوعه، وكل طالع نجم، يقال: نَجَمَ السِنُّ والقرنُ والنبتُ: إذا طلع.

وروى عكرمة عن ابن عباس: أنه الرجوم من النجوم، يعني ما تُرمى به الشياطين عند استراقهم السمع.

---

(1) أخرج ابن مردويه عن ابن عباس قال: نزلت سورة النجم بمكة.
انظر: الدر المنثور: ٦٣٩/٧.

(2) أخرجه الإمام أحمد: ٣٤١/٢ و٣٨٨ بلفظ: (إذا طلع النجم ذا صباح رفعت العاهة). ورمز السيوطي لحسنه في الجامع الصغير (٤٥٤/٥) مع فيض القدير. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ١٠٣/٤ «رواه كله أحمد والطبراني في الصغير ولفظه: «إذا ارتفع النجم رفعت العاهة عن كل بلد» وبنحوه في الأوسط، وفيه عسل بن صفوان: وثقه ابن حبان وقال: يخطىء ويخالف، وضعفه جماعة، وبقية رجاله رجال الصحيح».
وأخرجه الإمام محمد بن الحسن الشيباني بسند رجاله ثقات في كتاب الآثار صفحة: (١٥٩)، والطحاوي في مشكل الآثار: (٩١/٣).
وأخرجه ابن عدي في الكامل: ٢٤٧٨/٧.
وانظر: مشكل الآثار: ٩٢/٣، شرح مسند أبي حنيفة لملا علي القاري صفحة: (١٤١)، سلسلة الأحاديث الضعيفة للألباني: ٣٨٩/١-٣٩٠.

﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧﴾

وقال أبو حمزة الثمالي: هي النجوم إذا انتثرت يوم القيامة. وقيل: المراد بالنجم القرآن، سُمي نجماً لأنه نزل نجوماً متفرقة في عشرين سنة، وسمي التفريق: تنجيماً ، والمفرّق: منجّماً، هذا قول ابن عباس في رواية عطاء، وهو قول الكلبي .

«الهُوِيُّ»: النزول من أعلى إلى أسفل. وقال الأخفش: «النجم» هو النبت الذي لا ساق له، ومنه قوله عزّ وجلّ: «والنجم والشجر يسجدان»(الرحمن – ٦)، وهُويّهُ سُقوطُه على الأرض. وقال جعفر الصادق: يعني محمداً ﷺ إذ نزل من السماء ليلة المعراج، [و«الهوي»: النزول، يقال: هوى يهوي هوياً [إذا نزل][1]، مثل مضى يمضي مضياً .

وجواب القسم: قوله: ﴿ما ضلَّ صاحبُكم﴾، يعني: محمداً ﷺ ما ضل عن طريق الهدى، ﴿وما غوى * وما ينطقُ عن الهوى﴾، أي: بالهوى يريد لا يتكلم بالباطل، وذلك أنهم قالوا: إن محمداً ﷺ يقول القرآن من تلقاء نفسه .

﴿إنْ هو﴾، ما نطقه في الدين، وقيل: القرآن ﴿إلّا وحيٌ يُوحى﴾ ، أي: وحيٌ من الله يُوحى إليه / .
١٤٢/ب

﴿علّمَهُ شديدُ القُوى﴾، وهو جبريُل، والقُوى جمع القوة .

﴿ذُو مِرّةٍ﴾، قوة وشدة في خلقه، يعني جبريل. قال ابن عباس: ذو مرة يعني: ذو منظر حسن. وقال مقاتل: ذو خلق طويل حسن. ﴿فاستوى﴾، يعني: جبريل .

﴿وهو﴾، يعني محمداً ﷺ، وأكثر كلام العرب إذا أرادوا العطف في مثل هذا أن يُظهِروا كناية المعطوف عليه، فيقولون[2]: استوى هو وفلان، وقلما يقولون: استوى وفلان، نظير هذا قوله: «أئذا كنّا تراباً وآباؤنا» (النمل – ٦٧) عطف الآباء على المكني في «كنّا» من غير إظهار نحن، ومعنى الآية: استوى جبريل ومحمد عليهما السلام ليلة المعراج، ﴿بالأفقِ الأعلى﴾، وهو أقصى الدنيا عند مطلع الشمس، وقيل: «فاستوى» يعني جبريل، وهو كناية عن جبريل أيضاً أي: قام في صورته التي خلقه

(١) زيادة من «ب».
(٢) في النسختين فيقول .

﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾﴾

الله، وهو بالأفق الأعلى، وذلك أن جبريل كان يأتي رسول الله ﷺ فى صورة الآدميين كما كان يأتي النبيين، فسأله رسول الله ﷺ أن يريه نفسه على الصورة التي جُبل عليها فأراه نفسه مرتين: مرة فى الأرض ومرة فى السماء، فأما في الأرض ففي الأفق الأعلى، والمراد بالأعلى جانب المشرق، وذلك أن محمدا ﷺ كان بحراء فطلع له جبريل من المشرق فسدّ الأفق إلى المغرب، فخر رسول الله ﷺ مغشياً عليه، فنزل جبريل في صورة الآدميين فضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه، وهو قوله: «ثم دنا فتدلى»، وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة إلا نبينا محمد ﷺ[١].

قوله عزّ وجلّ: ﴿ثم دنا فتدلّى * فكان قابَ قوسين أو أدنى﴾، اختلفوا في معناه:

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا أبو أسامة، حدثنا زكريا بن أبي زائدة عن ابن الأشوع عن الشعبي عن مسروق قال: قلت لعائشة فأين قوله: «ثم دنا فتدلى * فكان قاب قوسين أو أدنى»؟ قالت: «ذلك جبريل كان يأتيه في صورة الرجل، وإنه أتاه هذه المرة في صورته التي هي صورته، فسدّ الأفق»[٢].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا طلق بن غنام، حدثنا زائدة عن الشيباني قال: سألت زِرّاً عن قوله: «فكان قاب قوسين أو أدنى»، قال: أخبرنا عبد الله - يعني ابن مسعود - أن محمداً ﷺ رأى جبريل له ستمائة جناح[٣].

فمعنى الآية: ثم دنا جبريل بعد استوائه بالأفق الأعلى من الأرض «فتدلى» فنزل إلى محمد ﷺ، فكان منه «قاب قوسين أو أدنى»، بل أدنى، وبه قال ابن عباس والحسن وقتادة، قيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا، لأنّ التدلي سبب الدنو[٤].

وقال آخرون: ثم دنا الربُّ عزّ وجلّ من محمد ﷺ فتدلى، فقرب منه حتى كان قاب

---

(١) انظر: القرطبي: ١٧/٨٧.
(٢) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب إذا قال أحدكم «آمين» والملائكة في السماء فوافقت إحداهما الأخرى غفر له ما تقدم من ذنبه: ٦/٣١٣.
(٣) أخرجه البخاري في التفسير ـــ تفسير سورة النجم، باب (فأوحى إلى عبده ما أوحى) ٨/٦١٠ وفي بدء الخلق: ٦/٣١٣.
(٤) انظر: الأسماء والصفات للبيهقي: ٢/١٨٧ - ١٨٨، معاني القرآن للفراء: ٣/٩٥ - ٩٦.

﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ١٠﴾

قوسين أو أدنى. وروينا في قصة المعراج عن شريك بن عبد الله عن أنس: ودنا الجبار ربّ العزة فتدلى حتى كان منه قاب قوسين أو أدنى(١). وهذا رواية ابن سلمة عن ابن عباس، «والتدلي» هو النزول إلى الشيء حتي يقرب منه .

وقال مجاهد: دنا جبريل من ربه(٢) .

وقال الضحاك: دنا محمد ﷺ من ربه فتدلى فأهوى للسجود، فكان منه قاب قوسين أو أدنى .

ومعنى قوله: «قاب قوسين» أي قدر قوسين، و«القاب» و«القيب» و«القاد» و«القيد»: عبارة عن المقدار، و«القوس»: ما يرمى به في قول الضحاك ومجاهد وعكرمة وعطاء عن ابن عباس، فأخبر أنه كان بين جبريل وبين محمد عليهما السلام مقدار قوسين، قال مجاهد: معناه حيث الوَتَر من القوس، وهذا إشارة إلى تأكيد القرب. وأصله: أنّ الحليفين من العرب كانا إذا أرادا عقد الصفاء والعهد خرجا بقوسيهما فألصقا بينهما، يريدان بذلك أنهما متظاهران يحامي كل واحد منهما عن صاحبه .

وقال عبد الله بن مسعود: «قاب قوسين» أي: قدر ذراعين، وهو قول سعيد بن جبير وشقيق ابن سلمة، و«القوس»: الذراع يقاس بها كل شيء، «أو أدنى»: بل أقرب .

﴿فأوحى﴾، أي: أوحى الله، ﴿إلى عبده﴾ محمد ﷺ ما أوحى، قال ابن عباس في رواية عطاء، والكلبي، والحسن، والربيع، وابن زيد: معناه: أوحى جبريل إلى رسول الله ﷺ ما أوحى إليه ربه عزّ وجلّ(٣) .

قال سعيد بن جبير: أوحى إليه: «ألم يجدك يتيماً فآوى» (الضحى – ٦) إلى قوله تعالى: «ورفعنا لك ذكرك»، (الشرح – ٤) وقيل: أوحى إليه: إن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك(٤) .

---

(١) لمعرفة ما قاله اهل العلم في رواية شريك بن عبد الله وأوهامه في ألفاظ حديث المعراج انظر: فتح الباري، كتاب التوحيد، باب ماجاء في قوله عز وجل:(وكلّم الله موسى تكليما): ٤٧٨/١٣ – ٤٨٠، ابن كثير: ٢٥٠/٤، الأسماء والصفات للبيهقي: ١٨٧/٢ .

(٢) انظر: الأسماء والصفات:١٨٨/٢ .

(٣) انظر: الطبري: ٤٧/٢٧،الأسماء والصفات: ١٨٢/٢.

(٤) ذكر القولين الحافظ ابن كثير: ٢٥٠/٤ .

﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ﴿١١﴾﴾

﴿ما كَذَبَ الفؤادُ ما رأى﴾، قرأ أبو جعفر ﴿ما كذَّب الفؤاد﴾ بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ﷺ ما رأى بعينه تلك الليلة، بل صدقه وحققه، وقرأ الآخرون بالتخفيف، أي: ما كذب فؤاد محمد ﷺ الذي رأى، بل صدقه، يقال: كذبه إذا قال له الكذب، مجازه: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، فقال قوم: رأى جبريل، وهو قول ابن مسعود وعائشة .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى، حدثنا إبراهيم ابن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا حفص هو ابن غياث عن الشيباني عن زِر عن عبد الله قال: «ما كذب الفؤاد ما رأى» قال: رأى جبريل له ستمائة جناح[١] .

وقال آخرون: هو الله عزّ وجلّ. ثم اختلفوا في معنى الرؤية، فقال بعضهم: جعل بصره في فؤاده فرآه بفؤاده، وهو قول ابن عباس .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن حجاج، حدثنا أبو سعيد الأشج، حدثنا وكيع، حدثنا الأعمش عن زياد بن الحصين عن أبي العالية عن ابن عباس: «ما كذب الفؤاد ما رأى». «ولقد رآه نزلة أخرى» قال: رآه بفؤاده مرتين[٢] .

وذهب جماعة إلى أنه رآه بعينه / ، وهو قول أنس والحسن وعكرمة، قالوا: رأى محمد ١٤٣/أ
ربه[٣]، وروى عكرمة عن ابن عباس قال: إن الله اصطفى إبراهيم بالخُلة واصطفى موسى بالكلام واصطفى محمداً ﷺ بالرؤية[٤] .

وكانت عائشة رضي الله عنها تقول: لم يَرَ رسول الله ﷺ ربّه، وتحمل الآية على رؤيته جبريل عليه السلام :

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب ذكر سدرة المنتهى برقم: (١٧٤): ١٥٨/١، والبخاري في التفسير – تفسير سورة النجم، باب (فأوحى إلى عبده ما أوحى):٨/٦١٠ .

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى...)برقم: (١٧٦): ١٥٨/١ .

(٣) ذكر ذلك ابن كثير:٢٥١/٤ وقال: «فيه نظر والله أعلم» .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور:٦٤٧/٧ لابن مردويه .

(٤) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٧ .

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ١٢ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ١٣ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ١٤﴾

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا يحيى، حدثنا وكيع عن إسماعيل بن أبي خالد عن عامر عن مسروق قال: قلت لعائشة يا أماه هل رأى محمد ﷺ ربَّه؟ فقالت: لقد قفَّ شعري مما قلت، أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟ من حدثك أن محمداً رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت: «لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار وهو اللطيف الخبير»،(الأنعام – ١٠٣)،«وما كان لبشر أن يكلمه الله إلّا وحياً أو من وراء حجاب»،(الشورى– ٥١) ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأت: «وما تدري نفسٌ ماذا تكسب غداً»،(لقمان –٣٤) ومن حدثك أنه كتم شيئاً فقد كذب، ثم قرأت: «يا أيها الرسول بلغ ما أُنزل إليك من ربك» (المائدة – ٦٧) الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين[(١)] .

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، حدثنا وكيع عن يزيد بن إبراهيم عن قتادة عن عبد الله بن [شقيق][(٢)] عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ: هل رأيتَ ربَّك؟ قال: «نورٌ أنَّى أراه»[(٣)] .

﴿أفتمارُونه على ما يرى﴾، قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: «أفتَمْرُونه» بفتح التاء [وسكون الميم][(٤)] بلا ألف، أي: أفتجحدونه، تقول العرب:مريتَ الرجلَ حقّه إذا جحدته، وقرأ الآخرون: «أفتمارونه» بالألف وضم التاء، على معنى أفتجادلونه على ما يرى، وذلك أنهم جادلوه حين أسري به، فقالوا: صف لنا بيت المقدس، وأخبِرْنا عن عيرنا في الطريق وغير ذلك مما جادلوه به، والمعنى: أفتجادلونه جدالاً ترومون به دفعه عمّا رآه وعلمه .

﴿ولقد رآه نزلةً أُخرى﴾، يعني: رأى جبريل في صورته التي خلق عليها نازلاً من السماء نزلة أُخرى، وذلك أنه رآه في صورته مرتين، مرة في الأرض ومرة في السماء .

﴿عندَ سِدْرَةِ المنتهى﴾، وعلى قول ابن عباس معنى: «نزلة أخرى» هو أنه كانت للنبي ﷺ عرجات في تلك الليلة لمسألة التخفيف من أعداد الصلوات، فيكون لكل عرجة نزلة، فرأى ربَّه

(١) أخرجه البخاري في التفسير – تفسير سورة النجم: ٦٠٦/٨ .
(٢) في «أ» سفيان وهو خطأ .
(٣) أخرجه مسلم في الإيمان ،باب في قوله عليه السلام: نورٌ أنى أراه، وفي قوله: رأيت نوراً . برقم: (١٧٨):١٦١/١ .
(٤) زيادة من «ب» .

في بعضها، وروينا عنه: «أنه رأى ربَّه بفؤاده مرتين»[1]. وعنه: «أنه رأى بعينه»[2]، قوله: «عند سدرة المنتهى» روينا عن عبد الله بن مسعود قال: لمّا أسري برسول الله ﷺ انتهى إلى سدرة المنتهى وهي في السماء السابعة إليها ينتهي ما يعرج به من الأرض فيقبض منها، وإليها ينتهي ما يهبط به من فوقها فيقبض منها، قال تعالى: «عندها جنة المأوى إذْ يغشى السدرة ما يغشى»، قال: فراش من ذهب[3].

وروينا في حديث المعراج: «ثم صعد بي إلى السماء السابعة فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام فسلمتُ عليه، ثم رُفعت لي سدرة المنتهى فإذا نبقها مثل قلال هجر، وإذا ورقها مثل آذان الفيلة»[4].

«والسدرة» شجر النبق، وقيل لها: سدرة المنتهى لأنه إليها ينتهي علم الخلق. قال هلال بن [يساف][5]: سأل ابنُ عباس كعباً عن سدرة المنتهى وأناحاضر، فقال كعب: إنها سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش وإليها ينتهي علم الخلائق، وما خلفها غيب لا يعلمه إلا الله[6].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه حدثنا ابن شيبة حدثنا المسوحي، حدثنا عبيد بن يعيش، حدثنا يونس بن بكير، أخبرنا محمد بن إسحاق عن يحيى بن عباد بن عبد الله بن الزبير عن أبيه عن جدته أسماء بنت أبي بكر قالت: سمعتُ النبي ﷺ يذكر سدرة المنتهى، قال: «يسير الراكب في ظل الفنن منها مائة عام ويستظل في الفنن منها مائة ألف راكب، فيها فراش من ذهب، كأنّ ثمرها القلال»[7].

وقال مقاتل: هي شجرة تحمل الحلي والحلل والثمار من جميع الألوان، لو أن ورقة وضعت منها في الأرض لأضاءت لأهل الأرض، وهي طوبى التي ذكرها الله تعالى في سورة الرعد.

---

(١) أخرجه مسلم في الإيمان، باب معنى قول الله عز وجل: (ولقد رآه نزلة أخرى ...) برقم: (١٧٦): ١/١٥٨.

(٢) ساق الحافظ ابن كثير رواية الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما «رأيت ربي عز وجل» وقال: «حديث إسناده على شرط الصحيح لكنه مختصر من حديث المنام»: ٤/٢٥٢، ثم قال في الصفحة التالية: «وتقدم أن ابن عباس - رضى الله عنهما - كان يثبت الرؤية ليلة الإسراء، ويستشهد بهذه الآية (ولقد رآه نزلة أخرى) وتابعه جماعة من السلف والخلف وقد خالفه جماعات من الصحابة رضي الله عنهم والتابعين وغيرهم».

(٣) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم: (١٧٣): ١/١٥٧.

(٤) قطعة من حديث مالك بن صعصعة رضي الله عنه في المعراج، أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ذكر الملائكة، ٦/٣٠٢-٣٠٣، ومسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات برقم: (١٦٢): ١/١٤٥-١٤٧

(٥) في «ب» يسار والصحيح ما أثبتناه.

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٥٠ لابن أبي شيبة.

(٧) أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة ثمار الجنة: ٧/٢٤٨-٢٤٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب»، والطبري: ٢٧/٥٤-٥٥، والحاكم: ٢/٤٦٩ وقال «هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه».
وزاد السيوطيّ في الدر المنثور: ٧/٦٥٠ عزوه لابن مردويه.

﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ١٥ إِذۡ يَغۡشَى ٱلسِّدۡرَةَ مَا يَغۡشَىٰ ١٦ مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ١٧ لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ ١٨﴾

﴿عندها جنّةُ المأوى﴾، قال عطاء عن ابن عباس: جنة يأوي إليها جبريل والملائكة. وقال مقاتل والكلبي: يأوي إليها أرواح الشهداء.

﴿إذ يغشى السدرةَ ما يغشى﴾، قال ابن مسعود: فراش من ذهب.

وروينا في حديث المعراج عن أنس عن رسول الله ﷺ: «ثم ذهب بي إلى سدرة المنتهى فإذا ورقها كآذان الفيلة، وإذا ثمرها كالقلال، فلما غشي من أمر الله ما غشي تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، وأوحى إليّ ما أوحى ففرض عليّ خمسين صلاة في كل يوم وليلة»[1].

وقال مقاتل: تغشاها الملائكة أمثال الغربان وقال السدي: من الطيور. وروي عن أبي العالية عن أبي هريرة رضي الله عنه أو غيره قال: غشيها نورُ الخلائق وغشيتها الملائكة من حب الله أمثال الغربان، حين يقعن على الشجرة. قال: فكلمه عند ذلك، فقال له: سَلْ[2]. وعن الحسن قال: غشيها نورُ ربِّ العزة فاستنارت. ويروى في الحديث: «رأيت على كل ورقة منها ملكاً قائماً يسبح الله تعالى»[3].

﴿ما زاغَ البصرُ وما طَغَى﴾، أي: ما مال بصر النبي ﷺ يميناً ولا شمالاً وما طغى، أي ما جاوز ما رأى. وقيل: ما جاوز ما أمر به وهذا وصف أدبه في ذلك المقام إذ لم يلتفت جانباً.

﴿لقد رأى من آيات ربّه الكبرى﴾، يعني: الآيات العظام. وقيل: أراد ما رأى تلك الليلة في مسيره وعوده، دليله قوله: «لنريه من آياتنا»،(الإسراء - ١) وقيل: معناه لقد رأى من آيات ربه الآية الكبرى.

أخبرنا إسماعيل بن عبد القاهر، أخبرنا عبد الغافر بن محمد، أخبرنا محمد بن عيسى الجلودي، حدثنا إبراهيم بن محمد بن سفيان، حدثنا مسلم بن الحجاج، حدثنا عبيد الله بن معاذ العنبري، حدثنا أبي، حدثنا

(١) قطعة من حديث أخرجه مسلم في الإيمان، باب الإسراء برسول الله ﷺ ... برقم: (١٦٢): ١/١٤٥-١٤٦.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٥٦، وانظر تفسير ابن كثير: ٤/٢٥٣.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧/٥٦.

﴿أَفَرَءَيْتُمُ اللَّٰتَ وَالْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾﴾

شعبة عن سليمان الشيباني سمع زر بن حبيش عن عبد الله قال: لقد رأى من آيات ربه الكبرى قال: رأى[1] جبريل في صورته له ستمائة جناح[2].

١٤٣/ب وأخبرنا عبد الواحد المليحي،/ أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا حفص بن عمرو، حدثنا شعبة عن الأعمش عن إبراهيم عن علقمة [عن عبد الله][1]: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى»؟ قال: رأى رفرفاً أخضر سَدَّ أُفُقَ السماء[3].

قوله عز وجلّ: ﴿**أفرأيتُم اللاتَ والعُزَّى**﴾، هذه أسماء[1] أصنام اتخذوها آلهة يعبدونها، اشتقوا لها أسماء من أسماء الله تعالى فقالوا من الله: اللات، ومن العزيز: العزى. وقيل: العزى: تأنيث الأعز، أما «اللات» قال قتادة: كانت بالطائف، وقال ابن زيد: بيت بنخلة كانت قريش تعبده[4].

وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: «اللاتّ» بتشديد التاء، وقالوا: كان رجلًا يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه[5].

وقال مجاهد، كان في رأس جبل له غُنيمة يسلأ منها السمن ويأخذ منها الأقِط، ويجمع رِسْلَها[6] ثم يتخذ منها حيساً فيطعم منه الحاج، وكان ببطن نخلة، فلما مات عبدوه، وهو اللات[7].

وقال الكلبي: كان رجلًا من ثقيف يقال له صرمة بن غنم، وكان يسلأ السمن فيضعها على صخرة ثم تأتيه العرب فتلتُّ به أسوقتهم، فلما مات الرجل حولتها ثقيف إلى منازلها فعبدتها، فسدرة الطائف على موضع اللات.

وأمّا «العزّى»: قال مجاهد: هي شجرة بغطفان كانوا يعبدونها، فبعث رسول الله ﷺ خالد ابن الوليد فقطعها فجعل خالد بن الوليد يضربها بالفأس ويقول:

---

(١) **ساقط من «أ»**.

(٢) أخرجه مسلم في الإيمان، باب في ذكر سدرة المنتهى برقم:(١٧٤): ١/١٥٨ .

(٣) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة النجم، باب: (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) ٨/٦١١ .

(٤) ذكر هذين القولين الطبري:٢٧/٥٨-٥٩ .

(٥) أخرج البخاري في التفسير-تفسير سورة النجم، باب: (أفرأيتم اللات والعزى): ٨/٦١١ المقطع الأول (كان اللات رجلاً يلت سويق الحاج) .

(٦) الرِّسْل: اللبن .

(٧) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٥٣ لسعيد بن منصور والفاكهي .

﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ ٢٠﴾

يا عزّ كفرانَك لا سبحانَك   إني رأيتُ اللهَ قد أهانَك

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها داعية ويلها واضعة يدها على رأسها .

ويقال: إن خالداً رجعَ إلى النبي ﷺ فقال: قد قلعتها، فقال: ما رأيتَ؟ قال: ما رأيت شيئاً، فقال النبي ﷺ: ما قلعت، فعاودها فعاد إليها ومعه المعول فقلعها واجتثّ أصلها فخرجت منها امرأة عريانة، فقتلها ثم رجع إلى النبي ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «تلك العزى ولن تعبد أبداً»[(١)] .

وقال الضحاك: هي صنم لغطفان وضعها لهم سعد بن ظالم الغطفاني، وذلك أنه قدم مكة فرأى الصفا والمروة، ورأى أهل مكة يطوفون بينهما، فعاد إلى بطن نخلة، وقال لقومه: إن لأهل مكة الصفا والمروة وليستا لكم ولهم إله يعبدونه وليس لكم، قالوا: فما تأمرنا؟ قال: أنا أصنع لكم كذلك، فأخذ حجراً من الصفا وحجراً من المروة ونقلهما إلى نخلة، فوضع الذى أخذ من الصفا، فقال: هذا الصفا، ثم وضع الذي أخذه من المروة، فقال: هذه المروة، ثم أخذ ثلاثة أحجار فأسندها إلى شجرة، فقال: هذا ربكم، فجعلوا يطوفون بين الحجرين ويعبدون الحجارة، حتى افتتح رسول الله ﷺ مكة، فأمر برفع الحجارة، وبعث خالد بن الوليد إلى العزى فقطعها .

وقال ابن زيد: هي بيت بالطائف كانت تعبده ثقيف .

﴿ومناة﴾، قرأ ابن كثير بالمد والهمزة، وقرأ العامة بالقصر غير مهموز، لأن العرب سَمّتْ زيد مناة وعبد مناة، ولم يسمع فيها المدّ. قال قتادة: هي لخزاعة كانت بقُدَيْد، قالت عائشة رضي الله عنها في الأنصار: كانوا يهلون لمناة، وكانت حذو قديد. قال ابن زيد: بيت كان بالمشلّل يعبده بنو كعب. قال الضحاك: مناة صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة. وقال بعضهم: اللات والعزى ومناة: أصنام من حجارة كانت في جوف الكعبة يعبدونها[(٢)] .

واختلف القراء في الوقف على اللات ومناة: فوقف بعضهم عليهما بالهاء وبعضهم بالتاء. وقال بعضهم: ما كُتب في المصحف بالتاء يوقف عليه بالتاء، وما كتب بالهاء فيوقف عليه بالهاء .

---

(١) عزاه صاحب الفتح السماوي: ٩٠٧/٣ لابن مردويه .

(٢) ذكر بعض هذه الأقوال: الطبري: ٥٩/٢٧-٦٠، البحر المحيط: ١٦١/٨ ،زاد المسير: ٧٢/٨، ثم قال صاحب البحر المحيط: ١٦١/٨ بعد أن ذكر ما قيل في مواضع هذه الأصنام: «هذا اضطراب كثير في هذه الأوثان ومواضعها والذي يظهر أنها كانت ثلاثتها في الكعبة لأن المخاطب بذلك في قوله (أفرأيتم) هم قريش».

﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ۝٢٢ إِنْ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ الْهُدَىٰ ۝٢٣﴾

وأما قوله: ﴿**الثالثة الأخرى**﴾، [فالثالثة][1] نعت لمناة، أي: الثالثة للصنمين في الذكر، وأما الأخرى فإن العرب لا تقول الثالثة الأخرى، إنما الأخرى هاهنا نعت للثانية. قال الخليل: فالياء لوفاق رؤوس الآي، كقوله: «**مآربُ أخرى**» (طه - ١٨) ولم يقل: أُخر. وقيل: في الآية تقديم وتأخير، تقديرها: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة.

ومعنى الآية: «أفرأيتم»: أخبرونا يا أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، قال الكلبي: كان المشركون بمكة يقولون: الأصنام والملائكة بنات الله، وكان الرجل منهم إذا بُشّر بالأنثى كره ذلك. فقال الله تعالى منكراً عليهم:

﴿**ألكم الذكرُ وله الأنثى * تلكَ إذاً قسمةٌ ضِيزى**﴾، قال ابن عباس وقتادة: أي قسمة جائرة حيث جعلتم لربكم ما تكرهون لأنفسكم. قال مجاهد ومقاتل: قسمة عوجاء. وقال الحسن: غير معتدلة.

قرأ ابن كثير: «ضئزى» بالهمز، وقرأ الآخرون بغير همز.

قال الكسائي: يقال منه ضاز يضيز ضيزاً، وضاز يضوز ضوزاً، وضاز يُضاز ضازاً إذا ظلم ونقص، وتقدير ضيزى من الكلام فُعلى بضم الفاء، لأنها صفة والصفات لا تكون إلا على فُعلى بضم الفاء، نحو حُبلى وأُنثى وبُشرى، أو فَعلى بفتح الفاء، نحو غَضبى وسَكرى وعَطشى، وليس في كلام العرب فِعلى بكسر الفاء في النعوت، إنما يكون في الأسماء، مثل: ذكرى وشعرى، وكسر الضاد هاهنا لئلا تنقلب الياء واواً وهي من بنات الياءِ كما قالوا في جمع أبيض بيض، والأصل بوض مثل حمر وصفر فأما من قال: ضاز يضوز فالاسم منه ضُوزى مثل شُورى.

﴿**إنْ هي**﴾، ماهذه الأصنام، ﴿**إلّا أسماءٌ سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزلَ اللهُ بها من سلطان**﴾، حجة بماتقولون إنها آلهة. ثم رجع إلى الخبر بعد المخاطبة فقال: ﴿**إنْ يتبعون إلّا الظنَّ**﴾، في قولهم إنها آلهة، ﴿**وما تهوى الأنفسُ**﴾، وما زيّن لهم الشيطان، ﴿**ولقد جاءهم من ربِّهمُ الهدى**﴾، البيان بالكتاب والرسول أنها ليست بآلهة، فإن العبادة لا تصلح إلا لله الواحد القهار.

---

(١) زيادة من «ب».

أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ
لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ
إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا
ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ ۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ

﴿**أم للإنسان ما تمنَّى**﴾، أيظن الكافر أن له ما يتمنى ويشتهي من شفاعة الأصنام؟

﴿**فللهِ الآخرةُ والأولى**﴾، ليس كما ظن الكافر وتمنى، بل لله الآخرة والأولى، لا يملك أحدٌ فيهما شيئاً إلّا بإذنه .

﴿**وكم من مَلَكٍ في السموات**﴾، ممن يعبدهم هؤلاء الكفار ويرجون شفاعتهم عند الله، ﴿**لا تُغني شفاعتُهم شيئاً إلّا من بعدِ أنْ يأذنَ اللهُ**﴾، في الشفاعة، ﴿**لمَنْ يشاءُ ويرضى**﴾، أي: من أهل التوحيد. قال ابن عباس: يريد لا تشفع الملائكة إلّا لمن رضي الله عنه. وجَمع الكناية في قوله: «شفاعتهم» والمَلَكُ واحد، لأن المراد من قوله: «وكم من ملك» / الكثرة، فهو كقوله: «فما منكم من أحد عنه حاجزين»(الحاقة - ٤٧) . ١٤٤/أ

﴿**إنَّ الذين لا يؤمنون بالآخرةِ لَيسمُّون الملائكة تسميةَ الأنثى**﴾، أي: بتسمية الأنثى حين قالوا: إنهم بنات الله .

﴿**ومالهم به من علم**﴾، قال مقاتل: [معناه][1] ما يستيقنون أنهم [بنات الله][2] ﴿**إنْ يتبعون إلّا الظنّ وإنّ الظنَّ لا يُغني من الحق شيئاً**﴾، «والحق» بمعنى العلم، أي: لا يقوم الظن مقام العلم. وقيل: «الحق» بمعنى العذاب، [أي: أظنهم لا ينقذهم من العذاب شيء][3] .

﴿**فأعرِضْ عمَن تولّى عن ذِكْرِنا**﴾، يعني القرآن. وقيل: الإيمان، ﴿**ولم يُرِدْ إلّا الحياة الدنيا**﴾ .

ثم صغّر رأيهم فقال: ﴿**ذلك مبلغُهم من العلم**﴾، أي: ذلك نهاية علمهم وقدر عقولهم أن

---

(١) ساقط من «ب» .
(٢) في «ب» إناث .
(٣) في «ب»: (إن ظنهم لاينقذهم من العذاب) .

أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا
عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا
ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى

آثروا الدنيا على الآخرة .

وقيل: لم يبلغوا من العلم إلّا ظنهم أن الملائكة بنات الله، وأنها تشفع لهم، فاعتمدوا على ذلك وأعرضوا عن القرآن .

﴿إنّ ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلمُ بمنِ اهتدى﴾، أي: هو عالم بالفريقين فيجازيهم .

﴿ولله ما في السمواتِ وما في الأرض﴾، وهذا معترض بين الآية الأولى وبين قوله: **﴿ليجزيَ الذين أساؤوا بما عملوا﴾**، فاللام في قوله: «ليجزي» متعلق بمعنى الآية الأولى، لأنه إذا كان أعلم بهم جازىٰ كلاً بما يستحقه، الذين أساؤوا وأشركوا: بما عملوا من الشرك، **﴿ويجزيَ الذين أحسنوا بالحسنى﴾**، وحّدوا ربهم: «بالحسنى» بالجنة. وإنما يقدر على مجازاة المحسن والمسيء إذا كان كثير الملك، ولذلك قال: «ولله ما في السموات وما في الأرض» .

ثم وصفهم فقال: **﴿الذين يجتنبون كبائرَ الإثمِ والفواحشَ إلّا اللّمم﴾**، اختلفوا في معنى الآية، فقال قوم: هذا استثناء صحيح، واللّمم من الكبائر والفواحش، ومعنى الآية: إلا أن يلم بالفاحشة مرة ثم يتوب، ويقع الوقعة ثم ينتهي وهو قول أبي هريرة [ومجاهد، والحسن][1]، ورواية عطاء عن ابن عباس[2] .

قال عبد الله بن عمرو بن العاص: اللّمم ما دون الشرك[3] .

وقال السدي قال أبو صالح: سئلت عن قول الله تعالى: «إلا اللّمم»، فقلت: هو الرجل يلم بالذنب ثم لا يعاوده ، فذكرت ذلك لابن عباس فقال: لقد أعانك عليها ملك كريم[4] .

(١) ساقط من «أ» .
(٢) انظر: ابن كثير: ٤/٢٥٧، القرطبي: ١٧/١٠٧، زاد المسير: ٨/٧٦ .
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧/٦٧، وذكره القرطبي: ١٧/١٠٨ .
(٤) أخرجه عبد بن حميد انظر: ابن كثير: ٤/٢٥٧ .

وروينا عن عطاء عن ابن عباس فى قوله: «إلا اللمم»، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنْ تغفرِ اللهمَّ تغفرْ جمّاً وأيّ عبدٍ لك لا ألمّا»[1].

وأصل «اللمم والإلمام»: ما يعمله الإنسان الحينَ بعد الحين، ولا يكون إعادة، ولا إقامة.

وقال آخرون: هذا استثناء منقطع، مجازه: لكن اللمم، و لم يجعلوا اللّمم من الكبائر والفواحش، ثم اختلفوا في معناه، فقال بعضهم: هو ما سلف في الجاهلية فلا يؤاخذهم الله به، وذلك أن المشركين قالوا للمسلمين: إنهم كانوا بالأمس يعملون معنا؟ فأنزل الله هذه الآية. وهذا قول زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم[2].

وقال بعضهم: هو صغار الذنوب كالنظرة والغمزة والقبلة وما كان دون الزنا، وهو قول ابن مسعود، وأبي هريرة، ومسروق، والشعبي، ورواية طاووس عن ابن عباس[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا محمود بن غيلان، أخبرنا عبد الرزاق، أخبرنا معمر عن ابن طاووس عن أبيه عن ابن عباس قال: ما رأيتُ أشبه باللّمم مما قاله أبو هريرة عن النبي ﷺ: «إن الله كتب على ابن آدم حظَّه من الزنا أدرك ذلك لا محالة، فزنا العين النظر، وزنا اللسان النطق، والنفس تتمنى وتشتهي، والفرج يصدق ذلك ويكذبه»[4].

ورواه سهيل بن أبي صالح عن أبيه عن أبي هريرة عن النبى ﷺ، وزاد: «العينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد [زناها][5] البطش، والرجل زناها الخطى»[6].

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير–تفسير سورة والنجم: ١٧٢/٩ وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من حديث زكريا بن إسحاق»، والطبري: ٦٦/٢٧، والحاكم: ٤٦٩/٢–٤٧٠ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٥٦/٧ أيضاً لسعيد بن منصور، والبيهقي في الشعب، والبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.
والبيت لأمية بن أبي الصلت.

(٢) ذكره الطبري:٦٤/٢٧ عن ابن زيد، وذكر عن زيد بن أسلم: ٦٥/٢٧ قوله: «كبائر الشرك والفواحش: والزنى، تركوا ذلك حين دخلوا في الإسلام، فغفر الله لهم ما كانوا ألموا به وأصابوا من ذلك قبل الإسلام».
وانظر: ابن كثير: ٢٥٧/٤، البحر المحيط: ١٦٤/٨، القرطبي: ١٠٨/١٧.

(٣) انظر: زاد المسير: ٧٦/٨.

(٤) أخرجه البخاري في الاستئذان، باب زنا الجوارح دون الفرج: ٢٦/١١، ومسلم في القدر، باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره برقم: (٢٦٥٧): ٢٠٤٦/٤ والمصنف في شرح السنة: ١٣٦/١–١٣٧.

(٥) ساقط من «ب».

(٦) أخرجه مسلم في القدر، باب قدّر على ابن آدم حظه من الزنا وغيره،برقم: (٢٦٥٧): ٢٠٤٧/٤.

﴿بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾﴾

وقال الكلبي: «اللَّمم» على وجهين: كل ذنب لم يذكر الله عليه حدّاً في الدنيا ولا عذاباً في الآخرة، فذلك الذي تكفره الصلوات ما لم يبلغ الكبائر والفواحش[١]، والوجه الآخر هو: الذنب العظيم يلم به المسلم المرة بعد المرة فيتوب منه[٢].

وقال سعيد بن المسيَّب: هو ما لَمَّ على القلب أي خطر[٣].

وقال الحسين بن الفضل: «اللمم» النظرة من غير تعمدٍ، فهو مغفور، فإن أعاد النظرة فليس بلمم وهو ذنب[٤].

﴿إن ربَّك واسعُ المغفرة﴾، قال ابن عباس: لمن فعل ذلك وتاب، تم الكلام هاهنا، ثم قال: **﴿هو أعلم بكم إذْ أنشأكم من الأرض﴾**، أي خلق أباكم آدم من التراب، **﴿وإذْ أنتم أجنة﴾**، جمع جنين، سُمي جنيناً لا جتنانه في البطن، **﴿في بطونِ أمهاتكِم فلا تزكُّوا أنفسَكم﴾**، قال ابن عباس: لا تمدحوها. قال الحسن: علم الله من كل نفس ما هي صانعة وإلى ما هي صائرة، فلا تزكوا أنفسكم، لا تبرؤوها عن الآثام، ولا تمدحوها بحسن أعمالها[٥].

قال الكلبي ومقاتل: كان الناس يعملون أعمالًا حسنة ثم يقولون: صلاتنا وصيامنا وحجنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية[٦] **﴿هو أعلم بمن اتَّقَى﴾**، أي: بَرَّ وأطاع وأخلص العمل لله تعالى.

قوله عزّ وجلّ: **﴿أفرأيت الذي تولَّى﴾**، نزلت في الوليد بن المغيرة، كان قد اتبع النبي ﷺ على دينه فعيَّره بعض المشركين وقال له: أتركت دين الأشياخ وضلَّلتهم؟ قال: إني خشيت عذاب الله، فضمن الذي عاتبه إن هو [وافقه][٧] أعطاه كذا من ماله ورجع إلى شركه أن يتحمل

(١) ذكره صاحب البحر المحيط: ٨/١٦٤، وانظر: الطبري: ٢٧/٦٨، جزء تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع ومسلم بن خالد الزنجي ص (٦١).
(٢) ذكره القرطبي: ١٧/١٠٨.
(٣) انظر: القرطبي: ١٧/١٠٨، زاد المسير: ٨/٧٦.
(٤) انظر: زاد المسير: ٨/٧٦.
(٥) ذكره القرطبي: ١٧/١١٠، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٥٨ لابن أبي شيبة.
(٦) انظر زاد المسير: ٨/٧٧.
(٧) ساقط من «أ».

﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾﴾

عنه عذاب الله، فرجع الوليد إلى الشرك وأعطى الذي عيّره بعض ذلك المال الذي ضمن ومنعه تمامه، فأنزل الله عزّ وجلّ[(١)]: «أفرأيت الذي تولى» أدبر عن الإيمان ﴿**وأعطى**﴾، صاحبه، ﴿**قليلاً وأكدى**﴾، بخل بالباقي.

وقال مقاتل: «أعطى» يعني الوليد «قليلاً» من الخير بلسانه، ثم «أكدى»: يعني قطعه وأمسك ولم يقم على العطية.

وقال السدي: نزلت في العاص بن وائل السهمي، وذلك أنه كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور[(٢)].

١٤٤/ب وقال محمد بن كعب/القرظي نزلت في أبي جهل وذلك أنه قال: والله ما يأمرنا محمد إلّا بمكارم الأخلاق[(٣)]، فذلك قوله: «وأعطى قليلاً وأكدى»، أي لم يؤمن به، ومعنى «أكدى»: يعني قطع، وأصله من الكدية، وهي حجر يظهر في البئر يمنع من الحفر، تقول العرب: أكدى الحافر وأجبل، إذا بلغ في الحفر الكدية والجبل.

﴿**أعندَهُ علْمُ الغيبِ فهو يَرَى**﴾، ما غاب عنه ويعلم أن صاحبه يتحمل عنه عذابه.

﴿**أمْ لمْ يُنبّأْ**﴾، لم يخبر، ﴿**بما في صحفِ موسى**﴾، يعني: أسفار التوراة.

﴿**وإبراهيمَ**﴾، في صحف إبراهيم عليه السلام، ﴿**الذي وَفّى**﴾، تمّم وأكمل ما أمر به.

قال الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة: عمل بما أمر به وبلغ رسالات ربه إلى خلقه[(٤)].

قال مجاهد: وفّى بما فُرض عليه[(٥)].

(١) ذكره الطبري: ٢٧/٧٠، الواحدي في أسباب النزول صفحة: (٤٦١)، القرطبي: ١١١/١٧.
(٢) ذكره صاحب البحر المحيط: ١٦٦/٨، القرطبي: ١١١/١٧-١١٢، زاد المسير: ٧٨/٨.
(٣) في المواضع السابقة.
(٤) ذكره الطبري: ٧٢/٢٧. وانظر: ابن كثير: ٢٥٨/٤، البحر المحيط: ١٦٧/٨، القرطبي: ١١٣/١٧.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٧. وانظر: الدر المنثور: ٦٦٠/٧، زاد المسير: ٨٠/٨.

﴿أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾﴾

قال الربيع: وفّى رؤياه وقام بذبح ابنه[(١)] .

وقال عطاء الخراساني: استكمل الطاعة. وقال أبو العالية: وفّى سهام الإسلام. وهو قوله: «وإذِ ابتلى إبراهيمَ ربُّه بكلمات فأتمهنّ»/(البقرة–١٢٤) والتوفية الإتمام . وقال الضحاك: وفّى ميثاق المناسك .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر محمد بن علي بن دحيم الشيباني، حدثنا إبراهيم بن إسحاق الزهري، حدثنا إسحاق بن منصور عن إسرائيل عن جعفر بن الزبير عن القاسم عن أبي أمامة عن النبي ﷺ قال: «إبراهيم الذي وفّى [صلى][(٢)] أربع ركعات أول النهار»[(٣)] .

أخبرنا أبو عثمان الضبي، أخبرنا أبو محمد الجراحي، حدثنا أبو العباس المحبوبي، حدثنا أبو عيسى الترمذي، حدثنا أبو جعفر السمناني، حدثنا أبو مسهر، حدثنا إسماعيل بن عياش عن بحير بن سعْد عن خالد بن معدان عن جبير بن نفير عن أبي الدرداء وأبي ذر عن رسول الله ﷺ عن الله تبارك وتعالى أنه قال: «ابنَ آدم اركعْ لي أربعَ ركعاتٍ من أول النهار أكفِكَ آخره»[(٤)] .

ثم بيّن ما في صحفهما فقال:

﴿ألّا تزرُ وازرةٌ وِزْرَ أُخرى﴾، أي: لا تحمل نفس حاملة حملَ أخرى، ومعناه: لا تؤخذ نفس بإثم غيرها. وفي هذا إبطال قول من|ضمن للوليد بن المغيرة بأنه يحمل عنه الإثم .

---

(١) ذكره صاحب البحر المحيط: ١٦٧/٨ .

(٢) ساقط من «ب» .

(٣) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٧، قال ابن كثير: ٢٥٩/٤ «رواه ابن جرير من حديث جعفر بن الزبير وهو ضعيف» .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٦٠/٧ أيضاً لسعيد بن منصور وعبد بن حميد .

(٤) أخرجه الترمذي في الوتر، باب ما جاء في صلاة الضحى: ٥٨٥/٢، قال أبو عيسى: «هذا حديث غريب»،وأخرجه أبو داود في التطوع: ٨٥/٢ عن نعيم بن همّار،قال المنذرى: «أخرجه الترمذي من حديث أبي الدرداء وأبي ذر، وقال حسن غريب، هذا آخر كلامه، وفي إسناده إسماعيل بن عياش وفيه مقال، ومن الأئمة من يصحح حديثه عن الشاميين، وهذا الحديث شامي الإسناد وحديث نُعيم بن همّار: قد اختلف الرواة فيه اختلافاً كثيراً، وقد جمعت طرقه في جزء مفرد» .
وعلم من كلام المنذري هذا أن في نسخة الترمذي التي كانت عنده كان فيها: «هذا حديث حسن غريب». انظر: تحفة الأحوذي: ٥٨٥/٢–٥٨٦ .
وأخرجه الإمام أحمد: ٢٨٦/٥ عن نعيم بن همار الغطفاني .

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾

وروى عكرمة عن ابن عباس قال: كانوا قبل إبراهيم عليه السلام يأخذون الرجل بذنب غيره، كان الرجل يقتل بقتل أبيه وابنه وأخيه وامرأته وعبده، حتى كان إبراهيم عليه السلام فنهاهم عن ذلك، وبلّغهم عن الله: **«ألّا تزر وازرة وزر أخرى»** .

﴿وأنْ ليس للإنسان إلّا ما سعى﴾، أي: عمل، كقوله: «إن سعيكم لشتى»،(الليل – ٤) وهذا أيضاً في صحف إبراهيم وموسى .

وقال ابن عباس: هذا منسوخ الحكم في هذه الشريعة، بقوله: **«ألحقنا بهم ذريتهم»**، (الطور – ٢١)فأدخل الأبناء الجنة بصلاح الآباء .

وقال عكرمة: كان ذلك لقوم إبراهيم وموسى، فأما هذه الأمة فلهم ما سَعَوْا وما سعى لهم غيرُهم، لِمَا روي أن امرأة رفعت صبياً لها فقالت: يا رسول الله ألهذا حج؟ قال: **«نعم ولك أجر»**[(١)] .

وقال رجل للنبي ﷺ: إن أمي افتلتت نفسها، فهل لها أجر إنْ تصدقتُ عنها؟ قال: **«نعم»**[(٢)] .

وقال الربيع بن أنس: «وأن ليس للإنسان إلّا ما سعى» يعني الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى وما سُعي له[(٣)] .

وقيل: ليس للكافر من الخير إلا ما عمل هو، فيثاب عليه في الدنيا حتى لا يبقى له في الآخرة خير .

---

(١) أخرجه مسلم في الحج، باب صحة حج الصبي وأجر من حج به، برقم: (١٣٣٦): ٢/٩٧٤ .

(٢) أخرجه البخاري في الجنائز، باب موت الفجأة: ٣/٢٥٤، ومسلم في الزكاة، باب وصول ثواب الصدقة عن الميت إليه، برقم: (١٠٠٤): ٢/٦٩٦، والمصنف في شرح السنة: ٦/١٩٩ .

(٣) انظر: البحر المحيط: ٨/١٦٨، القرطبي: ١٧/١١٤ .
قال الحافظ ابن كثير: ٤/٢٥٩ بعد تفسير هذه الآيات: (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى وأن سعيه سوف يرى.ثم يجزاه الجزاء الأوفى): «ومن هذه الآية الكريمة استنبط الشافعي رحمه الله ومن اتبعه أن القراءة لا يصل إهداء ثوابها إلى الموتى لأنه ليس من عملهم ولا كسبهم ولهذا لم يندب إليه رسول الله ﷺ أمته ولا حثهم عليه ولا أرشدهم إليه بنص ولا إيماء ولم ينقل ذلك عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم ولو كان خيراً لسبقونا إليه، وباب القربات يقتصر فيه على النصوص ولا يتصرف فيه بأنواع الأقيسة والآراء، فأما الدعاء والصدقة فذاك مجمع على وصولهما ومنصوص من الشارع عليهما» .
وقارن بشرح العقيدة الطحاوية (٤٥٢-٤٥٧) .

﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾﴾

ويُروى أن عبد الله بن أبيّ كان أعطى العباس قميصاً ألبسه إيّاه، فلما مات أرسل رسول الله ﷺ قميصه ليكفنه فيه، فلم يبق له حسنة في الآخرة يثاب عليها[(١)].

﴿وأن سعيه سوف يُرى﴾، في ميزانه يوم القيامة، [مأخوذة][(٢)] من: أريته الشيء.

﴿ثم يُجزاه الجزاءَ الأوْفى﴾، الأكمل والأتم أي: يجزى الإنسان بسعيه، يقال: جزيت فلاناً سَعْيَه وبسعيه، قال الشاعر:

إنْ أجزِ علقمةَ بنَ سعدٍ سعيَهُ لم أجزه ببلاءِ يومٍ واحِدِ

فجمع بين اللغتين.

﴿وأنّ إلى ربِّك المنتهى﴾، أي: منتهى الخلق ومصيرهم إليه، وهو مجازيهم بأعمالهم. وقيل: منه ابتداء المنة وإليه انتهاء الآمال.

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني الحسن بن محمد الشيباني[(٣)] أخبرنا محمد بن سليمان بن الفتح الحنبلي، حدثنا علي بن محمد المصري، أخبرنا أبو إسحاق بن منصور الصعدي[(٤)]، أخبرنا العباس بن زفر، عن أبي جعفر الرازي، عن أبيه عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية، عن أبيّ بن كعب عن النبي ﷺ في قوله: «وأنّ إلى ربك المنتهى»، قال: «لا فِكْرَةَ في الربِّ»[(٥)]، وهذا مثل ما روي عن أبي هريرة مرفوعاً: «تفكروا في الخلق ولا تتفكروا في الخالق»[(٦)]. فإنه لا تحيط به الفكرة.

---

(١) راجع فيما سبق: ٨٢/٤.

(٢) ساقط من «ب».

(٣) في «ب»: السفياني، أخبرنا محمد بن سيماء بن الفتح.

(٤) في «ب»: إسحاق بن منصور الصفدي.

(٥) عزاه السيوطي في الدر المنثور: (٦٦٢/٧) والمتقي في كنز العمال: (٣٩٦/٣) للدارقطني في الأفراد وذكره القرطبي: ١١٥/١٧.

(٦) أخرجه ابن النجار في «ذيل تاريخ بغداد» عن أبي هريرة، بإسناد ضعيف جداً، وبنحوه عن ابن عباس أخرجه: أبو الشيخ في «العظمة» وأبو نعيم في «الحلية»، والبيهقي في «الأسماء والصفات». وأخرجه أيضاً الهروي في «الأربعين» والأصبهاني في «الترغيب والترهيب» وطرقه كلها ضعيفة. وحسنه الألباني فقال في «الصحيحة» (٣٩٧/٤): «وبالجملة فالحديث بمجموع طرقه حسن عندي. والله أعلم».

وانظر: كشف الخفاء: ٣٧١/١-٣٧٢، تمييز الطيب من الخبيث ص (٦٨)، فيض القدير للمناوي: ٣٦٢/٣. ضعيف الجامع الصغير برقم (٢٤٧٠)، دلائل التوحيد للشيخ محمد جمال الدين القاسمي ص (٩٠).

وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ
وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾

﴿**وأنّه هو أضحكَ وأبكى**﴾، فهذا يدل على أن كل ما يعمله الإنسان فبقضائه وخلقه حتى الضحك والبكاء، قال مجاهد والكلبي: أضحك أهل الجنة في الجنة، وأبكى أهل النار في النار. وقال الضحاك: أضحك الأرض بالنبات، وأبكى السماء بالمطر.

قال عطاء بن أبي مسلم: يعني أفرح وأحزن، لأن الفرح يجلب الضحك، والحزن يجلب البكاء.

أخبرنا عبد الواحد بن أحمد المليحي، أخبرنا عبد الرحمن بن أبي شريح، أخبرنا أبو القاسم البغوي، حدثنا علي بن الجعد، أخبرنا قيس، هو ابن الربيع الأسدي، حدثنا سماك بن حرب قال: قلت لجابر ابن سمرة: أكنتَ تجالس النبي ﷺ؟ قال: نعم وكان أصحابه يجلسون ويتناشدون الشعر، ويذكرون أشياء من أمر الجاهلية، فيضحكون ويتبسّم معهم إذا ضحكوا[1] - يعني: النبي ﷺ -.

وقال معمر عن قتادة: سئل ابن عمر هل كان أصحاب رسول الله ﷺ يضحكون؟ قال: نعم، والإيمان في قلوبهم أعظم من الجبل[2].

﴿**وأنه هو أماتَ وأحيا**﴾، أي: أمات في الدنيا وأحيا للبعث. وقيل: أمات الآباء وأحيا الأبناء. وقيل: أمات الكافر بالنكرة وأحيا المؤمن بالمعرفة.

﴿**وأنه خلقَ الزوجين الذكرَ والأنثى**﴾، من كل حيوان.

﴿**من نطفةٍ إذا تُمْنى**﴾، أي: تصبُّ في الرحم، يقال: منى الرجل وأمنى. قاله الضحاك وعطاء ابن أبي رباح. وقال آخرون: تقدر، يقال: منيتُ الشيء إذا قدرته.

﴿**وأنّ عليه النشأةَ الأخرى**﴾، أي: الخلق الثاني للبعث يوم القيامة.

---

(١) أخرجه الترمذي في الآداب، باب ما جاء في إنشاد الشعر: ٨/١٤٢-١٤٣ وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد: ٥/٩١.
وأخرجه مسلم في الفضائل، باب تبسمه ﷺ وحسن عشرته برقم: (٢٣٢٢): ٤/١٨١٠ بلفظ: «أكنت تجالس رسول الله ﷺ؟ قال: نعم. كثيراً. كان لا يقوم من مصلاه الذي يصلي فيه الصبح حتى تطلع الشمس. فإذا طلعت قام. وكانوا يتحدثون فيأخذون في أمر الجاهلية فيضحكون ويتبسم ﷺ».
(٢) أخرجه عبد الرزاق في «المصنف»: ١١/٤٥١.

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ ٤٨ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ ٤٩ وَأَنَّهُۥٓ أَهۡلَكَ عَادًا ٱلۡأُولَىٰ ٥٠﴾

﴿وأنه هو أغنى وأقنى﴾، قال أبو صالح: أغنى الناس بالأموال وأقنى، أي: أعطى القنية وأصول الأموال وما يدخرونه بعد الكفاية .

قال الضحاك: أغنى بالذهب والفضة وصنوف الأموال وأقنىٰ بالإبل والبقر والغنم .

وقال قتادة والحسن: / «أقنى»: أخدم . ١٤٥/أ

وقال ابن عباس: «أغنى وأقنى»: أعطى فأرضى .

قال مجاهد ومقاتل: «أقنى»: أرضىٰ بما أعطى وقنع .

وقال ابن زيد: «أغنى»: أكثر «وأقنى»: أقل، وقرأ: «يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر»، (الإسراء – ٣٠) وقال الأخفش : «أقنى»: أفقر. وقال ابن كيسان: أولد .

﴿وأنه هو ربُّ الشّعرى﴾، وهو كوكب خلف الجوزاء وهما شِعريان، يقال لإحداهما العبور وللأخرى الغميصاء، سميت بذلك لأنها أخفى من الأخرى، والمجرة بينهما. وأراد هاهنا الشعرى العبور، وكانت خزاعة تعبدها، وأول من سنّ لهم ذلك رجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة عبدها، وقال: لأن النجوم تقطع السماء عرضاً والشعرى طولاً فهي مخالفة لها، فعبدتْها خزاعة، فلما خرج رسول الله ﷺ على خلاف العرب في الدين سموه ابن أبي كبشة لخلافه إيّاهم، كخلاف أبي كبشة في عبادة الشّعرىٰ[1] .

﴿وأنه أهلك عاداً الأولى﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة بلام مشددة بعد الدال، ويهمز وَاوَه قالون عن نافع، والعرب تفعل ذلك فتقول: قم لانَّ عنّا، تريد: قم الآن، ويكون الوقف عند «عَاداً»، والابتداء «أولى»، بهمزة واحدة مفتوحة بعدها لام مضمومة، [ويجوز الابتداء: لولى][2] بحذف الهمزة المفتوحة .

وقرأ الآخرون: «عاداً الأولى»، وهم قوم هود أهلكوا بريح صرصر ، فكان لهم عقب، فكانوا عاداً الأُخرى .

---

(١) قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشاف صفحة (١٦١) بعد أن ساق هذه الرواية « وكانت قريش تقول لرسول الله ﷺ أبو كبشة تشبيهاً له برجل من أشرافهم يقال له أبو كبشة»: هذا وهم، والمعروف أنهم كانوا يقولون له: ابن أبي كبشة كما في حديث أبي سفيان الطويل في الصحيحين حيث قال: «لقد أمِر أمر ابن أبي كبشة أن يخافه ملك بني الأصفر يعني هرقل» .

(٢) في «ب» ويجوز ابتداء أولىٰ .

وَثَمُودَا فَمَا أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَالْمُؤْتَفِكَةَ
أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّاهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ النُّذُرِ
الْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ الْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا الْحَدِيثِ
تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾

﴿وثمودَا﴾، وهم قوم صالح أهلكهم الله بالصيحة، **﴿فما أبقى﴾**، منهم أحداً .

﴿وقومَ نوحٍ من قبلُ﴾، أي: أهلك قوم نوح من قبل عاد وثمود، **﴿إنهم كانوا هُمْ أظلمَ وأطغى﴾**، لطول دعوة نوح إيّاهم وعتوهم على الله بالمعصية والتكذيب .

﴿والمؤتفكةَ﴾، قُرى قوم لوط، **﴿أهوىٰ﴾**، أسقط أي: أهواها جبريل بعدما رفعها إلى السماء.

﴿فغشّاها﴾، ألبسها الله، **﴿ما غشّى﴾**، يعني: الحجارة المنضودة المسومة .

﴿فبأيّ آلاءِ ربِّك﴾، نِعَمِ ربك أيها الإنسان، وقيل: أراد الوليد بن المغيرة، **﴿تتمارى﴾**، تشك وتجادل، وقال ابن عباس : تكذب .

﴿هذا نذيرٌ﴾، يعني: محمداً صلى الله عليه وسلم، **﴿من النُّذُر الأولى﴾**، أي: رسول من الرسل أرسل إليكم كما أرسلوا إلى أقوامهم، وقال قتادة: يقول: أنذر محمدٌ كما أنذر الرسُل من قبله .

﴿أزِفَتِ الآزفة﴾، دنت القيامة واقتربت الساعة .

﴿ليس لها من دونِ الله كاشفةٌ﴾، أي: مظهرة مقيمة كقوله تعالى: «لا يجلّيها لوقتها إلا هو»، (الأعراف - ١٨٧)، والهاء فيه للمبالغة أو على تقدير: نفس كاشفة. ويجوز أن تكون الكاشفة مصدراً كالخافية والعافية، والمعنى: ليس لها من دون الله كاشف، أي لا يكشف عنها ولا يظهرها غيره .

وقيل: معناه: ليس لها رادّ يعني: إذا غشيت الخلقَ أهوالُها وشدائدُها لم يكشفها ولم يردّها عنهم أحد، وهذا قول عطاء وقتادة والضحاك .

﴿أفمِنْ هذا الحديث﴾، يعني القرآن، **﴿تعجبون * وتضحكون﴾**، يعني: استهزاءً، **﴿ولا تبكون﴾**، مما فيه من الوعيد .

﴿وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ۝٦١ فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ۩ ۝٦٢﴾

﴿وأنتم سامِدُون﴾، لاهون غافلون، و«السمود»: الغفلة عن الشيء واللهو، يقال: دع عنك سمودك أي لهوك، هذا رواية الوالبي والعوفي عن ابن عباس[(١)]. وقال عكرمة عنه: هو الغناء بلغة أهل اليمن، وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا ولعبوا[(٢)]. وقال الضحاك: أَشِرُون بَطِرون. وقال مجاهد: غضاب مبرطمون. فقيل له: ما البرطمة؟ قال: الإعراض[(٣)].

﴿فاسجدُوا لله واعبدوا﴾، أي: واعبدوه.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا عبد الوارث، حدثنا أيوب عن عكرمة عن ابن عباس أن النبي ﷺ: سجد بالنجم وسجد معه المسلمون والمشركون والجن والإنس[(٤)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، أخبرنا محمد بن إسماعيل، حدثنا نصر بن علي، أخبرني أبو أحمد، حدثنا إسرائيل عن أبي إسحاق عن الأسود ابن يزيد عن عبد الله قال: أول سورة أُنزلت فيها سجدةٌ: النجم، قال: فسجد رسول الله ﷺ وسجد مَنْ خلفه إلا رجلاً رأيته أخذ كفاً من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافراً، وهو أمية بن خلف[(٥)].

وأخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا آدم بن أبي إياس، أخبرنا ابن أبي ذئب، أخبرنا يزيد بن عبد الله بن قسيط عن عطاء بن يسار عن زيد بن ثابت قال: قرأت على النبي ﷺ «والنجم» فلم يسجد فيها[(٦)].

قلت[(٧)]: فهذا دليل على أن سجود التلاوة غير واجب. قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٧/٦٦٧.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٨٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٦٧ لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد.

(٣) أخرجه الطبري: ٢٧/٨٢، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٦٧ لعبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) أخرجه البخاري في سجود القرآن، باب سجود المسلمين مع المشركين: ٢/٥٥٣ وفي تفسير سورة (النجم) ٨/٦١٤، والمصنف في شرح السنة: ٣/٣٠١.

(٥) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة (والنجم)، باب (فاسجدوا لله واعبدوا): ٨/٦١٤ واللفظ له، ومسلم في المساجد، باب سجود التلاوة برقم: (٥٧٦): ١/٤٠٥.

(٦) أخرجه البخاري في سجود التلاوة، باب من قرأ السجدة ولم يسجد: ٢/٥٥٤ واللفظ له، ومسلم في المساجد برقم: (٥٧٧): ١/٤٠٦، والمصنف في شرح السنة: ٣/٣١٠.

(٧) في «ب» قال الشيخ الإمام رحمه الله.

إن الله لم يكتبها علينا إلّا أن نشاء. وهو قول الشافعي وأحمد .

وذهب قوم إلى أن وجوب سجود التلاوة على القارىء والمستمع جميعاً، وهو قول سفيان الثوري وأصحاب الرأي .

سُورَةُ القَمَر

سورة القمر

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ وَانشَقَّ الْقَمَرُ ۝١﴾

﴿اقتربتِ الساعةُ﴾، دنت القيامة، **﴿وانشقَّ القمرُ﴾**.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا عبد الله بن عبد الوهاب، أخبرنا بشر بن المفضل، حدثنا سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس بن مالك أن أهل مكة سألوا رسول الله ﷺ أن يريهم آية فأراهم القمر شقتين حتى رأوا حراء بينهما[2].

وقال شيبان عن قتادة: فأراهم انشقاق القمر مرتين[3].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد ابن إسماعيل، حدثنا مسدد، حدثنا يحيى عن شعبة وسفيان عن الأعمش عن إبراهيم عن أبي معمر عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين، فرقة فوق الجبل / وفرقة دونه، ١٤٥/ب
فقال رسول الله ﷺ: «اشهدوا»[4].

---

(١) أخرج النحاس عن ابن عباس قال: نزلت سورة القمر بمكة.
و أخرج ابن الضريس و ابن مردويه و البيهقي في الدلائل عن ابن عباس قال: نزلت بمكة سورة (اقتربت الساعة).
انظر: الدر المنثور: ٦٦٩/٧.

(٢) أخرجه البخاري في مناقب الأنصار، باب انشقاق القمر: ١٨٧/٧.

(٣) قطعة من حديث أخرجه مسلم في صفات المنافقين وأحكامهم، باب انشقاق القمر برقم: (٢٨٠٢): ٢١٥٩/٤.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير - تفسير سورة القمر باب (وانشق القمر، وإن يروا آية يعرضوا): ٦١٧/٨، ومسلم في صفات المنافقين وأحكامهم ،باب انشقاق القمر، برقم: (٢٨٠٠): ٢١٥٨/٤.

﴿وَإِن يَرَوْاْ ءَايَةً يُعْرِضُواْ وَيَقُولُواْ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢ وَكَذَّبُواْ وَاتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُمْ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣﴾

وقال أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: انشق القمر بمكة. وقال مقاتل: انشق القمر ثم الْتأم بعد ذلك.

وروى أبو الضحى عن مسروق عن عبد الله قال: [انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ][(1)]، فقالت قريش: سحركم ابن أبي كبشة، فاسألوا السُّفّار، فسألوهم، فقالوا: نعم قد رأيناه، فأنزل الله عزّ وجلّ: «اقتربتِ الساعة وانشقّ القمر»[(2)].

﴿وإنْ يروا آية يُعرضوا ويقولوا سحر مستمر﴾، أي: ذاهب وسوف يذهب ويبطل، من قولهم: مرّ الشيء واستمر إذا ذهب، مثل قولهم: قرّ واستقر، قال هذا قول مجاهد وقتادة. وقال أبو العالية [والضحاك][(3)]: «مستمر»، أي: قوي شديد يعلو كل سحر، من قولهم: مرّ الحبل، إذا صَلُبَ واشتدّ، وأمررته إذا أحكمت فتْله، واستمر الشيء إذا قوي واستحكم.

﴿وكذّبوا واتّبعوا أهواءهم﴾، أي: كذبوا النبي ﷺ وما عاينوا من قدرة الله عزّ وجلّ، واتبعوا ما زين لهم الشيطان من الباطل. ﴿وكُلُّ أمرٍ مُستَقِرّ﴾، قال الكلبي: لكل أمر حقيقة، ما كان منه في الدنيا فسيظهر، وما كان منه في الآخرة فسيعرف. وقال قتادة: كل أمر مستقر فالخير مستقر بأهل الخير، [والشر مستقر بأهل الشر][(4)].

وقيل: كل أمر من خير أو شر مستقرٌ قراره، فالخير مستقر بأهله في الجنة، والشر مستقر بأهله في النار.

وقيل: يستقر قول المصدقين والمكذبين حتى يعرفوا حقيقته بالثواب والعقاب. وقال مقاتل: لكلى حديث منتهى. وقيل: كل ما قدر كائن واقع لا محالة.

وقرأ أبو جعفر «مستقرٍ» بكسر الراء، ولا وجه له

---

(١) في «ب»: (لما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: اشهدوا).

(٢) أخرجه الطبري: ٨٥/٢٧، ابن كثير: ٢٦٣/٤، وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٦٧٠/٧ لابن المنذر وابن مردويه، وأبي نعيم والبيهقي كلاهما في الدلائل.

(٣) ساقط من «ب».

(٤) ما بين القوسين زيادة من «ب».

﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ۝٤ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ۝٥ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ ۘ يَوْمَ يَدْعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَىْءٍ نُّكُرٍ ۝٦ خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ۝٧﴾

﴿ولقد جاءهم﴾، يعني: أهل مكة، **﴿من الأنباء﴾**، من أخبار الأمم المكذبة في القرآن، **﴿ما فيه مزدَجَر﴾**، [متناهي][(1)]، مصدر بمعنى الازدجار، أي: نهي وعظة، يقال: زجرته وازدجرته إذا نهيته عن السوء، وأصله: مزتجر، قُلبت التاء دالًا.

﴿حكمةٌ بالغةٌ﴾، يعني: القرآن حكمة تامة قد بلغت الغاية **﴿فما تغني النُّذُر﴾**، يجوز أن تكون «ما» نفياً، على معنى: فليست تغني النذر، ويجوز أن يكون استفهاماً، والمعنى: **فأي شيء تغني النذر إذا خالفوهم وكذبوهم؟ كقوله: «وما تغني الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون» (يونس - ١٠١) و«النذر» : جمع نذير.**

﴿فتولَّ عنهم﴾، أعرض عنهم نسختها آية القتال[(2)]. قيل: **ها هنا وقف تام. وقيل: ﴿فتول عنهم. يوم يدعُ الداع﴾**، أي: إلى يوم الداعي، قال مقاتل: هو إسرافيل ينفخ قائماً على صخرة بيت المقدس، **﴿إلى شيء نُكُر﴾**، [منكر][(1)] فظيع لم يروا مثله فينكرونه استعظاماً، قرأ ابن كثير: «نُكْر» بسكون الكاف، والآخرون بضمها.

﴿خُشَّعاً أبصارُهم﴾، قرأ أبو عمرو، ويعقوب، وحمزة، والكسائي: «خاشعاً» على الواحد، وقرأ الآخرون: «خُشّعاً» - بضم الخاء وتشديد الشين - على الجمع. ويجوز في أسماء الفاعلين إذا تقدمت على الجماعة التوحيد والجمع والتذكير والتأنيث، تقول: مررتُ برجال حسنٍ أوجههم، وحسنة أوجههم، وحسان أوجههم، قال الشاعر:

ورجالٍ حسَنٍ أوجُهُهُم		من إيادِ بنِ نزارِ بنِ مَعَد[(3)]

وفي قراءة عبد الله: **«خاشعة أبصارهم»، أي: ذليلة خاضعة عند رؤية العذاب.**

﴿يخرجون من الأجداث﴾، من القبور، **﴿كأنهم جراد منتشر﴾**، مُنْبَثّ حيارى، وذكّر المنتشر

---

(١) ساقط من «ب».

(٢) يراجع فيما سبق: ٣٢/٣ تعليق (١).

(٣) البيت للحارث بن دوس الإيادي، ويروى لأبي دؤاد الإيادي. وأوله: وشباب انظر القرطبي: ١٢٩/١٧.

﴿مُّهْطِعِينَ إِلَى ٱلدَّاعِ يَقُولُ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا۟
عَبْدَنَا وَقَالُوا۟ مَجْنُونٌ وَٱزْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ
ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾
وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾﴾

على لفظ الجراد، نظيرها: «كالفراش المبثوث»، (القارعة – ٤) وأراد أنهم يخرجون فزعين لا جهة لأحد منهم يقصدها، كالجراد لا جهة لها، تكون مختلطة بعضها في بعض .

﴿**مهطعين**﴾، مسرعين مقبلين، ﴿**إلى الداع**﴾، إلى صوت إسرافيل، ﴿**يقول الكافرون هذا يوم عَسِرٌ**﴾، يوم صعب شديد .

قوله عزّ وجلّ ﴿**كَذَّبت قبلهم**﴾، أي: قبل أهل مكة، ﴿**قومُ نوح فكذبوا عبدنا**﴾، نوحاً، ﴿**وقالوا مجنون وازْدُجِر**﴾، أي: زجروه عن دعوته ومقالته بالشتم والوعيد، وقالوا: «لئن لم تنته يا نوح لتكونن من المرجومين»(الشعراء –١١٦)، وقال مجاهد معنى: ازدجر أي: استطير جنوناً .

﴿**فدعا**﴾، نوح، ﴿**ربَّه**﴾، وقال، ﴿**أنّي مغلوب**﴾، مقهور، ﴿**فانتصِرْ**﴾، فانتقم لي منهم .

﴿**ففتحنا أبوابَ السماء بماء مُنْهمِر**﴾، مُنْصَبّ انصباباً شديداً، لم ينقطع أربعين يوماً، وقال يمان: قد طبق ما بين السماء والأرض .

﴿**وفجَّرنا الأرضَ عيوناً فالتقى الماء**﴾، يعني ماء السماء وماء الأرض، وإنما قال: «فالتقى الماء» والالتقاء لا يكون من واحد، إنما يكون بين اثنين فصاعداً، لأن الماء يكون جمعاً وواحداً. وقرأ عاصم الجحدري: فالتقى الماآن. ﴿**على أمر قد قُدِرَ**﴾، أي: قضي عليهم في أم الكتاب. وقال مقاتل: قدر الله أن يكون الماآن سواء فكانا على ماقدر .

﴿**وحملناه**﴾، يعني: نوحاً، ﴿**على ذاتِ ألواحٍ وَدُسُر**﴾، أي سفينة ذات ألواح، ذكر النعت وترك الاسم، أراد بالألواح خشب السفينة العريضة، ﴿**ودُسُر**﴾، أي: المسامير التى تشد بها الألواح، واحدها دِسَارٌ ودسيرٌ، يقال: دسرت السفينة إذا شددتها بالمسامير. وقال الحسن: الدُّسر صدر السفينة سميت بذلك لأنها تدسر الماء بجُؤجـؤها، أي تدفع. وقال مجاهد: هي عوارض السفينة. وقيل: أضلاعها وقال الضحاك: الألواح جانباها، والدسر أصلها وطرفاها .

﴿تَجْرِي بِأَعْيُنِنَا جَزَاءً لِمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤ وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٥ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝١٦ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾

﴿تجري بأعيننا﴾، أي: بمرأى منّا. وقال مقاتل بن حيان: بحفظنا، ومنه قولهم للمودَّع: عين الله عليك. وقال سفيان: بأمرنا. ﴿جزاءً لمن كان كُفِرَ﴾، [قال مقاتل بن حيان][1] يعني: فعلنا به وبهم من إنجاء نوح وإغراق قومه ثواباً لمن كان كفر به وجحد أمره، وهو نوح عليه السلام، وقيل: «مَنْ» بمعنى ما، أي: جزاء لما كان كفر من أيادي الله ونعمه عند الذين أغرقهم، أو جزاء لِمَا [صنع][2] بنوح وأصحابه. وقرأ مجاهد: «جزاء لمن كان كَفَر» بفتح الكاف والفاء، يعني كان الغرق جزاء / لمن كان كفر بالله وكذب رسوله. ١٤٦/أ

﴿ولقد تركناها﴾، يعني: [الفعلة التي][3] فعلنا، ﴿آية﴾، يُعتَبَر بها. وقيل: أراد السفينة. قال قتادة أبقاها الله [بباقر دي][4] من أرض الجزيرة. عبرةً وآية حتى نظرت إليها أوائل هذه الأمة،﴿فهل من مدَّكِر﴾، أي: متذكر متعظ معتبر خائف مثل عقوبتهم.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا أبو نعيم، حدثنا زهير عن أبي إسحاق أنه سمع رجلًا سأل الأسود عن قوله: «فهل من مُدّكر» أو مذكر؟ قال: سمعت عبد الله يقرؤها «فهل من مُدّكر»، وقال: سمعت النبي ﷺ يقرؤها: «فهل من مُدّكر» دَالاً[5].

﴿فكيف كان عذابي وَنُذُرِ﴾، أي: إنذاري. قال الفرَّاء: الإنذار والنذر مصدران، تقول العرب: أنذرت إنذاراً ونذراً، كقولهم أنفقت إنفاقاً ونفقة، وأيقنت إيقاناً ويقيناً، أُقيم الاسم مقام المصدر.

﴿ولقد يسَّرنا﴾، سهلنا، ﴿القرآن للذكر﴾، ليتذكر ويعتبر به، وقال سعيد بن جبير: يسرناه للحفظ والقراءة، وليس شيء من كتب الله يقرأ كله ظاهراً إلا القرآن «فهل من مُدّكر»، متعظ بمواعظه.

(١) مابين القوسين ساقط من «أ».
(٢) في «ب» منع الإيمان.
(٣) في «ب» الفعل الذي
(٤) في حاشية المخطوطة: (بالجودي).
(٥) أخرجه البخاري في التفسير–تفسير سورة القمر–، باب: (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر): ٨/٦١٧.

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمِ نَحْسٍ
مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٢١﴾
وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوا أَبَشَرًا مِّنَّا
وَاحِدًا نَّتَّبِعُهُ إِنَّا إِذًا لَّفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَأُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِن بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ

﴿**كذبتْ عادٌ فكيف كان عذابي ونُذُر * إنا أرسلنا عليهم ريحاً صَرْصراً**﴾، شديدة الهبوب، ﴿**في يومِ نَحْسٍ مستَمِرّ**﴾، شديد دائم الشؤم، استمر عليهم بنحو سنة فلم يُبْقِ منهم أحداً إلا أهلكه. قيل: كان ذلك يوم الأربعاء في آخر الشهر.

﴿**تنزِعُ الناسَ**﴾، تقلعهم ثم ترمي بهم على رؤوسهم فتدق رقابهم. وروي أنها كانت تنزع الناس من قبورهم، ﴿**كأنهم أعجاز نخل**﴾، قال ابن عباس: أصولها، وقال الضحاك: أوراك نخل. ﴿**مُنْقَعِرٍ**﴾، [منقطع][1] من مكانه، ساقط على الأرض. وواحد الأعجاز عَجُز، مثل عضد وأعضاد وإنما قال: «أعجاز نخل» وهي أصولها التي قطعت فروعها، لأن الريح كانت تبين رؤوسهم من أجسادهم، فتبقى أجسادهم بلا رؤوس.

﴿**فكيف كان عذابي ونُذُرِ * ولقد يسرنا القرآنَ للذكر فهل من مُدّكر * كذبتْ ثمودُ بالنُّذُر**﴾، بالإنذار الذي جاءهم به صالح.

﴿**فقالوا أبشراً**﴾، آدمياً، ﴿**منّا واحداً نَتَّبِعُه**﴾، ونحن جماعة كثيرة وهو واحد، ﴿**إنا إذاً لفي ضلال**﴾، خطأ وذهابٍ عن الصواب، ﴿**وسُعُر**﴾، قال ابن عباس: عذاب. وقال الحسن: شدة عذاب. وقال قتادة: عناء، يقولون: إنا إذاً لفي عناء وعذاب مما يلزمنا من طاعته. قال سفيان بن عيينة: هو جمع سعير. وقال الفراء: جنون، يقال ناقة مسعورة إذا كانت خفيفة الرأس هائمة على وجهها. وقال وهب: وسُعُر: أي: بعد عن الحق.

﴿**أألقيَ الذكرُ عليه**﴾، أأنزل الذكر الوحي، ﴿**من بيننا بل هو كذّابٌ أشِرٌ**﴾، بطر متكبر يريد أن يتعظم علينا بادعائه النبوة، «والأَشَر»: المرح والتجبُّر.

﴿**سيعلمون**﴾، قرأ ابن عامر وحمزة: «ستعلمون»، بالتاء على معنى قال صالح لهم، وقرأ

---

(١) في «ب»: منقلع.

﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾

الآخرون بالياء، يقول الله تعالى: ﴿**سيعلمون غداً**﴾، حين ينزل بهم العذاب. وقال الكلبي: يعني يوم القيامة. وذكر «الغد» للتقريب على عادة الناس، يقولون: إن مع اليوم غداً، ﴿**مَنِ الكذاب الأشِرُ**﴾ .

﴿**إنا مُرْسلُوا الناقةِ**﴾، أي: باعثوها ومخرجوها من الهضبة التي سألوا، وذلك أنهم تعنتوا على صالح، فسألوه أن يخرج لهم من صخرةٍ ناقةً حمراء عُشَراء، فقال الله تعالى: ﴿**إنّا مُرسلُوا الناقة فتنةً لهم**﴾، محنةً واختباراً لهم، ﴿**فارتقبهم**﴾، فانتظر ما هم صانعون، ﴿**واصطبِرْ**﴾، واصبر على ارتقابهم، وقيل: على ما يصيبك من الأذى .

﴿**ونبّئهُمْ أن الماء قسمةٌ بينهم**﴾، وبين الناقة، يوم لها ويوم لهم، وإنما قال بينهم لأن العرب إذا أخبرت عن بني آدم وعن البهائم غلّبت بني آدم على البهائم، ﴿**كلُّ شِرْبٍ**﴾، نصيب من الماء، ﴿**مُحتضَرٌ**﴾، يحضره من كانت نوبته، فإذا كان يوم الناقة حضرت شربها، وإذا كان يومهم حضروا شربهم، واحتضر بمعنى واحد، قال مجاهد: يعني يحضرون الماء إذا غابت الناقة، فإذا جاءت الناقة حضروا اللبن .

﴿**فنادَوا صاحِبَهُمْ**﴾، وهو قدار بن سالف، ﴿**فتعاطَى**﴾، فتناول الناقة بسيفه ﴿**فعقَرَ**﴾، أي: فعقرها .

﴿**فكيف كان عذابي ونُذُرِ**﴾، ثم بين عذابهم فقال:

﴿**إنّا أرسلنا عليهم صيحةً واحدةً**﴾، قال عطاء: يريد صيحة جبريل عليه السلام، ﴿**فكانوا كهشيم المُحتَظِرِ**﴾، قال ابن عباس: هو الرجل يجعل لغنمه حظيرة من الشجر والشوك دون السباع، فما سقط من ذلك فداسته الغنم فهو الهشيم[1] .

---

(١) انظر القرطبي: ١٤٢/١٧ .

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا
عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِى مَن شَكَرَ
﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا۟ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ

وقال ابن زيد: هو الشجر البالي الذي تهشم حتى ذرّته الريح[(١)]. والمعنى: أنهم صاروا كيبس الشجر إذا تحطم، والعرب تسمي كل شيء كان رطباً فيبس: هشيماً.

وقال قتادة: كالعظام النخرة المحترقة[(٢)]. وقال سعيد بن جبير: هو التراب الذي يتناثر من الحائط[(٣)].

﴿**ولقد يسّرنا القرآنَ للذِّكْر فهل من مُدَّكِر * كذّبت قوم لوط بالنُّذُر * إنا أرسلنا عليهم حاصِباً**﴾، ريحاً ترميهم بالحصباء، وهي الحصى، وقال الضحاك: يعني صغار الحصى. وقيل: «الحصباء» هي الحجر الذي دون ملء الكف، وقد يكون الحاصب الرامي، فيكون المعنى على هذا: أرسلنا عليهم عذاباً يحصبهم، أي: يرميهم بالحجارة، ثم استثنى فقال: ﴿**إلّا آل لوطٍ**﴾، يعني لوطاً وابنتيه، ﴿**نجيناهم**﴾، من العذاب، ﴿**بسَحَر**﴾.

﴿**نعمةً من عندِنا**﴾، أي: جعلناه نعمة منا عليهم حيث أنجيناهم، ﴿**كذلك**﴾، كما أنعمنا على آل لوط، ﴿**نَجْزي من شَكَرَ**﴾، قال مقاتل: من وحَّد الله لم يعذبه مع المشركين.

﴿ **ولقد أنذرهم**﴾، لوط، ﴿**بَطْشَتَنا**﴾، أخذنا إياهم بالعقوبة، ﴿**فتمارَوا بالنُّذر**﴾، شكوا بالإنذار وكذبوا ولم يصدقوا.

﴿**ولقد رَاوَدُوه عن ضيفه**﴾، طلبوا أن يسلم إليهم أضيافه ﴿**فطمسنا أعينَهم**﴾، وذلك أنهم لما قصدُوا دَارَ لوطٍ وعالجوا الباب ليدخلوا، قالت الرسل [للوط][(٤)]: خلِّ بينهم وبين الدخول فإنا رسل ربك لن يصلوا إليك، فدخلوا الدار / فصفقهم جبريل بجناحه بإذن الله فتركهم عمياً يترددون ١٤/ب
متحيرين لا يهتدون إلى الباب، فأخرجهم لوط عمياً لا يبصرون. قوله: «فطمسنا أعينهم» أي: صيّرناها

---

(١) انظر: ابن كثير: ٤/٢٦٦.
(٢) انظر: الطبري: ٢٧/١٠٣، البحر المحيط: ٨/١٨١.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٧/١٠٣، وقال ابن كثير: ٤/٢٦٦ «هذا قول غريب» وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٦٨٠ لعبد ابن حميد.
(٤) ساقط من «ب».

أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا
عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ
النُّذُرُ ﴿٤١﴾ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾ أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ
أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ ﴿٤٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ

كسائر الوجه لا يُرى لها شق، هذا قول أكثر المفسرين. وقال الضحاك: طمس الله أبصارهم فلم يروا الرسل، فقالوا: قد رأيناهم حين دخلوا البيت فأين ذهبوا، فلم يروهم فرجعوا. ﴿**فذوقوا عذابي ونُذُرِ**﴾، أي: [ما أنذركم][1] به لوط من العذاب .

﴿**ولقد صبّحهم بُكْرةً**﴾، جاءهم وقت الصبح، ﴿**عذاب مستقرٌّ**﴾، دائم استقر فيهم حتى أفضى بهم إلى عذاب الآخرة، وقيل: عذاب حق .

﴿**فذوقوا عذابي ونُذرِ * ولقد يسّرنا القرآن للذكر فهل من مُدّكر * ولقد جاء آل فرعون النُّذُر**﴾، يعني: موسى وهارون عليهما السلام، وقيل: هي الآيات التي أنذرهم بها موسى .

﴿**كذَّبوا بآياتنا كلها**﴾، وهي الآيات التسع، ﴿**فأخذناهم**﴾، بالعذاب، ﴿**أخذَ عزيزٍ**﴾، غالب في انتقامه، ﴿**مقتدر**﴾، قادر على إهلاكهم، لا يعجزه ما أراد، ثم خوّف أهل مكة فقال:

﴿**أكفارُكم خيرٌ من أولئِكُم**﴾، أشدّ وأقوى من الذين أحللت بهم نقمتي من قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط وآل فرعون؟ وهذا استفهام بمعنى الإنكار أي: ليسوا بأقوى منهم، ﴿**أم لكم براءة**﴾، من العذاب، ﴿**في الزُّبُرِ**﴾، في الكتب، أنه لن يصيبكم ما أصاب الأمم الخالية .

﴿**أم يقولون**﴾، يعني: كفار مكة، ﴿**نحن جميع منتصِرٌ**﴾، قال الكلبي: نحن جميع أمرنا[منتصر][2] من أعدائنا، المعنى: نحن يَدٌ واحدة على من خالفنا، منتصر ممن عادانا، ولم يقل منتصرون لموافقة رؤوس الآي .

قال الله تعالى﴿ **سيُهزمُ الجمعُ**﴾، قرأ يعقوب: «سنهزم» بالنون، «**الجمعَ**» نصبٌ، وقرأ الآخرون بالياء وضمها، «**الجمعُ**» رفعٌ على غير تسمية الفاعل، يعني: كفار مكة، ﴿**ويُوَلُّون الدُّبُرَ**﴾،

(١) في «ب» ما أنذرهم .
(٢) في «أ» مستقر .

﴿ٱلدُّبُرَ ٤٥ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَٱلسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ٤٦ إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ
وَسُعُرٍ ٤٧ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ٤٨﴾

يعني: الأدبار فوحّد لأجل رؤوس الآي، كما يقال: ضربنا منهم الرؤوس وضربنا منهم الرأس إذا كان الواحد يؤدي معنى الجمع، أخبر الله أنهم يولون أدبارهم منهزمين فصدق الله وعده وهزمهم يوم بدر.

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، حدثنا عبد الوهاب، حدثنا خالد عن عكرمة عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ وهو في قبته يوم بدر: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إنْ شئتَ لم تُعبدْ بَعْدَ اليوم»، فأخذ أبو بكر بيده، فقال: حسبك يا رسول الله، فقد ألححت على ربك – وهو في الدرع – فخرج وهو يقول: «سيُهزم الجمعُ ويولون الدُّبُرَ»[1].

﴿بل الساعةُ موعدُهم، والساعةُ أدهىٰ وأمرُّ﴾، قال سعيد بن المسيَّب: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما نزلت: «سيهزم الجمع ويولون الدبر» كنت لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يثب في درعه ويقول: «سيهزم الجمع ويولون الدبر * بل الساعة موعدهم» جميعاً «والساعة أدهى وأمر»[2]، أعظم داهية وأشدُّ مرارةً من الأسر والقتل يوم بدر.

﴿إن المجرمين﴾، المشركين، ﴿في ضلال وسُعُر﴾، قيل: «في ضلال» بُعْد عن الحق. قال الضحاك: «وسُعُر» أي: نار تسعر عليهم: وقيل: «ضلال» ذهاب عن طريق الجنة في الآخرة، «وسُعُر»: نارٌ مسعّرة، قال الحسين بن الفضل: إن المجرمين في ضلال في الدنيا ونار في الآخرة. وقال قتادة: في عناء وعذاب[3].

ثم بَيَّن عذابهم فقال: ﴿يوم يُسحبون﴾، يُجرُّون، ﴿في النار على وجوههم﴾، ويقال لهم: ﴿ذُوقُوا مسَّ سَقَرَ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في الجهاد، باب ما قيل في درع النبي صلى الله عليه وسلم، والقميص في الحرب: ٩٩/٦، وفي المغازي، وفي التفسير، والمصنف في شرح السنة: ٤٠٠/١٠.

(٢) أخرجه عبد الرزاق: ٢٥٩/٢، والطبري: ١٠٨/٢٧، والإمام أحمد: ٣٢٩/١.
ورواه إسحاق بن راهويه عن قتادة، وفيه انقطاع، انظر المطالب العالية: ٣٨١/٣. قال الحافظ في الفتح: ٢٨٩/٧-٢٩٠: «أخرجه الطبري وابن مردويه عن عكرمة عن ابن عباس: لما نزلت....قال عمر:....، وأخرجه ابن مردويه أيضاً عن أبي هريرة..».

(٣) انظر الطبري: ١٠٩/٢٧.

﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾﴾

﴿إنا كلَّ شيءٍ خلقناه بقدر﴾، أي: ما خلقناه فمقدور ومكتوب في اللوح المحفوظ، قال الحسن: قدر الله لكل شيء من خلقه قدره الذي ينبغي له .

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي، أخبرنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، أخبرنا أبو [معشر][1] يعقوب بن عبد الجليل بن يعقوب، حدثنا أبو يزيد حاتم بن محبوب، أخبرنا أحمد بن نصر النيسابوري، أخبرنا عبد الله بن الوليد العدني، أخبرنا الثوري عن زياد بن إسماعيل السهمي عن محمد ابن عباد المخزومي عن أبي هريرة قال: جاءت مشركو قريش إلى النبي ﷺ يخاصمونه في القدر فنزلت هذه الآية: «إن المجرمين في ضلال وسُعُر» إلى قوله: «إنا كل شيء خلقناه بقدر»[2] .

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي الخدشاهي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم أبو بكر الجوربذري، أخبرنا يونس بن عبد الأعلى الصدفي، أخبرنا عبد الله بن وهب، أخبرني أبو هانيء الخولاني عن أبي عبد الرحمن [الحُبُلِّي][3] عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة، قال: وكان عرشه على الماء»[4] .

أخبرنا أبو الحسن السرخسي، أخبرنا زاهر بن أحمد، أخبرنا أبو إسحاق الهاشمي، أخبرنا أبو مصعب عن مالك عن زياد بن سعد عن عمرو بن مسلم عن طاووس اليماني قال: أدركت ناساً من أصحاب رسول الله ﷺ يقولون: «كل شيء بقدر الله»، قال وسمعت عبد الله بن [عمر][5] رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «كل شيء بقَدَرٍ حتى العَجْز والكيس، أو الكيسِ والعجزِ»[6] .

أخبرنا أحمد بن عبد الله الصالحي، أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن الحيري، أخبرنا أبو جعفر

---

(١) في «أ» مشعروالصحيح ما أثبتناه من«ب» .

(٢) أخرجه مسلم في القدر، باب كل شيء بقدر، برقم: (٢٦٥٦) : ٢٠٤٦/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٥٠/١ .

(٣) في «أ»الجبلي، وهو تصحيف .

(٤) أخرجه مسلم في القدر، باب حجاج آدم وموسى عليهما السلام، برقم: (٢٦٥٣): ٢٠٤٤/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٢٣/١ .

(٥) في«ب» عمرو، والصحيح ما أثبتناه .

(٦) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب القدر، باب النهي عن القول بالقدر: ٨٩٩/٢، ومسلم في القدر ، باب كل شيء بقدر، برقم: (٢٦٥٥): ٢٠٤٥/٤، والمصنف في شرح السنة: ١٣٤/١ .

﴿وَمَآ أَمۡرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٞ كَلَمۡحِۭ بِٱلۡبَصَرِ ٥٠ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَآ أَشۡيَاعَكُمۡ فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ ٥١ وَكُلُّ شَيۡءٖ فَعَلُوهُ فِي ٱلزُّبُرِ ٥٢ وَكُلُّ صَغِيرٖ وَكَبِيرٖ مُّسۡتَطَرٌ﴾

محمد بن علي بن دحيم الشيباني، أخبرنا أحمد بن حازم بن أبي غرزة أخبرنا يعلى بن عبيد، [وعبيد الله][1] بن موسى وأبو نعيم عن سفيان عن منصور عن ربعي بن حراش عن رجل عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يؤمن عبدٌ حتى يؤمن بأربع: يشهد أن
١٤٧/أ لا إله إلا الله وأني رسول الله بعثني بالحق، ويؤمن بالبعث / بعد الموت، ويؤمن بالقدر - زاد [عبيد الله][1] خيره وشره[2]» .

ورواه أبو داود عن شعبة عن منصور وقال: عن ربعي عن علي ولم يقل: عن رجل، وهذا أصح[3] .

﴿وما أمْرُنا إلّا واحدةٌ كلمحٍ بالبصر﴾، قوله: ﴿واحدةٌ﴾، يرجع إلى المعنى دون اللفظ، أي: وما أمرنا إلا مرة واحدة .

وقيل: معناه: وما أمرنا للشيء إذا أردنا تكوينه إلّا كلمة واحدة: كن فيكون، لا مراجعة فيها كلمح بالبصر. قال عطاء عن ابن عباس: يريد أن قضائي في خلقي أسرع من لمح البصر وقال الكلبي عنه: وما أمرنا لمجيء الساعة في السرعة إلا كطرف البصر .

﴿ولقد أهلكنا أشياعكم﴾، أشباهكم ونظراءكم في الكفر من الأمم السالفة .

﴿فهل من مُدّكر﴾، متعظ يعلم أن ذلك حق فيخاف ويعتبر .

﴿وكلُّ شيءٍ فعلوه﴾، يعني فعله الأشياع من خير وشر، ﴿في الزُّبُر﴾، في كتاب الحفظة، وقيل: في اللوح المحفوظ .

﴿وكلُّ صغيرٍ وكبيرٍ﴾، من الخلق وأعمالهم وآجالهم، ﴿مُستطَرٌ﴾، مكتوب، يقال: سطرت

---

(١) في «أ» عبد الله والصحيح ما أثبتناه .

(٢) أخرجه الترمذي في القدر، باب ماجاء أن الإيمان بالقدر خيره وشره: ٣٥٨/٦، وابن حبان في موارد الظمآن برقم: (٢٣) ص٣٧، والإمام أحمد: ٢٣٣/١، والمصنف في شرح السنة: ١٢٢/١ .

(٣) أخرجه الترمذي في القدر، باب أن ما جاء في الإيمان بالقدر خيره وشره: ٣٥٧/٦، وابن ماجه في المقدمة، باب في القدر، برقم (٨١): ٣٢/١، وابن أبي عاصم: ٥٩/١، واللالكائي في أصول اعتقاد أهل السنة: ٦٢٠/٣، وصححه الحاكم: ٣٢/١ ووافقه الذهبي، والإمام أحمد: ٩٧/١ .
وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته برقم: (٧٥٨٤) .

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٣﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٤﴾﴿٥٥﴾

واستطرت وكتبت واكتتبت .

﴿إن المتقين في جناتٍ﴾، بساتين، ﴿ونَهَر﴾، أي أنهار، ووحّده لأجل رؤوس الآي، وأراد أنهار الجنة من الماء والخمر واللبن والعسل. وقال الضحاك: يعني في ضياء وسعة ومنه النهار. وقرأ الأعرج «ونُهُر»، بضمتين جمع نهار يعني: نهاراً لا ليل لهم .

﴿في مقعدِ صدقٍ﴾، في مجلس حق لا لغو فيه ولا تأثيم، ﴿عندَ مليكٍ مقتدر﴾، ملك قادر لا يعجزه شيء. قال [جعفر][1] الصادق: مدح الله المكان بالصدق فلا يُقْعِد فيه إلا أهلَ الصدق .

(١) ساقط من «ب» .

سُورَةُ الرَّحْمَٰن

سورة الرحمن

مكية[1]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿الرَّحْمَٰنُ ۝١ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ۝٢ خَلَقَ الْإِنسَانَ ۝٣ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ۝٤﴾

﴿الرحمن﴾، قيل: نزلت حين قالوا: وماالرحمن[2]؟ وقيل: هو جواب لأهل مكة حين قالوا: إنّما يعلّمه بشر.

﴿علّم القرآن﴾، قال الكلبي: علم القرآن محمداً. وقيل: علم القرآن يسره للذكر.

﴿خلق الإنسان﴾، يعني: آدم عليه السلام، قاله ابن عباس وقتادة **﴿علّمه البيان﴾**، أسماء كل شيء، وقيل: علمه اللغات كلها، وكان آدم يتكلم بسبعمائة [ألف][3] لغة أفضلها العربية.

وقال الآخرون: «الإنسان» اسم جنس، وأراد به جميع الناس، «علمه البيان» النطق والكتابة والفهم والإفهام، حتى عرف ما يقول وما يقال له. هذا قول أبي العالية وابن زيد والحسن.

وقال السدي: علم كل قوم لسانهم الذي يتكلمون به.

وقال ابن كيسان: «خلق الإنسان» يعني: محمداً ﷺ «علمه البيان» يعني: بيان ما كان وما يكون لأنه كان يبين [عن][4] الأولين والآخرين وعن يوم الدين.

---

(١) أخرج النحاس عن ابن عباس-رضى الله عنهما-نزلت سورة الرحمن بمكة، وأخرج ابن مردويه عن عبد الله بن الزبير-رضى الله عنه قال: أنزل بمكة سورة الرحمن، وأخرج ابن مردويه عن عائشة-رضي الله عنهما- قالت: نزلت سورة الرحمن بمكة. انظر: الدر المنثور: ٦٨٩/٧، القرطبي: ١٥١/١٧.

(٢) انظر البحر المحيط: ١٨٧/٨-١٨٨.

(٣) **ساقط من «أ»**.

(٤) زيادة من «ب».

﴿ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ۝٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ۝٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ۝٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ۝٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ۝٩ وَٱلۡأَرۡضَ وَضَعَهَا لِلۡأَنَامِ ۝١٠ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَٱلنَّخۡلُ ذَاتُ ٱلۡأَكۡمَامِ ۝١١﴾

﴿الشمسُ والقمر بحُسْبان﴾، قال مجاهد: كحسبان الرحى. وقال غيره: أي يجريان بحساب ومنازل لا يعدوانها، قاله ابن عباس وقتادة. وقال ابن زيد وابن كيسان: يعني بهما تحسب الأوقات والآجال لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يدر أحد كيف يحسب شيئاً. وقال الضحاك: يجريان بقدر، والحسبان يكون مصدر حسبت حساباً وحسباناً، مثل الغفران والكفران، والرجحان والنقصان، وقد يكون جمع الحساب كالشهبان والركبان .

﴿والنجمُ والشجرُ يسجدانِ﴾، النجم ما ليس له ساق من النبات، والشجر ما له ساق يبقى في الشتاء، وسجودهما سجود ظلهما كما قال: «يتفيؤ ظلاله عن اليمين والشمائل سُجَّداً لله» (النحل – ٤٨) قال مجاهد: النجم هو الكوكب وسجوده طلوعه .

﴿والسماءَ رفعها﴾، فوق الأرض، ﴿وَوَضع الميزان﴾، قال مجاهد: أراد بالميزان العدل. المعنى: أنه أمر بالعدل، يدل عليه قوله تعالى: ﴿ألّا تطغَوْا في الميزان﴾، أي: لا تجاوزوا العدل. وقال الحسن وقتادة والضحاك: أراد به الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف، وأصل الوزن التقدير «ألا تطغوا» يعني لئلا تميلوا وتظلموا وتجاوزوا الحق في الميزان .

﴿وأقيموا الوزنَ بالقسط﴾، بالعدل، قال أبو الدرداء وعطاء: معناه أقيموا لسان الميزان بالعدل. قال ابن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب، ﴿ولا تُخسِروا﴾، ولا تنقصوا ﴿الميزان﴾، ولا تطففوا في الكيل والوزن .

﴿والأرضَ وضعَها للأنام﴾، للخلق الذين بثهم فيها .

﴿فيها فاكهةٌ﴾، يعني: أنواع الفواكه، قال ابن كيسان: يعني: ما يتفكهون به من النعم التي لا تحصى، ﴿والنخلُ ذاتُ الأكمام﴾، الأوعية التي يكون فيه الثمر لأن ثمر النخل يكون في غلافٍ ما لم ينشق، واحدها كِمٌّ، وكل ما ستر شيئا فهو كم وكمة، ومنه كُمُّ القميص، ويقال للقلنسوة كُمّةٌ، قال الضحاك «ذات الأكمام» أي ذات الغُلُف. وقال الحسن: أكمامها: لفيفها.[وقال ابن زيد:

﴿وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ۝١٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝١٣﴾

هو الطلع قبل أن ينشق][1].

﴿والحبُّ ذو العَصْفِ﴾، أراد بالحب جميع الحبوب التي تحرث في الأرض قال مجاهد: هو ورق الزرع. قال ابن كيسان: «العصف» ورق كل شيء يخرج منه الحب، يبدو أولاً ورقاً وهو العصف ثم يكون سوقاً، ثم يحدث الله فيه أكماماً، ثم يحدث في الأكمام الحب. وقال ابن عباس في رواية الوالبي: هو التبن. وهو قول الضحاك وقتادة. وقال عطية عنه: هو ورق الزرع الأخضر إذا قطع رؤوسه وييبس، نظيره: «كعصفٍ مأكول» (الفيل - ٥).

﴿والرَّيحان﴾، هو الرزق في قول الأكثرين، قال ابن عباس: كل ريحان في القرآن فهو رزق. وقال الحسن وابن زيد هو ريحانكم الذي يشم، قال الضحاك: «العصف»: هو التبن. و«الريحان» ثمرته.

وقراءة العامة: «والحبُّ ذو العصفِ والريحانُ»، كلها مرفوعات بالرد على الفاكهة. وقرأ ابن عامر «والحبَّ ذا العصف والريحانَ» بنصب الباء والنون وذا بالألف على معنى: خلق الإنسان وخلق هذه الأشياء. وقرأ حمزة والكسائي «والريحانِ» بالجر عطفاً على العصف فذكر قوت الناس والأنعام، ثم خاطب / الجن والإنس فقال: ١٤٧/ب

﴿فبأيِّ آلاءِ ربِّكما تُكذِّبان﴾، أيها الثقلان، يريد من هذه الأشياء المذكورة. وكرّر هذه الآية في هذه السورة تقريراً للنّعمة وتأكيداً في التذكير بها على عادة العرب في الإبلاغ والإشباع، يعدّد على الخلق آلاءه، ويفصل بين كل نعمتين بما ينبههم عليها، كقول الرجل لمن أحسن إليه وتابع عليه بالأيادي وهو ينكرها ويكفرها: ألم تكن فقيراً فأغنيتك أفتنكر هذا؟ ألم تكن عرياناً فكسوتك أفتنكر هذا؟ ألم تك خاملاً؟ فعززتك أفتنكر هذا؟ ومثل هذا التكرار شائع في كلام العرب حسنٌ تقريراً.

وقيل: خاطب بلفظ التثنية على عادة العرب تخاطب الواحد بلفظ التثنية كقوله تعالى: «ألقِيَا في جهنم»(ق - ٢٤).

وروي عن محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة الرحمن حتى ختمها، ثم قال: «مالي أراكم سكوتاً لَلْجِنُّ [كانوا][2] أحسن منكم رداً، ما قرأت عليهم هذه

---

(١) ما بين القوسين ساقط من «أ».
(٢) ساقط من «أ».

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ١٤ وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ
مِّن نَّارٍ ١٥ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٦ رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ١٧
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ١٨ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ١٩ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ٢٠
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١﴾

الآية مرة«**فبأي آلاء ربكما تكذبان**»إلّا قالوا: ولا بشيء من نعمك ربنا **نكذّب**، فلك الحمد»[1].

﴿**خلق الإنسان من صَلْصَالٍ كالفخار**﴾.

﴿**وخلق الجانّ**﴾، وهو أبو الجن. وقال الضحاك: هو إبليس، ﴿**من مارج من نار**﴾، وهو الصافي من لهب النار الذي لا دخان فيه. قالَ مجاهد: وهو ما اختلط بعضه ببعض من اللهب الأحمر والأصفر والأخضر الذي يعلو النار إذا أوقدت، من قولهم: مرج أمر القوم، إذا اختلط.

﴿**فبأيّ آلاء ربكما تكذبان * ربُّ المشرقين**﴾، مشرق الصيف ومشرق الشتاء. ﴿**وربُّ المغربين**﴾، مغرب الصيف ومغرب الشتاء. ﴿**فبأيّ آلاء ربكما تكذّبان**﴾.

﴿**مَرَجَ البحرين**﴾، العذب والمالح أرسلهما وخلّاهما ﴿**يلتقيان**﴾.

﴿**بينهما برزخ**﴾، حاجز من قدرة الله تعالى، ﴿**لا يبغيان**﴾، **لا يختلطان ولا يتغيران ولا يبغي** أحدهما على صاحبه. وقال قتادة: لا يطغيان على الناس بالغرق. وقال الحسن «مرجَ البحرين» بحر الروم وبحر الهند، وأنتم الحاجز بينهما. وعن قتادة أيضاً: بحر فارس وبحر الروم بينهما برزخ يعني الجزائر. قال مجاهد والضحاك: بحر السماء وبحر الأرض يلتقيان كل عام. ﴿**فبأيّ آلاء ربّكما**

---

(١) أخرجه الترمذي في التفسير–تفسير سورة الرحمن–: ٩/١٧٧ بلفظ: (خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه فقرأ عليهم ....) وقال: « هذا حديث غريب، لا نعرفه إلا من حديث الوليد بن مسلم عن زهير، قال أحمد بن حنبل: كأن زهير بن محمد الذي وقع بالشام ليس هو الذي يُروى عنه بالعراق، كأنه رجل آخر قلبوا اسمه، يعني لما يروون عنه من المناكير، وسمعت محمد بن إسماعيل يقول: أهل الشام يروون عن زهير بن محمد مناكير وأهل العراق يروون عنه أحاديث مقلوبة» .
وذكره الذهبي في الميزان في ترجمة زهير: ٢/٨٤ وقال: تفرد به هشام بن عمار عن الوليد .
وأخرجه الحاكم: ٢/٤٧٣ وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه .
قال المباركفوري: «حديث جابر هذا رواه الوليد بن مسلم عن زهير بن محمد وهو من أهل الشام، ففي الحديث ضعف، ولكن له شاهد من حديث ابن عمر أخرجه ابن جرير والبزار والدارقطني في الأفراد وغيرهم، وصحح السيوطي إسناده كما في فتح البيان» انظر: تحفة الأحوذي: ٩/١٧٩، مجمع الزوائد: ٧/١١٧ .

﴿يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٣ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ
ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ٢٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٥ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ٢٦
وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ٢٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢٨﴾

تكذبان﴾ .

﴿يَخْرُجُ منهما﴾، قرأ أهل المدينة والبصرة:«يُخْرَج» بضم الياء وفتح الراء، وقرأ الآخرون بفتح الياء وضم الراء، ﴿اللؤلؤ والمَرْجانُ﴾،وإنما يخرج من المالح دون العذب، وهذا جائز في كلام العرب أن يذكر شيئان ثم يخص أحدهما بفعل، كما قال عزّ وجلّ: «يا معشر الجن والإنس ألم يأتكم رسل منكم» (الأنعام - ١٣٠) وكانت الرسل من الإنس دون الجن . وقال بعضهم يخرج من ماء السماء وماء البحر. قال ابن جريج: إذا أمطرت السماء فتحت الأصداف أفواهها فحيثما وقعت قطرة كانت لؤلؤة، واللؤلؤة: ما عظم من الدر، والمرجان: صغارها. وقال مقاتل ومجاهد على الضد من هذا. وقيل: «المرجان» الخرز الأحمر. وقال عطاء الخراساني: هو اليسر[1]. ﴿فبأيّ آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿وله الجوارِ﴾، السفن الكبار، ﴿المنشئاتُ﴾، قرأ حمزة وأبو بكر: «المنشِئات» بكسر الشين، أي: المنشئات للسير [يعني اللاتي ابتدأن وأنشأن السير][2]. وقرأ الآخرون بفتح الشين، أي المرفوعات، وهي التي رُفع خشبها بعضها على بعض. وقيل: هي ما رفع قلعه من السفن وأما مالم يرفع قلعه فليس من المنشئات. وقيل: المخلوقات المسخرات، ﴿في البحر كالأعلام﴾، كالجبال جمع عَلَم وهو الجبل الطويل، شبه السفن في البحر، بالجبال في البر ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿كل من عليها﴾، أي على الأرض من حيوان فإنه هالك ﴿فانٍ﴾ .

﴿ويبقى وجه ربِّك ذو الجلال﴾، ذو العظمة والكبرياء، ﴿والإكرام﴾، مكرم أنبيائه وأوليائه بلطفه مع جلاله وعظمته . ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿يسأله مَن في السموات والأرض﴾، من ملك وإنس وجن . وقال قتادة لا يستغني عنه أهل السماء والأرض. قال ابن عباس: فأهل السموات يسألونه المغفرة، وأهل الأرض يسألونه الرحمة [والرزق والتوبة والمغفرة][2]. وقال مقاتل: يسأله أهل الأرض الرزق

(١) في «أ» البسد .
(٢) ما بين القوسين زيادة من «ب» .

﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾

والمغفرة، وتسأله الملائكة أيضاً لهم الرزق والمغفرة.

﴿كلَّ يوم هو في شأن﴾، قال مقاتل: نزلت في اليهود حين قالوا إن الله لا يقضي يوم السبت شيئاً[(١)].

قال المفسرون: من شأنه أن يحيي ويميت، ويرزق، ويعزّ قوماً، ويذل قوماً، ويشفي مريضاً، ويفك عانياً ويفرج مكروباً، ويجيب داعياً، ويعطي سائلاً، ويغفر ذنباً إلى ما لا يحصى من أفعاله وأحداثه في خلقه ما يشاء.

أخبرنا أبو سعيد أحمد بن إبراهيم الشريحي، أخبرنا أحمد بن محمد بن إبراهيم الثعلبي، أخبرنا أبو بكر محمد بن أحمد بن عبدوس المزكي - إملاءً - أخبرنا أبو حامد أحمد بن محمد بن يحيى البزار، أخبرنا يحيى بن الربيع المكي، أخبرنا سفيان بن عيينة، أخبرنا أبو حمزة الثمالي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: إن ممّا خلق الله عزّ وجلّ لوحاً من درة بيضاء، دفتاه ياقوته حمراء قلمه نور وكتابهُ نور، ينظر الله عزّ وجلّ فيه كل يوم ثلاث مائة وستين نظرة، يخلق ويرزق ويحيي ويميت ويعزّ ويذّل ويفعل الله ما يشاء، فذلك قوله: «كلَّ يوم هو في شأن»[(٢)].

قال سفيان بن عيينة: الدهر كله عند الله يومان أحدهما مدة أيام الدنيا والآخرُ يوم القيامة، فالشأن الذي هو فيه في اليوم الذي هو مدة الدنيا: الإخبار بالأمر والنهي، والإحياء والإماتة، والإعطاء والمنع، وشأن يوم القيامة: الجزاء والحساب، والثواب والعقاب[(٣)].

وقيل: شأنه جلّ ذكره أنه يخرج في كل يوم وليلة ثلاثة عساكر، عسكراً من أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، وعسكراً من الأرحام إلى الدنيا، وعسكراً من الدنيا إلى القبور، ثم يرتحلون جميعاً إلى الله عز وجل.

---

(١) انظر البحر المحيط: ١٩٣/٨، زاد المسير: ١١٤/٨.

(٢) أخرجه عبد الرزاق: ٢٦٣/٢-٢٦٤، والطبري: ١٣٥/٢٧، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٦٩٩/٧ عزوه لابن المنذر والطبراني وأبي الشيخ في العظمة وابن مردويه وأبي نعيم في الحلية والبيهقي في الأسماء والصفات.
وأخرجه الحاكم: ٤٧٤/٢ وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي.
وانظر ابن كثير: ٢٧٤/٤.

(٣) انظر البحر المحيط: ١٩٣/٨، القرطبي: ١٦٦/١٧-١٦٧.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٠ سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ۝٣١ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٢ يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ﴾

قال الحسين بن الفضل: هو سَوْق المقادير إلى المواقيت[1]. وقال أبو سليمان الداراني في هذه الآية: كل يوم له إلى العبيد برّ جديد / . ١٤٨/أ

﴿فبأى آلاء ربكما تكذبان * سَنَفْرُغُ لكم﴾، قرأ حمزة والكسائي: سيفرغ بالياء لقوله: «يسأله من في السموات والأرض»، «ويبقى وجه ربك»، «وله الجوار»، فأتبع الخبر .

وقرأ الآخرون بالنون، وليس المراد منه الفراغ عن شغل، لأن الله تعالى لا يشغله شأن عن شأن، ولكنه وعيد من الله تعالى [للخلق][2] بالمحاسبة، كقول القائل لأتفرغنّ لك، وما به شغل، وهذا قول ابن عباس والضحاك، وإنما حسن هذا الفراغ لسبق ذكر الشأن .

وقال آخرون: معناه: سنقصدكم بعد الترك والإمهال ونأخذ في أمركم، كقول القائل للذي لا شغل له: قد فرغتَ لي .

وقال بعضهم: إن الله وعد أهل التقوى وأوعد أهل الفجور، ثم قال سنفرغ لكم مما وعدناكم وأخبرناكم، فنحاسبكم ونجازيكم وننجز لكم ما وعدناكم، فيتمّ ذلك ويفرغ منه، وإلى هذا ذهب الحسن ومقاتل .

﴿أيها الثقلان﴾، أي الجن والإنس، سميا ثقلين لأنهما ثقل على الأرض أحياء وأمواتاً، قال الله تعالى: «وأخرجتِ الأرضُ أثقالها»،(الزلزلة - ٢) وقال بعض أهل المعاني: كل شيء له قدر ووزن ينافس فيه فهو ثقل، قال النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي»[3] فجعلهما ثقلين إعظاماً لقدرهما .

وقال جعفر بن محمد الصادق: سمي الجن والإنس ثقلين لأنهما مثقلان بالذنوب ﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾.

﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفُذُوا﴾، أي تجوزوا وتخرجوا، ﴿من أقطار

---

(١) انظر زاد المسير: ٨/١١٤ .
(٢) في «أ» للمخلوق.
(٣) أخرجه الإمام أحمد: ٣/١٤، ١٧ .
راجع صحيح الجامع رقم:(٢٤٥٧) .

وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾
يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾

السمواتِ والأرض﴾، أي من جوانبهما وأطرافهما، **﴿فانفُذوا﴾**، معناه إن استطعتم أن تهربوا من الموت بالخروج من أقطار السموات والأرض: فاهربوا واخرجوا منها. [والمعنى][1]: حيثما كنتم أدرككم الموت، كما قال جلّ ذكره: «أينما تكونوا يدرككم الموت»،(النساء – ٧٨) وقيل: يقال لهم هذا يوم القيامة إن استطعتم أن تجوزوا أطراف السموات والأرض فتُعْجِزوا ربكم حتى لا يقدر عليكم فجوزوا، **﴿لا تَنْفُذُونَ إلا بسلطان﴾**، أي: بملك، وقيل: بحجة، والسلطان: القوة التي يتسلط بها على الأمر، فالملك والقدرة والحجة كلها سلطان، يريد حيثما توجهتم كنتم في ملكي وسلطاني. وروي عن ابن عباس قال: معناه: إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا ولن تعلموه إلا بسلطان أي ببينة من الله عزّ وجلّ[2]. وقيل قوله: «إلا بسلطان» أي إلا إلى سلطان كقوله: «وقد أحسن بي»(يوسف – ١٠٠) **أي إليّ** .

﴿فبأي آلاء ربكما تكذّبان﴾، وفي الخبر: يحاط على الخلق بالملائكة وبلسان من نار ثم ينادون: **﴿يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تنفذوا﴾**، الآية. فذلك قوله عز وجل:

﴿يُرْسَلُ عليكما شواظٌ من نار﴾، قرأ **ابن كثير**: شِواظ بكسر الشين والآخرون بضمها، وهما لغتان، مثل: صِوار من البقر وصُوار. وهو اللهيب الذي لا دخان فيه هذا قول أكثر المفسرين. وقال مجاهد: هو اللهب الأخضر المنقطع من النار، **﴿ونحاسٌ﴾**، قرأ ابن **كثير وأبو عمرو «ونحاسٍ»** بجر السين عطفاً على النار، وقرأ الباقون برفعها عطفاً على الشواظ .

قال سعيد بن جبير والكلبي: «النحاس»: الدخان وهو رواية عطاء عن ابن عباس .

ومعنى الرفع يرسل عليكما شواظ، ويرسل نحاس، **أي** يرسل هذا مرة وهذا **مروة**، **ويجوز** أن يرسلا معاً من غير أن يمتزج أحدهما بالآخر، ومن كسر بالعطف على النار يكون ضعيفاً لأنه لا يكون شواظ من نحاس، **فيجوز** أن يكون **تقديره: شواظ** من نار وشيء من نحاس، على أنه حكي أن الشواظ لا يكون إلا من النار والدخان جميعاً .

---

(١) **ساقط من «أ»** .
(٢) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٧ .
وذكره القرطبي: ١٧٠/١٧ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٦ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ
۝٣٧ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٣٨ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ۝٣٩﴾

قال مجاهد وقتادة: النحاس هو **الصُّفْر** المذاب يصب على رؤوسهم، وهو رواية العوفي عن ابن عباس. وقال عبد الله بن مسعود: **النحاس** هو المهل .

﴿فلا تنتصرانِ﴾، أي فلا تمتنعان من الله ولا يكون لكم ناصر منه **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** .

﴿فإذا انشقتِ﴾، [انفرجت][1]، **﴿السماءُ﴾**، فصارت أبواباً لنزول الملائكة **﴿فكانت وردة كالدهان﴾**، أي كلون الفرس الورد، وهو الأبيض الذي يضرب إلى الحمرة والصفرة، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، ويكون لها يومئذ لون آخر إلى الحمرة .

وقيل: إنها تتلون ألوانا يومئذ كلون الفرس الورد يكون في الربيع أصفر وفي أول الشتاء أحمر فإذا اشتد الشتاء كان أغبر فشبه السماء في تلونها عند انشقاقها بهذا الفرس في تلونه .

﴿كالدِّهان﴾، جمع دهن. شبه تلون السماء بتلون الورد من الخيل، وشبه الوردة في اختلاف ألوانها بالدهن واختلاف ألوانه، وهو قول الضحاك ومجاهد وقتادة والربيع .

وقال عطاء بن أبي رباح: «كالدهان» كعصير الزيت يتلون في الساعة ألواناً .

وقال مقاتل: كدهن الورد الصافي. وقال ابن جريج تصير السماء كالدهن الذائب وذلك حين يصيبها حرّ جهنم .

وقال الكلبي: كالدهان أي كالأديم الأحمر وجمعه أدهنة ودهن **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**.

﴿ فيومئذٍ لا يسئل عن ذنبه إنسٌ ولا جان ﴾، قال الحسن وقتادة: لا يُسْألون عن ذنوبهم لتعلم من جهتهم، لأن الله عزّ وجلّ علمها منهم، وكتبت الملائكة عليهم، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[2] .

---

(١) زيادة من«ب» .

(٢) انظر الطبري: ٢٧/١٤٢، القرطبي: ١٧/١٧٤ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾

وعنه أيضاً لا تسأل الملائكة المجرمين لأنهم يعرفونهم بسيماهم. دليله: ما بعده، وهذا قول مجاهد[1].

وعن ابن عباس في الجمع بين هذه الآية وبين قوله: «فوربِّك لنسئلنهم أجمعين»، (الحجر-٩٢)، قال: لا يسألهم هل عملتم كذا وكذا؟ لأنه أعلم بذلك منهم، ولكن يسألهم لم عملتم كذا وكذا؟

وعن عكرمة أنه قال: إنها مواطن، يسأل في بعضها ولا يسأل في بعضها.

وعن ابن عباس أيضاً: لا يسألون سؤال شفقة ورحمة وإنما يُسْألون سؤال تقريع وتوبيخ.

وقال أبو العالية: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم[2]. **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**.

﴿يُعرف المجرمون بسيماهم﴾، وهو سواد الوجوه وزرقة العيون، كما قال جل ذكره: «يوم تبيض وجوه وتسود وجوه»، (آل عمران - ١٠٦) **﴿فيؤخذ بالنواصي والأقدام﴾**، تجعل الأقدام مضمومة إلى النواصي من خلف ويُلقون في النار، **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾**.

ثم يقال لهم: **﴿هذه جهنم التي يُكذِّب بها المجرمون﴾**، المشركون / **﴿يطوفون بينها وبين حميم آنٍ﴾**، قد انتهى حرُّه. قال الزجّاج: أنَى يأنى فهو آن إذا انتهى في النضج، والمعنى: أنهم يسعون بين الجحيم والحميم فإذا استغاثوا من حرّ النار جعل عذابهم الحميم الآني الذي صار كالمهل، وهو قوله: «وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل»، (الكهف - ٢٩) وقال كعب الأحبار: «آن» وادٍ من أودية جهنم يجتمع فيه صديد أهل النار فينطلق بهم في الأغلال فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منه وقد أحدثَ الله تعالى لهم خلقاً جديداً فيلقون في النار[3]، وذلك قوله: «يطوفون بينها وبين حميم آن». ١٤٨/ب

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، وكل ما ذكر الله تعالى من قوله: «كل من عليها فان» إلى

(١) أخرجه الطبري: ١٤٣/٢٧، ابن كثير: ٢٧٦/٤.
وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٠٤/٧ لعبد بن حميد وابن جرير وآدم وابن المنذر والبيهقي في الشعب.

(٢) انظر البحر المحيط: ١٩٥/٨.

(٣) انظر: القرطبي: ١٧٥/١٧-١٧٦.

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾﴾

هاهنا مواعظ وزواجر وتخويف. وكل ذلك نعمة من الله تعالى، لأنها تزجر عن المعاصي، ولذلك ختم كل آية بقوله: ﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان**﴾، ثم ذكرَ ما أعده لمن اتقاه وخافه فقال:

﴿**ولمن خاف مقام ربه**﴾، أي: مقامه بين يدي ربه للحساب فترك المعصية والشهوة. وقيل: قيام ربه عليه، بيانه قوله: «أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت» (الرعد - ٣٣)، وقال إبراهيم ومجاهد: هو الذي يهم بالمعصية فيذكر الله فيدعها من مخافة الله[(١)]. ﴿**جنتان**﴾، قال مقاتل: جنة عدن وجنة نعيم[(٢)]. قال محمد بن علي الترمذي: جنة لخوفه ربه وجنة لتركه شهوته[(٣)].

قال الضحاك: هذا لمن راقب الله في السر والعلانية بعلمه ما عرض له من محرم تركه من خشية الله، وما عمل من خير أفضى به إلى الله، لا يحب أن يطلع عليه أحد.

وقال قتادة: إن المؤمنين خافوا ذلك المقام فعملوا لله ودأبوا بالليل والنهار[(٤)].

أخبرنا أبو الحسن علي بن الحسين القرشي، أخبرنا أبو مسلم غالب بن علي الرازي، حدثنا أبو بكر محمد بن إبراهيم بن يونس، أخبرنا أبو جعفر محمد بن موسى بن عيسى الحلواني، وأخبرنا محمد بن حميد الهمداني، أخبرنا هاشم بن القاسم عن أبي عقيل هو الثقفي عن يزيد بن سنان سمعت [بكير][(٥)] بن فيروز قال سمعت أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «من خاف أدلج، ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة»[(٦)].

أخبرنا أبو عبد الله محمد بن الفضل الخرقي، أخبرنا أبو الحسن علي بن عبد الله الطيسفوني،

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧/١٤٦.
وانظر: الدر المنثور: ٧/٧٠٦، القرطبي: ١٧/١٧٦.
(٢) انظر: البحر المحيط: ٨/١٩٦.
(٣) انظر: القرطبي: ١٧/١٧٦.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٧/١٤٧، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٧٠٦ عزوه لعبد بن حميد.
(٥) في «أ» بكر، والصحيح ما أثبتناه من «ب».
(٦) أخرجه الترمذي في صفة القيامة، باب من خاف أدلج: ٧/١٤٦-١٤٧ قال أبو عيسى: «هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث أبي النضر».
وصححه الحاكم: ٤/٣٠٧-٣٠٨ ووافقه الذهبي. وله شاهد عند الحاكم من حديث أبي بن كعب، والمصنف في شرح السنة: ١٤/٣٧١.
و انظر: الجامع الصغير وزيادته برقم: (٦٢٢٢).

﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيۡنَانِ تَجۡرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٖ زَوۡجَانِ ﴿٥٢﴾﴾

أخبرنا عبد الله بن عمر الجوهري، أخبرنا أحمد بن علي الكشميهني، أخبرنا علي بن حجر، أخبرنا إسماعيل بن جعفر عن محمد بن أبي حرملة مولى حويطب بن عبد العزي، عن عطاء بن يسار، عن أبي الدرداء أنه سمع رسول الله ﷺ يقص على المنبر وهو يقول: «ولمن خاف مقام ربه جنتان»، قلت: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ «ولمن خاف مقام ربه جنتان»: فقلت الثانية: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ فقال رسول الله ﷺ: الثالثة «ولمن خاف مقام ربه جنتان»-فقلت الثالثة: وإن زنى وإن سرق يا رسول الله؟ قال: «وإن زنى وإن سرق على رغم أنف أبي الدرداء»(١) .

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾، ثم وصف الجنتين فقال:

﴿ذَوَاتَا أَفْنَانٍ﴾، أغصان، واحدها فَنَن، وهو الغصن المستقيم طولاً. وهذا قول مجاهد وعكرمة والكلبي. وقال عكرمة: ظل الأغصان على الحيطان. قال الحسن: ذواتا ظلال. قال ابن عباس: ألوان. قال سعيد بن جبير والضحاك: ألوان الفاكهة، واحدها فَن من قولهم أفنن فلان في حديثه إذا أخذ في فنون منه وضروب. وجمع عطاء بين القولين فقال: في كل غصن فنون من الفاكهة. وقال قتادة: ذواتا فضل وسعة على ما سواهما **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** .

﴿فيهما عينان تجريان﴾، قال ابن عباس: بالكرامة والزيادة على أهل الجنة. قال الحسن: تجريان بالماء الزلال،إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل. وقال عطية إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين **﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾** .

﴿فيهما من كل فاكهة زوجان﴾، صنفان ونوعان. قيل: معناه: إن فيهما من كل ما يتفكه

---

(١) أخرجه النسائي في كتابه «التفسير»: ٣٧٤/٢-٣٧٥، والإمام أحمد: ٣٥٧/٢، وابن أبي عاصم في السنة: ٤٧٢/٢، والطبري: ١٤٦/٢٧، وابن خزيمة في التوحيد ص ٢٢٣، والمصنف في شرح السنة: ٣٨٦/١٤ .
و عزاه ابن حجَر في المطالب العالية: ٣٨٢/٣ لابن منيع .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: (١١٨/٧): «رواه أحمد والطبراني، ولفظه: عن عروة بن الأسود أنه خرج ...وساق الحديث-ثم قال: ورجال أحمد رجال الصحيح» .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٠٧/٧ لابن منيع والحكيم الترمذي في نوادر الأصول والبزار وأبي يعلى وابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني وابن مردويه .
وصححه الألباني في ظلال الجنة: ٤٧٢/٢-٤٧٣ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٣ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ۝٥٤ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٥ فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ۝٥٦﴾

به ضربين رطباً ويابساً. قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة حلوة ولا مرة إلا وهي في الجنة حتى الحنظل إلا أنه حلو[1]. ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿متكئين على فُرُشٍ﴾، جمع فراش، ﴿بطائِنُها﴾، جمع بطانة، وهي التي تحت الظِّهـارة. وقال الزجاج وهى مما يلى الأرض. ﴿من إستبرق﴾، وهو ما غلظ من الديباج. قال ابن مسعود وأبو هريرة هذه البطائن فما ظنكم بالظواهر[2]؟ وقيل لسعيد بن جبير: البطائن من إستبرق، فما الظواهر؟ قال: هذا مما قال الله عزّ وجلّ: «فلا تعلم نفس ما أخفي لهم من قرة أعين»[3] (السجدة – ١٧)، وعنه أيضاً قال: بطائنها من إستبرق فظواهرها من نورٍ جامد[4]. وقال ابن عباس: وصف البطائن وترك الظواهر لأنه ليس في الأرض أحد يعرف ما الظواهر[5] .

﴿وجَنَى الجنتينِ دَانٍ﴾، الجنى ما يجتنى من الثمار، يريد: ثمرها دانٍ قريب يناله القائم والقاعد والنائم. قال ابن عباس: تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولي الله، إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً[6]. قال قتادة: لا يردُّ أيديهم عنها بُعْدٌ ولا شوك. ﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان﴾ .

﴿فيهن قاصراتُ الطَّرْفِ﴾ غاضّات الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم ولا يردن غيرهم. قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئاً أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجتك[7]. ﴿لم يَطْمِثْهُنَّ﴾، لم يجامعهن و لم [يفترعهن][8]

---

(١) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧٠٩/٧ لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم .
وانظر: البحر المحيط: ١٩٦/٨–١٩٧، ابن كثير: ٢٧٨/٤ .
(٢) لم أجد القول منسوباً لأبي هريرة وإنما هو هُبيرة كما ذكر الطبري: ١٤٩/٢٧ أو عن هبيرة بن مريم عن عبد الله بن مسعود كما ذكر ابن كثير: ٢٧٨/٤ .
(٣) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٧ .
وانظر: القرطبي: ١٧٩/١٧ .
(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١٠/٧ لأبي نعيم في الحلية .
(٥) انظر: القرطبي: ١٧٩/١٧ .
(٦) انظر : البحر المحيط: ١٩٧/٨ .
(٧) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٧ .
(٨) الافتراع: إزالة البكارة .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ۝٥٧ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ۝٥٨﴾

وأصله من الطمث، وهو الدم ومنه قيل للحائض: طامث، كأنه قال: لم تدمهن بالجماع، ﴿إنس قبلهم
١٤٩/أ ولا جان﴾، قال الزجاج: فيه دليل على أن الجني يغشى كما يغشى / الإنسي. قال مجاهد: إذا جامع الرجل ولم يسم انطوى الجان على إحليله فجامع معه[(١)].

قال مقاتل في قوله: ﴿لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان﴾، لأنهن خلقن في الجنة. فعلى قوله: هؤلاء من حور الجنة.

وقال الشعبي: هن من نساء الدنيا لم يُمْسَسْنَ منذ أنشئن خَلْقاً، وهو قول الكلبي[(٢)]، يعني: لم يجامعهن في هذا الخلق الذي أنشئن فيه إنس ولا جان.

وقرأ طلحة بن مصرّف: «لم يطمُثهن» بضم الميم فيهما.

وقرأ الكسائي إحداهما بالضم، فإن كسر الأولى ضم الثانية وإن ضم الأولى كسر الثانية، لما روى أبو إسحاق السبيعي قال: كنت أصلي خلف أصحاب علي رضي الله عنه فأسمعهم يقرؤون: لم يطمثهن بالرفع، وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله بن مسعود فأسمعهم يقرؤون بكسر الميم، وكان الكسائي يضم إحداهما ويكسر الأخرى لئلا يخرج عن هذين الأثرين[(٣)].

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان * كأنهنّ الياقوتُ والمَرجانُ﴾، قال قتادة: صفاء الياقوت في بياض المرجان.

وروينا عن أبي سعيد في صفة أهل الجنة عن رسول الله ﷺ: «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة، يرى مخ سوقهن دون لحمهما ودمائهما وجلدهما»[(٤)].

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا أبو اليمان أنا شعيب، أخبرنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «أول زمرة يدخلون الجنة على صورة القمر ليلة البدر والذين على إثرهم كأشد

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٧/١٥١، وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٧/٧١١ عزوه للحكيم الترمذي في نوادر الأصول.
(٢) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧/٧١١ لسعيد بن منصور وابن المنذر وأبي الشيخ في العظمة.
(٣) معاني القرآن للفراء: ٣/١١٩.
(٤) قطعة من حديث أخرجه الترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: ٧/٢٣٩-٢٤٠ وقال «هذا حديث حسن صحيح»، والإمام أحمد: ٣/١٦، والمصنف في شرح السنة: ١٥/٢١٢.

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾﴾

كوكبٍ إضاءةً، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرىء منهم زوجتان كل واحدة منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمها من الحُسْن، يسبحون الله بُكرة وعشياً لا يسقمون ولا يبولون ولا يتغوطون، ولايتفلون، ولا يتمخطون، آنيتهم الذهب والفضة وأمشاطهم الذهب، ووُقود مجامرهم الألوة ورشحهم المسك»[1].

أخبرنا أبو سعيد الشريحي أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرنا الحسين بن محمد بن الحسين، أخبرنا هارون بن محمد بن هارون، أخبرنا حازم بن يحيى الحلواني، أخبرنا سهيل بن عثمان العسكري، أخبرنا عبيدة بن حميد، عن عطاء بن السائب، عن عمرو بن ميمون، عن عبد الله بن مسعود عن النبي ﷺ قال: إن المرأة من أهل الجنة ليُرَى بياض ساقها من وراء سبعين حلة من حرير، ومخها، إن الله تعالى يقول: كأنهن الياقوت والمرجان، فأما الياقوت فإنه حجر لو أدخلت فيه سلكاً ثم استصفيته لرأيته من ورائه[2].

وقال عمرو بن ميمون: «إن المرأة من الحور العين لتلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء»[3].

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان * هل جزاءُ الإحسانِ إلّا الإحسانُ﴾، أي ما جزاء من أحسن في الدنيا إلا أن يحسن إليه في الآخرة. وقال ابن عباس: هل جزاء من قال: لا إله إلا الله وعمل بما جاء به محمد ﷺ إلا الجنة؟[4].

---

(١) أخرجه البخاري في بدء الخلق، باب ما جاء في صفة الجنة وأنها مخلوقة ٣١٨/٦، ومسلم في الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر...برقم:(٢٨٣٤): ٢١٧٩/٤، والمصنف في شرح السنة: ٢١١/١٥ .

(٢) أخرجه هناد في الزهد: ٩٦/١، والترمذي في صفة الجنة، باب ما جاء في صفة نساء أهل الجنة: ٢٣٨/٧-٢٣٩، والطبري: ١٥٢/٢٧، وابن حبان: برقم:(٢٦٣٢) ص ٦٥٤ .
قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٤١٨/١٠: «رواه الطبراني وسقط من إسناده رجلان» .
وعزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١٢/٧ أيضاً لابن أبي شيبة وابن أبي الدنيا في «وصف الجنة» وابن أبي حاتم وأبي الشيخ في «العظمة»، وابن مردويه .
وفيه عطاء بن السائب وقد اختلط .

(٣) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٧ موقوفاً على عمرو بن ميمون، وهناد في «الزهد» مثله: ٩٧/١، وأخرجه عبد الرزاق في المصنف: ٤١٤/١١ .
وانظر تعليق المحقق على كتاب الزهد لهناد: ٩٧/١-٩٨ .

(٤) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١٤/٧ لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مردويه .
وانظر: القرطبي: ١٨٢/١٧ .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا

أخبرنا أبو سعيد الشريحي، أخبرنا أبو إسحاق الثعلبي، أخبرني ابن فنجويه، أخبرنا [ابن شيبة][(١)] أخبرنا إسحاق بن إبراهيم بن بهرام، أخبرنا الحجاج بن يوسف المكتب، أخبرنا بشر بن الحسين، عن الزبير بن عدي، عن أنس بن مالك قال قرأ رسول الله ﷺ: «هل جزاء الإحسان إلا الإحسان» ثم قال: [هل تدرون ما قال ربكم؟ قالوا: الله ورسوله أعلم][(٢)] قال: «يقول هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلّا الجنة»[(٣)] .

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان** * **ومن دونهما جنتان**﴾، أي من دون الجنتين الأوليين جنتان أخريان. قال ابن عباس: من دونهما في الدرج. وقال ابن زيد: من دونهما في الفضل. وقال أبو موسى الأشعري: جنتان من ذهب للسابقين وجنتان من فضة للتابعين. وقال ابن جريج: هن أربع جنتان للمقربين السابقين فيهما من كل فاكهة زوجان وجنتان لأصحاب اليمين والتابعين ﴿**فيهما فاكهة ونخل ورمّان**﴾ .

أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، أخبرنا علي بن عبد الله، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد، عن أبي عمران، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه عن النبي ﷺ قال: «جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما ومافيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[(٤)] .

وقال الكسائي: «ومن دونهما جنتان» أي أمامهما وقبلهما، يدل عليه قول الضحاك: الجنتان

---

(١) في «أ» أبو شيبة، والصحيح ما أثبتناه من «ب» . قال الذهبي في سير أعلام النبلاء: ٣٨٤/١٧ في ترجمة ابن فنجويه: «وقد حدث عنه أبو إسحاق الثعلبي في التفسير، وتكلم فيه الحافظ أبو الفضل الفلكي، وقال: ما سمع من عبيد الله بن شيبة .فخرج ساخطاً من همذان فتبعه الفلكي واعتذر، ورجع عن مقالته» .

(٢) ما بين القوسين **ساقط من «أ»** .

(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١٤/٧ للحكيم الترمذي في«نوادر الأصول»، والديلمي في «مسند الفردوس»، وابن النجار في تاريخه .
وفيه بشر بن الحسين الأصبهاني، قال ابن حبان في المجروحين والضعفاء: (١٩٠/١): يروي عن الزبير بن عدي بنسخة موضوعة، ما لكثير حديث فيها أصل، يرويها عن الزبير عن أنس شبيهاً بمائة وخمسين حديثاً مسانيد كلها، وإنما سمع الزبير من أنس حديثاً واحداً ...
وانظر: ميزان الاعتدال للذهبي: ٣١٥/١-٣١٦ .

(٤) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة الرحمن-باب(ومن دونهما جنتان) ٦٢٣/٨-٦٢٤، ومسلم في الإيمان، باب إثبات رؤية المؤمنين في الآخرة ربهم سبحانه وتعالى برقم:(١٨٠): ١٦٣/١، والمصنف في شرح السنة: ٢١٦/١٥ .

تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ
نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾

الأوليان من ذهب وفضة والأخريان من ياقوت .

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان * مدهامّتان**﴾، ناعمتان سوداوان من ريهما وشدة خضرتهما، لأن الخضرة إذا اشتدت ضربت إلى السواد، يقال: ادهام الزرع إذا علاه السواد رياً ادهيماماً فهو مدهام .

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما عينان نضّاختان**﴾، فوارتان بالماء لا تنقطعان. «والنضخ»: فوران الماء من العين، قال ابن عباس: تنضخان بالخير والبركة على أهل الجنة[1]، وقال ابن مسعود: تنضخان بالمسك والكافور على أولياء الله[2]. وقال أنس بن مالك: تنضخان بالمسك والعنبر في دور أهل الجنة كطش المطر[3] .

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهما فاكهة ونخل ورمان**﴾، قال بعضهم: ليس النخل والرمان من الفاكهة والعامة على أنها من الفاكهة، وإنما أعاد ذكر النخل والرمان وهما من جملة الفواكه للتخصيص والتفصيل[4]، كما **قال تعالى**: «من كان عدواً لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال» (البقرة - ٩٨) .

أخبرنا أبو بكر محمد بن عبد الله بن أبي توبة، أخبرنا أبو طاهر محمد بن أحمد بن الحارث، أخبرنا محمد بن يعقوب الكسائي، أخبرنا عبد الله بن محمود، أخبرنا إبراهيم بن عبد الله الخلال، أخبرنا عبد الله بن المبارك، عن سفيان، عن حماد، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: نخل الجنة جذوعها زمرد أخضر، وورقها ذهب أحمر، وسعفها كسوة لأهل الجنة فيها مقطعاتهم وحللهم، وثمرها أمثال القلال أو الدلاء أشد بياضاً من اللبن وأحلى من العسل وألين من الزُّبْد ليس له عجم[5] .

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان * فيهن**﴾، يعني في الجنات الأربع، ﴿**خيْرَاتٌ حِسَانٌ**﴾، روى

(١) انظر: الطبري: ١٥٧/٢٧، القرطبي: ١٨٥/١٧ .
(٢) انظر: القرطبي: ١٨٥/١٧ .
(٣) عزاه السيوطي في الدر المنثور: ٧١٦/٧ لابن أبي شيبة، وابن أبي حاتم .
وانظر: البحر المحيط: ١٩٨/٨، القرطبي: ١٨٥/١٧ .
(٤) معاني القرآن للفراء: ١١٩/٣ .
(٥) ذكره القرطبي: ١٨٦/١٧ .

﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ﴾

الحسن عن أبيه عن أم سلمة قالت: قلت لرسول الله ﷺ: أخبرني عن قوله: ﴿**خيرات حسان**﴾، قال: «خيرات الأخلاق حسان الوجوه»[1].

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان** ﴿**حُورٌ مَقْصُورَاتٌ**﴾ / ، محبوسات مستورات في الحجال، يقال: ١٤٥/ب
امرأة مقصورة وقصيرة إذا كانت مخدرة مستورة لا تخرج. وقال مجاهد: يعني قصرن طرفهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يبغين لهم بدلاً.

وروينا عن النبي ﷺ قال: «لو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى [أهل][2] الأرض لأضاءت ما بين السماء والأرض ولملأت ما بينهما ريحاً، ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا وما فيها»[3].

﴿**في الخيام**﴾، **جمع خيمة، أخبرنا عبد الواحد المليحي، أخبرنا أحمد بن عبد الله النعيمي، أخبرنا محمد بن يوسف، حدثنا محمد بن إسماعيل، حدثنا محمد بن المثنى، أخبرنا عبد العزيز بن عبد الصمد،** أخبرنا عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «إن للمؤمن في الجنة لخيمة من لؤلؤة واحدة مجوفة، عرضها ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهلٌ ما يرون الآخرين يطوف عليهم المؤمن»[4].

﴿**فبأي آلاء ربكما تكذبان * لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان * فبأي آلاء ربكما تكذبان * متكئين على رَفرفٍ خُضْرٍ**﴾، قال سعيد بن جبير: «الرفرف»: رياض الجنة. «خضر»: مخضبة. ويروى ذلك عن ابن عباس، واحدتها رفرفة، وقال: الرفارف جمع الجمع. وقيل: «الرفرف»: البسط، وهو قول الحسن ومقاتل والقرظي. وروى العوفي عن ابن عباس: «الرفرف»: فضول المجالس والبسط.

---

(١) قطعة من حديث أخرجه الطبري: ٢٧/١٥٨، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضاً: ٧/٧٢٠ للطبراني وابن مردويه. قال الهيثمي في مجمع الزوائد: ٧/١١٩: «رواه الطبراني، وفيه سليمان بن أبي كريمة، ضعفه أبو حاتم وابن عدي».

(٢) ساقط من«ب».

(٣) قطعه من حديث أخرجه البخاري في الجهاد، باب الحور العين وصفتهن: ٦/١٥.

(٤) أخرجه البخاري في التفسير-تفسير سورة الرحمن- باب (حور مقصورات في الخيام): ٨/٦٢٤، ومسلم في الجنة وصفة نعيمهاوأهلها، باب في صفة خيام الجنة وما للمؤمنين فيها من الأهلين برقم: (٢٨٣٨): ٤/٢١٨٢.

﴿وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾

وقال الضحاك وقتادة: هي مجالس خضر فوق الفرش. وقال ابن كيسان: هي المرافق. وقال ابن عيينة الزرابي. وقال غيره: كل ثوب عريض عند العرب فهو رفرف.

﴿وعبقريّ حسانٍ﴾، هي الزرابي والطنافس الثخان، وهي جَمْعٌ، واحدتها عبقرية، وقال قتادة: «العبقري»: عتاق الزرابي، وقال أبو العالية: هي الطنافس المخملة إلى الرقة ما هي. وقال القتيبي: كل ثوب موشّى عند العرب: عبقري.

وقال أبو عبيدة: هو منسوب إلى أرض يعمل بها الوشي.

قال الخليل: كل جليل نفيس فاخر من الرجال وغيرهم عند العرب: عبقريٌّ، ومنه قول النبي ﷺ في عمر رضي الله عنه: «فلم أر عبقرياً يفري فريه»[(١)].

﴿فبأي آلاء ربكما تكذبان * تبارك اسمُ ربِّك ذي الجلال والإكرام﴾، قرأ أهل الشام «ذو الجلال» بالواو وكذلك هو في مصاحفهم إجراءً على الاسم.

أخبرنا أبو الحسن علي بن يوسف الجويني، أخبرنا أبو محمد بن محمد بن علي بن محمد بن شريك الشافعي، أخبرنا عبد الله بن محمد بن مسلم، حدثنا أبو بكر الجوربذي، أخبرنا أحمد بن حرب، أخبرنا أبو معاوية الضرير عن عاصمٍ عن عبد الله بن الحارث عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا سلّم من الصلاة لم يقعد إلا مقدار ما يقول: «اللهم أنت السلام ومنك السلام تباركت ياذا الجلال والإكرام»[(٢)].

---

(١) قطعة من حديث أخرجه البخاري في فضائل الصحابة، باب مناقب عمر بن الخطاب أبي حفص القرشي العدوي-رضي الله عنه-: ٤١/٧، ومسلم في فضائل الصحابة، باب من فضائل عمر رضى الله عنه برقم: (٢٣٩٣): ١٨٦٢/٤.

(٢) أخرجه مسلم في المساجد، باب استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته برقم: (٥٩٢): ٤١٤/١.